

الأعمال التاريخية للسان الدين بن الخطيب

الإحاطة في أخبار غرناطة

تقديم مراجعة وتعليق:
بوزيانى الدراجى

القسم الثالث

دار
الأمل
للدراسات

الإحاطة في أخبار خرفاطة

للسان الديرين
أبي عبد الله محمد بن الخطيب

القسم الثالث

مراجعة وتقديم وتعليق بوزياني الدرراحي



صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة في إطار الصندوق الوطني
لترقية الفنون والآداب

Cet ouvrage a été publié avec le soutien du Ministère de la
Culture, dans le cadre du Fonds National pour la Promotion
et le Développement des Arts et des Lettres.

دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع
شارع بلخوني يوسف السحاولة (16305) الجزائر
0 21 35 78 29 هاتف وفاكس:

الإيداع القانوني: 2349 - 2009

ردمك: 6 - 35 - 858 - 9961 - 978



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

محمربن ممر

(بن الشَّرِير¹ من أهل مالقة؛ يكنى أبا عبد الله).

حاله

ذكر في الإكليل بما نصه: شاعر مُجيدٌ، حَوْكُ الكلام، ولا يقصر فيه عن درجة الأعلام. رحل إلى الحجاز لأول أمره، فطال بالبلاد المشرقية ثَوَاؤه. وعميت أنباؤه، وعلى هذا العهد وَقَفْتُ له على قصيدة بخطه غرضها نبيل، ومرعاها غير وبيل، تدل على نَفْسٍ ونَفَسٍ، وإضاءة قبس. وهي²:

لنا في كل مكرمة مقام

ومن فوق النجوم لنا مقام

¹ ذكرت هذه الترجمة كاملة في الإسكوريال. بينما نقل المقرئ في نفع الطيب بعضها من الإحاطة؛ وسماه: محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري الجباني الأصل المالقي؛ ثم نقل ما ذكره ابن الخطيب في الإكليل.
² البحر الوافر.

روينا من مياه المجدلما
وردناها وقد كثر الزحام
ومنها:

فحن هم وقل لي من سوانا
لنا التقديم قدماً والكلام
لنا الأيدي الطوال بكل ضرب¹
يهز به لدى الروع الحسام
ونحن اللابسون لكل درع
يصيب الشمس² منهن انثلام
بأندلس لنا أيام حرب
مواقفهن في الدنيا عظام
ثوى³ منها قلوب الروم خوفاً⁴
يخوف منه في المهد الغلام

¹ في النفع: ((صوب)).
² نفسه: ((السمر)).
³ أي أقام.
⁴ في النفع: ((خوف)).

حمينا جانب الدين احتسابا
فها هو لا يهان ولا يضام
وتحت الراية الحمراء منا
كتايب لا تطاق ولا ترام
بنو نصر وما أدراك¹ ما هم
أسود الحرب والقوم الكرام
لهم في حربهم فتكات عمرو
فلأعمار عندهم انصرام
يقول عداتهم مهما أَلْمُوا
أتونا ما من الموت اعتصام
إذا شرعوا الأسنة يوم حرب
فحقق أن ذاك هو الحمام
كأن رماحهم فيها نجوم
إذا ما أشبهه الليل الغمام²

¹ وردت هكذا في نفع الطيب؛ بينما كتبت في مخطوط الإسكوريال: ((ما أدريك)).
² في النفع: ((القتام)).

أناس تخلف الأيام ميتاً
بحي منهم فلهم دوام
رأينا من أبي الحجاج شخصاً
على تلك الصفات له قيام
موقى العرض محمود السجايا
كريم الكف مقدم همام
يجول بذهنه في كل شيء
فيدركه وإن عز المرام
قويم الرأي في نوب الليالي
إذا ما الرأي فارقه القوام
له في كل معضلة مضاء
مضاء الكف ساعده¹ الحسام
رؤوف قادر يغضي ويعفو
وإن عظم اجتباء واجترام
تطوف ببيت سؤدده القوافي
كما قد طاف بالبيت الأنام

¹ في النفع: (ساعدها).

وتسجد في مقام علاه شكرا
ونعم الركن ذلك والمقام
أفارسها إذا ما الحرب أخذت¹
على أبطالها ودنا الحمام
ومطرها إذا ما السحب كفت
وكف أخي الندى أبداً غمام
لك الذكر الجميل بكل قطر
لك الشرف الأصيل المستدام
لقد جينا² البلاد فحيث سرنا
رأينا أن ملكك لا يرام
فضلت ملوكها شرقاً وغرباً
وبت لملكها يقظاً ونام³
فأنت لكل معلوّة مدار
وأنت لكل مكرمة إمام

¹ أخذت على أبطالها: أي أتت عليهم وأهلكتهم.

² في النفع: ((جينا)).

³ نفسه: ((وناموا)).

جعلت بلاد أندلس إذا ما
ذكرت تغار مصر والشام
مكان أنت فيه مكان عز
وأوطان حلت بها كرام
وهبتك من بنات الفكر بكرا
لها من حسن لقياك ابتسام
فنزّه طرف مجدك في حلاها
فللمجد الأصيل بها اهتمام

محمد بن سعد

ابن خالصة¹ بن فرج بن مجاهد بن أبي الخصال (الغافقي؛ الإمام البليغ، المحدث (الحجة) يكنى أبا عبد الله. أصله من فرغليط من شقورة؛ من ثورة جيان؛ وسكن قرطبة وخرنطة.

حاله

قال ابن الزبير عند ذكره: ذو الوزارتين، أبو عبد الله بن أبي الخصال، كان من أهل المعارف الجمّة، والإتقان لصناعة الحديث، والمعرفة برجاله، والتقيد لغريبه، وإتقان ضبطه، والمعرفة بالعربية واللغة والأدب، والنسب والتاريخ، متقدماً في ذلك كله. وأما الكتابة والنظم؛ فهو إمامهما المتفق عليه، والمتحاكم فيهما إليه. ولما ذكره أبو القاسم الملاحى بنحو ذلك قال: لم يكن في عصره مثله، مع دين وفضل وورع. قال أبو عمرو بن الإمام الإستجى في سمط الجمّان، لما ذكره: البحر الذي

¹ في الإسكوريال: ((خالصة)). وتوجد ترجمة محمد بن الخصال أيضاً في المعجب، والمغرب، والذخيرة، وقلاند العقيان، والمطرب، وبغية الملتمس، والصلة، وبغية الوعاة، وروايات المبرزين، والمعجم في أصحاب القاضي الصدفي، والمقتطف في أزهار الطرف.

لا يماح¹ ولا يشاطر، والغيث الذي لا يساجل ولا يقاطر²،
والروض الذي لا يفاح ولا يعاطر، والطود الذي لا
يزاحم ولا يخاطر، الذي جمع أشتات المحاسن، على [ماء
غير ملح]³ ولا آسن؛ وكثرت فواضله، فأمنت المماثل
والمحاسن، الذي قصرت البلاغة على⁴ محتده، وألقت
أزمة الفصاحة في يده، وتشرفت الخطابة والكتابة
باعترائهما إليه، فنثل كنانتها، وأرسل كماينها، وأوضح
أسرارها ودفائنها، فحسب الماهر النحرير، [والجهبذ
العلامة البصير]⁵ إذا أبدع في كلامه، وأينع في روض
الإجادة نثاره ونظامه، [وطالت قنى الخطية الذبل
أقلامه]⁶، أن يستنير بأنواره، [ويقتضي بعض مناهجه
وآثاره]⁷ وينثر على أثوابه مسك غباره، وليعلم كيف
يتفاضل الخبر والإنشاء، ويتلو: ﴿لَنْ نَقْضِيَ يَوْمَ يَوْمِ الْيَوْمِ﴾

¹ ربما قصد بهذا القول: البحر الذي لا يضاهاى.

² في الإسكوريال: ((يخاطر)).

³ نفسه: ((على غير طوق)).

⁴ نفسه: ((عليه)).

⁵ ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال؛ بينما سقط في المخطوطين.

⁶ ما بين الحاصرتين ساقط في ج؛ بينما هو وارد في الزيتونة.

⁷ ما بين الحاصرتين ساقط أيضاً في ج؛ ووارد في الزيتونة.

يُرِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴿١﴾. [وعضه العَقُورُ أبو نصرًا² في قلائده؛ حيث قال: ((هو وإن كان خامل المنشأ نازله، لم ينزله المجد مناله، ولا فرع للعلاء هضابا، ولا ارتشف للسنا رضابا، فقد تميز بنفسه، وتحيز من أبناء³ جنسه، وظهر بذاته، وفخر بأدواته.

مشيخته

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير، في الصلة⁴: روى عن الغساني، والصدفي⁵ وأبي الحسن ابن الباذش، وأبي عمران بن تليد، وأبي بحر الأسدي، وأبي عبد الله النفزي، وجماعة غيرهم.

¹ الآية كاملة هكذا: [لَيْلًا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ]. سورة الحديد؛ الآية: 29.
² هذه العبارة؛ وردت هكذا في الإسكوريال؛ وجاء في موضعها في المخطوطين: ((وذكره الفتح في قلائده)). و((أبو نصر)) المذكورة؛ هي كنية الفتح بن خاقان صاحب قلائد العقيان.
³ سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال، والقلائد؛ بينما وردت في المخطوطين.
⁴ يسمى هذا الكتاب: ((صلة الصلة)).
⁵ في المخطوطين: ((الصدقي)).

توآلفه

قال الأستاذ: وأما كتبه وشعره¹ وتوآلفه الأدبية؛ فكل ذلك مشهور، متداول بأيدي الناس، وقل من يُعلم بعده، أن يجتمع له مثله، رحمه الله.

من روى عنه

روى عنه ابن بشكوال، وابن حبيش، وابن مضاء، وغيرهم، وكل ذلك ذكره في رحاله، وهو أعرف بتقدمه في احتفاله.

شعره²

وله شعر كثير. فمن إخوانياته ما خاطب به أبا إسحق ابن خفاجة³:

¹ سقطت هذه الكلمة في ج.
² فإذا كان شعر محمد بن الخصال يملأ صفحات عديدة في نسخة الإسكويال؛ فإن بقية المخطوطات تعاني من شح في ذلك؛ إذ لا يوجد في نسختي: ج، والزيتونة؛ سوى عشرة أبيات لهذا الشاعر. وعليه؛ فقد اعتمد عنان - هنا - على مخطوط الإسكوريال؛ خاصة؛ وأنه يشمل أيضاً على الأبيات العشرة الواردة في الزيتونة، وج.
³ البحر الكامل.

هب النسيم هبوب ذي إشفاق
يذهبن الهوى بجناحه الخفاق
وكأنما صبح الغصون بنشوة
باحت لها سراير العشاق
وإذا تلاعبت الرياح ببيانه
لعب الغرام بمهجة المشتاق
مه يا نسيم فقد كبرت عن الصبا
لم يبق من تلك الصباية باق
إن كنت ذاك فليست ذاك ولا
أنا قد أذنتك¹ مفارقي بفراق
ولقد عهدت سراك من عدد الهوى
والموت في نظري وفي استنشاق
أيام لو عن السلو لخاطري
قربته هدياً² إلى أشواق³

¹ جعلها د. طويل: ((أذنت))؛ لسلامة الوزن.
² الهدى: هو ما يقدم من ضحايا في الحج والعمرة من النعم.
³ جعلها د. طويل: ((أشواقي)).

الهوى إلفي والبطالة مركبي
والأمن ظلي والشباب رواق¹
في حيث قسمت المدامة قسمة
ضيّزي² لأن السكر من أخلاق³
لا ذنب للصهباء أني غاصب
ولذاك قام السكر باستحقاق
ولقد صدّدت الكأس فانقبضت بها
من بعدها انبسطت يمين الساق
وتركت في وسط الندامى خلة
هامت بها الوسطى من الأعلاق
فاستسرفوني مذكرين وعندهم
أنى أدين اللهو دين نفاق
وحبايها نفت الحباب وربما
سدكت يد الملسوع منه براق

¹ جعلها ذ. طويل: ((رواقي)).

² أي قسمة ناقصة.

³ جعلها د. طويل: ((أخلاق)).

وكانه لما توقّر من فوقها¹
نور تجسم من ندى الأحداق
لو بارح نفح النوى في روضة
فأثارها وسرى عن الأحداق
ولقد جلوا والله يدرأ كيدهم
فتانة الأوصاف والأعراق
أغوى بها إبليس قدماً أدماً²
وهي³ السر يرتمي في هواها الباقي⁴
تالله أصرف نحوها وجد الرضا
لو شعشت برضا أبي إسحاق
ومن نسيه⁵:
وليلة عنبرية الأفق
رويت فيها السرور من طرق

¹ حذف د. طويل ((من))؛ فغدا الشطر هكذا: ((وكانه لما توقّر فوقها)).
² جعلها د. طويل: ((أدم)).
³ حذف د. طويل كلمة ((هي))؛ فغدا الشطر هكذا: ((والسر يُرمى في هواها الباقي)).
⁴ كتبها د. طويل: ((الباقي)).
⁵ هذه القصيدة موجودة في الذخيرة، والمغرب؛ وهي من بحر المنسرح.

وكنت حران فاقتدحت بها
ناراً من الراح برَدَّتْ حُرُق¹
واقفت² بها³ عاطلاً وقد لبست
غلالة فصلت من الحرق
فأجابها⁴ الدهر من بنيه دجى⁵
لقيته كالإصباح في نسق⁶
قامت لنا في المقام أوجههم
وراحهم بالنجوم والشفق
وأطلع⁷ البدر من ذرى غصن
تهفو عليه القلوب كالورق

¹ جعلها د. طويل: ((حرقى)).

² في الذخيرة: ((حلت)).

³ في المغرب، والذخيرة: ((بنا)).

⁴ في الذخيرة، والمغرب: ((فجاءها)).

⁵ في الذخيرة: ((هوى)).

⁶ ورد هذا العجز في المغرب، والذخيرة هكذا:

((بفتية كالصباح في نسق)).

⁷ في المغرب: ((وأطلع)).

من عبد شمس بدا سناه وهل
ذاك¹ النور² إلا لذاك³ الأفق
مد بحمراء من مدامته
بيضاء كف⁴ مسكية العبق
فخاتهما وردة منعمة
تحمل من سوسن على طبق
نشرت⁵ في الراح⁶ حين نشرتها⁷
ما غادرت مقاتاه من رمق⁸
وقال⁹:

يا حبذا ليلة لنا سلفت
أغررت بنفسى الهوى وما¹⁰ عرفت

¹ في المغرب، والذخيرة: ((ذا))؛ وهذا أسلم.

² نفسيهما: ((البدر)).

³ في المغرب، والذخيرة: ((إلا لذلك)).

⁴ في الذخيرة: ((كفأ)).

⁵ في المغرب، والذخيرة: ((يشرب)).

⁶ في الذخيرة: ((بالراح)).

⁷ في المغرب والذخيرة: ((يشربها)).

⁸ نفسه: ((من رمقي)).

⁹ ورد هذان البيتان في: ج، والزيتونة. كما وردا في الذخيرة، وبغية الوعاة. وهما من بحر المنسرح.

¹⁰ في الذخيرة: ((وقد)).

دارت بظلمائها المدام فكم
نرجسة من بنفسج قطفت

وقال في مغنٍ زار، بعده أغبَّ وشطَّ المزار¹:
وافى وقد عظمت عليّ ذنوبه
في غيبة قبحت² بها آثاره
فما إساءته لنا³ إحسانه
واستغفرت لذنوبه أوتاره⁴

¹ وردت هذه العبارة في الإسكوريال هكذا؛ بينما ذكرت في المخطوطين شكل مغاير؛ حيث جاء: ((في غائب أب بعد ما غب المزار)). وقد رجح عنا صحة عبارة الإسكوريال؛ لأنه لاحظ في البيت الثاني ذكر كلمة: ((أوتاره))؛ وهذا يقترن مع ذكر المغني. ويوجد هذان البيتان أيضاً في: قلاند العقيان، وبغية الملتمس، والمطرب، والذخيرة. وهما من البحر الكامل.

² في ج: ((حظيت)).

³ في الذخيرة: ((بنا)).

⁴ في ج: ((أنواره))، وفي الزيتونة: ((أماره)).

وقال يعتذر عن استبطاء مكاتبة¹:
ألم تعلموا² والقلب رهن لديكم
يخبركم³ عني بمضجره⁴ بعدي
فلو⁵ قلبتني⁶ الحادثات مكانكم
لأنهبتها وفري واولدلاتها⁷ خدي
ألم تعلموا أني وأهلي وواحد⁸
فدا⁹ ولا أرضى بتفدية¹⁰ وحدي

¹ هذه الأبيات موجودة في: قلاند العقيان، والمطرب، والذخيرة. وهي من البحر الطويل.
² في الذخيرة: ((ألم تسألوا)).
³ نفسه: ((فيخبركم)).
⁴ في القلائد، والمطرب، والذخيرة: ((بمضمره)).
⁵ في القلائد، والمطرب: ((ولو)).
⁶ في المطرب، والذخيرة: ((قبلتني)).
⁷ في القلائد، والمطرب، والذخيرة: ((وأوطأتها)).
⁸ في القلائد، والمطرب، والذخيرة: ((وواحد)).
⁹ المصادر نفسها: ((فداء)).
¹⁰ في المطرب: ((بتقدمتي)).

ومن قوله في غرض المدح يخاطب تاشفين بن علي،
ويذكر الواقعة بـ ((كركي))¹، يقول فيها²:

الله أعطاك فتحاً غير مشترك

ورد عزمك عن فوت إلى درك

أرسل عنان جواد أنت راكبه

واضمم يديك ودعه في يد الملك

حتى يصير إلى الحسنى على ثقة

يهدي سبيلك هاد غير مؤتعاك

قد كان بعدك للأعداء مملكة

حتى استدرت عليهم كورة الفلك

سارت بك الجرد أوطار القضا بها³

والحين قد قيد الأعداء في شرك

¹ هي ((كركي))؛ وليس ((بكركي)) كما اعتقد د. طويل. لأن هذه الأخيرة في
في لبنان. أما معركة كركي؛ فقد حدثت سنة 531هـ/1136م؛ بين جيش
قشتالة وبين جيش المرابطين بقيادة الأمير تاشفين بن علي بن يوسف
ابن تاشفين اللمتوني؛ وكان الانتصار فيها للمسلمين. وكان تاشفين - آنذ
- أميراً على الأندلس من قبل أبيه؛ الذي أسند إليه تلك المهمة سنة
522هـ/1128م.

² هذه القصيدة من البحر البسيط.

³ هكذا كتبها عنان؛ وقد جعلها د. طويل: ((الفضاء بها)).

فما تركت كميا غير منعفر
ولا تركت نجيعاً غير منسفاك
ناموا وما نام موتور عل حنق
أسدى إذا فرصة من السلك¹
فصَبَّحَتْهُمْ جنود الله باطشة
والصبح من عبرات الفجر في مُسَاك
من كل مبتدر كالنجم منكدر
تفيض أنفسهم غيظاً من المساك
فطاعنوكم بأرماح وما طعنت
وضار بؤكم بأسياف ولم تحك
تعجل النحر فيهم قبل موسمه
وقَدَّمَ الهَدْيَ منهم كل ذي نسك
فالطير عاكفة والوحش واقفة
قد أثقلتها لحوم القوم عن حرك

¹ أضاف د. طويل كلمة: ((ليست))؛ فأضحى الشطر هكذا: ((أسدى إذا فرصة ليست من السلك)).

عدت على كل عاد منهم أسرّ
بعثه¹ في حنجر² رحب وفي حنك
كلي هينئاً مريئاً واشكري ملكاً
قرتك أسيفه في كل معترك
فلو تنضدت الهامات إذ نشرت
بالقاع للغيظان بالنبك
أبرح وطالب بباقي الدهر ماضيه
فيوم بدرٍ أقامه الفيئ في فداك
وكم مضى لك من يوم بنت له
في ماقط برماح الحظ مشتبك
بالنقع مرتكم بالموت ملتيم
بالبيض مشتمل بالشمر محتبك
فحص القباب إلى فحص الصعاب
إلى أريولة مداسات إلى السكك

¹ جعلها د. طويل: ((بعثن))؛ لسيقيم الوزن.
² أي الحنجرة.

وكم على حبر محمود وجارته
للروم من مرتكل غير مترك
وفيت للصر حتى قيل قد غدروا
سموت تطلب نصر الله بالدرك
فأسلمتهم إلى الإسلام غدوتهم
وأذهب السيف ما بالذن من حنك
يا أيها الملك السامي بهمته
إلى رضى الله لا تعدم رضى الملك
ما زلت تسمعه بشرى وتطلعه
أخرى كدرّ على الأجياد منسلك
بيضت وجه أمير المؤمنين بها
والأرض من ظلمة الإلحاد في حلك
فاستشعر النصر واهتزت منابره
بذكر أروع للكفار محتك
فأخذك ولمن والاك طاعته
خلود بر بتقوى الله ممتسك

وافيت والغيث زاخر قد بكا طرباً
لما ظفرت وكم بلله من الضحك
وتمم الله ما أنشأت من حسن
بكل منسبك منه ومنتماك
وعن قريب تباهي الأرض من زهير
سماها بها غضة الحبك
فَعُدُّ وَقُدُّ واعتمدْ وأحمدْ وسدْ وأبدِ
وقُلْ وصلِ واستطِلْ واستنولِ وانتَهكِ
وحسبك الله فرداً لا نظير له
تغنيك نصرته عن كل مشترك
ومن قوله في غرض الرثاء، يرثي الفقيد أبا الحسن بن
مغيث¹:

الدهر ليس على حر بمؤتمن
وأبي علق تخطته يد الزمن

¹ ورد في المعجب؛ من هذه القصيدة أربعة أبيات فقط؛ هي البيت: الثالث، والرابع، والسادس، والسابع؛ غير أنها نسبت في هذا المصدر لابن طفيل. وهي من البحر البسيط.

يأتي العفا¹ على الدنيا وساكنها
كأن² أدبر لم يسكن إلى سكن
يا باكيا فرقة الأحباب عن شحط³
هلا بكيت فراق الروح للبدن
نور⁴ تقيد في طين إلى أجل⁵
وانحاز علواً⁶ وخلي الطين في الكفن
كالطير في شرك يسمو إلى درك
حتى تخلص من سقم ومن درن
إن لم يكن في رضى الله التقاوهما
فيا لها صفقة بتت على دغن⁷

¹ أضاف د. طويل؛ الهمزة؛ فغدت: ((العفاء))؛ لسلامة الوزن.

² جعلها د. طويل: ((كأنها)). من أجل الوزن.

³ أي بُعد.

⁴ في المعجب: ((تردد)).

⁵ النور: هنا كناية عن الروح؛ والطين: كناية عن الجسد.

⁶ في المعجب: ((فانحاز علواً)).

⁷ ورد هذا البيت في المعجب هكذا:

((إن لم يكن في رضى الله اجتماعهما * فيا لها صفقة تمت على غبن)).

يا شد ما افترقا من بعد ما اعتقنا¹
أظنها محرقة² كانت على دخن³
ورب سار إلى وجه يسر به
وافى وقد نبت المرعى على الدمن
أتى إلى الله لا سمع ولا بصر
يدعو إلى الرشد أو يهدي إلى السنن
في كل يوم فراق لا بقاء له
من صاحب كرم أو سيد قم
أعيا أبا حسن فقد الذين مضوا
فمن لنا بالذي أعيا أبا حسن
كأن البقية في قوم قد انقضوا
فهاج ما شاء ذلك القرن من شجن
يعد فداً وفي أثوابه رمز من
كل ذي خلق عمرو وذو فطن

¹ في المعجب: ((اعتلقا)).

² نفسه: ((هدنة)).

³ أي على فساد.

وإنّ من أوجدتنا كل مفقّد
حياته لعزیز الفقد والظعن
من للملوك إذا خفت حلومهم
بما يقاوم ذاك الطيش من سكن
ومنها:

يا يونس لا تسر أصبحنا لوحشتنا
نشكو اغتراباً وما بنا عن الوطن
ويا مطاعاً مطيعاً لا عناد له
في كل أمر على الإسلام مؤتمن
كم خطت كارتجاج البحر مبهمة
فرجتها بحسام سل من لسن
طود المهابة في الجلا وإن جذبت
عنانه خلوة هزت ذرى وتر
أكرم به سبباً تلقى الرسول به
لخمس واردة في الفرض والسنن
ناهيك من منهج سم القصور به
هوى فمن قدر عال إلى فدن

من كل وادي التُّقى يسقى الغمام به
فيستهل شروق الضرع باللبن
تجملت بك في أحسابها مضر
وأصل مجدك في جرثومة اليمن
من دولة حولها الأنصار حاشدة
في طامح شامخ الأركان والقنن
من الذين هم رووا وهم نصرُوا
من عيسة الدين لا من جذوة الفتن
إن بيد مطلع منهم ومستمع
فارغب بنفسك عن لحظ وعن أذن
ما بعد منطقه وشي ولا زهر
ولا لأعلاق ذاك الدر من ثمن
أقول وفيها فضل سؤدده
استغفر الله ملء السر والعلن
محمد ومغيث نعم ذا عوضاً
هما سلاله ذاك العارض الهتن

تقيلاً هديه في كل صالحه
نصر السوابق عن طبع وعن مرن
ما حل حبوته إلا وقد عقدا
حبا بما اختار من أيد ومن ممن
غر الأحبة عند حسن عهدهما
وإن يونس في الأثواب والجنن
علماء وحلماء وترحيباً وتكرمة
للزائرين وإغضاء على زكن
يا وافد الغيث أوسع قبره نزلا
وروماً حول ذلك الديم من تكن
وطبق الأرض وبلا في شفاعته
فنعم رايد ذاك الريف واليمن
وأنت يا أرض كوني مرة بأبي
مثنوى كريم ليوم البعث مرتهن

وإن تردت بترب فيك أعظمه

فكم لها في جنان الخلد من ردن
ومن شعره؛ قوله مخمّساً؛ [كتب بها¹؛ وقد أقام
بمراكش؛ يتشوق إلى قرطبة²]:

بدت³ لهم بالغور والشمل جامع
بروق بأعلام العذيب لوامع
فباحث بأسرار الضمير المدامع
ورب غرام لم تتله المسامع
أذاع بها⁴ من فيضها التصويب⁵

ألا في سبيل الشوق قلب مؤثّل
بركب إذا شاء والبروق تحمل
هو الموت إلا أنني أتحمل

¹ هكذا في الإسكوريال؛ أما في المخطوطين؛ فوردت: ((وكتبها)).

² البحر الطويل.

³ في الإسكوريال: ((سحت)).

⁴ في المخطوطين: ((ودام بها)).

⁵ جعلها د. طويل: ((لا يَصَوَّب))؛ ليستقيم الوزن. وقد وردت هذه القطعة الخماسية في المخطوطين.

إذا قلت هذا منهل عز منهل
وراية برق نحوها القلب يجنبُ

أبى الله إما كل بعد فتأبى
وإما دنو الدار منهم ففايت
ولا يلفت البين المصمم لافى
ويا رب حي البارق المتهافت
غراب بتفريق الأحبة ينعبُ

خذوا بدمي ذاك الوسيق المضرجا
وروضاً بغيضاً العاشقين تأرجا
عفى الله عنه قاتلاً ما تخرجا
تمشى الردى في نشره وتدرجا
وفي كل شيء للمنية مذهبُ

سقى الله عهداً قد تقلص ظله
حيا قطره يحيي الربا مستهله

وعى به شخصاً كريماً أجله
يصح فؤادي تارة ويُعلمه
ويلمه بالذكر طوراً ويُشعبُ

رمانى على قرب بشرخ ذكائه
فأعشت جفوني نظرة من ذكايه
وغصت بأدنى شعبة من سمايه
شعابي وجا¹ البحر في غلوائه
فكل قرب² ردع خديه يركب

ألم يأتته أنى ركنت قعوداً
وأجمعت عن وفز الكلام قعودا
ولم أعتصر للذكر بعدك عودا
وأزهقني هذا الزمان صعودا

¹ جعلها د. طويل: ((وجاء))؛ من أجل سلامة الوزن.
² جعلها د. طويل: ((بقرب))؛ من أجل سلامة الوزن.

فربع الذي بين الجوانح سبب

على تلك من حال دعوت سميعة
وذكرت روضاً بالعقاب مريعا
وتملاً الشعب المذحجي جميعاً
وسرباً بأكناف الرصافة ريعا
وأحداق عين بالحمام تقلب

ولم أنس ممشانا إلى القصر ذي النخل
بحيث تجافى الطود عن دمث سهل
وأشرف لا عن عظم قدر ولا فضل
ولكنه للملك قام على رجل
يقيه تباريح الشمال ويحجب

فكم توجّع¹ ينتابه برسيه
ويرتحل الفتى بأرجل عيسه

¹ جعلها د. طويل: ((وجع))؛ لسلامة الوزن.

أَبِقْ أُمَّ عَمْرٍو فِي بَقَايَا دَرِيْسِهِ
كَسَحَقِ الْيَمَانِي مَعْتَلِيْهِ نَفِيْسِهِ
فَرَقَعْتَهُ تَسْبِي الْقُلُوبِ وَتَعْجَبِ

وَبِيضَاءَ لِلْبِيضِ الْبِهَالِيلِ تَعْتَرِيْهِ¹
وَتَعْتَرِ بِالْبَانَ جَلَالًا وَتَتَنَزِّي
سِوَى أَنْهَا بَعْدَ الصَّنِيْعِ الْمَطْرَزِ
كَسَاهَا الْبَلَى وَالتَّكْلِ أَثْوَابِ مُعْوَزِ
يَبْكِي وَتَبْكِي لِلزَّائِرِينَ وَتَتَدَبِ

وَكَمْ لَكَ بِالزَّهْرَاءِ مِنْ مَتَرَدِّدِ
وَوَقْفَةٍ مَتَسِقِ الْمَجَامِعِ مَقْصَدِ
يَسْكُنُ مِنْ خَفَقِ الْجَوَانِحِ بِالْيَدِ
وَيَهْتِكُ حَجَبَ النَّاصِرِ بْنِ مُحَمَّدِ
وَلَا هَيْبَةَ تُخْشَى هُنَاكَ وَتُرْهَبِ

¹ جعلها د. طویل: ((تعترى)).

لنعم مقام الخاشع المتسك
وكانت في محل العبثمين المملك
متى يورد النفس العزيزة يسفك
وإن يسم نحو الأبلق الفرد يملك
وأي مرام رامه يتصعب

قصور كان الماء يعشق مبنها
فطوراً يرى تاجاً بمفرق أعلاها
وطوراً يرى خلخال أسوق سفلاها
إذا زل وهناً عن نوايب يهواها
يقول هوى بدرأ أو انقضَّ كوكب

أتاها على رغم الجبال الشواهِق
وكل منيف للنجوم مراهق
وكم دفعت في الصدر منه بعائق
فأودع في أحشائها والمفارق

حساباً بأنفاس الرياح يَذْرَبُ

هي الخود من قرن إلى قدم حسناً
تتأصف أقصاها جمالا مع الأدنى
ودرج كالأفلاك¹ مبنى على مبنى
توافقن في الإتيان واختلف المعنى
وأسباب هذا الحسن قد تتشعب

فأين الشمس الكالقات بها ليلاً
وأين الغصون المائسات بها ميلاً
وأين الظباء² السابحات بها ذيلاً
وأين الثرى رجلاً وأين الحصا خيلاً
فوا عجباً لو أن من يتعجب

كم احتضنت فيها القيان المزاهرا

¹ جعلها د. طويل: ((كأفلاك))؛ من أجل سلامة الوزن.
² جعلها د. طويل: ((الظباء))؛ من أجل سلامة الوزن.

وكم فاوحت فيها الرياض المجامرا
وكم ساهرت فيها الكواكب سامرا
وكم قد أجاب الطير فيها المزامرا
عظيم من الدنيا شعاع مطنّب

كأن لم يكن يُقضى بها النهي والأمر
ويُجبي إلى خزائنها البر والبحر
ويسفر مخفورا بدمتها الفخر
ويصبح مختوماً بطينتها الدهر
وأيامه تعزى إليها وتنسب

ومالك عن ذات القسيّ النواضح
وناصحة تُعزى قديماً لناصح
وذي أثر على الدهر واضح
يخبر عهد هنالك صالح
ويعمر ذكر الذاهبين ويخرب

تلاقى عليه فيض نهر وجدول
تصعد من سفلٍ وأقبل من علٍ
فهذا جنوبيّ وذلك شماليّ¹
وما اتفقا إلا على خير منزل
وإلا فإن الفضل منه مجرب

كأنهما في الطيب كانا تنافرا
فسارا إلى وصل القضاء وسافرا
ولما تلاقى السابقان تناظرا
فقال وليُّ الحق مهلاً تظافرا
فكلُّما عذب المجاجة طيب

ألم يعلما أن اللجاج هو المقتُ
وأن الذي لا يقبل النصف مُنْبِتُ
وما منكما إلا له عندنا وقت
فلما استبان الحق واتجه سمت

¹ جعلها د. طويل: ((شمالي)).

تقشع من نور المودة غيب

وإن لها بالعامرية لمظهرا
ومستشرفاً يُلهي العيون ومنظراً
وروضنا على شطّي خضارة أخضرا
وجوسق ملك قد علا وتجبرا
له ترة عند الكواكب تطلب

غيره¹ في عنفوان الموارد
وأثبتته في ملتقى كل وارد
وأبرزه للأريحي المجاهد
وكل فتى عن حرمة الدين زايد
حفيظته في صدره تتلهب

تقدم عن قصر الخلافة فرسخا
وأصحر بالأرض الفضاء ليصرخا

¹ جعلها د. طويل: ((أغيره))؛ من أجل سلامة الوزن.

فحالته أرض الشرك فيها مُنوّخا
كذلك من جاس الديار ودوّخا
فردّعته في القلب تسري وترهب

أوليك قوم قد مضوا وتصدعوا
قضوا ما قضوا من أمرهم ثم ودعوا
فهل لهم ركز يحس ويسمع
تأمل فهذا ظاهر الأرض بلقع
إلا أنهم في بطنها حيث غيب¹

ألست ترى أن المقام على شفا
وأن بياض الصبح ليس بذي خفا
وكم رسم دار للأجنة قد عفا
وكان حديثاً للوفود معرفاً
فأصبح وحش المنتدى يُتجنب

¹ جعلها د. طويل: ((غيبوا)).

ولله في الدارات ذات المصانع
أخلاء صدق كالنجوم الطوالع
أشيع بينهم كل أبيض ناصع
وأرجع حتى لست يوماً براجع
فيا لييتي في قسمتي أتهيب

أقرطبة لم يثني عنك سلوان
ولا بمثل إخواني بمغناك إخوان
وإني إذا لم أسق ماءك ظمآن
ولكن عداني عنك أمر له شان
وموطني آثار تُعدُّ وتكتب

لك الحق والفضل الذي ليس يدفع
وأنت لشمس الدين والعلم مطلع
ولولاك كان العلم يُطوى ويرفع
وكل التقى والهدى والخير أجمع

إليك تناهى والحسود معذب

ألم تك خصت باختيار الخلايف
ودانت لهم فيها ملوك الطوايف
وعض ثقاف الملك كل مخالف
بكل حسام مرهف الحد راعف
به تحقن الأجال طوراً وتسكب

إلى ملكها انقاد الملوك وسلموا
وكعبتها ندا الوفود ويمموا
وفيهما استفادوا شرحهم وتعلموا
وعاذوا بها من دهرهم وتحرموا
فنكب عنهم صرفه المتسحب

علوت فما في الحسن فوقك مرتقى
هواؤك مختار وتربك منتقى
وجسرك للدنيا وللدين مُلتقى

وببيتك مربع القواعد بالتقى
إلى فضله لأكباب تنضى وتضرب

تولى خيار التابعين بقاءه
وخطوا بأطراف العوالي فناءه
ومدوا طويلاً صيته وثناء¹
فلا زال مخلوع عليه سناه²
ولا زال سعي الكايدين يخيب

وبالغ فيه كل أروع أصيد
طويل المعالي والمكارم واليد
وشادوا وجادوا سيداً بعد سيد
فبادوا جميعاً عن صنيع مخلد
يقوم عليه الثناء ويخطب

¹ جعلها د. طويل: ((وثناءه)).

² جعلها د. طويل: ((سناه)).

مصابيحہ مثل النجوم الشوابك
تمزق أثواب النجوم الحوالك
وتحفظه من كل لاه وسالك
أجادل تتقض انقضاض النيازك
فايشارهم بالطبطبية تتهب

أجداك لم تشهد بها ليلة القدر
وقد جاش بر الناس منه إلى بحر
وقد أسرجت فيه جبال من الزهر
فلو أن ذلك النور يقبس من فجر
لأوشك نور الفجر يفنى وينضب

كأن للثريّات أطوادٌ من نرجس¹
ذوايبه تهفو بأدنى تنفس
وطيب دخان الندّ من كل معطس
وأنفاسه في كل جسم وملبس

¹ جعلها د. طویل هذا الشطر هكذا: ((كأن للثريات أطواد نرجس)).

وأذياله فوق الكواكب تسحب

إلى أن تبدت راية الفجر تزحف
وقد قضى الذي لا يسوف¹
تولوا وأزهار المصابيح تقطف
وأبصارها صوناً تغض وتطرف
كما تتصل الأرماع ثم تتركب

سلام على غيابها وحضورها
سلام على أوطانها وقصورها
سلام على صحرايها² وقبورها
ولا زال سور الله من دون سورها
فحسن دفاع الله أحمى وأرهب

وفي ظهرها المعشون كل مرفع

¹ جعل د. طويل هذا الشطر هكذا: ((وقد قضى منها الذي لا يسوف))؛
وذلك من أجل سلامة الوزن.
² كتبها د. طويل: ((صخرانها)).

وفي بطنها الممشوق كل مشفع
متى تأتته شكوى الظلامه ترفع
وكل بعيد المستغاث مدفع
من الله في تلك المواطن يقرب

وكم كربة ملء الجوانح والقلب
طرقت وقد نام المواسون من صحب
بروعتها قبر الولي¹ لي وهب
وناديت في الترب المقدس يا رب
فأبت بما يهوى الفؤاد ويرغب

فيا صحبي حان قبلك مصرعي
وكنت على عهد الوفا والرضا معي
فحط بضاحي ذلك السرى مضجعي
وذرنى فجار القوم غير مروع

¹ كتبها د. طویل: ((الوالي)).

فَعِنْدَهُمُ لِلجَارِ أَهْلٌ وَمرحَبٌ

رعى الله من يرعى العهود على النوى
ويظهر بالقول المحبر ما نوى
وليبيته من مستحكم الود والهوى
يرى كل واد غير واديه مجتوى
وأهدي سبيله الذي يتجنب

كتابه

وكتابة ذي الوزارتين - رحمه الله - كالشمس¹ شهرة،
والبحر² والقطر كثرة؛ ونحن نثبت له شيئاً من ذلك ليلاً
يخلو هذا الكتاب من شيء من بيانه. كتب يراجع الوزير
أبا بكر بن عبد العزيز، من رسالة، كتب بها إليه مع
حاج يضرب القرعة: ((أطال الله بقاء وليي³، وإمامي⁴،

¹ في الإسكوريال: ((الشمس)).

² سقطت هذه الكلمة في ج.

³ في الإسكوريال: ((ريسي)).

⁴ سقطت هذه الكلمة في ج.

الذي له إكباري وإعظامي، وفي سلكه اتسامي
وانتظامي، [وإلى ملكه انتسابي واعتزائي، وبودّه افتخاري
وانتزائي]¹، للفضائل مجيباً ومبدياً، وللمحامد مشتملاً
ومرتدياً²، وبالغرايب متحفاً ومهدياً، [ولا زال الرخاء
وأزل، وجدّ من المصافاة وهزل، وسحت من المراعاة
وجزل]³.

وصل كتابه صحبة عرّاف اليمامة⁴، وفخر⁵ نجد
وتهامه، [يقرظه ويزكيه، ويصفه بالخب⁶ يفسره ويجليه]⁷،
ويجليه]⁷، والخفي⁸ يظهره وييديه، ولعله رائد،

¹ ما بين الحاصرتين سقط في ج.

² في الزيتونة: ((مجتدياً)).

³ ما بين الحاصرتين سقط في ج.

⁴ عرّاف اليمامة؛ هو "رياح بن عجلة" المشار إليه في الشعر الجاهلي؛ فيقول
شاعرهم: فقلت لعرّاف اليمامة داوني * فأنك إن داويتني لطيب
وقال آخر: جعلت لعرّاف اليمامة حكمه * وعرّاف نجد إن هما شفياني
فقالا شفاك الله والله ما لنا * بما حملت منك الضلوع يدان

وعرّاف نجد هو: الأبلق الأسدي. وثمة عرافون كثيرون في شبه جزيرة
العرب أيام الجاهلية. أشهرهم: شق، وسطيح.

⁵ في ج: ((وحدى))، وفي الزيتونة: ((وحرى)).

⁶ في الزيتونة: ((الحق)). الخب هو: الخبال والاضطراب.

⁷ ما بين الحاصرتين؛ ورد هكذا في الإسكوريال والزيتونة؛ بينما كتب
مكان تلك العبارة في ج: ((يقرظه ويجليه)).

⁸ في المخطوطين: ((والخفاء)).

رائد، لابن أبي صايد¹، أو هاد للمسيح الدجال² قائد. أشهد شهادة إنصاف؛ أن عنده لعضباً صاف³، ولو كان هناك ناظر صادق⁴ طاف، ولله خفايا الألفاظ، لقلت هو باد غير خاف، من بين كل ناعل وحاف. وسأخبرك أيديك الله، بما اتفق، وكيف طار ونعق، وتوسد الكرامة، وارتفق، [طرق له وصفك ونعتك، وثقفه بريك ونحتك، ورفع له للعيون جدك وبختك]⁵، وامتدت نحوه النواظر، واستشرفه الغائب والحاضر،

¹ لعله ابن صياد أو صايد؛ المسمى صافي، أو عبد الله؛ الذي اختلفت الآراء حوله؛ وقال بعضهم أنه المسيح الدجال. والله أعلم.
² المسيح الدجال: هو الكذاب أو المموه، أو السانح في الأرض. ويقول الرازي. ((وأما المسيح الدجال فإثما سمي مسيحاً لأحد وجهين أولهما: لأنه ممسوح العين اليمنى، وثانيهما: لأنه يمسخ الأرض أي يقطعها في زمن قصير لهذا قيل له: دجال؛ لضربه في الأرض، وقطعه أكثر نواحيها؛ وقيل سمي دجالاً من قوله: دَجَلَ الرجلُ إذا مَوَّهَ ولبس)). ثم قال: ((لم يرد ذكر المسيح الدجال صراحة بالنص في القرآن؛ لكن بعض المفسرين يرون أن هناك آيات تدل عليه في القرآن مثل الآية 158 من سورة الأنعام: [هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا فَلَنْ نَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ]. بينما ورد ذكره صراحة في السنة النبوية المطهرة؛ وذلك في عديد من الأحاديث مثل حديث تميم الداري)).
³ في ج: ((أصداف)).
⁴ سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.
⁵ ما بين الحاصرتين سقط في ج.

وتسابق إليه النابه¹ والحامل، وازدحم عليه العاقل
والعامل؛ هذا يلتمس مزيداً، وذلك يبتغي حظاً² جديداً،
وهذا يطلب تقليداً، [وذلك يسئل إلى مغاليقه إقليداً³.
فكلما حزب، وغل وجلب، حلب واستدر، وتلقاه] وإن
ساءه الغيب⁴ بما سر.

وكنت واتعت جملة من الأعيان، ووافقت ثلة من
جلة الإخوان، على تمشية أمره، وتوشية ذكره؛ فلما
صدقت تلك الفرقة، واستوت بهم تلك الفرقة، أحضرناه
للسُّبار⁵، وأقعدناه للنقد والاختيار، وأردنا أن نقف على
جلايا تلك الأخبار، فأحضرنا طحناً ونطعاً، وسرينا عنه
من الوحشة قطعاً، وقلنا له خذ عفوك، ولا توردنا⁶ إلا
صفوك، ولا تصانعنا في الكريهة التي نراها، والحادثة
تستفزع ذكراها. فما عندنا جهل، وما منّا إلا محنتك
كهل، لا يتكاده حزن، ولا يستخفه سهل، فسكن جايش

¹ في الإسكوريال: ((النبيه)).

² في ج: ((شيناً)).

³ ما بين الحاصرتين سقط في ج.

⁴ هذه العبارة سقطت في المخطوطين.

⁵ أي للاختبار.

⁶ في الزيتونة: ((تزدنا إلى)).

فوره، وضرب بلحيته على زوره¹، ثم صعّد فينا النظر
وصوب، واستهل صارخاً وثوبّ [وتخرج من
الكذب وتحوب]²، وقال لست للعشرة خابطاً، ولا للطرف
غامضاً، ولا عن الصدق إذا صدع حايداً، ولا للغدر ممن
وقع منه ذايداً، ولا بمعجزات النبوة لاعباً، ولا لصريح
الجد مداعباً، ولا تطييني مسألة ولا حلوان، ولا تستفزني
نضاييد كثيرة ولا ألوان. إنما هو رسم وخط، ورفع وخط،
ونحس وسعد، ونقد ووعد، ويوم وغد³.

فقلنا له: الآن صحت الوفاة [وأينعت الإرادة]⁴.
ثم نظر إلينا نظر المستقل واجتذب النطع⁵ اجتذاب
المدل⁶، ونثل الطجن⁷ وهاله، وأداره حتى [استدار
هاله]⁸، ثم قال يا أيها الملأ هذا المبتدأ⁹، فأيكم يبدأ.

¹ الزور: هو أعلى وسط الصدر.

² هذه العبارة سقطت في ج.

³ في الإسكوريال: ((وبعد)).

⁴ في المخطوطين، وج، والزيتونة: ((وتعينت الزيادة)).

⁵ النطع: هو بساط من الجلد؛ يفرش تحت المحكوم عليه بالعذاب.

والنطع أيضاً ما ظهر من داخل الفم؛ حيث موقع اللسان من الحنك.

⁶ في ج: ((المستقل))، وفي الزيتونة: ((المقل)).

⁷ هكذا وكتبها د. طويل: ((الطحن)).

⁸ في المخطوطين: ((استهالهما)).

⁹ في الإسكوريال: ((النبأ)).

فرمقني القوم بأبصارهم، وفغروا وكبروا، وليتهم [عند ذلك]¹ صفروا.

فقلت يا قوم قد عضضت على ناجذي
حلماً، [وقتلت شأني كله علماً]²، [وعقدت بيني وبين
وبين غد سلماً]³، فكيف أستكشف عما أعرف؟ وأسبقهم
وأسبقهم عما لا يستبهم؟ على الرحمن توكلت، وعلى
الشیطان تركلت، ومن كسبي أكلت، [وفي مبارك السلامة
بركت]⁴، وجسيمات الأمور تركتني وتركت، والنفس⁵
المطمئنة رجوت، ولعلني قد نجوت، [وأصبت فيما
نحوت]⁶. فلحظتني عند هذه المقالة عينه، وطواني⁷ صدقه
صدقه ومينه⁸. [ثم صار القوم دوني أنجية، وأعد له كل
تورية وتعمية. فقال قايل منهم، تعالوا نشترك في ضمير،

¹ سقطت هذه العبارة في الإسكوريال.

² في ج: ((وقتلت كل ذلك أتقنه حفظاً)).

³ سقطت هذه العبارة في المخطوطين.

⁴ في ج: ((وعن مبارك الشيطان نكلت)).

⁵ في الإسكوريال: ((المسة)).

⁶ في ج، والزيتونة: ((صدقت - أصبت فيما قد رجوت)).

⁷ في ج: ((وأدهشني)).

⁸ أي صدقه وكذبه.

وَرَمِه بهذا الطَّاغية ابن رذمير¹؛ ففي كل قلب منه ندب كبير، والسؤال عنه دين وأدب، فإن أصابه استرحنا من النصب والشخوص، وحرنا من العموم إلى الخصوص، وإن أخطأه فهو لما سواه أخطأ، ولما يدعيه ويريده منه أبطأ. فقالوا نعم ما عرضت، وأحسن بما رويت وفرضت.

فلما رأيناه يتقل التعريض، ويحكم التقرير والتعويض، قلنا له حقق ضميرك كل التحقيق، وضع مسبحتك في الدقيق. [فابتدر ما أمراً² وحسر عن ذراعه وشمّر، ومرت أصبعه في خطه مرّ الذر المتهالك، ووقعت وقع القطر المتدارك، [لا تمس الطحن إلاّ تحليلاً، وغمزاً كالوهم قليلاً³ فطوراً يستقيم سيلاً، وتارة يستدير يستدير إكليلاً، وآونة يأتي بالسماء ونجومها قيبلاً. فكان هنالك لعش من بنات⁴،

¹ لم يرد في المخطوطين من العبارة المحصورة بين، حاصرتين سوى: ((ثم صار القوم إلى ذكر الطاغية ابن رذمير)).

² هذه العبارة سقطت في المخطوطين.

³ في الزيتونة: ((لا تمس الضخمى إلا عليلاً وعمراً كالموسم ولو خليلاً)). (خليلاً). بينما العبارة ساقطة في ج.

⁴ بنات نعش وأبوهم: هم في مجملهم الدب الأكبر؛ يستدل بها على جهة الشمال. إلى جانب نجمتين في جهة اليمين. هما الحواجز والجدي. ومن الأساطير التي تروى عن النجم (سهيل). أنه قتل نعشاً؛ فحملته بناته

وللثريّا¹ من أخوات، وطيّر قابضات، وصافات
وأسراب ناشرات خافقات.

فلما استوفى عدده، وبلغ أمدّه، وختم طرائقه
وقدده، وأعطى الأصول وفروعها، وتدبر تفاريقها
وجموعها؛ فجمع وتقبض، وفتر ثم انتفض، [وصعد
ذهنه وتسافه، وأخذ الطحن فسافه]²، وزفر وشهق،
وعشر ونهق، وألصق بظهره حشاه، وكتم الربو ثم
أفشاه، وقال هذا الذي كنت أخشاه، عميتم

السبع في نعش: أربع بنات يحملنه في النعش، وثلاث يمشين خلفه،
ويقال عن الأخيرة أنها عرجاء. وهنّ يعتقدن أن قاتل أباهن هو الجدي
(النجم القطبي)؛ لذا فقد قررن أن لا يدفن أباهن قبل أن يأخذن بثأره.
ولكن هناك نجمتان اسمهما الحواجيز يمنعهن ويقفن عائقاً بينهما وبين
تحقيق هدفهن، و الوصول إلى الجدي؛ وعبهم فقد بقين يدرن حول
الجدي والحواجيز تفصل بين القاتل وطالبي الثأر. بينما يختبئ سهيل
خوفاً ولا يظهر إلا كلّ شهرين؛ ولفترة قصيره فقط.

¹ الثريا نجم؛ من أشهر النجوم. ويعرف نجم الثريا من القدم؛ كما يعرفه
العرب في أيام الجاهلية؛ حيث ورد ذكره في أشعارهم. وقد استعملوا هذا
النجم كمقياس لقوة البصر. وهي سبعة أنجم ظاهرة. وفي الثريا يشتدّ
الحرّ والسّموم ويندر فيها نزول الأمطار؛ كما يكثر هبوب الرياح
والعواصف، وتغور فيها المياه، وترتفع عاهات الثمر ويرتج البحر،
ويببس العشب. ويعرف هذا النجم عند المزارعين باسم (الجوزاء
الأولى)؛ بينما يسميه عرب البادية (الثريا) أو (النجم). إذ يقولون: ((إذا
طلع النجم؛ فالحرّ: في حدم [أي في شدة]، والعشب في حطم [أي في تكسر
وحطام]، والعاهات في كدم [أي باقية].
² ما بين الحاصرتين سقط في ج.

الأثر، [وكنتم حقيقه الخبر¹]، [وعثرتم خاطي فيما
عثر، ونثرتم نظام الحدس فما انثرا²]. سألتهم عن روح
شارد، وشيطان مارد، وصادر مع اللحظات وارد. لا
يوطن داراً. ولا يأوي قراراً ولا يطعم النوم إلا غراراً. نعم
أمره عندي مستقر. هو زنديق مستتر، وشهاب من شهب
الكفر مستمر.

ثم رجّع البصر واختصر، وعاد إلى الحساب يتقرّاه،
والصواب يتحرّاه؛ وتتبع أديم الطحن ففراه. وقال أعوذ
بالله من شر ما أراه؛ إلى كم أرى في غلاء وبلاء؛ كأني
لست ذا أمرار وأحلاء، تالله لو كانت قرعة رفعة وعلا؛
ما غاب عني اللّحياني ذو السبلة، ولواجهنا البياض ذو
الغرة المستقلة، مواجهة حسان³

¹ ما بين الحاصرتين سقط في الإسكوريال.

² ما بين الحاصرتين سقط في ج.

³ هو أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري؛ (توفي
سنة 673/هـ 673م). شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم. سبق له في
الجاهلية أن ذهب إلى بلاد الشام؛ ومدح الملك الغساني جبلة بن الهيثم،
ومدح قومه الغساسنة. والمقصود بقوله في النص أعلاه: ((مواجهة
حسان لجبلة))؛ هو خيبر حسان عندما زار جبلة لأول مرة؛ حيث قال:
أتيت جبلة بن الأيهم الغساني؛ وقد مدحته، فأذن لي؛ فجلست بين يديه؛
وعن يمينه رجل له ضفيرتان؛ وعن يساره رجل لا أعرفه. فقال: أتعرف
هذين؟ فقلت: أما هذا فأعرفه؛ وهو النابغة؛ وأما هذا فلا أعرفه. قال: فهو

جبله¹؛ النَّحْس على هذا الروح قد رُئِب²؛ وكتب عليه [من الشقاء]³ ما كتب، وأخرج النصره الداخلة من العتب. ثم أشار إلى الحُمرة، وكأنا وضع يده على جَمْرَة، وقال: كَوَسَج⁴ نَعِيّ، وسناط الوجه شقي، وثقاف وطريق، وجماعة وتفريق، وقبض خارج، ومنكوس مارج. ثم وضع عمامته، ولولب⁵ هامته، وأمال

علقمة بن عبدة؛ فإن شئت استنشدتكما وسمعت منهما؛ ثم إن شئت أن تنشد بعدهما أنشدت؛ وإن شئت أن تسكت سكت. قلت: فذاك. قال: فأنشده النابغة:

كليني لهم يا أميمة ناصب * وليل أقاسيه بطيء الكواكب

قال: فذهب نصفي. ثم قال لعلقمة: أنشد؛ فأنشد:

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب
فذهب نصفي الآخر فقال لي: أنت أعلم؛ الآن إن شئت أن تنشد بعدهما أنشدت،

وإن شئت أن تسكت سكت. فتشددت ثم قلت: لا؛ بل أنشد. قال: هات. فأنشدته:

لله در عصابة نادمتها يوماً بخلق في الزمان الأول

أولاد جفنة عند قبر أبيهم فير ابن مارية الكريم المفضل

يسقون من ورد البريص عليهم كأساً تصفق بالرحيق السلسل

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

بيض الوجه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

فقال لي: إنه، لعمري ما أنت بدونهما. ثم أمر لي بثلاثمائة دينار، وعشرة أقمصه؛ لها جيب واحد؛ وقال: هذا لك عندنا في كل عام.

¹ يسمى جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن أبي شمر ويسمى أيضاً المنذر بن الحارث؛ ملك الغساسنة دخل الإسلام ثم ارتد.

² في ج: ((غلب)).

³ في الزيتونة: ((من التأوه))؛ بينما سقطت في ج.

⁴ الكوسج: الذي تكون لحيته على ذقنه؛ لا على عارضيه.

⁵ في ج: ((أبدى))، وفي الزيتون: ((وأركب)).

وجهه فجراً طلقاً، ثم عرضه مجناً مطرقاً، وعقد أنامله
عضاً، [وأدمى صدره دعاً ورضاً، وقطع بصره لمحاً
وغضاً، وتكفأ وتقلع¹] وأدلع لسانه فاندلع. فقلنا شرٌّ
تأبَّطه، أو شيطان يتخبطه، أو قرين يستنزله ويختله² أو
رؤى في الذرة والغارب يفتله.

[ثم تجاحظ وتخاذر، وتضائل وتنازر³]، وقال:
والذي أحيا عازر⁴، وأخرج إبراهيم⁵ من آزر⁶، وملك

¹ ما بين الحاصرتين سقط في المخطوطين.

² في الزيتونة: ((ويختلبه)).

³ ما بين الحاصرتين في المخطوطين: ((ثم تجاحظ وتكادن، وتضائل وتبادن)).
⁴ ثمة عازر جد سيدنا موسى؛ وهو عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحق
ابن إبراهيم الخليل؛ وثمة عازر الذي أحياه سيدنا عيسى عليه السلام
بعد موته. إذ جاء في مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي فضل بن
حسن الطبرسي: ((وقيل إنه [أي عيسى] أحيا أربع أنفس (عازر)؛ وكان
صديقاً له؛ (وهو المقصود هنا)؛ وكان قد مات منذ ثلاثة أيام. فقال
عيسى لأخته: انطلي بنا إلى قبره؛ ثم قال: اللهم رب السماوات السبع،
 ورب الأرضين السبع؛ إنك أرسلتني إلى بني إسرائيل أدعوهم إلى دينك،
 وأخبرهم بأبي الموتى؛ فأحيا عازر؛ فخرج من قبره، وبقي وولد
له. و(ابن العجوز)؛ مر به ميتاً على سريرته، فدعا الله عيسى، فجلس
على سريرته، ونزل عن أعناق الرجال، ولبس ثيابه، ورجع إلى أهله
وبقي وولد له. و(ابنة العاشر)؛ قيل له: أتحييها وقد ماتت أمس؟ فدعا
الله فعاشت، وبقيت وولدت. و(سام بن نوح)؛ دعا عليه باسم الله الأعظم؛
فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه. فقال: قد قامت القيامة؟ قال: لا؛
ولكني دعوتك باسم الله الأعظم)).

⁵ في المخطوطين: ((البرائح)).

⁶ ((آزر)) في النص القرآني هو أب إبراهيم عليه السلام. وقد بقي على
كفره؛ على الرغم من وعظ ولده إبراهيم له، ودعوته للدين الحنيف..

عنان الريح وأذعن له كل شيء بالسجود والتسبيح، إنه لمن عبّاد المسيح. هيهات هيهات، لا أضعضع بظن، ولا يقعقع لي بشن، ولا أنزع من هذه الفنون في فن؛ قد ركبت أثباج البحار، وقطعت نياط المفاوز والقفار، وشافهني الحرم والبيت، وصافحني الحجر الكميت، وأحرمت وليت، وطففت ووفيت، ورزت المصطفى صلى الله عليه وسلم وتحفيت؛ ثم ملت على عدن، وانحدرت عن اليمن، واستسقيت كل راعدة، وأتيت كل قاعدة؛ ورأيت صاحب الجمل قس بن ساعدة¹، ووردت

¹ أي الذي يركب على الجمل الأحمر في سوق عكاظ؛ كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد إياد: ((يا معشر وفد إياد؛ ما فعل قس بن ساعدة الإيادي)). قالوا: هلك يا رسول الله. قال: ((لقد شهدته يوماً بسوق عكاظ على جمل أحمر يتكلم بكلام معجب مونق؛ لا أجدني أحفظه)). واسمه بالكامل هو قس بن ساعدة بن حذافة بن زهير بن إياد ابن نزار، الإيادي (توفي في حدود سنة 600م يعتبر من أكبر خطباء العرب وحكّامهم في العصر الجاهلي. كان يدين بالمسيحية. ويتولى أسقفية نجران. هو صاحب مقولة ((البعرة تدل على البعير، وأثر القدم يدل على المسير))؛ كما أنه أول من استعمل عبارة ((أما بعد)) في اللغة العربية. رآه النبي محمد صلى الله عليه وسلم - قبيل البعثة - يخطب الناس بسوق عكاظ؛ وروى خطبته وعجب من حسنها وأظهر تصويبها ثم قال: ((يرحم الله قساً؛ أما إنه سيبعث يوم القيامة أمة وحده)).

عكاظ¹، وصدقت الحفاظ، وقدت العصية
بنسع، ومسحت الشامات بأخمس وتسع، ووقفت
حيث وقف الحكمان²، وشهدت زحف
التركمان³، وكيف تصاولت القروم، وغلبت الروم⁴،
[وهزم المدبر المقبل، واكتسحت الجحاش الإبل]⁵.

فقلنا لله أنت، لقد جليت عن نفسك، وأرى
يومك على أمسك، ولقد صدق مطريك، ووفت

¹ تقع عكاظ في ناحية مكة؛ بين نخلة والطائف؛ وبالتحديد في المكان المسمى بأثيذاء. تعقد في عكاظ أشهر وأكبر سوق في شبه جزيرة العرب أيام الجاهلية. وكانت معرضاً تجارياً هاماً ومنتدى اجتماعياً وثقافياً وإعلامياً؛ يشتمل على مختلف أنواع النشاطات؛ خاصة الشعر والخطابة. وكانت سوق عكاظ مجالاً لإطلاق الألقاب والأوصاف على الأفراد والقبائل، ويعتبر ما يحدث في هذه السوق مصدر أمثال وعبرة. وقد تعلن فيها مظاهر الحزن؛ إذ تُرفع فيها رايات الحزن؛ كلما نكبت قبيلة؛ وهذا ما فعلته قريش؛ بعد غزوة بدر. كما تُقام فيها مباريات الفروسية والسباق، والمنافسات الشعرية، وغيرها.

² الحكمان هما: أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص. إذ كلفا بالتحكيم بين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومعاوية بن أبي سفيان في حرب صفين.

³ التركمان يسمون أيضاً ((الغزن))؛ وهم شعب تركي؛ مواطنه هي: آسيا الوسطى، وتوركمنستان، وأذربيجان، وكازاخستان، وأوزبكستان، وقيرغيزستان؛ وفي بعض المقاطعات من الصين المعروفة بتركستان الشرقية وبعض المقاطعات أيضاً من أفغانستان، وفي شمال شرق إيران، بالإضافة إلى شمال العراق وبعض الأنحاء المتفرقة من سوريا ولبنان وفلسطين. ويجتمعون على التكلم باللغة التركمانية.

⁴ إحالة إلى قوله تعالى: [غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون].

⁵ ما بين الحاصرتين سقط في المخطوطين.

صحيفة تزكّيك، [وما كانت فراستنا لتخيب فيك]¹.
فماذا تستقري من اللوح، وترى في ذلك الروح، بعيشك
[ألا ما أمتعتنا]² بالإفشاء والبوح. فرجع في البحث
أدراجه، وطالع كواكبه وأبراجه، وظل³ على مادة
الطحن، يرقم ويرمق، ويفتق ويرتق.

ثم جعل يبتسم، وقال: أحلف بالله وأقسم، لقد
استقام النسّم، وإنه لكما أرسم وأسم، وإنني لا أجده إلا
لاغباً مبهوراً، ومنكوداً مقهوراً؛ ولن يلبث إلا شهوراً،
قد أفل طالع جده، وفل حده وأتي عليه نقي خده،
وصيُّ لم يملك أبوه وملك جده. فقلنا صرحت
وأوضحت، وشهرت هذا المستور وفصحت وإن ساعدك
قدر، وكان لك عن هذا الورود صدر، فحظك مبتدر؛
وخطك⁴ صاف لا يشوبه كدر؛ فقال هذا أمر قد آن أو
كان، وسيأتيكم الخبر الآن؛ فانفصلنا وأصغينا الآذان،
وجعلنا نتلقى الركبان، فلم يرعنا إلا التّعمي الناجمة،

¹ في الإسكوريال، والزيتونة: ((وما كانت فراسة - فراستنا لتنام فيك)).

² في الإسكوريال: ((ألا ما أمتعت)).

³ سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال والزيتونة.

⁴ في ج: ((ولحظك)).

والبشرى الهاجمة بما بان، فأدهنا في شأنه، ولم يكن يعاوده خوف طغيانه، فإذا الخبر لم يخط صماخه، وكأنما كان عوداً وافى مناخه، أو طيراً أم أفراخه.

فلم ينشب أن أقبل يصمّد نحونا أي صمد، ويتعرضنا على عمد، تعرض الجوزاء للنجوم؛ [وينقض انقضا نيازك النجوم¹، وقال ألم يأن أن تدينوا لي بالإكبار، وتعلموا أنني من الجهابذة الكبار، فقلنا منك الإسجاح²، فقد ملكت ومنك ولك النجاح، أية سلكت. فأطرق زهواً، وأعرض عنا لهواً، وقال اعلموا أن القرعة لو طوت أسرارها، ومنعتني³ أخبارها، لمزقت صدرها، وذروت غبارها، ولكان لي عنها أوسع منتدح، وأنجد زناد يقدح، أين أنتم عن رصدي الأحلاك⁴؟ وعلمي بالأفلاك؟ أنا في مرج الموج، وأوج الأوج، والمتفرد بعلم الفرد والزوج، ومسترط السرطان، ومستدير الدبران،

¹ في المخطوطين: ((وانقض انقضا المارد المرحوم)).

² يقال: سجت الحمامة: أي سجت. وسجج سججاً، وسجج له بكلام: عرض له به.

³ في المخطوطين: ((غيبتني)).

⁴ أي المواضع ذات السود الشديد؛ ربما يقصد السماء في الليل المظلم.

وبايع المشتري¹ بالميزان²، والقابض بيوم³ الحساب والعمل، على روق الثور وذنوب الحمل، [أعقد نصل العقرب]⁴، وأقيد الأبعد والأقرب، لصيد أوابدها بالدقائق والدَّرَج، [حتى اضطر سارحها إلى الحرج، وأصبحها في أضيق منعرج]⁵. [أنا استذكرت بالأنبار فرحة الإقبال وترحة الإدبار]⁶، وطالعت إقليدس⁷، فاستنبطته،

¹ المشتري: هو كوكب ضخم؛ بل يعد من أكبر الكواكب المتواجدة في المجموعة الشمسية؛ وهو خامس كوكب من حيث البعد عن الشمس.
² الميزان: هو أحد الأبراج الفلكية؛ وهي: الحمل (21 مارس - 19 أبريل)، والثور (20 أبريل - 20 مارس)، الجوزاء (21 ماي - 21 جوان)، والسرطان (22 جوان - 22 جوييه)، والأسد (23 جوييه - 22 أوت)، والعذراء (23 أوت - 22 سبتمبر)، الميزان (23 سبتمبر - 23 أكتوبر)، والعقرب (24 أكتوبر - 21 نوفمبر)، والقوس (22 نوفمبر - 21 ديسمبر)، والجدي (22 ديسمبر - 19 جانفي)، الدلو (20 جانفي - 18 ففرييه)، والحوت (19 ففرييه - 20 مارس).

³ في الإسكوريال: ((بيد)).

⁴ في الإسكوريال: ((عندي نعل العقرب)).

⁵ في المخطوطين: ((واضطر من هاهنا إلى الحرج، وأجمعهم في ضيق المنعرج)).

⁶ في الإسكوريال: ((أنا استذكرت بالأنبار، حركة الإقبال والإدبار)).

⁷ يسمى إقليدس أو أقليد؛ ولد في حدود سنة 325 ق.م. وتوفي حوالي سنة 265 ق.م. هو عالم في الرياضيات يوناني الأصل؛ ولكنه عاش في مدينة الإسكندرية. وقد اعتبر المؤسس الأول للهندسة الرياضية. له كتاب جامع شهير يسمى أصول الهندسة؛ ويتألف من ثلاثة عشر سرفراً؛ تبحث في الهندسة المستوية، ونظرية الأعداد الأولية.

وصارعت **المجسطي**¹ فجسطته، وارتطت إلى الأرتماطريقي²، [وأطقت الألوطريقي³]، ولحظت التحليل بحل بحل ما عقده، وانتضيته ما مطل به الجهابذة، فنفذه. وعانيت⁴ زحل⁵، حين استقل على بعيره⁶ ورحل، وضايقته في ساحته، وحصرته في مساحته، وحضرت قرانه، وشهدت تقدمه ومرانه، وشاهدته [شفاً بشفاً]⁷، وناجاني برقاً يعد في الكفر، وتخريبه لملك الصفر، [

¹ المجسطي: هو أقدم كتاب وجد في الفلك؛ بالإضافة إلى كونه يعالج علم الرياضيات. ألفه العالم الإغريقي بطليموس سنة 148م بالإسكندرية. وسماه باليونانية ((ماتاتيكا سينتاكسيس)). وتعني: (الأطروحة الرياضية)، ترجم هذا الكتاب للعربية حنين بن إسحاق؛ وهو الذي أعطاه اسم ((المجسطي)). ومن ثمة نقل من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية؛ وبعدها إلى بقية اللغات الأوروبية؛ وعلى هذا فقد ظل اسم الكتاب العربي هو المستعمل في التراجم كلها؛ حيث يسمى كتاب (Almagest)؛ مشتقاً من كلمة المجسطي العربية.

² هو علم الأرتماطريقي؛ يبحث هذا العلم خواص خواص العدد؛ من حيث تأليفه؛ سواء على التوالي، أو بالتضعيف.

³ سقطت هذه العبارة في ج.

⁴ في الإسكوريال: ((أنا عادل)).

⁵ زحل هو كوكب يحتل المرتبة السادسة من الشمس؛ كما أنه هو الثاني الثاني من الكواكب الغازية؛ مثله مثل المشتري، وأورانوس، ونبتون. والكواكب الأربعة المذكورة تدعى معاً الكواكب الجوفائية؛ أي أشباه المشتري.

⁶ في ج: ((رحيله)).

⁷ في المخطوطين: ((شبرا وشبر - شبرا بشبر)).

وتفريقه لبلاد اللطينة¹ وإنجاز الوعد في فتح قسنطينة². أنا
عقدت رشا الدلو، وذروت غبار الحوت للفلو. أنا
اقتدحت [سقط الجَوْزَهْرُ³، فلاح بعد خفايه وظهر. أنا
استشرت⁴ الهلال من مكان سرره، [وأخذت عليه ثنانيا
ثنانيا سفره⁵، وقددت قلامته من ظفره، ودللت طير
الصَّايِر على شجره، فجنيت المرّ من ثمره، أنا طرقت
الزهرة⁶ في خدرها، وصافحتها من الفكرة بيد لم تدرها.
تدرها. أنا أذكيت على ذكاء فظلت تلتهب؛ وأحرزتها من
الوهم شطنا [أجذبها به فتنجذب⁷. أنا أنعى للمعتبرين
حياتها، [فيشبهون الحسنة، ويتحرون أوقاتها، حتى تنتشر

¹ في الإسكوريال: ((وتفريه لبلادهم طينة)). ويقصد بلاد اللاتين؛ أي بلاد التي تخضع لحكم رومة؛ ويتكلم أهلها لغات مشتقة من اللغة اللاتينية.
² لا يبدو أنه يقصد قسنطينة الموجود في المغرب الأوسط؛ بل يقصد القسطنطينية؛ حاضرة بلاد الروم البيزنطيين؛ المعروفة الآن بإسطنبول.
³ في المخطوطين: ((زند جوزائه - الجوزاء)). وما ورد أعلاه أصح. والجوزهر: مصطلح فلكي فارسي؛ وهو كوزجره أي صورة الجوز؛ ويمثل النقطتان اللتان تتقاطع عليهما الدائرتان من الأفلاك؛ وتسميان: العقديتين. ويقول آخرون أنه: كوي جهر؛ أي صورة الكرة.
⁴ في المخطوطين: ((استخرجت)).

⁵ سقطت هذه العبارة في ج.
⁶ الزهرة: هي فينيس (Venus)؛ ثاني كوكب من حيث قربه إلى الشمس؛ الشمس؛ وهو من الكواكب الترابية مثل: عطارد والمريخ؛ قريب الشبه من كوكب الأرض؛ سواء من حيث الحجم أو التركيب عموماً.
⁷ في المخطوطين: حتى جرت جرى المهدب).

بعد الطيِّ حياتها¹، وتستقيل من العثار آياتها. أنا انتضيت للشباب شرخاً، وأضرمت للمريخ² عقاراً ومرخاً، حتى أتغاني بملاحم حروبه، وحوادث طلوعه وغروبه، وتلمظه إلى النجيع، وولوغه في مهجة البطل السجيع. أنا أبرى من اللّم³، وأشفى من الصّم، وأنقل العطس إلى الشمم.

فقلنا: أما الأولى، فقد سلمنا لك جميعها، وأما هذه الثلاثة فلن تستطيعها. قال فلم تعجزون ولا تستخزون؟ فقلنا من كان له علاج فبنفسه يبدأ، ونَعَب بغيره. ولسنا نريدك، ولكن تهتئُ يدك. قال أما من بينهم رَوِي، وألقى في روعه ما ألقى في روعي، فمثله كالصّارم، حسنه في فرئده، لا غمده، وجماله في حدّه لا في خدّه، والمرء كما قيل بأصغريه⁴، لا بمنخريه،

¹ وردت هذه العبارة في الزيتونة فقط.

² المريخ؛ كوكب يسمى باللاتينية مارس MARS. ويحتل المرتبة الرابعة من حيث البعد عن الشمس. كما أنه الجار الخارجي للأرض؛ وهو مصنف ضمن الكواكب الصخرية. ويعتبر من مجموعة الكواكب الشبيهة بالأرض.

³ اللّم هنا: جنون خفيف يصيب الإنسان.

⁴ أي قلبه ولسانه. وصاحب هذا القول هو صبي من بني هاشم؛ حضر مع وفد من أهل الحجاز؛ لتهنئة الخليفة عمر بن عبد العزيز. فتقدم ذلك الصبي؛ وأراد الكلام؛ فقال عمر: ليتكلم من هو أسن منك؛ فقال الغلام:

والشأن في الحيزوم، لا في الخيشوم، وفي الذكرين، لا في الأنثيين، وبعد فهو كلام ظاهره إجمال، وباطنه احتمال، وسأنبئكم [بغزارة سيله، وفجر ليله]¹. أما الأفتس فيدلي الضغنة، ويتزوج في آل جفنه. فإن الله أتم، جاء الولد أتم، وإن نام عرق خاله، بقي الولد بحاله. وأما الأصم، فيخرج عن الغلام، وبلا فال، ويطلب في بني السميعة بركة الإسمية والفال، فإن الله أراد، ظفر بالمراد، وجاء ابنه² (أسمع من قراد)³.

فأحس من بعض الحاضرين تمريضاً، وعاین طرفاً غضيضاً، [فتعكر وتشذر]⁴، وطوف وحذر. وقال

يا أمير المؤمنين؛ إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه؛ فإذا منح الله عبده لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً؛ فقد استحق الكلام وعرف فضله من سمع خطابه؛ ولو كانت من الأمور بالسن؛ لكان هاهنا من هو أحق بمجلسك منك. فقال عمر: صدقت تكلم. وثمة قول ضعيف يرى أنه حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

¹ في ج: ((بفجر سيله لا بفجر ليله)).

² في المخطوطين: ((الولد)).

³ القراد؛ واحدها: قرادة؛ وتجمع إلى: قردان؛ وهي حشرة تلتصق بالبعير. أما المثل؛ فيقصد به - كما يقولون - أن القراد يسمع صوت أخفاف الإبل على مسافة يوم من مسيرها؛ فيقصد بها. وفي ذلك يقول ذو الرمة:

بأعقاره القردان هزلى كأنها * نواذر صيصاء المبيد المحطم

إذا سمعت وطء الركاب تنعشت * حشاشتها في غير لحم ولا دم

⁴ في المخطوطين: ((فتكدر وتشور)).

صاحب الشريعة، سماهم بني السميعة، قوموا يا بني
اللكيعة، فقد قطعتم رزقي، وأذيتم¹ طُرقي، وأذلتهم
ضربي وطُرقي، وسددتم طوقي، وأخذتم على أفقي
غربي وشرقي. [ذروني للتي هي للبلية تجني، ثم الوجد
يعني، لو شرب نواديه إثر تجني]².

ثم نجا بعزمته سميلاً، وأرسل بنات نعش ذيلاً، وقد
أفاد بما استصحب من ميامنك ليلاً [كذبني أيدك الله عند
نواه]³ ولم يطلعني طلع ما نواه؛ وما ذاك إلا لمطمع لواه،
ومغتم هواه فرفعت لي بعد وداعه نجوة، ورممني بشخصه
فجوة [فقلت: ما أراك إلا غائل، أورثت عنك الحبائل]⁴؛
فسراك سرى قين، وحديثك مين، ألم تعبر دُجَيْلاً،
ويمت سهيلاً؟ فقال طربت إلى الأصفية الصغار،
وشاقني الشوق بين الطواغيت والأصفار. فقلت له: هلم
إلى خط نعيده، وحظ نستفيده. فقال لولا أن تقولوا

¹ في ج: ((وداريتم))، وفي الزيتونة: ((وراديتم)).

² سقطت هذه العبارة المحصورة بين حاصرتين في ج، بينما وردت في الإسكوريال
هكذا: ((ذروني للتي هي الليل يجز، ثم للوقد يعن لو شرب نواديه ترن)).

³ سقطت هذه العبارة في ج.

⁴ ما بين الحاصرتين سقط في الإسكوريال.

الساعة متى، وتطالبوني بإحياء الموتى، لما أجمعت إلى الغرب غروباً، ولأريتم من الحذق ضرورياً. ثم قال: إن لي بالحضرة أفرأخاً¹، وأما استصرخت عليها استصراخاً، وانسلخت منها انسلاخاً، وأعيا على أمره، فلم أعلم له ظعناً ولا مناخاً. فلبثت كذلك أياماً، قد اعتم عليّ أمره اعتيماً، ولم أعرف له إنجاداً ولا اهتماماً²، فإذا به وقد اضمرت عنه بأساً، ولم أطمع فيه رأساً، قد أشب لي شباباً، ولعت صلعته شهاباً، تكتفه صرة، ويؤمناه قوصرة³. وتؤود يسراه جرّة.

فقلت له قاتلك الله. [ما أشدّ فقداتك، إلا فقدتك، وما أذكر وجداتك إلا وجدتك]⁴ أين أفرأخك، والأم التي جذبها استصراخك. فقال الصعلوك: لو أعلم مذاهبه، تحرم مناهبه، وتخدم مراهبه. ذرني وعلاجي، أحاجي وأداجي، وأعابن وأناجي، وأتقلب في بركة دعاء

¹ أي أطفالاً صغاراً.

² في ج: ((اتهاما))، وفي الزيتوننة: ((إلتهاما)).

³ القوصرة: وعاء من القصب؛ يستعمل لحمل التمر وغيره من الفواكه والخضار.

⁴ ورد من هذه الفقرة في الزيتوننة ((ما أشدّ بفقدك إلا وما أدركها))؛ بينما سقطت كلها في ج.

الباجي¹. فقلت له: مالك وللميت، ورحم الله من سميت. قال: لما أذن الله فالتأمت² الشيمة، وتمزقت عني المشيمة، هممت بالسَّرْق، ولففت في الحَرَق، [وفارقت من الضيق منتداه³، وأفلتني يداه؛ فحنكني السعد⁴ بتمر المدينة، وسقاني من ماء البلدة الأمانة، وعودني بدعوات متينة، فها أنا كما ترى [أتهادى واجتذب⁵] وأستحلي وأستعذب. فقلنا: لعمر⁶ إنه لفضل عميم، لولا الصميم، [وإنها لمنقبة⁷؛ لولا العقبة [وأثرة ملتمة، لولا العطسة⁸. فقال: دعنا من زخاريفك، وأغضض من عنان تصاريفك.

¹ هو الإمام الحافظ القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي الأندلسي. أصله من مدينة بطليوس؛ فانتقل جدّه إلى باجة؛ (وهي بلدة قريبة من إشبيلية؛ فنسب إليها. ولد في سنة ثلاث وأربعمائة.

² في المخطوطين: ((باتمام)).

³ ورد في موضعها في الإسكوريال: ((ومثلت في منتداه)).

⁴ سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.

⁵ في ج: ((استحلي واستجذب)).

⁶ في المخطوطين: ((لعمر الله)).

⁷ في ج: ((ونوانل معتقبة)).

⁸ سقطت هذه العبارة في ج.

البازل¹ لا يكون إلا ذميماً، والليث لا يوجد إلا شميماً²
ثم [قام وحمل]³، وابتدر وارتجل⁴:

عشنا كله خدع * فاترك اللوم عنك ودع
أنا كالليث والليو * ث بأرسانها⁵ ترع
ولها لأوجه السي * مه من يلقها يرع
أي حسن لمازن * بيد الدل يخترع
أنا كالسيف حده * لا يبالي بما وقع
إنما الحسن للمها * ة وللظبي يا لكع

فقلت: تبا لك ساير اليوم، إنك لتريش وتبري،
وتقد وتفري، وتحاسن وتقابح⁶، وتُهارش وتنابح، [وتحب
وتحب وتتأمل، وتحسن وتغلغل]⁷، وتشاعر وتراجز،
وتناطح وتناجز. وأنت على هذا كله مُصبر⁸؛ ما جزاؤك إلا

¹ البازل: ما انشق وانخرم. ويطلق على من انشق نابه من الإبل.

² في الإسكوريال: ((ستيماً)).

³ في المخطوطين: ((قال وأجمل)).

⁴ هذه الأبيات من البحر الخفيف.

⁵ في المخطوطين: ((بأساتها)). وكتبها د. طويل: ((بأرسانها)).

⁶ في ج: ((وتخاشن)).

⁷ وردت في المخطوطين هكذا: ((وتخب وتجب وتناقل وتخالل - تحامل)).

⁸ في المخطوطين: ((معجب بها - مغرماً)).

إلا ربح فيها صبراً. فما هو إلا أن غفلت عنه لمحّة طرف، أو
نفحة عرف، ثم التفت، وإذا به قد أفلس، وكأنما كان
برقاً خُلس، ولم أدر أقام أو جلس. ومحاسنه القَطْر¹ الذي
لا يعد، والأمر الذي يأخذه الحد. وكفى بهذه الرسالة
دليلاً على جلالته مقداره، وتدفق بحاره [وفخاره]²؛ لما
اشتملت عليه من بلاغة وبيان، وبساط حال أنت على
خبره بعيان، وعلوم ذات افتنان، خلد الله عليه الرحمة،
وضاعف له [المنّة والنعمة]³.

[مولده]

بأوايل ربيع الثاني؛ عام خمس وستين وأربعماية⁴.

¹ في المخطوطين: ((كالقَطْر)).

² سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.

³ في الإسكوريال: ((المنحة)).

⁴ الموافق لـ 1072م. ما بين الحاصرتين سقط في ج؛ بينما كتب في الإسكوريال: ((ولد في سنة خمس وستين وأربعماية)). وجاء في معجم الصدفى: ((ومولده سنة خمس، وقيل سنة ثلاث وستين وأربعماية)).

وفاته

من خط المحافظ المحدث أبي القاسم ابن بشكوال رحمه الله: كان¹ ممن أصيب أيام الهرج بقرطبة، فعظم المصاب به، الشيخ² الأجل، ذو الوزارتين، السيد الكامل [الشهير الأثير]³، الأديب [اللغوي السري]⁴ الكاتب البليغ، معجزة زمانه [وسابق أقرانه]⁵، ذو المحاسن الجمّة، [الجليلة الباهرة]⁶، والأدوات الرفيعة الزكية، الطاهرة الكاملة، المجمع على تناهي نباهته، وحمد⁷ خصاله وفصاحته؛ [من لا يشق غباره، ولا تلحق تلحق آثاره، معجزة زمانه في صناعة النثر والنظم]⁸، أبو عبد الله بن أبي الخصال [رحمه الله تعالى ورضي عنه]⁹

¹ لم يرد هذا النص في النسخة الموجودة الآن من كتاب الصلة لابن بشكوال. على أن شيئاً منه ورد فيه.

² في المخطوطين: ((الفقيه)).

³ أضيفت هذه العبارة من المخطوطين.

⁴ سقطت هذه العبارة في المخطوطين.

⁵ أضيفت هذه العبارة من المخطوطين.

⁶ أضيفت هذه العبارة من المخطوطين.

⁷ سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.

⁸ ما بين الحاصرتين سقط في الإسكوريال.

⁹ سقطت هذه العبارة في الإسكوريال.

ونضر وجهه. أُلْفِي مقتولاً قرب [باب داره]¹ بالمدينة، وقد
وقد سلب ما كان عليه، بعد نهب داره، واستيصال
حاله، وذهاب ماله. وذلك يوم السبت الثاني عشر من
شهر ذي الحجة؛ من سنة أربعين وخمسمائة². فاحتمل
إلى الربض الشرقي³ بحومة الدرب؛ فغسل هنالك وكفن،
وكفن، ودفن بمقبرة ابن عباس عصر يوم الأحد بعده،
وُنِعِيَ إلى الناس وهم مشغولون بما كانوا بسبيله من الفتنة.
فكثر التفجع لفقده، والتأسف على مصاب مثله،
وأجمعوا على أنه كان آخر رجال الأندلس علماً وحلماً،
وفهماً ومعرفة، وذكاء وحكمة ويقظة، وجلالة ونباهة،
وتفنناً في العلوم. وكان له [رحمه الله]⁴ اهتمام بها،
وتقدم في معرفتها وإتقانها. وكان رحمه الله، صاحب لغة
وتاريخ⁵ وحديث، وخبر وسير، [ومعرفة برجال

¹ في الإسكوريال: ((متر له)).

² الموافق لـ 1145م.

³ يقع الربض الشرقي في الجهة الشمالية الشرقية من قرطبة؛ حيث
تتواجد المدينة العتيقة؛ وعلى ضفاف منحنى نهر الوادي الكبير.

⁴ أضيفت هذه العبارة من المخطوطين.

⁵ أضيفت هذه الكلمة من المخطوطين.

الحديث، مضطلعاً بها¹، ومعرفة [بوقائع العرب]² وأيام الناس، وبالنثر والنظم. وكان جزل القول، عذب اللفظ، حلو الكلام، [عذب الفكاهة]³ فصيح اللسان، بارع الخط [حسنه ومتقنه]⁴. كان في ذلك كله واحد عصره. ونسيج وحده، يسلم إليه في ذلك كله، مع جمال منظره، وحسن خلقه، وكرم فعاله، ومشاركته لإخوانه. وكان مع ذلك كله [جميل التواضع، حسن المعاشرة لأهل العلم]⁵ مسارعاً لمهماتهم، نهاضاً بتكاليدهم، حافظاً لعهدهم، مكرماً لنبهاتهم، واسع الصدر، حسن المجالسة والمحادثة، كثير المذاكرة، جم الإفادة. له تصانيف جليلة⁶ نبهة، ظهر ظهر فيها علمه وفهمه، أخذها الناس عنه مع ساير ما كان يحمله ويتقنه، عن أشياخه الذين أخذ عنهم، وسمع منهم، وقرأ عليهم⁷.

¹ أضيفت هذه العبارة من المخطوطين.

² أضيفت هذه العبارة من المخطوطين.

³ أضيفت هذه العبارة من المخطوطين.

⁴ أضيفت هذه العبارة من المخطوطين.

⁵ أضيفت هذه العبارة من المخطوطين.

⁶ في ج: ((رفيعة القدر)).

⁷ نقل عنان هذه الفقرة من المخطوطين والإسكويال؛ ولكنه تصرف في صياغتها.

وقال غيره: قتل بدرب الفرعوني بقرب رحبة أبان،
بداخل مدينة قرطبة، قرب باب عبد الجبار يوم دخلها
النصارى مع أميرهم ملك طليطلة؛ يوم قيام ابن حمدين،
واقنتاله مع يحيى بن علي بن غانية المسوفي [الملثم
المرابطي]¹ يوم الأحد لثلاث عشرة مضت من ذي الحجة؛
عام أربعين وخمسمائة². قتله بربر المصامدة³؛ رجالة أهل
دولة اللثام؛ لحسن ملبسه، ولم يعرفوه، وقتلوا معه [ابن
أخته]⁴ عبد الله بن عبد العزيز بن مسعود، وكان أنكحه
إبنته، فقتلا معاً. وكان محمد خيرة الشيوخ، وعبد الله
خيرة الأحداث، رحمهما الله تعالى.

* * *

¹ في المخطوطين: ((من المرابطين)).

² الموافق لـ 1145م.

³ مصمودة قبيلة أمازيغية كبيرة من فرع البتر. مواطنهم بالمغرب
الأقصى؛ ولهم بطون كثيرة. منها: كدميو، وحاحة، ودكالة، ووريكة،
وغمارة، وهنتاتة، وهرغة؛ وإلى هرغة ينسب محمد بن عبد الله بن
تومرت؛ الشهير بلقب المهدي. باعث الدولة الموحيية، والمنظر الأول فيها.

⁴ ما بين الحاصرتين زائد في الإسكوريال.

محمد بن تفضل

(بن مهيّب اللخمي¹؛ يكنى أبا بكر؛ من أهل شلب²؛ من العلّيا.

حاله

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: كان منقبضاً عن الناس، أديباً، شاعراً، خمسَ عشرينيات الفازاري، رحمه الله تعالى. وذكره صاحب الذيل. وقال لي شيخنا أبو البركات، وهو جده، أبو أبيه، ما معناه: كان شريفاً عالي الهمة، عظيم الوقار، ألوفاً، صموتا، نحيف الجسم، آدم اللون، خفيف العارض، مقطب الوجه، دايم العبوس، شامخ الأنف، إلا أنه كان رجلاً عالماً راسخاً؛ عظيم النزاهة، حافظاً للمروءة، شهير الذكر، خطيباً مصقعاً، مهيباً كشهرته، قديم الرياسة، يعضد حديثه قديمه. واستقر بالمرية، لما تغلب العدو على بلد سلفه. ولما

¹ لم ترد هذه الترجمة لا في ج، ولا الزيتونة؛ بينما وردت في الإسكويال فقط.
² هي بلدة تتواجد في البرتغال؛ في الجهة الجنوبية منها؛ وهي قريبة من المحيط؛ وتسمى عندهم Silves. وإلى هذه البلدة ينسب الشاعر الأندلسي أبو بكر بن عمار.

توفي شيخ المشايخ، أبو إسحق بن الحجاج¹. تنافس الناس من البلدين، وغيرهم، في خطبة بنته. قال شيخنا أبو البركات؛ ومن خطه نقلت، وكان ابن مهيب واحداً منهم في الإلحاح بالخطبة، متقدماً في حلبتهم، بجيوش الأشعار. ورام غلبته ذوو اليسار، من حيث كان بحمراء جيش الإعسار، فأذلهم بالمقابلة في عقر الدار، فلم يراجعوا من الغنيمة إلا بالفرار.

قلت: وجلب في هذا المعنى شعراً كثيراً، ناسب الغرض. ونال من التغلب على ألمرية، على عهده، حظوة، فاستظهر به تارة على معقل مرشانة وتارة على الرسالة إلى الحضرة الحفصية بتونس. ولما آب من سفره إليها، سعى به لديه بما أوجب أن يحجر عليه التصرف، وسجنه بمنزله. فلما قصد ألمرية الغالب بالله²، مستخلصاً إيها من يد الرئيس أبي عبد الله بن الرميبي؛ ونزل

¹ يقصد الغالب بالله محمد بن يوسف بن نصر الخزرجي؛ مؤسس دولة بني الأحمر النصرية.

² المقصود هو: محمد بن يوسف بن نصر (محمد بن الأحمر)؛ مؤسس مملكة بني نصر بغرناطة. كانت ألمرية في بداية عهده تابعة لخصمه ابن هود (المتوكل). ولما توفي هذا الأخير زحف ابن الأحمر إلى ألمرية وأحتلها، وكان عليها - من قبل المتوكل - الوزير أبو عبد الله بن الرميبي.

بمدينتها، وحاصر قصبتهها، وقع اختيار الحاصر والمحصور على تعيين ابن مهيب، بمحاولة الأمر، وعقد الصلح، رضى بدينه وأمانته، فعقد الصلح بينهما على أن يسلم ابن الرميمي القصبه، ويعان على ركوب البحر بماله وأهله وولده، فتأتى ذلك واكتسب عند الغالب بالله، ما شاء من عزّة وتجلّة.

وقفني شيخنا أبو البركات على ظهير سلطاني، صدر عن الأمير الغالب بالله، يدل على جلالة قدره؛ نصه: ((هذا ظهير كريم، أظهر العناية الحافلة لمستوحيتها ومستحقها، وأجراه من الرعاية الكاملة على الحب طرقها. أمر بإحكام أحكامه، والتزام العمل بفصوله وأقسامه، الأمير عبد الله¹ محمد بن يوسف بن نصر، نصر الله أعلامه، وأدام لإقامة قسط العدل أيامه، لوليه العلي المكانة، وصفيه الملىء بأثرتي المعرفة والديانة، الحري بما اختصه، أيده الله، من الحفظ لمرتبه السامية والصيانة. للشيخ الفقيه، الجليل، العالم، الأوحد، العلم، الأتقى

¹ أضاف د. طويل كلمة ((بن)) من اللحة البدرية؛ فغدت: ((الأمير أبو عبد الله محمد)).

الأزهر، الفاضل، الخطيب الأرفع، المحدث الثقة، الراوية،
الصالح، السني، الحافظ، الحافل، الماجد، السري،
الطاهر، المكرم، المبرور، الكامل، أبي بكر ابن الشيخ
الوزير الأجل، الفقيه، الحسيب، الأصيل، الأجد،
المكرم، المبرور، الأفضل، المرحوم، أبي عمرو ابن
مهيب، أدام الله عزة جانبه، ووصل بالعلم والعمل ارتقاء
مراتبه، أقام به الشواهد على اعتقاده. أنه أخلص أوليائه
وداً، وأفضلهم قصداً، وأكرمهم عهداً، حين ظهرت له.
أيده الله، آثار آرايه الأصيلية، وبانت في الصلاح
والإصلاح، ميامن مناقبه الجميلة، ووجب له من العناية
والمزيات، أتم ما توجبه معارفه، وتقتضيه مجادته وزهادته،
التي لا يفند في وصفها واصف. وأعلن، بأنه دام عزه،
أحق من حفظت عليه، مرتبة صدور العلماء الراسخين
في العلم، وأبقيت مزبة ما تميز به من التقى والورع
الكافي والحلم، وبرع بصلة العناية بجانبه، لما أهلتة إليه
معرفة من نفع المتعلمين، وإرشاد من يسترشده في مسایل
الدين من المسلمين، وأفصح بأنه أولى مخصوص بالتجلة

والتوقير، وأجدر منصوص على أن قدره لديه معتمد
بالتكريم والتكبير. وأمر، أعلى الله أمره، أن يستمر له،
ولزوجه الحرة الأصيلة الزكية، التقية الصالحة، المصونة
المكرمة المبرورة، عائشة بنت الشيخ الفقيه الجليل العالم
الصالح السني، الزاهد الفاضل، المرحوم المقدس
الأرضي، أبي إسحق بن الحاج، ما اطردت به العادة لهما
قديماً وحديثاً، وتضمنه الظهيران الكريمان؛ المؤرخ أحدهما
بالعشر الأواخر لشوال؛ عام خمسة وثلاثين وستماية¹؛
من صرف النظر في أعشارهما وزكواتهما إليهما، ليضعا
ذلك في أحق الوجوه، ويؤديا فيه حق لله تعالى، ما
مثلهما علماً وديناً من يؤديه، موكولاً ذلك لله، إلى ما
لديهما، من نشر الأمانة، مصروفاً إلى نظريهما الجاري،
مع العلم والديانة، وتجديد أحكام ما بأيديهما من الظهاير
والأوامر القديمة والحديثة، المتضمنة تسويغ الأملاك، على
اختلافها، وتباين أجناسها وأوصافها، لهما ولأعقاب
أعقابهما، على التأييد والتخليد، والمحاشاة من اللوازم،

¹ الموافق لـ 1137م.

والمعاوز والمغارم. وأن يطرد لشركائهما، وعمرة أملاكهما،
ووكلايهما، وحواشيهما، ومن اتصل بهما، جميل
العناية، وحفيل الرعاية، وموصول الحماية، الاستمرار
الذي يطرد العمل به مدى الأيام، وتتوالى التمشية له، من
غير انصرام على الدوام، مُوفَى بذلك، ما يحق لجانب
الفقيه العالم، الأوحد الأسنى، أبي بكر، أدام الله عزته،
من حظوظ الإجلال، منتهى فيه، إلى أبعـد آماد العناية
الشريفة، الفسيحة المجال، مُقضى على حق ما انفرد به من
العلم، واتصف به من الديانة، اللذين أضفيا عليه ملابس
البهاء والجلال. فمن وقف على هذا الظهير الكريم من
الولاية والعمال، وسائر ولاية الأشغال، وليتلقه بغاية
الائتمار والامثال، إن شاء الله. وكتب في الثاني عشر من
ذي الحجة؛ عام ثلاثة وأربعين وستمائة))¹.

¹ الموافق لـ 1245م.

مشيخته

أخذ عن أبي العباس أحمد بن منذر الإشبيلي، تلا عليه بإشبيلية، وعلى عباس بن عطية أبي عمرو. وروى عن أبي محمد عبد الكبير الإشبيلي، وصحب أبا الحسن ابن زرقون، وتفقه عليه. وانتقل إلى المرية. فصحب أبا إسحق البليفيقي¹ وأخذ عنه، وتزوج ابنته. وأجاز له أبو عبد الله ابن هشام الشواش، وغيره. ثم انتقل آخر عمره إلى سبتة.

شعره

نقلت من خط شيخنا أبي البركات قوله في غرض الوصية²:

أليل النوى هل من سبيل إلى فجر
ويا قلب كم تأسى ويا دمع كم تجري

¹ هكذا.
² البحر الطويل.

أبى القلب إلا أن يهيم بحبكم
وأن تبرحوا إلا القليل عن الفكر
رحلت عنكم لا بقلبي وإنما
تركت لديكم حين ودعتكم سري
أعود بدهر الوصل من حين هجركم
ورب وصال مستعاد من الهجر
للعباب¹ نفسي لست أنفق قربكم
لزهدى فيكم بل حرصت على البر
تقطع أكباد عليكم صباية
فاصبر إن الخير أجمع في الصبر
وبالقلب من لا يصلح الصبر عنهم
وإن كان خيراً فهو عنهم من الشر
فلولا هم ما كنت أحسب ساعة
فقدتكم فيها عياناً من العمر

¹ جعلها د. طویل: ((تلعب))؛ من أجل سلامة الوزن.

ألا يا أخي فاسمع وصاتي¹ فإنها
لبنتك² لعمرى من أخ سالم الصدر
يحبك في ذات الإله وبيتخي
بحبك عند الله مدخر الأجر
ألا إنما التوفيق كنت من أهله
مراعاة حق الله في السر والجهر
بتوحيده في ذاته وصفاته
وأفعاله أيضاً وفي الندى³ والأمر
فثابر على القرار والأثر الذي
يصح عن المختار والسادة الغر
وعد لك الخيرات عما سواها
وكن بها مستمسكا أبد الدهر
إذا يسلك الشيطان فجاً سوى الذي
سلكت ولا يلفي سبيلا إلى مكر

¹ أي وصيتي.

² جعلها د. طويل: ((أنتك)).

³ جعلها د. طويل: ((بالند))؛ من أجل سلامة الوزن.

وفرق الأجناس¹ حاشى تقيهم
فقد ظهر الإفساد في البر والبحر
ولا تتسني واذكر أخاك بدعوة
فإنك منه يا أخي لعل ذكر

قال شيخنا أبو البركات، ومن شعره، ومن خطه نقلت²:
للصالحين إلى الصلاح طريق
رحبت بهم وغدت عليك تضيق
صرفوا النفوس من الهوى عن صوبها
فغدت إلى طلب النجاة تتوق

منها بعد أبيات:

يا قرّة العين استمع من ناصح
في صدره قلب عليك شفيق

¹ أضاف د. طویل كلمة ((من))؛ فأضحت: ((وفرق من الأجناس)).
² البحر الكامل.

أنت الشقيق ولادة ولذلك لي
روح لروحك في الخلوص شقيق
لا تخذعناك ترهات أحدثت
وخزعبلات للجهول تروق
واعكف على القرآن دهرك واجتمع
فالشغل عنك لغيره تفريق
إن الحديث وفقهه وعلومه
هذا الذي للمؤمنين يايق
واهجر بني الدنيا فإن بهجرهم
يتضاعف الإيمان والتصديق
والحق بقوم قد عنو بتجارة
نفقت لهم يوم القيامة سوق
واحفظ لسانك عن إذاية¹ مسلم
فسبابه قال الرسول فسوق
لا تبك هم الرزق فهو مقدر
والعبد طول حياته مرزوق

¹ جعلها د. طویل: ((أذية)).

ولترض بالرحمن رباً حاكماً
ودع الفضول فمنه ضل فريق
طوا عقال عقولهم وتحكموا
إن التحكم بالعقول مروق
ولقد أنتك نصيحتي ولشمسها
في أفق حبك يا حبيب شروق
فكن القريب مكانه من نفعها
فمكان سدتها إليك سحيق
واصطد بباري العزم أطيّار الرضا
فأخوك غاية بازه التحليق
ولتجعل التسبيح شأنك إنه
في الصعب ممن شأنه التصفيق
واقنع بعلم الوحي علماً ثم لا
يذهب بك التشقيق والتوفيق
لا ترض فيه بالدنية ولتمت
عطشاً إذا لم تسق منه رحيق

ما كل علم يهتدى بحصوله
منه الركيك نعم ومنه رقيق
كمدارك الأصوات منها طيب
تسلو النفوس به ومنه نهيق
وعليكم مني تحية من له
قلب إليكم أجمعه¹ مشوق

وقال: ألفيت بخطه ما نصه، وكان بعض السفهاء قد كتب
إلي بيتين من شعر؛ وهما²:
إليك أبا بكر رفعت وسيلتي
ومثلك من تلقى إليه الوسائل
غرقت ببحر الذل يوما وليس لي
بأرضكم إلا اهتمامك ساحل

¹ جعلها د. طويل: ((أجمعين))؛ لسلامة الوزن.
² البحر الطويل.

وأساء المحاولة في دفعها، فصرفته، ولم أقف عليهما،
فضرب عليهما، وكتب في ظهرهما¹:
حللت أبا بكر بموطن عزة
فأنسيت ما قد كنت فيه من الذل
وأصلك من كبر وكن متكبراً
وكيف يطيب الفرع من ذلك الأصل

وكتبت إليه صحبة دراهم وجهت بها إليه²:
جفوت وما زال الجفا³ سجية
لمثلك ما إن زال تبلى بها مثل⁴
وما قلت في أصلي فكذبة فاجر
رأى الفرع محموداً فعاب على الأصل
وبالإفك ما عثرت لا بحقيقة
فما الكبر من شأني ولا كنت في ذل

¹ البحر الطويل.

² البحر الطويل.

³ أضاف د. طويل الهمزة؛ فأصبحت: ((الجفاء))؛ من أجل سلامة الوزن.

⁴ جعلها د. طويل: ((مثلي)).

وما زلت والله الحميد مكرماً
وفي نائبات الدهر للعقد والحل
ولو كنت من يتقي الله لم تكن
تمد¹ متى تسخط وعند الرضا تحل²
أما قلت أني ساحل لك عندما
غرقت ببحر الذل في زمن المحل
وكيف نسخت المدح بالذم قبل أن
تبت لي الشكوى وتدلي بما تدل³
ولكن لؤم الطبع يحمل أهله
على الصعب من سب الكرام أو النيل
إن⁴ كان بعض الكبر نقصاً فإنه
عليك من الأوغاد يحسب في الفصل
وما الذل إلا ما أتى بك نحونا
فقيراً من التقوى سلباً من العقل

¹ جعلها د. طويل: ((تمر)).
² جعلها د. طويل: ((تحلي)).
³ جعلها د. طويل: ((تدلي)).
⁴ جعلها د. طويل: ((إذا)).

ومطلوبك الدنيا فخذها خسيصة
توافي خسيس النفس والقول والفعل
وما الجود إلا ما أصبت مكانه
ومهما فقدت الأصل لا عار في البخل
ومتلك من يُجفي ويقلب خاسئاً
فلست لإسداء الصنعة بالأهل
ولكنني عودت نفسي عادة
من البذل لم أعدل بها قط عن نذل
فخذها لحاك الله غير مبارك
لسعيك فيها يا بن خانية النعل
ومتلي من يُوذى فيحتمل الأذى
ولكنه قد يدر¹ الجهل بالجهل
وقد قال من لا شك في قوله
من الحكما القتل أذهب للقتل²

¹ جعلها د. طويل: ((يدرأ))؛ لسلامة الوزن والمعنى.

² جعل د. طويل هذا البيت هكذا:
((وقد قال من لا شك في قوله من حك * مة إنما القتل أذهب للقتل)).

فإن زدتنا زدنا وإن كنت نادماً
قبلناك أخذاً في أمورك بالعدل
ففي كل شيء لست عنك مقصراً
بما شئت من قطع وما شئت من وصل

قال الشيخ: قول الهاجي، وأصلك من كبر؛ معناه التعريض؛ يكون سلف أبي بكر بن مهيب، علواً في أنفسهم وتكبروا، فثاروا بسبب ذلك بطييرة¹ وجهاتها، ثار منهم عبد الرحمن جد أبي بكر، ثم حسن، ثم عامر أخوه، وإلى هذا أشار أبو بكر بن مهيب بقوله في بعض شعره²:

((إن لم أكن ملكاً فكنت ريّساً))

¹ وهي في غرب الأندلس؛ وفي جنوب البرتغال بالتحديد؛ مطلة على المحيط؛ عند مصب نهر وادي يانة؛ وتسمى عندهم Tavera.
² البحر الكامل.

وأشدد في الصلة الزبيرية¹؛ قوله رحمه الله²:
أملني من الدنيا المباحة كسرة
أبقي بها رمقي ودار نابية
قد أضرب الزمان عن سكانها
فكأنها في القفر دار خالية

ومن شعره في المقطوعات³:
ترحل صبري والولوع مقيم
وصح اشتياقي والسلو سقيم
فيا ليت شعري هل أفوز بعطف من
زينت خدي ورداً عليه أقوم⁴
ويا جنة قد حيل بيني بينها
بقلبي من شوقي إليك جحيم

¹ المقصود بالزبيرية نسبة إلى أحمد بن الزبير صاحب كتاب صلة الصلة.

² البحر الكامل.

³ البحر الطويل.

⁴ هذا العجز مضطرب المعنى ومختل الوزن.

دخوله غرناطة

قال الشيخ: دخل غرناطة مرتين؛ أخبرني بذلك الشيخ القاضي أبو الحسن ابن عبيدة، وهو بصير بأخباره، إذ هو من أصحاب سلفه، وممن رافق جده في الكتب عن بعض الأمراء مدة، وفي الخطابة بالمرية أخرى.

وفاته

توفي: بسبته؛ أول ليلة من جمادى الآخرة؛ عام خمسة وأربعين وستماية¹.

¹ الموافق لـ 1247م.

محمد بن عبد الله

ابن ولاد بن خطاب الغانقي¹

حاله

من صلة ابن الزبير: كان كاتباً بارعاً، شاعراً مجيداً، له مشاركة في أصول الفقه وعلم الكلام، وغير ذلك، مع نباهة وحسن فهم، [ذو فضل وتعقل² وحسن سمت. وورد على غرناطة، واستعمل في الكتابة السلطانية مدة، وكان معلوم³ القدر، معظماً عند الكافة⁴. ثم إنه رجع إلى مرسية، وقد ساءت أحوالها، فأقام بها مدة، ثم انفصل عنها، [وقد اشتدت أحوالها⁵، واستقر بالعدوة بعد مكابدة⁶.

¹ ورد ذكره في: العبر، وبغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، والبستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ونظم الدر والعقيان (مخطوط المكتبة الوطنية بباريس).

² في ج: ((ذا نباهة)).

³ في المخطوطين: ((عظيم)).

⁴ في الإسكوريال: ((صنفه)).

⁵ سقطت هذه العبارة في المخطوطين.

⁶ قال ابن مريم في كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان: ((نزىل تلمسان؛ من أهل مرسية. كان من أبرع الكتاب خطأً وأدباً وشعراً؛ ومن أعرف الفقهاء بأصول الفقه. كتب بغرناطة عن ملوكها؛ وقل إلى مرسية؛ وقد اختلت أمورها؛ فارتحل إلى تلمسان؛ وكتب بها

قلت: أخبرني شيخنا أبو الحسن الجياب¹ رحمه الله، قال: كان شكس² الأخلاق، متقاطباً، زاهياً³ بنفسه. ابتداءً يوماً كتاباً مُصَدَّرًا بخطبته، فقال فيه يصف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ((غفوة العفوة))⁴، وتركه لأمر عرض له؛ فنظر إليه الفقيه عمر اللّوشي؛ وهو كاتب المقام السلطاني؛ فظن لقصوره أنه وهَمَ، وأراد ((الصفوة))؛ فأصلحه؛ فلما عاد ونظر إليه مزقه، وكسر الآلة، وقال: لا أقيم بموضع [بلغ فيه الجهل إلى هذا القدر]⁵، ويُسَوَّرُ به الإصلاح، على قلم يطمع بعد في مقامه. وانصرف، واستقر بتلمسان⁶، كاتباً عن

عن أمير المؤمنين يغمراسن بن زيان؛ وتوفي سنة 636 ست وثلاثين وستمائة؛ رحمه الله))، ص: 227.

¹ هو الكاتب العالم الوزير أبو الحسن بن الجياب الأندلسي توفي سنة 1348/هـ-749م. أستاذ لسان الدين بن الخطيب ورئيسه في العمل. وضع له ترجمة في الإحاطة.

² حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((شكه)).

³ في الإسكوريال: ((ذاهياً)).

⁴ أي خيرة الخيرة. وكتبت في المخطوطين: ((صفوة الصفوة)).

⁵ في الإسكوريال: ((يحصل فيه هذا الغدر)).

⁶ ذكره العلامة عبد الرحمن بن خلدون؛ فقال: ((ووفد عليه [أي يغمراسن] لأول دولته ابن وضاح؛ إثر دولة الموحدين؛ أجاز البحر مع جالية المسلمين من شرق الأندلس؛ فأثره، وقرب مجلسه، وأحلّه من الخلّة والشورى بمكان اصطفاه له. ووفد في جملته أبو بكر بن خطاب؛ المبايع لأخيه بمرسيه. وكان مرسلأً بليغاً، وكاتباً مجيداً، وشاعراً محسناً.

سلطانها أبي يحيى يغمراسن¹ بن زيان. وزعموا أن المستنصر أبا عبد الله ابن الأمير أبي زكريا، استقدمه على عادته في استدعاء الكتاب المشاهير، والعلماء²؛ وبعث إليه ألف دينار من الذهب العين؛ فاعتذر ورد عليه المال. وكانت، أشق ما مرّ على المستنصر، [وظهر له علو شأنه³، وبعد همته.

مشيخته

روى⁴ عن القاضيين: أبي عيسى بن أبي السداد، وأبي بكر بن مُحَرَز، وعن الأستاذ أبي بكر محمد بن

فاستكتبه؛ وصدر عنه من الرسائل في خطاب خلفاء الموحدين بمراكش وتونس - في عهود بيعاتهم - ما تنوّل وحفظ)). العبر، مج: 7، ص: 163.

¹ في الإسكوريال: ((يغمور)).

² سقطت هذه الكلمة في المخطوطين.

³ في الإسكوريال والزيتونة: ((لأجل بأوه)).

⁴ أورد يحيى بن خلدون - أيضاً - أسماء الذين روى عنهم ابن خطاب؛ فقال: ((ومحمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي أبو بكر؛ نزيل تلمسان؛ من أهل مرسية. روى عن أبي جهور، وأبي بكر بن محرز، وأبي بكر الغافقي، وأبي علي الحسن بن عبد الرحمن الرفاء، وأبي عيسى محمد بن محمد بن أبي السداد، وأبي المطرف بن عميرة؛ وغيرهم. وأجازة أبو الربيع بن سالم)). بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد؛ ج: 1، ص: 129.

محمد المعروف بالقرشي، وقرأ وسمع على هؤلاء
بلده، [وأجاز له كتابة أبو الربيع بن سالم وغيره]¹.

شعره

من ذلك قوله²:

أفنع بما أوتيته تتل الغنى
وإذا دهتك ملة فتصبر
واعلم بأن الرزق مقسوم فلو
رمننا زيادة ذرة لم نقدر
والله أرحم بالعباد فلا تسل
أحداً تعش عيش الكرام وتؤجر
وإذا سخطت لبؤس حالك مرة
ورأيت نفسك [قد غوت فلتبصر]³
وانظر [إلى من كان دونك]⁴ تذكر
لعظيم نعمته عليك وتشكر

¹ سقطت هذه العبارة في ج.

² البحر الكامل.

³ في المخطوطين: ((قد ثبت فاستغفر)).

⁴ نفسهما: ((إلى من دون حالك)).

لوما قاله في صباه¹:

يا دعوة شاك²

ما قد دهاه من لحاظ رشاك

ظبي تصدى للقلوب يصيدها

من ناظريه في سلاح شاك

ورمى وإن قالوا رنا عن فاتر

ساج عليه سيم³ النساك

قد كنت أحذر بطشه لو أنني

أبصرت منه مخايل الفتاك

أو ما عليه ولا عليه حاكم

يحمي ثغورك أو يحوط حماك

أو ما لجارك ذمة مرعية

أبذا يظل دم الغريب طلاك

¹ البحر الكامل. واعتباراً من الحاصرة التي فتحت هنا؛ وحتى البيت الأخير من المقطوعة السينية الآتية؛ حيث تقفل الحاصرة الثانية؛ كل هذا الشعر المحصور بينهما وارد في الإسكوريال؛ بينما سقط في المخطوطين.
² هذا الشطر غير سليم في الوزن، وقاصر في المعنى. كما أن بعض الأبيات في القصيدة انتابها بعض الخلل؛ لذا فقد تم الاعتماد على ما صوبه د. طویل.

³ جعلها د. طویل: ((سيمة))؛ من أجل سلامة الوزن.

إنني استتمت إلى ظلالك ضلة
فإذا ظباؤك ماضيات ظباك
ما لي أخاطب بانه ما أن تعي
قولا ولا ترثي لدمعة باك
أكريمة الحيين هل لمتيم
رحمى لديك فأرتجي رحماك
أصبتني بعد المشيب وليس من
عذر لمن لم يصبه ثراك
ولولا¹ ما جذبت عناني لوعة
والله يشهد أنني لولاك
لما دعا داعي هواك أجبته
من لا يجيب إذا دعت عيناك
أصليتني نار الصدود وإنني
راض بأن أصلى ولا أسلاك

¹ جعلها د. طويل: ((لولاك))؛ لسلامة الوزن.

وأبحت ما منع التشرع من دمي
بالله من أفتاك قتل فتاك
وتركت قلبي طائراً متخبطاً
شباك¹ ختلك أو بطعن سباك
ومنعت أجفاني لذيد منامها
كي لا يتيح لي الكرى لقياك
ولقد عجبت وأنت جد بخيلة
أن² أعرت الشمس بعض حلاك
إني لأياس من وصلك تارة
لكن أعلل مطمعي بعلاك
أسماك أنك قد خفضت مكانتي
هلا خلعت علي من سيماك
إني مُعَنَّاك المتيم فليكن
حظي لذيك مناسباً مغناك

¹ جعلها د. طويل: ((بشباك))؛ لسلامة الوزن.
² جعلها د. طويل: ((كان))؛ لسلامة الوزن.

تثني معاطفك الصبا خوطية
وكذا الصبا فصباك مثل حماك
أبعدتني منها بطعنة رامح
أذاك سمَّتْكَ الورى بسماك
أموت من عطش وثغرك مورد
فيه الحياة استودعتها فاك
هلا تني عن حلوة فلعلّة
وضعت أداة النفي في اسم لماك
وقال يجيب أبا عبد الله بن خميس رحمه الله، عن
قصيدة بعث بها إليه أولها¹:
رد في حدايق مايتها مرتاد
قد لذ مورود وطاب مراد
زرق الأسنة دون زرق حمامها
وظبى كما رنت العيون حداد

¹ البحر الكامل.

هذه الأبيات¹:

نعم المراد لمن غدى يرتاد
مرعى يرف نباته ومهاد
سالت على العافي جداوله كما
صالت على العادي بدا ناد²
فشددت رحل مطيتي منه إلى
حيث السيادة تُبْتَنَى وتشداد
وركبت ناجية مبارية الصبا
خضراً³ فوق خضارة تعناد
يغتادها سكانها قَلْبَ على
من كان من سكانها استبداد
عجبالهم أحلامهم عادية
تمضي عليهم حكمها أعواد

¹ البحر الكامل.

² جعل د. طويل هذا الشطر هكذا:

((صالت على العادي طَبِي تَنَادُ))؛ من أجل سلامة الوزن، واستقامة المعنى.

³ جعلها د. طويل: ((خضراء))؛ لسلامة الوزن.

خبر تلمساناً بأنني¹ جيتها
لمادعاني نحوها الرواد
وعاقتها² سمعاً ولم أر حسنهما
إلا أناساً حدثوا فأجاد³
ولرب حسن لا ثواه ناظر
ويراه لا يخفى عليه فؤاد
ودخلتها فدخلت منها جنة
سكانها لا تخفى ولا حياء⁴
ورأيت فضلاً باهراً ومكارماً
وعلاً تغاظر دونها التعداد
أهل الرواية والدراية والندا
في نورهم أبداً لنا استمداد
فهم إذا سُئلوا بحار معارف
ولدى السكينة والنهي أطواد

¹ جعلها د. طویل: ((بأنني))؛ لسلامة الوزن.
² جعلها د. طویل: ((وأعاقها))؛ لسلامة الوزن.
³ جعلها د. طویل: ((فأجادوا)).
⁴ هذا الشطر مختل الوزن ومضطرب المعنى.

درجاتها ينحط عنها غيرهم
ومن الورى قتر ومنه وهاد
فأجلهم وأهلهم من مهجتي
بمكانة ما فوقها مزداد
وأود حين أخط أطيّب نكرهم
لو أن أسود مقلتيّ مداد
وقال يخاطبه وقد وقف على بعض قصيدة¹:
رقت حواشي طبعك ابن خميس
فهفا قريضك بي وهاج رسيسى
ولمئله يصبو الحليم ويمتري
ما للشروق به وسير العيس
لك في البلاغة والبلاغة بعض ما
تحويه من أثر محل ريسي

¹ البحر الكامل.

نظم ونثر لا تُبارى فيهما
تمهدت¹ ذاك وذا بعلم الطُّوس²
وقال عند وفاته وربما نسبت لغيره³:
رب أنت الحليم فاغفر ذنوبي
ليس يغفو عن الذنوب⁴ سواكا
رب ثبّت عند السؤال لساني
وأقمني على طريق هداكا
رب كن⁵ إذا وقفت ذليلا
ناكسَ الرأي أستحي أن أراكا
رب من لي والنار قد قربت لي
[وأنا قد أبحت عهد حماكا]⁶

¹ جعلها د. طويل: ((مهدت))؛ لسلامة الوزن)).
² إلى هنا حدود الشعر الوارد في الإسكوريال، وساقط في المخطوطين.
وكل ذلك حصر بين حاصرتين.
³ البحر الخفيف.
⁴ في المخطوطين: ((الذنب)).
⁵ أضاف د. طويل كلمة ((لي))؛ فأضحت: ((رب كن لي)). لسلامة الوزن،
واستقامة المعنى.
⁶ ورد هذا الشطر هكذا في الإسكوريال؛ بينما كتب في المخطوطين
كالتالي: ((وأنا تحت أحمد وحماكا))

رب مالي من عدة لمآلي¹
غير أني أعددت صدق رجاكا
رب أقررت أني² عبد سوء
حلمك الجم غره فعصاكا
رب أنت الجواد بالخير دوماً
لم تزل راحماً فهب لي رضاكا
رب إن لم أكن لفضلك³ أهلاً
باجترايي فأنت أهل لذاكا

نثره

ومن نثره ما خاطب به صديقين له بمصرية؛ من مدينة إشبيلية: ((كتبته، كتب الله لكما فوزاً بالحسنى، وأجناكما من ثمرات⁴ إحسانه أكثر ما يجنى. من إشبيلية، وحالي بحمد الله حسنة، ونفسي بحب قربكما مرتبهة، وعليّ بما لديكما من السراوة التي جبلتما على

¹ في الإسكوريال: ((لما بي)).

² جعلها د. طويل: ((أنني))؛ لسلامة الوزن.

³ في الإسكوريال: ((لذلك)).

⁴ في المخطوطين: ((ثمره)).

فطرتها، [وامتزمتا في الاجتلاء بغرتها¹، علم لا يدخله الشك، ونسبتي إلى ودكما الذي لبسته معلماً وتقلدته محرماً، لا يعبر عن معناها إلا بما لا يزال، ولا ينفك. فلنشن عنان القلم عن مداده، ونأخذ في حديث سواه. وصلنا إشبيلية ضحوة يوم الثلاثاء خامس ربيع الآخر، ولقينا الإفانت² على ميلين، وفزنا بما ظهر من بشره واعتنايه بقرار الخاطر، وقرة العين، ونزلنا في الأخبية خارج البلد، موضعاً³ يعرف بالقنب⁴، قد تفجر عيوننا، وجمع ماؤه وهواؤه من المحاسن فنونا، وعرض علينا النزول في الديار داخل المدينة، فرأينا المقام فيه⁵، أحد الأسباب المسعدة⁶ على حفظ الصحة المعينة، ورغبنا عن المدينة لحرّها الوهاج، وغبارها العجاج، ومايها الأجاج. ولما تاب

¹ في المخطوطين: ((وامتزمتا بقوتها)).

² يقصد الإفانتي *Infante*؛ لقب يطلق على ولي العهد في مملكة قشتالة. وكان صاحب النص قد زار إشبيلية في زمن احتلالها من قبل القشتاليين. إذ أنها سقطت في قبضتهم في شهر شعبان من سنة 646هـ/1248م. وغدت عاصمة لدولتهم.

³ في ج: ((سيوضع)).

⁴ يسمى بالإسبانية: *El Campo*؛ أي الحقل أو الميدان.

⁵ في الإسكوريال: ((فيها))، وفي ج: ((القنب)).

⁶ في ج: ((المساعدة)).

من النشاط البارح، واستقل من المطي الرازح، طفت في خارجها وداخلها، ووقفت¹ على مبانيها المشيدة ومنازلها، ورأيت انسياب أراقشها²؛ وتقصيت آثار طريانتها³ وبراقشها⁴؛ فشاهدت من المباني العتيقة، والمنارة⁵ الأنيقة، ما يملا⁶ أعين النظار، وينفسح فيه مجال مجال الاعتبار. على أني ما رأيتها إلا بعد ما استولى عليها الخسف. وبان عنها الظرف ونا عنها الطرف، فلا ترى من مغانيها إلا طللا دارسا، ولا تلمح من بدايعها⁷ إلا محياً محياً عابسا، لكن الرائي إذا قدر وضعها الأول، وركب وهمه من مبانيها ما تحلل، وتخيل في ذهنه حسنها وتمثل، تصور حسناً يدعو إلى المجون، ويسلي عن الشجون [لولا

¹ في المخطوطين: ((واطلعت)).

² أي ألوان نقوشها. وبرقش معناه: تزين بألوان مختلفة.

³ المقصود بها: طريانة Triana؛ وهي ضاحية إشبيلية الجميلة؛ الممتدة على الضفة الغربية من نهر الوادي الكبير.

⁴ في الإسكوريال: ((وفلسها))، وفي الزيتونة: ((وعشها)).

⁵ يقصد منارة الجامع الأعظم الشهيرة؛ التي شرع في بنائها أيام الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف سنة 584هـ / 1188م، ودشنت في عهد ابنه المنصور عام 593هـ / 1196م. وتعتبر الآن من أهم المعالم السياحية في إشبيلية؛ وتسمى عندهم La Giralda؛ أي الخيرالدا؛ بعد أن حُول ذلك المسجد إلى كنيسة، واستعملت المنارة كبرج للأجراس.

⁶ في ج: ((يستميل)).

⁷ في المخطوطين: ((معالمها)).

أنها عرضت لأشمط راهب؛ لما دان إلا بدن، ولا تقرب
بغير قارب¹ وحسبي أن أصفها بما يقيها من القبول،
وأقول إنها في البلاد بمنزلة الربيع من الفصول، ولولا أن
خاطري مقسم وفكري حدّه مثلم، لقضيت من الإطناب
وطراً، ولم أدع من معاهدها² عيناً إلا وصفتها ولا أثراً.

وفاته

توفي بتلمسان؛ يوم عاشوراء؛ سنة ست وثمانين
وستماية³.

¹ ما بين الحاصرتين سقط في ج.

² في المخطوطين: ((معلمها)).

³ الموافق لـ 1287م. جاء في بغية الرواد: أن وفاته (في عاشوراء سنة
ست وثلاثين وستماية)). وفي البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان.

((سنة ست وثلاثين وستماية)).

محمد بن عبد الله

ابن محمد بن لبّ الأسي¹؛ يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بابن الصايغ؛
بالصاو المهملة، والغين المعجمة؛ من أهل المريّة.

حاله

من خط شيخنا أبي البركات في ((الكتاب المؤمن
على أبناء أبناء الزمن)): كان سهلاً، سلس القياد، لذيذ
العشرة، دمث الأخلاق، ميالاً إلى الدّعة، نفورا عن
النصب، يركن إلى فضل نباهة وذكاء، يحاسب بها² عند
التحصيل والدراسة، والدؤوب على الطلب، من رجل
يجري من الألحان على مضمار لطيف، ولم يكن له
صوت رخيم، يساوق³ انطباعه في التلحين، يخبر⁴ ذلك
بالأوتار. وحاول من ذلك بيده مع أصحابه، ما لاذ به
الظرفاء منهم. واستعمل بدار الأشراف بالمريّة، فأحكم
تلك الطريقة في أقرب زمان، وجاء زمامه يروق من ذلك

¹ وردت هذه الترجمة في الإسكوريال؛ ولم ترد في الزيتونة ولا في ج. كما
وردت أيضاً ترجمة صاحبها في الكتيبة الكامنة، وبغية الوعاة، والدرر
الكامنة، ونفح الطيب.
² في النفح: ((بهما)).
³ أي يجاري.
⁴ في النفح: ((فجبر)).

العمل شأنه¹. ثم نهضت به همته إلى أرفع من ذلك، فسار إلى غرناطة، وقرأ² بها العربية وغيرها، وانخرط في سلك نبهاء الطلبة لأدنى مدة، ثم رحل إلى بلاد المشرق في حدود العشرين وسبعمائة³، فلم يتجاوز القاهرة لموافقة هواها⁴ علّة؛ كان يشكوها، وأخذ في إقراء العربية بها، وعرف بها إلى أن صار يُدعى بأبي عبد الله النحوي. قال شيخنا المذكور، ورأى في صغره فارة أنشى، فقال هذه قُرَيْنة، فَلُقِّبَ بذلك، وصار هذا اللقب أغلب⁵ من اسمه ومعرفته.

وجرى ذكره في التاج بما نصه: لجُ معرفة لا يغيض⁶، وصاحب فنون يأخذ فيها ويفيض. نشأ ببلده مشمراً عن ساعد اجتهاده، وشارك⁷ في قُنِّ العلم⁸

¹ في النفع: ((من شأنه)).

² نفسه: ((فقرأ)).

³ الموافق لـ 1320م.

⁴ في النفع: ((هوانها)).

⁵ نفسه: ((أغلب عليه)).

⁶ أي لا يَنْضِب.

⁷ في النفع: ((وسائراً)).

⁸ أي في قمم العلم.

ووهاده، حتى أئع روضه، وفهق¹ حوضه. ثم أخذ في إراحة² ذاته، وشام بإرقة³ لذاته، ثم سار في البطالة سير سير الجموح، وواصل الغبوق بالصبوح، حتى قضى وطره، وسيم بطره، وركب الفلك، وخاض اللجج الحلك، واستقر بمصر على النعمة العريضة، على شك في قضائه الحجة العريضة⁴. وهو⁵ بمدرستها الصالحة، نبيه المكانة، معدود في أهل العلم والديانة.

مشيخته

قرأ بالمرية على المكثب أبي عبد الله الميرقي، وأخذ عن شيخ الجماعة أبي الحسن بن أبي العيش، وقرأ بالحضرة على الخطيب أبي الحسن القيطاجي وغيره⁶. وأخذ بالقاهرة عن الأستاذ أبي حيان، وانتفع به وبجاهه.

¹ أي امتلأ حوضه.

² في النفع: ((راحة)).

³ نفسه: ((بارق)).

⁴ نفسه: ((في قضاء حجة الفريضة)).

⁵ نفسه: ((وهو اليوم)).

⁶ نفسه: ((على الخطيب أبي علي القيطاجي وطبقته)).

شعره

قال شيخنا أبو البركات، وكان أخذ من قرص جيد
الشعر بالحظ الوافر. فمن شعره ما نقله إلينا الحاج الحافظ
المكّتب أبو جعفر بن غصن، حسبما قيده عنه بمصر¹:
بعد المزار ولوعته أشواق²
حكما بفيض مدامع الأماق
وخفوق نجدي النسيم إذا سرى
أذكى لهيب فؤادي الخفاق
أمعالي إن التوصل في غد
من ذا الذي لغد فديتك باق
إن الليالي سبق قد³ أقبلت
وإذا تولت لم تتل بلحاق

¹ توجد هذه القصيدة أيضاً في الكتيبة الكامنة، ونفح الطيب؛ وهي من البحر الكامل.
² في الكتيبة، والنفح: ((ولوعة الأشواق)).
³ نفسهما: ((إن)).

فصفحْ تمدونه على الحمى سُقَيَ الحما¹
صوب الغمام الواكف الرقراق
فيه² لذي القلب السليم وداده
قلب سليم يا له³ من راق
قلب غداة فراقهم فارقته
لا كان في الأيام يوم فراق⁴
يا سارياً والليل ساج عاكف
يفتري للعلا بنجايب ونياق⁵
عرج على مثنوى النبي محمد
خير البرية ذي المنخلُ البراق⁶
ورسول رب العالمين ومن له
حفظ العهود وصحة الميثاق

¹ ورد هذا الصدر في الكتيبة، والنفح هكذا: ((عُجْ بالمطيَّ على الحمى سُقَيَ الحما)).
² في الكتيبة: ((فيه)).
³ في النفح: ((ماله)).
⁴ سقط هذا البيت في الكتيبة الكامنة.
⁵ جاء هذا العجز في الكتيبة الكامنة، ونفح الطيب هكذا: ((يفري الفلا بنجايب ونياق)).
⁶ هكذا؛ وفي الكتيبة الكامنة: ((ذي المحل الراقي))، وفي نفح الطيب: ((ذي المقام الراقي)).

الظاهر الآيات قام دليلها
والظاهر الأخلاق والأعراق
بدر الهدى البادي آياته¹
وجبينه كالشمس في الإشراق
الشافع المقبول من عمّ الورى
بالجود والإرفاد والإرفاق
والصادق² المأمون أكرم مرسل
سارت رسالته إلى الآفاق
أعلى الكرام نداً وأبسطهم يداً
قبضت عنان المجد باستحقاق
وأشد خلق الله إقداماً إذا
حمي الوطيس وشمرت عن ساق
أمضاهم والخيل تعثر في القنا³
وتجول سبجاً في الدم المهرق

¹ ورد هذا الشطر في الكتيبة الكامنة هكذا: ((بدر الهوى البادي الذي آياته))؛ وفي النسخ كما يلي: ((بدر الهدى وهو الذي آياته)).
² في النسخ: ((الصادق))؛ بدو الواو.
³ نفسه: ((الوغى)).

من صير الأديان ديناً واحداً
من بعد إشراق¹ مضى ونفاق
وأحنا من حرمة الإسلام في
ظل ظليل وارف الأوراق
لو أن للبدر المنير كماله
ما ناله كسف ونكس محاق²
لو أن للبحرين جود يمينه
أمن السفين غوايل الإغراق³
لو⁴ أن للأباء رحمة قلبه
ذابت نفوسهم⁵ من الإشفاق
ذو العلم⁶ والخفي المنجلي⁷
والجاه والشرف القديم الباق

¹ في الكتيبة، والنفح: ((إشراك)).
² ورد هذا العجز في الكتيبة الكامنة هكذا: ((ما طاله كسف وكشف محاق)).
³ في النفح: ((الإيساق)).
⁴ في الكتيبة: ((أو)).
⁵ نفسه: ((قلوبهم)).
⁶ في الكتيبة: ((ذو الحلم والعلم))، وفي النفح: ((ذو الحلم والعلم)).
⁷ وورد بقرينة الشطر في الكتيبة الكامنة، ونفح الطيب هكذا: ((الخفي المنجلي)).
المنجلي)).

آياته شهب و غر بنانه
سحب النوال تدر بالأرزاق
فاحت فيوح الأرض وهو غياثها¹
وربت ربّي الإيمان وهو الشاق²
ذو رأفة بالمؤمنين ورحمة
وهُدَى وتأديب بحسن سياق
وخصال مجد أفردت بالخصل في
مرمى الفخار وغاية السباق
ذو المعجزات الغر والآي التي
كم آية فقدت وهُنَّ بواقِي
ثبت المعارض خيراً³ لما حكّت
فلق الصباح وكان ذا إفلاق
يقظ الفؤاد سرى وقد هجع الورى
لمقام صدق فوق ظهر براق

¹ ورد هذا الصدر في الكتيبة الكامنة، ونفح الطيب هكذا:

((ماجت فتوح الأرض وهو غياثها)).

² في النفح: ((وهو الساقِي)).

³ نفسه: ((حائراً)).

وسما وأملاك السما¹ تحفه
حتى تجاوزهن سبع طباق
منها:

يا ذا الذي اتصل الرجا² بحبله
وانبت من هذا للورى³ بطلاق
حبي إليك وسيلتي وذخيرتي
إني من الأعمال ذو إملاق
وإليك أعمت الرواحل ضمراً
تختال بين الوخد والإعناق⁴
نُجُباً إذا نَشَرَت⁵ تلك الفلا
تطوي الفلا ممتدة الأعناق⁶
يحدو بهن من النحيب مردد
وتقودهن أزمة الأشواق

¹ في النفح: ((السما)).
² في الكتيبة، والنفح: ((الرجاء))؛ وهو أسلم.
³ نفسيهما: ((الورى))؛ وهو أسلم.
⁴ الوخد، والإعناق: ضرب من السير السريع.
⁵ في النفح: ((نشدت حلى تلك العلا)). وفي الكتيبة: ((نشرت حلى تلك العلا)).
⁶ الأعناق: مفرد ما عنق: الجزء الذي يصل الرأس بالجسم (الرقبة).

غرض إليه فوقنا¹ أسهُماً
وهي القسيّ برين كالأفواق
وأنختها² بفنايك الرحب الذي
وسع الورى بالنايل الدقاق³
وقوى⁴ مؤملك الشفاعة في غد
وكفى بها هبة من الرزاق
وعليك يا خير الأنام تحية
تحيي النفوس بنشرها الفتاق
تتأرج الأرجاء من لفحاتها⁵
أرج الندى بمدحك المصدق
منها⁶:

قسماً بطيب تراب طيبة إنه
مسك الأنوف وإثم الأحداق

¹ في الكتيبة: ((فوقتها))، وفي النسخ: ((فوقتنا))؛ وذلك كله أسلم.

² نفسهما: ((فأنختها)).

³ نفسهما: ((الدقاق)).

⁴ نفسهما: ((وقري)).

⁵ نفسهما: ((نفحاتها)).

⁶ الأبيات الموالية لم ترد في الكتيبة الكامنة.

وأثبار مسجده¹ الذي برحابه
لمعامل الرحمن أي نفاق
لأجود فيه بأدمع أسلاكها
منظومة بتراييب وتراق
أغدو بتقبيل على حصايه
وعلى كرام² جدره بعناق
وعليك ذا النورين تسليم له
نور يلوح بصفحه المهرق
كفواً لنبي وكفوا على جنة
خيرت له بشهادة وصداق³
وعلى أب السبطين من سبق الألى
سبقوا إلى الإسلام أي سباق⁴

¹ في النفح: ((وبشأن مسجدها))؛ وذلك أسلم.

² نفسه: ((وعلى كرائم))؛ وهذا أسلم.

³ ورد هذا البيت في نفح الطيب هكذا:

((كفو النبي وكفو أعلى جنة * حيزت له بشهادة وصداق)).

⁴ في النفح: ((يوم سباق)).

الظاهر الصهر¹ ابن عم المصطفى
شرف على التعميم² والإطلاق
مبدي القضا³ من وراء حجابها
ومفتح الأحكام عن إغلاق
يغزو العداة بغلظة فيعيدهم⁴
بصوارمٍ تفري القفار⁵ رقاق
راياته لا شيء من عقبانها⁶
بمطار يوم وغي ولا بمطاق
وعلى كرام ستة عثرت⁷ بهم
عند النظام ليالي⁸ النساق
ما بين أروع ما جد نيرانه
جنح الظلام تشب للطراق

¹ في النفع: ((الظهر)).

² نفسه: ((على التخصيص)).

³ نفسه: ((مبدي القضايا))؛ وهذا أسلم.

⁴ نفسه: ((فيهدم)).

⁵ نفسه: ((القفار)).

⁶ نفسه: ((عقبانها)).

⁷ نفسه: ((عشرت)).

⁸ نفسه: ((لألى)).

وأخي حروب صده رشف¹ القنا
عما قدود مثلهن رفاق
ما غردت شجواً مطوقة وما
شقت كمام روض² عن أطواق
وعلى القرابة والصحابة كلهم
والتابعين لهم ليوم تلاق

ولما سنّى الله في الروم الوقعة المبيرة والوقعة
الشهيرة³، التي أجلت عن قتل مليكهم معركتها،
وانتهت للفتح معركتها وحركتها، وعمت الإسلام بإتعاس

¹ في النفح: ((رشق)).

² نفسه: ((كمام الروض))؛ وهذا أسلم.

³ يقصد المعركة التي حدثت سنة 718هـ/1318م؛ بين جيش قشتالة بقيادة كل من: الدون بيدرو، والدون خوان وصيا الملك الصغير ألفونسو الحادي عشر؛ وجيش غرناطة بقيادة شيخ الغزاة أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء. وموقع المعركة كان على هضبة البيرة القريبة من غرناطة. وكان الانتصار فيها للمسلمين؛ قتل خلالها الوصيان: الدون بيدرو، والدون خوان.

فل الكفر بركتها، قدم مع الوفود من أهل بلده، وهنا
أمير المسلمين¹ بفتحه ذلك، وطلوع ولده، فقال²:
أمليك أم بدر الدجي الوضاح
وحسامه أم بارق لمباح
أعلى المسالك ما بنته يد التقى
وعمادها الأعلام والأرمح
وأحق من يدعى خليفة ربه
ملك خلافته هدى ونجاح
كأمير أندلس وناصرها الذي
أفنى العداة حسامه السفاح
أسمى الملوك أبو الوليد المرتضى
وأعز من شرفت به الأمداح
هو دوحة الملك العلي فروعها
وبراحتيه ترزق الأدواج

¹ المقصود هو السلطان النُّصْرِي أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد؛ الذي تربع على عرش غرناطة من سنة 1313/هـ713م إلى سنة 1324/هـ725م.
² البحر الكامل.

وبمحو رسم عداته بلبّاته¹
نطق الكتاب وخطت الألواح
بدر الكمال لو أنّ بدرًا مثله
لم يبد خشية نوره الإصباح
بحر النوال لو أنّ بدرًا مثله
لارتاع خشية فيضه الملاح
ولمئله قاد الجياد عدوه
فخباله قدح وخاب قدح
أهواه شيطان الهوى في لجة
إن الهوى بأليفه طماح
طمع الشقي أضله وأذله
كل المطامع للغبي فصاح
فأبادهم وملوكهم فتح بدا
وبسعد جدك ربنا فتاح

¹ جعلها د. طویل: ((بَلْبَاتِه)). من أجل سلامة الوزن.

وفواصل تُبْرى بهن مفاصل
وصفاح¹ يُفْرى بهن صفاح
لم تُفن كلهم سيوف الهند بل
لسيوف جودك في النفوس جراح
ما زال حيُّ عداك يحسد ميتهم
ويحث فوتاً عاجلاً فيراح
فاقتل كبيرهم وأحي صغيرهم
واسب النساء فما عليك جناح
تستبيح² ما حاط العداة وما حموا
وحماك يا منصور ليس يباح
يا أمّة الكفران تفنيداً وهل
لجفون أعمى ينجلي مصباح
أتركتهم بطرو وحيداً مفرداً³
يشدو عليه الطائر الصياح

¹ جعلها د. طويل: ((وصفانح))؛ من أجل سلامة الوزن.

² جعلها د. طويل: ((تسييح))؛ لسلامة الوزن.

³ الدون بيدرو يسميه المسلمون بلسانهم: بيطرو، أو بطره؛ واسمه بالكامل - كما ورد في المصادر التاريخية - هو بطرة بن ألهنشة بن هرندة بن شانجة.

وجوان يرتشف الندى فنديمه¹
غربانه ووساده الصّفاح
وكذلك المطران جاد رسومه
قطر المنايا الصارم الطفاح
أروسٌ أم تبيض النعام بمرجنا²
أصنافكم هذي أم الأشباح
ما للمطامير اشتكت من ضيقها
بالمال والأسرى وهن فساح
جارت بكم أبطاننا فكأنكم
كشح وجيش المسلمين وشاح
تباً لرومي يهيم براحة
أيرام عن خيل الإله براح
قُصّت قوادمكم فما إقدامكم
ولليل³ جنح الكفر تغيض جناح

¹ أما جوان فهو: الدون خوان؛ الوصي على ملك قشتالة.
² جعل د. طويل هذا الشطر هكذا: ((أروس تبيض النعام بمرجنا)).
³ جعلها د. طويل: ((والليل))؛ لسلامة الوزن.

هذا فلا تستعجلوا ببلادكم
سترون كيف يكون الاستفتاح
قد إنتنت بطحاؤنا بحطامكم
ونباتها الريحان والتفاح
تالله ما كنتم بأول عسكر
أمل النجاح وحينه يجتاح
القس غركم ليهلك نسلكم
بسيوفنا إن إفكه لصراح
كم ذا يسخركم ويسخر منكم
غدرًا ومكرًا إنه لوقاح
منها:

وفوارس نشوا¹ لنهب فراس
طلبوا انتشاو الدما للراح²
أربوا على الأسد الهزبر بسالة
مع أنهم غر الوجوه صباح

¹ كتبها د. طویل: ((نشأوا)).
² جعل د. طویل هذا الشطر هكذا: ((طلبوا انتشاء للدا لا الراح))؛ من أجل سلامة الوزن.

خاضوا بحار الحرب يطمو بحرها
ووطيسها حامي الصلّى لفاح
ما هم ببذل نفوسهم ونفيسهم
عن¹ النوال والنزال سجاح
وإذا هم ذكروا بناد فانتشق
مسكا تضيع عرفه النفاح
فغدا وراح النصر يُقدم جمعهم
ويحفهم حيث اعتدوا أو راح²
سناك مولانا بسعد مقبل
خلصاء قد عمتهم له أفراح³
وبنجلك البدر الذي آفاقه
ملك وهالته هدى وصلاح
بدر البدر فلا بدار عليه
وبذانارت⁴ أربع وبطاح

¹ أضاف د. طويل الواو؛ فعدت: ((وعن النوال))؛ لسلامة الوزن.

² جعلها د. طويل: ((أو راحوا)).

³ جعلها د. طويل: ((عمتهم الأفراح))؛ لسلامة الوزن.

⁴ جعلها د. طويل: ((أنارت))؛ لسلامة الوزن.

فلكم عدو أفلّ بزوغه¹
خسفت به الأوجال والأتراح
وهنا ونالك بالأمير تجدد
كل بحبك نفسه ترتاح
قد جاء بعد العسر يسرّ شامل
قد جاء بعد الشدة الإنجاح
فالحمد لله الذي قد خصنا
ولنا بحمدك بعده إفصاح
وعلى المقام المولوي تحية
كالزهر إذ تُهدي شذاه رياح
ما خط مدحك في الطروس محبر
ومحيي دجاجر² الأصيل صباح

¹ أضاف د. طويل ((ما)) قبل ((أفل))؛ فعدت: ((عدو ما أفل)).
² جعلها د. طويل: ((ومحا دجاجير))؛ من أجل سلامة الوزن واستقامة المعنى.

وقال يرثي الخطيب ببلده، الشهير الفاضل، أبا الحسن بن
شعيب رحمه الله¹:

بوادي لقد حملت ما ليس لقواه
فراق ولى شرف² الأرض تقواه
بليت بذات التفريق فاصبر فربما
بلغت بحسن الصبر ما تمناه³
شجا كل نفس فقد أنفس جوهر
تعد ولا تحصي كرام سجاياه
بكى كلنا حزناً عليه كما بكى
لفرقتة محرابه ومصلاه
فلله خطب جليل لقد رمى
أجل خطيب بالجلالة مصماه
فلولاكم يغلب تأسينا الأسى
ولم يشمل الشمل التقجع لولاه

¹ البحر الطويل.

² جعلها د. طويل: ((ولا من شرف)).

³ جعلها د. طويل: ((ما تمناه))؛ من أجل سلامة الوزن.

فلم يبق إلا من جفا جفنه الكرى
ومن جانب وصل المضاجع جنباه
وفاة لمري¹ وفي فوفى أجره
وأصفى بإصفاه الإله وصافاه
أبي الحسن العدل الرضا المحسن الذي
أنته بأضعاف الزيادة حسناه
خطيب جلا فصل الخطاب بيانه
وأعدل قاض فاضل في قضاياه
وجسم الهدى الرحب السبيل وروحه
ولفظ العلى الفخر الأصيل ومعناه
مطيع رفيع خاضع متواضع
كريم حلیم طاهر القلب أواه
متى يمشي² هونا ليس إلا لمسجد
تميد³ خجلا أرض بها حط نعلاه

¹ جعلها د. طویل: ((وفاء المري)).

² حذف د. طویل ((الياء)) في ((يمشي))؛ فغدت: ((يمش)).

³ حذف د. طویل ((الياء)) في ((تميد))؛ فغدت: ((تمد)).

تكلّمه عرف وذكر وحكمة
تلذّ بها الأسماع ما كان أحلاه
كذا صمته خوف وفكر وخشية
فما زال يخشى الله والكل يخشاه
يصوم وقد طال النهار مهجراً
وتبحر بالليل للتغمض¹ عيناه
فكم دارس أحياء من أربع التقا
وكم غاسق من حندس الليل أحياء
فيا طيباً أصلاً وذكراً وتربة
ومنه استنقاد الطيب أطيب رِيّاه
وفي حشركة تحن ومرتجاً وباطناً²
وأمن سنى شمس الضحى من محياه
محياً يروّي الناظرين تهلاً
فتعرفه في الصالحين بسيماه

¹ جعلها د. طويل: ((التغمض)).

² جعل د. طويل هذا الشطر هكذا: ((وفي حرقه تحنو ومرأى وباطناً)).

بحبك هامت كل نفس منيية
كذا من أحب الله حبه الله
فما أنعم الأرض التي بك قدست
وآثر ذياك الضريح وأناده
بشراك إنا قد شغلنا بحزننا
ورضوان بشراه بذلك بشراه
عزاً لأهليه الأهله أنهم
لهم يعتري من بعده العز والجاه
نال شعيب في الزمان بدوره
ولم تكن الشمس المنيرة إلاه
أعزّي أولي الإيمان كلا بفقده
نعم وأسنيه بحبه مأواه
سقى الله وسَميَ الحيا ذلك الثرى
وغاداه صوب الغاديات وميَاه
كما قد سقاه ليلة الدفن ربه
من الغيث وكاف السحاب وأسخاه

ترضوا عن القاضي الإمام خطيبكم
فقد رضي الرحمن عنه وأرضاه
وصلوا على هادي الأنام نبيكم
صلاة بها يمحو المسيء خطاياهم
عليك سلام الله ما الروض فاح إن
سرت سحراً ريح الصبا بخزاماه

وفاته

توفي رحمه الله؛ في رمضان؛ تحقيقاً من سنة
خمس على شك وسبعماية¹، أخبرني بذلك من يوثق به.

¹ الموافق لـ 1305م. وقد حقق عنان هذا؛ فوجد أن ابن الخطيب أخطأ في تاريخ وفاة ابن لب الأمي؛ إذ لاحظ أن ابن الخطيب سبق له أن قال - في أول الترجمة - أن المذكور قد وفد إلى غرناطة للتهنئة بالنصر الذي أحرز على النصارى؛ في المعركة التي حدثت سنة 718هـ. وبذلك يرى عنان أن وفاة ابن لب الأمي حصلت في سنة 725هـ/1324م. ومن جهة أخرى؛ فقد ورد في بغية الوعاة؛ أنه توفي سنة خمسين وسبعماية. أما في الدرر الكامنة؛ فقد ذكر أنه توفي بفعل الطاعون الذي اجتاح البلاد سنة 749هـ.

محمد بن عبد الله

(ابن الحاج البضيعة¹؛ من أهل مالقة؛ وتروو كثيراً على الحضرة،
ستفراً ومنشراً، وفي غير ذلك من الأغراض؛ يكنى أبا عبد الله.

حاله وشعره

من الإكليل: شاعر اتخذ النظم بضاعة، وما ترك
السعي في مذاهبه ساعة، أجرى في الملا، لا في الخلا،
وجعل ذكره دلوه في الدلا، وركض في حبله النجبا
النجايب، ورمى في الخواطي بسهم صايب، فخرج
بهرجه ونفق، وارتفق بسببه وارتفق. وهو الآن قد سالمته
السنون، وكأنا أمن المنون، من رجل مكفوف الأذى،
حسن الحالة إلا إذا، هذا قلت، ثبت هذا والمذكور حي،
وقدمت رحمه الله.

¹ وردت هذه الترجمة في مخطوط الإسكوريال فقط.

ومن شعره¹

رجاي² في المولى العظيم عظيم
غنيت به حيث الغنى³ بمديم
وحسبي الرجا فيمن عليه معولي
حديث حديث لم يزل وخدم
وما عرفت نفسي سوى باب فضله
على ثقة أن الكريم كريم
فإن قيل عني مذنب قلت سيد
كفيل بغفران الذنوب رحيم
وما اعتصم المملوك إلا بحبله
فجانبه نعمى لنا ونعيم
رضاه سبيل للنجاة وحبه
طريق لجنات النعيم قديم

¹ الأبيات التالية من البحر الطويل.

² حولها د. طويل إلى: ((رجائي)).

³ حولها د. طويل إلى: ((الغناء)).

وأُشِّد يوماً الأمير ثالث الأمراء من بني نصر¹ يهنيه
بالمُلك ويعزیه²:

على من تُنشر اليوم البنود

وتحت لواء من تسري الجنود

وقال [على هذا الكذا، الذي بين يديك³؛ فخجل،
وعظم استظراف الحاضرين لذلك.

توفي

في كذا وسبعمائة⁴.

¹ هو أبو عبد الله محمد بن محمد الفقيه الضرير؛ الملقب بالمخلوع؛
حكم من سنة 771هـ/1301م إلى سنة 708هـ/1308م.

² هذا البيت من البحر الوافر.

³ جاءت هذه العبارة في اللحة البدرية؛ كما يلي: ((على هذا الزيلخ
الذي ترى قدامك))؛ والمقصود هو نفسه.

⁴ في سنوات من 1300م.

محمد بن عبد الله

(بن فطيس¹؛ يكنى أبا عبد الله؛ من أهل مالقة. وقال الأستاؤ²
من بيت فطيس اللبيريين).

حاله

قال: طيب ماهر، وأديب شاعر؛ كان في أيام بني
حسون³، يخف عليهم، وله فيهم أمداح كثيرة. يذكر أنه
دخل يوماً على القاضي أبي مروان بن حسون، بعد
انقطاع عن زيارته، فعتبه القاضي، فاعتذر، ثم أنشد:
يا حاملاً من علاه تاجاً
ومن سنا وجهه سراجا
لو كان رودي عديل ودي
لكنت من بابك الرتاجا

¹ وردت هذه الترجمة في مخطوط الإسكويال فقط.

² يقصد أبو جعفر بن الزبير مؤلف كتاب صلة الصلة.

³ أي أيام قاضي مالقة أبي الحكم ابن حسون؛ الذي ثار ضد المرابطين في
مالقة سنة 1145/هـ540م؛ وتلقب بلقب الإمارة؛ ولكنه فشل أمام
المرابطين الذين استولوا على المدينة وقصبتها سنة 1152/هـ547م؛ فما
وجد أمامه سوى الانتحار؛ فأرسل رأسه إلى مراکش.

إن لم يعرج عليك شخصي
نفسى وروحي عليك عاجا
وذكره ابن عسكر¹ في كتابه.

* * *

¹ هو محمد بن علي بن الخضر بن هارون المعروف بابن عسكر. له
ترجمة في الإحاطة.

محمد بن عبد الرحمن

(ابن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن فتوح [بن محمد بن أيوب]¹
(ابن محمد بن الحكيم اللخمي²؛ ذو الوزارتين، يكنى أبا عبد الله؛
رندي المنشأة، إشبيلي الأصل).

يرجع بيته، وبيت بني حجاج، وبيت بني عباد،
إلى جُرثومة واحدة، وانتقل سلفه إلى رندة³ [في دولة
بني عباد، ويحيى جد والده هو المعروف بالحكيم لطبه.
وقدم ذو الوزارتين على حضرة غرناطة أيام السلطان أبي
عبد الله محمد بن محمد بن نصر؛ إثر قفوله من الحج في
رحلته التي رافق فيها العلامة أبا عبد الله بن رشيد
الفهري؛ فألحقه السلطان بكتابه، وأقام يكتب له في
ديوان الإنشاء، إلى أن توفي هذا السلطان، وتقلد الملك
بعده ولي عهده أبو عبد الله المخلوع؛ فقلده الوزارة

¹ ما بين الحاصرتين؛ أضيف من الإسكوريال.

² توجد ترجمة محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم اللخمي في نفح الطيب؛
ضمن ترجمة ابنه أبي بكر.

³ هنا، وبعد كلمة ((رندة))؛ كتب في الإسكوريال والزيتونة العبارة التالية:
((فناهيك من أصالة، وجلالة، وكرم طعمة)). ثم يأتي الحديث عن حاله
مباشرة. أما الفقرة الموالية التي تبدأ بحاصرة؛ فقد نقلت من نفح الطيب.

والكتابة، وأشرك معه في الوزارة، أبا سلطان عبد العزيز ابن سلطان الداني. فلما توفي أبو سلطان، أفردته السلطان بالوزارة، ولقبه ذا الوزارتين، وصار صاحب أمره، إلى أن توفي بحضرة غرناطة قتيلاً - نفعه الله تعالى - غدوة يوم الفطر، مستهل شوال؛ سنة ثمان وسبعمائة¹، وذلك لتاريخ خلع سلطانه، وخلافة أخيه أمير المسلمين، أبي الجيوش، مكانه².

حاله

[كان رحمه الله تعالى علماً في الفضيلة والسراوة، ومكارم الأخلاق؛ كريم النفس، واسع الإيثار، متين الحرمة، عالي الهمة، كاتباً بليغاً، أديباً، شاعراً، حسن الخط، يكتب خطوطاً على أنواع؛ كلها جميلة الانطباع. خطيباً، فصيح القلم، زاكي الشيم، مؤثراً لأهل العلم والأدب، برّاً بأهل الفضل والحسب، نفقت بمدته للفضائل

¹ الموافق لـ 1308م.

² هنا تقفل الحاضرة المذكورة أعلاه؛ وهي التي تشمل الفقرة المنقولة من نفع الطيب. وبالمقابل فهذه الفقرة ساقطة في الزيتونة، والإسكوريال.

أسواق، وأشرقَت بإمداده للفضائل آفاق¹. ومن **عائد الصلة**: كان رحمه الله فريد دهره سماحة²، وبشاشة، ولودعية، وانطباعاً. رقيق الحاشية، نافذ العزْمة³. مهتزاً للمديح، طلقاً لأمل، كهفاً للغريب، **برمكي** المائدة⁴، **مهلب** الحلوى⁵. ريان من الأدب، مضطلعاً بالرواية، مستكثراً من الفائدة. يقوم على المسائل الفقهية، ويتقدم الناس في باب التحسين والتقييح؛ ورفع راية⁶ الحديث والتحديث. نفق بضاعة الطلب، وأحيا معالم الأدب، وأكرم العلم والعلماء⁷، ولم تشغله السياسة عن النظر، ولا عاقه تدبير الملك، عن المطالعة والسماع، والإفراط⁸ في اقتناء الكتب، حتى ضاقت قصوره عن خزائنها،

¹ هذه الفقرة المحصورة بين حاصرتين؛ سقطت أيضاً في الإسكوريال، والزيتونة؛ بينما وردت في نفح الطيب.

² في الزيتونة: ((ساحة)).

³ في ج: ((العزيمة)).

⁴ أي يشبه آل برمك؛ وزراء بني العباس في كرم الضيافة.

⁵ في الزيتونة، والإسكوريال: ((الخلوة)). ويقصد بقوله مهلب الحلوى:

أي يشبه بني المهلب بن أبي صفرة في أكل الحلوى وإطعامها؛ لأن هذه الأسرة اشتهرت بذلك.

⁶ في الزيتونة: ((رؤية))، وفي الإسكوريال: ((آية)).

⁷ في الزيتونة، والإسكوريال: ((العامل)).

⁸ في ج: ((وأفراط)).

وأثرت أُنديته من ذخائرها. قام له الدهر على رجل¹،
وأخذه صدور البيوتات، وأعلام الرياسات، وخوطف
من البلاد النازحة، وأمل من² الآفاق النائية.

رحلته ونباهته

رحل إلى الحجاز الشريف من بلده، على فتاء سنة،
أول عام ثلاث³ وثمانين وستمئة⁴، فحج وزار، وتجول في
في بلاد المشرق، منتجعاً عوالي الرواية في مظانها،
ومنقراً عنها عند مُسنيّ شيوخها، وقيد الأناشيد الغربية،
والأبيات المرقصة، وأقام بمكة شرفها الله، من شهر
رمضان إلى انقضاء الموسم، فأخذ بها عن جماعة يأتي
ذكرهم في مشيخته. وانصرف إلى المدينة المشرفة، ثم قفل
مع الركب الشامي إلى دمشق، ثم كرّ إلى المغرب، لا يمر
بمجلس علم أو تعلم إلا روى أو روي؛ واحتل رُندة
حرسها الله أواخر عام خمسة وثمانين

¹ أي أن الدهر طاوعه.

² في الزيتونة، والإسكوريال، ونفح الطيب: ((في)).

³ صوبها د. طويل؛ فكتبها: ((ثلاثة)).

⁴ الموافق لـ 1284م.

وستمائة¹، وأقام² بها عيناً في قرابته، وعلماً في أهله، معظماً عندهم³، إلى أن أوقع السلطان بالوزراء من بني حبيب، الواقعة البرمكية⁴. وورد رُندة في أثر ذلك، [في شهر جمادى الآخرة؛ من عام ستة وثمانين وستماية]⁵؛ فتعرض إليه، ومدحه⁶، وهنأه بقصيدة طويلة؛ طويلة؛ من أوليات شعره، أولها⁷:

هل إلى ردّ عشيات الوصال

سبب أم ذاك من ضرب المحال

فلما أنشدها إياه، أعجب به، وبحسن خطه ونصاعته ظرفه، فأثنى عليه، واستدعاه إلى الوفادة على حضرته⁸؛ [فوفد إليها في آخر العام المذكور]⁹؛ فأثبتته

¹ الموافق لـ 1286.

² في نفع الطيب: ((فأقام)).

³ في الإسكوريال، والزيتونة، والنفح: ((لديهم)).

⁴ يشير إلى ما أوقعه الخليفة العباسي هارون الرشيد بأسرة البرامكة. وهذا الخبر شهير ومعروف.

⁵ الموافق لـ 686م. ما بين الحاصرتين ساقط في ج، والإسكوريال.

⁶ هذه الكلمة سقطت في ج، والإسكوريال؛ ولم ترد كذلك في نفع الطيب.

⁷ سترد بعد قليل؛ وهي من بحر الرمل.

⁸ في الزيتونة، والإسكوريال: ((الحضرة)).

⁹ وردت هذه العبارة هكذا في ج، ونفع الطيب: ((فوفد آخر عام ستة وثمانين)). وثمانين)).

في خواص دولته، [وأحظاه لديه¹] إلى أن رقاها إلى كتابة الإنشاء ببابه. واستمرت حاله، معظم القدر، مخصوصاً بالمزبة، إلى أن توفي السلطان، ثاني الملوك من بني نصر، وتقلد الملك بعده، ولي عهده أبو عبد الله؛ فزاد في إحضائه وتقريبه، وجمع له بين الكتابة والوزارة، ولقبه **بذي الوزارتين**؛ وأعطاه العلامة، وقلده الأمر، فبعد الصيت وطاب الذكر؛ إلى أن كان من الأمر² ما يأتي [به الذكر³] قريباً إنشاء الله تعالى.

¹ في الزيتونة: ((وأحيا ملكه))، وفي الإسكوريال: ((وأحظيا ملكه)).

² في نفع الطيب: ((من أمره ما كان)).

³ هذه الإضافة من الزيتونة، والإسكوريال.

مشيخته¹

قرأ برُندة على الشيخ النحوي أبي الحسن علي بن يوسف العبدري السفاح القرآن العظيم بالروايات السبع، والعربية وغير ذلك. وعلى الخطيب بها أبي القاسم بن الأيسر، وأخذ عن والده جميع مروياته؛ واستجاز له في صغره أعلام ذلك الزمان، وأخذ في رحلته عن الجلة [من الجملة²؛ الذين يضيق عن أمثالهم الحصر. فمنهم أبو اليمن جار الله بن عساكر؛ لقيه بالحرم الشريف، وانتفع به، واستكثر من الرواية عنه. ومنهم الشيخ أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحراني المعروف بابن هبة الله الحراني.] ومنهم الشيخ الشريف³ أبو العباس

¹ كتب في مخطوط الإسكوريال؛ تحت كلمة (مشيخته): ((قلت لم أر في هذا الكتاب مشيخة أطول منها؛ فاختصرتها؛ لطولها. على أني في هذا الاختصار لهذا الكتاب أقيد المشيخة قاصداً للتبرك بذكر أشياخ العلم، وحملة الدين وقادته. جعلني الله ممن انتظم في غمارهم، وسلك مسلك أتباعهم وأثارهم. وبعد ما نقل الشيخ ابن الخطيب منها نحو الثلاثة أوراق؛ قال في آخر ذلك: ((إلى طائفة كثيرة من أهل المشرق والمغرب)). وقد رجح عنان؛ أن يكون الذي كتب هذا، وقام بتلخيص موضوع مشيخة ابن الحكيم هو الناسخ؛ وليس المؤلف. لذا فقد عمل على نقل ما جاء في هذا الباب كاملاً؛ وقد تم ذلك من مخطوطي الزيتونة، وج.
² أضيفت هذه العبارة من الزيتونة.
³ في النسخ: ((الشرف)).

أحمد بن عبد الله بن عمر بن معطي بن الإمام
الجزائري؛ جزائر المغرب، نزيل بغداد. ومنهم الشيخ أبو
الصفاء خليل بن أبي بكر بن محمد المرادي الحنبلي؛ لقيه
بالقاهرة. ومنهم الشيخ رضي الدين القسطيني أبو بكر.
ومنهم الشيخ شرف الدين الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن
خلف الدمياطي؛ إمام الديار المصرية في الحديث،
ومؤرخها وحافظها¹. ومنهم عبد المنعم بن محمد بن
يوسف بن أحمد الخيمي شهاب الدين أبو عبد الله؛ نزيل
مشهد الحسين بن علي؛ قرأ عليه قصيدته البائية الفريدة
التي أولها²:

¹ وردت هذه الفقرة المحصورة بين حاصرتين في مخطوط الزيتونة هكذا:
(وشرف الدين أبو العباسي؛ من أهل الجزائر؛ عمالة إفريقية، ونزيل
بغداد. ومنهم خليل بن أبي بكر بن بكر بن محمد المرادي؛ نايب قاضي
الحنابلة بالقاهرة المصرية؛ يكنى أبا الصفاء؛ لقيه بالقاهرة المعزية.
ومنهم أبو بكر بن عمر بن علي القسطماني رضي الدين. ومنهم عبد
المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف الدين الخضري الدمياطي....)).
² هذا البيت من البحر البسيط. ورد في موضعين من نفع الطيب؛ غير أن
كلمة ((التقصي)) وردت هكذا في المرة الأولى؛ بينما كتبت في المرة
الثانية: ((التقضي)).

يا مطلباً¹ ليس لي في غيره أرب
إليك آل التقصي وانتهى الطلب
ومنها البيت المشهور؛ الذي وقع النزاع فيه²:
يا بارقاً بأعالي الرقمتين بدا
لقد حكيت ولكن فاتك السبب³

ومنهم عبد المولى يحيى بن حماد البعلبكي؛ مولده
سنة إحدى عشرة وستمئة⁴. ومنهم محمد بن بكر بن
خلف بن أبي القاسم الصفار. ومنهم الشيخ أبو الفضل
الأديب جمال الدين بن أبي الخير بن علي بن عبد الله
ابن رواحة. ومنهم محمد بن يحيى بن عبد الله القرشي
جمال الدين أبو صادق؛ ومن تخرجه الأربعون المروية
بالأسانيد المصرية. وسمع الحلبيات⁵ من ابن عماد الحراني،

¹ في الزيتونة: ((يا طالباً)).

² ورد هذا البيت في ج، ونفح الطيب؛ بينما سقط في الزيتونة. أما
موضوع النزاع فقد حدث بين الشيخ المذكور؛ وهو - في الحقيقة - محمد
ابن عبد المنعم بن محمد شهاب الدين بن الخيمي الأنصاري؛ وبين نجم
الدين بن إسرائيل؛ وذلك حين ادعى هذا الأخير أن البيت المذكور أعلاه
من نظمه، واتهم ابن الخيمي بسرقة. فاحتكما أمام شرف الدين بن
الفارض الذي حكم بالبيت - بعد الاختبار - لابن الخيمي.

³ في نفح الطيب: ((الشنب)).

⁴ الموافق لـ 1214م.

⁵ سقطت هذه الكلمة في الزيتونة.

والشيخ أبي الفضل عبد الرحيم خطيب الجزيرة؛ ومولده سنة ثمان وتسعين وخمسمائة¹. ومنهم الشيخ محمد بن عباس الأشعري تقي الدين الحافظ أبو القاسم. ومنهم الشيخ محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن عبد المجيد الأثماطي. ومنهم أبو البدر بن عبد الله بن أبي الزبير الكاتب المصري. ومنهم الشيخ عبد الرحيم بن عبد المنعم ابن خلف التدميري. ومن رؤساء شيوخه؛ الشيخ محيي الدين أبو الفضل. ومنهم زينب بنت الإمام أبي محمد عبد اللطيف بن يوسف [بن محمد بن علي² البغدادي؛ تكنى أم الفضل؛ وسمعت من أبيها. ومنهم محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد الخراساني أبو عبد الله موقر الدين؛ وألبسه خرقة التصوف. ومنهم الشيخ محمد بن يحيى بن هبيرة الشيباني شرف الدين. ومنهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن عيسى بن عيسى بن يوسف بن إبراهيم بن إسماعيل السلفي. ومنهم الشيخ علي بن عبد الكريم بن عبد الله الدمشقي أبو الحسن؛ ولد سنة سبع وتسعين

¹ الموافق لـ 1201م.
² أضيفت هذه العبارة من الزيتونة.

وخمسمائة¹. ومنهم الشيخ غازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الجلاوي. ومنهم الشيخ نور الدين علي بن محمد أبي البركات الأنصاري المقرئ بحرم الخليل؛ سمع من أبي الحسن علي بن شجاع. [ومنهم يوسف بن داود بن عيسى ابن أيوب الحنفي]². ومنهم الملك الأوحى يعقوب بن الملك الناصر صلاح الدين وداود³ بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب. ومنهم عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم بن علي بن جعفر القرشي الزهري خطيب القدس. ومنهم الشيخ عبد الحفيظ بن بدران؛ ويدعى عليّ الدين؛ من أهل بانياس؛ سمع من ابن صيصري. ومنهم الشيخ علي بن عبد الرحمن بن عبد المنعم المقدسي. ومنهم الشيخ محمد بن محمد بن سالم بن يوسف بن أسلم القرشي جمال الدين. ومنهم عبد الواسع ابن عبد الكافي شمس الدين. ومنهم الشيخ أحمد بن أحمد الزجاجي [البغدادي الإمام تقي الدين. ومنهم عبد

¹ الموافق لـ 1392م.

² سقط ما بين الحاصرتين في ج.

³ في النسخ: ((صلاح الدين داود))؛ بدون واو العطف.

الجميل بن أحمد بن الزجاج¹. ومنهم فاطمة بنت إبراهيم ابن محمد بن محمود بن جوهر البعلبكي؛ الشيخة الكاتبة الخيرة أم الخير. ومنهم الشيخ يوسف بن أبي ناصر السفاوي. ومنهم الشيخ عبد السلام بن محمد بن مزروع² أبو محمد عفيف الدين. ومنهم الشيخ أحمد بن عثمان بن محمد الشافعي البخاري شمس الدين. ومنهم الشيخ عبد الله بن خير بن أبي محمد بن خلف القرشي. ومنهم الشيخ محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله ابن عبد الباقي بن علي الصواف شرف الدين. ومنهم الشيخ علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن زريق الكاتب؛ لقيه بتونس. ومنهم الشيخ سليمان بن علي بن عبد الله الكاتب التلمساني عفيف الدين الصوفي؛ الأديب نزيل دمشق؛ ومولده بتلمسان. ومنهم الشيخ محمد بن علي بن أحمد بن علي بن محمد ابن الحسن بن عبد الله بن أحمد الميموني البستي القسطلاني قطب الدين؛ الإمام المفتي؛ شيخ دار الحديث

¹ سقط ما بين الحاصرتين في ج.
² ما بين الحاصرتين أضيف من الزيتونة.

الكاملية بالقاهرة المعزية. ومنهم الشيخ عبد الكريم بن علي بن جعفر القرشي جمال الدين. ومنهم الشيخ أحمد ابن محمد بن عبد الظاهر جمال الدين. ومنهم محمد بن محمد بن إبراهيم النجاشي. ومنهم الشيخ عبد الله بن محمد بن محمد بن أبي بكر الطبري؛ إمام الروضة النبوية ثم الصخرة القدسية. ومنهم الشيخ فخر الدين عثمان بن أبي محمد بن إسماعيل بن جندرة. ومنهم الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلي بن أنسكرت فخر الدين. ومنهم الشيخ ثابت بن علي بن عبد العزيز بن قاسم بن عبد الرازق؛ سمع على ابن المغير البغدادي. ومنهم الشيخ أمين الدين أبو الهامات جبريل بن إسماعيل ابن سيد الأهل الغساني¹. ومنهم الشيخ محمد بن أحمد ابن عبد الله؛ الأندلسي الأصل شرف الدين؛ سمع من علم الدين الشيخوني وغيره. ومنهم الشيخ محمد بن محمد الشامي الشافعي الدمشقي؛ إمام مسجد أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ يدعى شمس الدين؛ سمع من الزبيدي.

¹ سقطت هذه الكلمة في ج.

ومنهم الشيخ يحيى بن الخضر بن حاتم الأنصاري ؛ يعرف
بابن عز الدولة. وأجاز له جماعة ؛ منهم ابن عماد
الحراني. ومنهم ابن يحيى بن محمد بن محمد الهمداني
كمال الدين ؛ وسمع من ابن الزجاج وابن رواح الحميري.
ومنهم الشيخ عبد الملك أبو المعالي بن مفضل الواسطي ؛
عرف بابن الجوزي ؛ سمع على جماعة ؛ منهم شعيب
الزعفراني. ومنهم الشيخ محمد بن أحمد بن ياسر بن
شاكر الحاكمي. ومنهم الإمام مفتي المسلمين رضي الله
عنه. ومنهم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن خليل
العسقلاني المكي. ومنهم الخطيب أبو عبد الله محمد بن
صالح بن أحمد بن محمد بن رحيمة الكناني خطيب بجاية.
ومنهم قاضي القضاة ببلاد إفريقية أبو العباس بن الغماز¹
البلتسي ؛ لقيه بتونس. ومنهم الفقيه العلامة الوزير أبو
القاسم محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن
يوسف بن جُزي الكلبي. ومنهم الشيخ أبو محمد عبد الله
ابن يوسف الخلابي. ومنهم الشيخ المغربي أبو محمد

¹ في الزيتونة: ((الغمار)).

الحجاج بن يوسف بن إبراهيم بن عتاب ؛ لقيه بتونس.
ومنهم الشيخ الفقيه أبو بكر بن محمد بن إبراهيم بن محمد
ابن يربوع السبتي. ومنهم الإمام قدوة النحاة أبو الحسين¹
عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن عبد الله
ابن أبي الربيع القرشي. ومنهم الإمام أبو علي ناصر الدين
منصور بن أحمد بن عبد الحق الزواوي المشدالي ؛ من
أهل مجاية. ومنهم الخطيب القاضي أبو عمرو إسحق بن
أبي إسحق بن عبد الوهاب الرندي. إلى طائفة كبيرة من
أهل المشرق والمغرب.

محتته

أغرى به الأمير ولي العهد، بسبب أمور اختلف
فيها، منها أبيات في هجو الدولة النصرية، الله أعلم
بصحة نسبتها إليه، فأوقع به [وناله بين يديه نكال كبيراً²؛
أفلت منه برفق³؛ واختفى مدة في المآذن المقفلة، والأماكن

¹ في الزيتونة: ((أبو الحسن)). وفي النسخ: ((أبو الحسين عبيد الله)).
² وردت هذه العبارة في الإسكوريال هكذا: ((فتنورل بين يديه بنكال كبير)).
³ في الإسكوريال: ((برمق)).

الخفية؛ حتى أصحى له جو سخطه، [وقضى الله برد
أمره إليه، واستيلايه على ما وراء بابه]¹.

من روى عنه²

أخذ عنه الخطيب الصالح أبو إسحق بن أبي
العاصي، وتدبج معه رفيقه عبد الله بن رُشيد، وغير
واحد. وكان ممدوحاً؛ ومن مدحه الرئيس أبو محمد عبد
المهيمن الحضرمي، والرئيس أبو الحسن بن الجيَّاب؛
وناهيك بهما. ومن بديع مدح ابن الجيَّاب له؛ قصيدة
رائية رائقة؛ يهنيه فيها بعيد الفطر؛ منها في أولها³:

يا قادمًا عمت الدنيا بشائره

أهلاً بمقدمك الميمون طائره

ومرحباً بك من عيد تحف به

من السعادة أجناد تظاهره⁴

¹ وردت هذه العبارة في ج هكذا: ((وقضى الأمر باستيلايه)).
² وردت هذه الفقرة، والقصيدة الموالية لها؛ في مخطوط جاينجوس فقط. إذ
لم تذكر في الزيتونة، ولا في الإسكوريال.
³ وردت هذه القصيدة أيضاً في نفح الطيب، وأزهار الرياض. وهي من البحر البسيط.
⁴ في نفح الطيب، وأزهار الرياض: ((تظافره)).

قدمت فالخلق في نعى وفي جنل
أبدى بك البشر باديه وحاضره¹
والأرض قد لبست أثواب سندسها
والروض قد بسمت منه أزهره
حاكت يد الغيث في ساحاته حلا
لما ساقها دراكاً منك باكره
فلاح فيها من الأنوار باهرها
وفاح فيها من النوار عاطره
وقام فيها خطيب الطير مرتجلا
والزهر قد رصعت منه منايره
موشي ثوب طواه الدهر آونة
فها هو اليوم للأبصار ناشره
فالعصن من نشوة يثني معاطفه
والطير من طرب تشدو مزاهره
وللكمام انشقاق عن أزاهرها
كما بدت لك من خل ضمائره

¹ أي من البدو والحضر.

لله يومك ما أذكى فضائله
قامت لدين الهوى¹ فيه شعائره
فكم سريرة فضل فيك قد خبئت
وكم جمال بدا للناس ظاهره
فافخر بحق على الأيام قاطبة
فما لفضلك من ند يظاهره²
فأنت في عصرنا كابن الحكيم إذا
قيست بفخر أولي العليا مفاخره
يلتاح منه بأفق الملك نور هدى
تضاعل الشمس مهما لاح زاهره
مجد صميم على عرش السماك سما
طالت مبانيه واستعلت مظاهره
وزارة الدين والعلم الذي رفعت
أعلامه والندی الفياض زاخره

¹ في النفع، والأزهار: ((الهدى)).

² في أزهار الرياض: ((يناظره)).

وليس هذا ببدع من مكارمه
ساوت أوائله فيه أواخره
يلقى الأمور بصدر منه منشرح
بحر وآراؤه العظمى جواهره
راعى أمور الرعايا معملاً نظراً
كمثل علياه معدوماً نظائره
والملك سير في تدبيره حكماً
تنال ما عجزت عنه عساكره
سياسة الحكم¹ لا بطش يكدرها
فهو المهيب وما تخشى بواده
لا يصدر الملك إلا عن إشارته
فالرشد لا تتعداه مصائره
تجري الأمور على أقصى إرداته
كأنما دهره فيه يشاوره
وكم مقام له في كل مكرمة
أنست موارده فيها مصادره

¹ في النفع، والأزهار: ((الحلم)).

ففضلها طبق الآفاق أجمعها
كأنه مثل قد سار سائره
فليس يججده إلا أخو حسد
يرى الصباح فيعشى منه ناظره
لا ملك أكبر من ملك يدبره
لا ملك أسعد من ملك يؤزره
يا عز أمر به أشتدت مضاربه
يا حسن ملك به ازدانت محاضره
تُنتى البلاد وأهلوها بما عرفوا
ويشهد الدهر آتیه وعابره¹
بشرى لآمله الموصول مأمله
تعساً لحاسده المقطوع دابره
فالعلم قد أشرقت نوراً مطالعه
والجود قد أسبلت سحاً مواطره

¹ في النفع، والأزهار: ((وغابره))؛ بالغين المعجمة.

والناس في بشر¹ والملك في ظفر
عال على كل عالي القدر قاهره
والأرض قد ملئت أمناً جوانبها
بيمن من خلصت فيها سرائره
وإلى² أياديه من مثني وواحدة³
تساجل البحر إن فاضت زواخره
فكل يوم تلقانا عوارفه
كساه أمواله الطولى دقاتره
فمن يؤدي لما أولاه من نعم
شكراً ولو أن سبحاناً يُظَاهره
يا أيها العبد⁴ بادر لثم راحته
فلثمها خير مأمول تبادره
وافخر بأن لقيت⁵ ابن الحكيم على
عصر بياريك أو دهر تفاخره

¹ في الأزهار: ((يسر)).

² في النفع، والأزهار: ((والى)).

³ نفسيهما: ((وَمَوْحِدَةً)).

⁴ في النفع، والأزهار: ((العيد)).

⁵ نفسيهما: ((وَأَفْخَرُ بَأَن قَدْ لَقَيْتَ)).

ولَّى الصيام وقد عظمت حرمة
فأجره لك وافيته ووافره
وأقبل العيد فاستقبل به جذلاً
واهناً به قادماً عمت بشائره
ومن مدح الرئيس أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي له
قوله¹:

ترأى سحيراً والنسيم عليل
وللنجم طرف بالصباح كليل
وللفجر نهر خاضه الليل فاعتلت
شوى أدهم الظلماء منه خبول
بريق بأعلى الرقمتين² كأنه
طلائع شهب والسماء تجول

¹ وردت هذه القصيدة في ج فقط؛ إذ لم تذكر في الزيتونة ولا في الإسكوريال. وهي من البحر الطويل.
² الرقمة: جانب الوادي، ومجتمع الماء أو الروضة. والرقمتان أيضاً اسم لعدد من الأمكنة؛ منها على سبيل المثال: قريتان بالقرب من البصرة؛ وهما منزل مالك بن الربيع المازني؛ إذ يقول فيهما:
قلله دري يوم أترك طائعا * بُني بأعلى الرقمتين وماليا
والرقمتان أيضاً روضتان؛ ذكرهما زهير ابن أبي سلمى في شعره؛ فقال:
ودار لها بالرقمتين كأنها * مراجيع وشم في نواشر معصم

فمزق ساجي الليل منه شرارة
وخرق ستر الغيم منه نصول
تبسم ثغر الروض عند ابتسامه
وفاضت عيون للغمام همول¹
ومالت غصون البان نشوى كأنها
يدار عليها من صباح شمولى
وغنت على تلك الغصون حمائم
لهن حفيف فوقها وهديل²
إذا سجت في لحنها ثم قرقرت³
يطيح خفيف دونها وثقيل
سقى الله ربعاً لا يزال يشوقني
إليه رسوم دونها وطلول

¹ هامل؛ جمعها هوامل وهمولة وهاملة وهمولاً؛ أي فاضت؛ سواء الدمع، أو السماء.
² الحفيف: الأصوات الصادرة عن حركة أغصان الأشجار. والهديل: أصوات طائر الحمام وأفراخه.
³ أي إذا سكنت في لحنها ثم صوتت.

وجاد رباه كلما ذر شارق
من الودق¹ هتان أجش هطول
ومالي أستسقي الغمام ومدمعي
سفوح على تلك العراص همول
وعاذلة باتت تلوم على السرى²
وتكثر من تعذالها وتطيل
تقول إلى كم ذا فراق وغربة
ونأي على ما خيلت ورحيل
ذريني أسعى للتي تكسب العلا
سناء وتبقى الذكر وهو جميل
فأما تريني من ممارسة الهوى
نحيلاً فحد المشرفي نحيل
وفوق أنابيب اليراعة صفوة
تزين وفي قد القناة ذبول

¹ الودق: هو المطر؛ جاء في الذكر الحكيم: [ألم تر أن الله يُزجي سحاباً ثم يُؤلّفُ بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من بردٍ فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار]. سورة النور؛ الآية 43.
² أي على السير ليلاً.

ولولا السُّرَى لم يحتل البدر كاملاً
ولا بات منه للسعود نزيل
ولولا اغتراب المرء في طلب العلا
لما كان نحو المجد منه وصول
ولولا نوال ابن الحكيم محمد
لأصبح ربع المجد وهو محيل
وزير سما فوق السماك جلالة
وليس له إلا نجوم قبيل
من القوم أما في النديّ فإنهم
هضاب وأما في النديّ فسيول¹
حووا شرف العلياء إرثاً ومكسباً
وطابت فروع منهم وأصول
وما جونة² هطّالة ذات هيّذب³
مرتها شمول مرجف وقبول

¹ النَّدِيّ (في الشطر الأول): هو النادي أي المجلس. والنَّدَى (في الثاني): هو الجود والفضل والخير.
² يقصد السحابة السوداء.
³ الهيدب: تلك السحابة المتدلّية؛ نحو الأرض؛ بحيث تدنو منها على شكل خيوط تنصب منها المطر.

لها زجل¹ من رعدھا ولوامع²
من البرق عنها للعيون كلول³
كما هدرت وسط القلاص⁴ وأرسلت
شقايقها⁵ عند الهياج فحول
بأجود من كفّ الوزير محمد
إذا ما توالى للسنين محول⁶
ولا روضة بالحسن طيبة الشذا
ينمُّ عليها أذخر وجايل
وقد أذكيت للزهر فيها مجامر
تعطر منها للنسيم ذيول
وفي مقل النوار للطلّ عبرة
تردها أجفانها وتحيل

¹ أي لها نغم وطرب من رعدھا. ويقولون: ((سحاب ذو زجل))؛ أي عندما يصحبه الرعد.
² أي برق لامع.
³ الكل وكلول: الثقل والتعب.
⁴ القلاص من المياه: المرتفع.
⁵ أي هديرها. كشفاقة الجمال: أي هديره، وشفاقة الطير: أي عندما يصوت.
⁶ أي إذا توالى جذب السنين. والمحول هو الجذب.

بأطيب من أخلاقه الغرّ كلما
تفاقم خطب للزمان يهول
حويت أبا عبد الإله مناقباً
تفوت يَدَي من رامها وتطول
فغرناطة مصر وأنت خصيبتها¹
ونائل يمناك الكريمة نيل²
فذاك رجال حاولوا درك العلا
ببخل وهل نال العلاء بخيل
تخيرك المولى وزيراً وناصحاً
فكان له مما أراد حصول
وألقى مقاليد الأمور مفوضاً
إليك فلم يعدل يميناك سول
وقام بحفظ الملك منك مؤيد
نهوض بما أعبا سواك كفيل

¹ أي مخصيبتها. وهنا تلميح إلى قصة يوسف عليه السلام؛ حين عمل على إخصاب مصر.
² نائل يمناك: من يصيب الخير من يمناك. والنيل: هو نهر النيل الموجود بمصر.

وساس الرعايا منك أشوس باسل
مبيد العدا للمعتفين منيل
وأبلج وقّاد الجبين كأنما
على وجنتيه للنضار مسيل
تهيم به العلياء حتى كأنها
بثينة في الحب وهو جميل¹
له عزمات لو أغير مضأؤها
حسام لما نالت ظباه فلول
سرى ذكره في الخافقين فأصبحت
إليه قلوب العالمين تميل
وأغدى قريضي جوده وثناؤه
فأصبح في أقصى البلاد يجول
إليك أيا فخر الوزارة أرقلت²
برحلي هوجاء الثجاء ذلول

¹ هو سالم بن بخيت المعشني؛ الملقب بجميل بثينة؛ شاعر ينتمي إلى بني عذرة وهم بطن من من حمير اليمنيين. شاعر رقيق؛ فتنته بلخيلر ابن سهيل اربعوب بن ثعلبة العذرية (بثينة)؛ فخطبها إلى أبيها؛ فردّه، وزوجها من غيره. توفي جميل سنة 113هـ/731م. وفي العصر الأموي.
² أي أسرعت.

فليت إلى لقياك ناصية الفلا
بأيدي ركاب سِيرَهَنِّ نَمِيل
تسددني سهماً لكل ثنية
ضوامر أشباها القسيِّ نحول
وقد لفظتني الأرض حتى رمت إلى
ذراك برحلي هوجل وهجول¹
فقيدت أفراسي به وركائبي
ولذَّ مقام لي به وحول
وقد كنت ذا نفس عزوف وهمة
عليها لأحداث الزمان دَحُول²
وتهوى العلا حظي وتُغْري بـضده
لذاك اعترته رقة ونحول
وتأبى لي الأيام إلا إدالة
فصونك لي أن الزمان مديل

¹ الهوجل: المفازة البعيدة التي ليست بها أعلام. وهجول: المظمن من الأرض.
² أي المخادعة.

فكل خضوع في جنابك عزة
وكل اعتزاز قد عداك خمول

شعره

وبضاعته في الشعر مزجاة، وإن كان أعلم الناس
بنقده¹، وأشدهم تيقظاً² [لمواقعه الحسنة وأضدادها]³. فمن
ذلك قوله: ورفعته إلى السلطان ببلده رُندة، وهو إذا ذاك
فتى يملأ العين أبهة، ويستميل القلوب لباقه، وهي⁴، ومن
خطه نقلت⁵:

هل إلى رد عشيات الوصال
سبب أم ذاك من ضرب المحال
حالة يسري بها الوهم إلى
أنها تثبت براءاً باعتلال

¹ في ج: ((به))، وفي الزيتونة: ((بنبره)).

² في الإسكوريال: ((تفطناً)).

³ كتب بدل هذه العبارة في ج: ((لموافقة الحسن وضده)).

⁴ كلمة ((وهي)) أضيفت من الإسكوريال.

⁵ توجد هذه القصيدة أيضاً في نفح الطيب. وهي من بحر الرمل.

وليالي¹ ما تبقى بعدها
غير أشواقي إلى تلك الليال
إذ مجال الوصل² فيها مسرحي
ونعيمي أمر فيها ووال
ولحالات التراضي جولة
مزجت³ بين قبول واقتبال
فبوادي الخيف⁴ خوفي مسعد
وبأكناف منى أسنى نوال⁵
لست أنسى الأانس فيها أبداً
لا ولا بالعذل في ذاك أبال
وغزال قد بدا لي وجهه
فرأيت البدر في حال الكمال

¹ في نفح الطيب: ((وليال))؛ وهذا أصوب.

² في ج: ((الليل))،

³ في النفح: ((مرحت)).

⁴ الخيف قرية بين قرى عديدة ضمن وادي الصفراء؛ والتي تقع في الجنوب الغربي من المدينة المنورة؛ وتبعد عنها بـ 100 كم.

⁵ في النفح: ((موال)).

ما أَمال التيه من أعطافه
لم يكن إلا على فضل¹ اعتدال
خصَّ بالحسن فما أنت ترى
بعده للناس حظاً في الجمال
من تسلى عن هواه² فأنا
بسواه عن هواه غير سال
فلئن أتعبني حبي له
فكم نلت به أنعم حال
إذ لآلي³ حیده من قبلي
ووشاحاه يميني وشمال
خلف النوم لي السهد به
وترامى الشخص لا طيف الخيال
فيداوي⁴ بلماه ظمئي
مزجك الصبهاء بالماء الزلال

¹ في النفع: ((خصل)).

² في ج، والزيتونة: ((هواها)).

³ في النفع: ((إذ لآلي))؛ وهو أسلم.

⁴ نفسه: ((فتداوي)).

أو أشادت¹ ثنا الملك الـ
أوحد الأسمى الهمام المتعال
ملك إن قلت فيه ملكاً
لم تكن إلا محقاً في المقال
أيد الإسلام بالعدل فما
أن ترى رسماً لأصحاب² الضلال
ذو أياد شملت كل الورى
ومعال يالها خير معال
همة هامت بأحوال التُّقى
وصفات بالجلالات حوال
وقف النفس على إجهادها
بين صوم وصلاة ونوال³

¹ في النفح: ((أو إشادات بناء الملك)).

² في الزيتونة، والإسكوريال: ((أرباب)).

³ ورد هذا البيت في ج، والإسكوريال؛ بينما سقط في الزيتونة.

ومنها في ذكر القوم الموقع بهم¹:
وفريق من عتاة² عاندوا
أمره فاستوجبوا سوء نكال³
غرهـم طول التجافي عنهم
مع شيطان لهم كان⁴ موال
فلقد كانت بهم رنـدة أو
أهلها في سوء تدبير وحال
ولقد كان النفاق مذهبا
فاشيا بين هاتيك التلال
ما يعود اليوم إلا بادرُوا
برواة ونكيرات ثقـال
طوقوا النعمى فلما أنكروا
طوقوا العدل بذى البيض العوال

¹ هذه القطعة كلها؛ اعتباراً من الكلمة الأولى وهي: ((وفريق))؛ وإلى نهاية القطعة المنتهية بعبارة: ((في المأل)). كل ذلك لم يرد في نفع الطيب.
² في ج: ((عقاد))، وفي الزيتونة: ((عناة)).
³ في الإسكوريال: ((النكال)).
⁴ في ج: ((دال)).

[مأطل الدهر بهم غريمه
فهو الآن وفي بعد المطال
ولقد كنت غريم الدهر إذ
شدني جورهم شد عقل
ولكم نافرته مجتهداً
عندما ضاق بهم صدر احتمال]¹
أعقبوا جزاء ما قد أسلفوا
في الدنيا ويعقبوه في المال
وهي طويلة ومنها:
أيها المولى الذي نعمأؤه
أعجزت عن شكرها كنه المقال
ها أنا أنشدكم مهنئاً
من بديع النظم بالسحر الحلال

¹ الأبيات الثلاثة المحصورة بين حاصرتين؛ سقطت في ج، والزيتونة؛ بينما هي مذكورة في الإسكوريال. وقد جعل د. طويل: ضرب البيت هكذا: ((احتمالي))؛ إذ أضاف الياء.

فأنا العبد الذي حُبُّكم
لم يزل والله في قلبي وبال¹
أورقت روضة آمالي لكم²
وتولاها الكبير المتعال³
واقتنيت الجاه من خدمتكم
فهو⁴ ما أذخره من كنز مال⁵
ومنها:

يا أمير المسلمين هذه
خدمة تتبئ عن أصدق⁶ حال
هي بنت ساعة أو ليلة
سهلت بالحب في ذاك الجلال
ما عليها إذ أجادت مدحها
من بعيد الفهم يلغيها وقال

¹ جعلها د. طويل: ((وبالي)).
² في النفح: ((بكم)).
³ جاء هذا الشطر في الإسكوريال، والزيتونة، ونفح الطيب هكذا: ((مذ
تولاها الرباب المتوالي)).
⁴ في النفح: ((فهى)).
⁵ سقط هذا البيت في ج.
⁶ في الإسكوريال: ((صااق)).

فهي في تأدية الشكر لكم
أبدأً بين احتفاء واحتفال
وكتب رحمه الله يخاطب أهله من مدينة تونس¹:
حي حي بالله يا ريح نجد²
وتحمل عظيم شوقي ووجدي
وإذا ما بثت حالي فبلغ
من سلامي لهم على قدر ودي
ما تناسيتهم [وهل في مغربي]³
هم⁴ نسوني على تطاول بعدي
بي شوق إليهم ليس يُعزى
لجميل⁵ ولا لسكان⁶ نجد

¹ هذه القصيدة موجودة في نفع الطيب.

² في ج: ((مجد)).

³ في الإسكوريال: ((وها في يقيني)).

⁴ في الإسكوريال، والزيتونة ((ما))، وفي نفع الطيب: ((قد)).

⁵ المقصود هنا هو: جميل بن معمر؛ عاشق بثينة.

⁶ في ج: ((أسكان))، وفي الزيتونة: ((كساكن)).

يا نسيم الصبا إذا جئت قوماً
ملئت أرضهم بشيخ ورنند¹
[فتأطف عند المرور عليهم
وحقوا لهم علي فأدّ
قل لهم قد غدوت من وجدهم² في
حال شوق لكل رند³ وزند⁴]
وإن استفسروا حديثي فإني
باعثناء الإله بلغت قصدي

¹ الشيخ: نبات طبي متواجد في المناطق السهبية بشمال إفريقيا وسوريا وشمال جزيرة العرب وتركيا وإيران؛ لأوراقه رائحة عطرية قوية. من استعملاته الطبية: أنه مفيد لطرد الديدان من المعدة، وقاطع للبلغم، معالج للمغص ومخفف للبول السكري؛ وبالإضافة إلى ذلك؛ يستخدم الشيخ أيضاً كبخور؛ يمكنه تطهير المنازل من الروائح الكريهة، وطرد الهوام. أما الرند: فهو الغار؛ كما يسمى عند بعضهم. ويتواجد في آسيا الصغرى، وشمال إفريقيا، وجنوب أوروبا. وله استعمالات طبية. ويتخذ في الطبخ كتابل.
² في الزيتونة: ((أجلهم)).
³ نفسه: ((ورخد وندى)).
⁴ هاذان البيتان المحصوران بين حاصرتين سقطا في الإسكوريال؛ ووردا في ج، وفي الزيتونة.

فله الحمد إذ حباني بلطف
عنده قل كل شكر وحمد
[قال شيخنا أبو بكر؛ ولده: وجدت بخطه رحمة
الله عليه؛ رسالة خاطب بها أخاه أبا إسحاق إبراهيم؛
افتتحها بقصيدة أولها¹:
ذكر اللوى شوقاً إلى أقماره
فقضى أسي أو كاد من تذكره
وعلا زفير حريق² نار ضلوعه
فرمى على وجناته بشراره
لو كنت تبصر خطه في خده
لقرأت سرّ الوجد من أسطاره
يا عاذليه أقصروا فلربما³
أفضى عتابكم إلى إضراره

¹ هذه الفقرة المحصور بين حاصرتين؛ وردت هكذا في الإسكوريال؛ بينما كتبت في ج، والزيتونة كما يلي: ((وافتح مخاطبته لأخيه الأكبر أبي إسحاق إبراهيم بقصيدة أولها)). ولم ترد هذه القصيدة في الزيتونة؛ بينما هي موجودة في نفح الطيب؛ وهي من بحر الكامل.

² في الإسكوريال: ((رحيق)).

³ في الإسكوريال، والنفح: ((فلشد ما)).

إن لم تعينوه عليّ برجائه¹
لا تتكروا بالله خلع عذاره
ما كان أكتمه لأسرار الهوى
لو أن جند الصبر من أنصاره
ما ذنبه والبين قطع قلبه
أسفاً وأذكى النار في أعشاره
بخل اللوى بالساكنيه وطيفهم
وحديثه ونسيمه² ومزاره
يا برق خذ دمعي وعرج باللوى
فاسفحه في باناته وعراره
وإذا لقيت بها الذي بإخائه
ألقى خطوب الدهر أو بجواره
فاقرّ السّلام عليه قدر محبتي
فيه وترفيعي إلى مقداره

¹ في النّفح: ((عَلَى بُرْحَانِهِ))؛ وهو أسلم.
² في ج: ((ونسبته)).

وَأَلْمَمٌ بِسَائِرِ أَخَوْتِي وَقَرَابَتِي
من لم أكن لجوارهم بالكاره
ما منهم إلا أخ أو سيد
أبداً أرى دأبي على إكباره
فأثبت¹ لذاك الحي أن أخاهم
في حفظ عهدهم على استبصاره
ما منزل اللذات في أوطانه
كلا ولا السلوان من أوطاره²
وقال رحمه الله في غرض كلفه سلطانه القول فيه³:
ألا وأصل مواصلة العقار
ودع عنك التخلق بالوقار
وقم واخلع عذارك في غزال
يحق لمثله خلع العذار
قضييب مائس من فوق دعص
تعمم بالدجى فوق النهار

¹ في النفح: ((فابثث)).

² أضيف هذا البيت من الإسكوريال. ولم يرد في النفح أيضاً.

³ توجد هذه الأبيات أيضاً في نفح الطيب؛ وهي من البحر الوافر.

ولاح بخده ألف ولام
فصار معرفاً بين الدراري¹
رمانى قاسم والسين صاد
بأشفار تتوب عن الشفار
وقد قسمت محاسن وجنتيه
على ضديين من ماء ونار
فذاك الماء من دمعي عليه
وتلك النار من فرط استعار²
عجبت له أقام بربع قلبي
على ما شبّ فيه من الأوار
ألفت الحب حتى صار طبعاً
فما أحتاج فيه إلى ادكار
فمالي عن مذاهبه ذهاب
وهذا فيه أشعاري شعار³

¹ في الإسكوريال: ((الدرار)).

² في النفع: ((استعاري)).

³ نفسه: ((شعاري)).

وقال العلامة ابنُ رُشَيْدٍ في ((ملء العيبة))¹: لما قدمنا المدينة سنة 684 للهجرة²؛ كان معي رفيقي الوزير أبو عبد الله بن أبي القاسم الحكيم، وكان أرمَد³، فلما دخلنا ذا الحليفة⁴ أو نحوها، نزلنا عن الأكوار، وقوي الشوق لقرب المزار، فنزل وبادر إلى المشي على قدميه احتساباً لتلك الآثار، وإعظماً لمن حل في⁵ تلك الديار، فأحسّ بالشفاء؛ فأنشد لنفسه في وصف الحال قوله⁶:

¹ وهذا الكتاب يسجل رحلة؛ عنوانها بالكامل هو: ((ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة إلى الحرمين مكة وطيبة؛ للحافظ أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن رُشَيْدٍ الفهري السبتي؛ المولود بسبته سنة 1258/هـ 657م وتوفي بفاس سنة 721/هـ 1321م.

² الموافق لـ 1285م.

³ أي مصاب بداء الرمذ في عينيه.

⁴ تسمى أيضاً ((أبيار علي)). وهي ميقات أهل المدينة وبلاد الشام؛ وحدود الحرم المدني الشريف. وتقع على ضفاف وادي العقيق، وعلى سفح جبل عير الغربي؛ وتبعد عن المدينة المنورة بعشر كلم تقريباً. بها آبار؛ تستعمل للسقي والوضوء. ولها مسجد يسمى مسجد الشجرة؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجلس تحت ظل شجرة في ذلك الموضع، ويبتهل؛ محرماً للحج أو للعمرة.

⁵ سقطت كلمة ((في)) في النسخ.

⁶ لم ترد هذه القصيدة الوالية في مخطوط الزيتونة، ولا في مخطوط الإسكوريال. وهي من البحر الطويل.

ولما رأينا من ربوع حبيبنا
بيثرب أعلاماً أثرن لنا الحبا
وبالترب منها إذ كحلنا جفوننا
شفينا فلا بأساً نخاف ولا كربا
وحين تبدى للعيون جمالها
ومن بعدها عنا أدليت لنا قربا
نزلنا من¹ الأكوار² نمشي كرامة
لمن حل فيها أن نلم به ركبا
نُسحُ سجال الدمع في عرصاتها
ونلثم من حبّ لواطئه التربا
وإن بقائي دونه لخسارة
ولو أن كفي تملأ الشرق والغربا
فيا عجباً ممن يحبّ بزعمه
يقيم مع الدعوى ويستعمل الكتبا

¹ في النفح: ((عن)).

² الأكوار هنا مفردتها الكور؛ وهو: الرَّحْل: وفي ذلك يقول الشاعر العربي:
أناخ برمّل الكومحِين إناخة الـ * يمانى قلاصاً حط عنهنّ أكوارا

وزلات مثلي لا تعد كثيرة¹
وبعدي عن المختار أعظمها ذنبا
ومن شعره قوله²:
ما أحسن العقل وآثاره
لو لازم الإنسان إيثاره
يصون بالعقل الفتى نفسه
كما يصون الحر أسراره
لا سيما إن كان في غربه
يحتاج أن يعرف مقداره
وقوله رحمه الله³:
إني لأعسر أحيانا فيلحقني
يسر من الله إن العسر قد زال⁴

¹ في النفع: ((لا تُعَدَّدُ كَثْرَةً)).
² لم ترد هذه الأبيات في الزيتونة؛ بينما ذكرت مرتين في نفع الطيب؛ بحيث نسبت في الأولى لابن الحكيم؛ وفي المرة الثانية نسبت لصالح بن شريف. وهي من البحر السريع.
³ هذان البيتان وردا في نفع الطيب؛ ولم يردا في الزيتونة؛ وهما من البحر البسيط.
⁴ إحالة إلى قوله تعالى: [لِيُنْفِقُ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا]. سورة الطلاق؛ الآية: 7. وقوله سبحانه: [فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا]. سورة الشرح؛ الآية: 5. 6.

يقول خير الورى في سنة ثبتت

(أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا)¹

وهو من أحسن ما قاله رحمه الله. ومن شعره قوله²:

فقدت حياتي بالفراق³ ومن غدا

بحال نوى عمن يحب فقد فُقد

ومن أجل بعدي من⁴ ديار ألفتها

جحيم فؤادي قد تظنى وقد وقَد

وحكي أن ذا الوزارتين المترجم، لما اجتمع مع الفقيه

الكاتب ابن أبي مدين؛ أنشده ابن أبي مدين⁵:

¹ عجز هذا البيت ورد مثله في الأشعار؛ وهو مقتبس من حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وجاء في هذا الحديث: وروى البزار بإسناد حسن، والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه؛ قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم على بلال رضي الله عنه؛ وعنده صَبْر (كومات) من تمر؛ فقال: ((ما هذا يا بلال؟)). قال: أعدُّ ذلك (أي أدخره) لأضيافك. قال: ((أما تخشى أن يكون له دخان في نار جهنم. أنفق يا بلال؛ ولا تخش من ذي العرش إقلالا)). روى هذا الحديث أيضاً أبو هريرة.

² وهذان البيتان موجودان في نفع الطيب؛ وهما من البحر الطويل.

³ في ج، والنفع: ((بالعراق)).

⁴ في النفع: ((عن)).

⁵ هذان البيتان لم يردا في الزيتونة؛ بينما وردا في النفع؛ وهما من البحر الطويل.

عشقتكمو بالسمع قبل لقاكم
وسمع الفتى يهوى لعمر¹ كطرفه
وحببني ذكر الجليس إليكم
فلما التقينا كنتم فوق وصفه
فأنشده ذو الوزارتين ابن الحكيم قوله²:
ما زلت أسمع عن عليك كل سنا
أبهى من الشمس أو أجلى من القمر
حتى رأى بصري فوق الذي سمعت
أذني فوق بين السمع والبصر
ومن نظمه مما يكتب على قوس³:
أنا عدة للدين في يد من غدا
لله منتصراً على أعدائه
أحكي الهلال وأسهمي في رجمها
لمن اعتدى تحكي رجوم⁴ سمائه⁵

¹ في النفع: ((لعمري)).

² لم يد هذان البيتان في الزيتونة؛ ووردا في نفع الطيب؛ وهما من البحر البسيط.

³ وردت هذه الأبيات في نفع الطيب؛ وهي من البحر الكامل.

⁴ في النفع: ((نجوم)).

⁵ في ج، والزيتونة والنفع: ((نجوم سمائه)).

قد جاء في القرآن أني عُدَّة¹
إذ نصَّ خير الخلق محكم آيه²
وإذا العدو أصابه سهمي فقد
سبق القضاء بهلكه وفنائه
ومن توقيعه ما نقلته من خط ولده أبي بكر؛ في
كتابه المسمى بالموارد المستعذبة، وكان [بمدينة وادي آش]³
الفقيه [الكذا أبو عبد الله محمد بن غالب]⁴ الطريفي،
فكتب يوماً إلى [الشيخ]⁵؛ خاصة والدي [وخلصته] أبي
جعفر⁶ بن داود قصيدة [طويلة] على روي السين يشتكى⁷
يشتكى⁷ فيها من [جور]¹ مشرف بلدهم - إذ ذاك - أبي
القاسم بن حسان؛ منها²:

¹ إحالة إلى قوله سبحانه وتعالى: [وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ]. سورة الأنفال؛ الآية: 60.

² سقط هذا البيت في الزيتونة.

³ في ج: ((بوادي آشي)). وفي النفح: ((وكان بوادي آش الفقيه الطريفي)).

⁴ ما بين الحاصرتين أضيف من الزيتونة، والإسكوريال.

⁵ هذه الكلمة أضيفت من الزيتونة والإسكوريال.

⁶ وردت العبارة السابقة كلها في نفح الطيب هكذا: ((فكتب إلى خاصة والدي أبي جعفر...)).

⁷ في النفح: ((يتشكى)).

فيا صفيّ أبي العباس كيف ترى
وأنت كيّس³ من فيها من أكياس⁴
ولوّه إن كان ممن ترتضون به
فقد دنا الفتح للأشراف في فاس⁵
ومنها يستطر ذكر ذي الوزارتين [رحمه الله]⁶:
للشرق فضل منه أشرق شهب
من نورهم اقبسونا كل مقباس⁷
فوقع عليها رحمة الله تعالى عليه [ورضوانه]⁸:

¹ هذه الكلمة المحصورة بين حاصرتين؛ مع الكلمات الثلاث السابقة المحصورة أيضاً بحاصرتين؛ كلها إضافات من الزيتونة، والإسكوريال. وكلمة ((جور)) غير واردة في النفح.
² البحر البسيط.
³ في الإسكوريال، والنفح: ((أكيس)).
⁴ سقط هذا البيت في الزيتونة.
⁵ في الزيتونة: ((جلاس)).
⁶ أضيفت هذه العبارة من الإسكوريال.
⁷ في الزيتونة، والإسكوريال: ((أقباس)).
⁸ أضيفت هذه الكلمة من الزيتونة. وهي غير واردة في النفح. والأبيات من البحر البسيط.

إن أفرطت بآبن حسان غوائله
فالأمر يكسوه ثوب الذل والياس¹
وإن تَزَلُّ به في جوره قدم
كان الجزاء له ضرباً على الراس
فقد أقامني المولى بنعمته
لبث أحكامه بالعدل في الناس

كتابه

وهي مرتفعة عن نمط شعره². فمن ذلك رسالة كتبها
كتبها عن سلطانه في فتح مدينة قيجاطة³: ((من الأمير
فلان، أيده الله ونصره، [ووقفه لما يحب، حتى يكون
من قام بفرض الجهاد ونشره⁴. إلى ابنا الذي نمنحه الحب
الحب والرّضى، [ونسأل الله أن يهبه الخلال التي

¹ في النفح: ((ثوب الذكر والباس)).

² في الإسكوريال: ((تطمه)).

³ تسمى بالإسبانية Quesada؛ وتدخّل في أعمال ولاية جيان؛ وهي على
مقربة من نهر الوادي الكبير؛ في شمال مدينة جيان.

⁴ وردت هذه العبارة في الإسكوريال هكذا: ((وكافأ سعيه الذي وقفه على
إقامة فرض الجهاد ونصره)).

تستحسن¹، والشيم التي ترتضى، الولد الأنجب²،
الأرضى، الأنجد، الأرشد، الأسعد، محمد، وإلى الله
تعالى إسعاده، وتولى بالتوفيق والإرشاد سداً³؛ وأطلع
عليه من أنباء الفتوح المبشرة بالنصر المنوح، ما يكمل من
بغيته في نصر دين الإسلام [ويُسني]⁴ مراده.

أما بعد؛ حمد الله، الذي جعل الجهاد في سبيله
أفضل الأعمال؛ [الذي يقربه إلى رضاه]⁵، وندب إليه بما
وعد من الثواب عليه، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضْ
الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾⁶؛ تنبيهاً على محل الثقة، بأن الفئة
القليلة من أوليائه، تغلب الفئة الكثيرة من أعدائه⁷،

¹ وردت هذه العبارة في الإسكوريال هكذا: ((ونشكر الله على ما وهبنا من الخلال)).

² في الزيتونة، والإسكوريال: ((الأحب)).

³ في الزيتونة، والإسكوريال: ((مراده)).

⁴ أضيفت هذه الكلمة من الإسكوريال؛ أما الزيتونة؛ فقد ورد فيها: ((وينهي)).

⁵ أضيفت هذه العبارة من الزيتونة.

⁶ الآية كاملة هكذا: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ]. سورة الأنفال؛ الآية: 65.

⁷ إحالة إلى قوله تعالى: [فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزُوهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَافُوا اللَّهَ

وتدارك دين الإسلام بإنجاز وعده في قوله: ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾¹؛ على رغم أنف من ظن [أنه خاذله؛ تعالى الله عن خذلان جنده]²، والصلاة والسلام على نبيه ورسوله ومجتابه، لهداية الخلق لسلك سبيل الحق، والعمل بمقتضاه. قال تعالى فيما أنزل: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾³، تحريضاً على أن يحوا ظلام ضلالهم بنور هداة. صلى الله عليه وسلم؛ وعلى آله الأبرار، وأصحابه الأشداء على الكفار⁴، الذين جردوا في نصره

كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ). سورة البقرة؛ الآية: 249.

¹ الآية كاملة هكذا: [الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حَقِّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ). سورة الحج؛ الآية 40.

² في الزيتونة، والإسكوريال؛ كتب بدل هذا: ((إنه إن خذله أفاض الكفر دماء)).

³ الآية كاملة هكذا: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلظَةً وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ). سورة التوبة؛ الآية: 123.

⁴ إحالة إلى قوله تعالى: [مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا). سورة الفتح؛ الآية: 29.

دينه صوارم¹ العزم، وأمضوا ظباه، وفتحوا ما زوى له
من مشارق الأرض ومغاربها، حتى عمَّ الإسلام حدَّ
المعمور ومنتهاه.

فإننا كتبنا لكم. كتب الله لكم من سماع البشائر ما
يعود بتحويل² الأحوال، وأطلع عليكم من أنباء الفتوح
ما يلوح بأفاق الآمال³، مبشراً باليمن والإقبال. من
قيجاطة، وبركات ثقتنا بالله وحده، تظهر لنا عجائب
مكونات أطفاه، وتجنينا ثمار النصر في إبان قطافه،
وتسخر⁴ لنا ورد مشرع الفتح فترد عذب نطفاه، والحمد
لله الذي هدانا لأن نتقلد نجادها، ونمتطي جوادها،
ونستوري زنادها، ونستفتح بها⁵ مغالق المآرب، [ولطائف
المطالب⁶؛ حتى دخلت الملة الحنيفة في هذه الجزيرة
الأندلسية، أغوارها وأنجادها. وقد⁷ تقرر عند الخاص

¹ في ج: ((صارم)).

² في الإسكوريال: ((بتمهيد)).

³ في الإسكوريال، والزيتونة: ((الإيمان)).

⁴ نفسيهما: ((وتسجل)).

⁵ أضيفت هذه الكلمة من الإسكوريال.

⁶ في الإسكوريال: ((ونستسهل مصاعب المطالب)).

⁷ اعتباراً من كلمة ((وقد)) هذه؛ وحتى عبارة ((إلى بلوغ الأمانة
والمأمول)) هو كل ما ورد في نفع الطيب.

والعام من أهل الإسلام، واشتهر في جميع¹ الأقطار
اشتهار الصبح في سواد الظلام؛ أنا لم نزل نبذل جهدنا
في أن تكون كلمة الله هي العليا، ونسمح في ذلك بالنفوس
والأموال رجاء ثواب الله؛ لا لغرض² دنيا. أنا ما قصرنا
في الاستنصار والاستنفار³ ولا قصرنا⁴ عن الاعتضاد
لكل من أملنا معونته⁵ والاستظهار⁶، ولا اكتفينا بمطولات
بمطولات الرسائل وبنات الأفكار، حتى اقتحمنا بنفوسنا
لجج البحار، وسمحنا بالطارف من أموالنا والتلاد،
وأعطينا رجاء [نصرة الإسلام]⁷ موفور الأموال والبلاد،
واشترينا بما أنعم الله به علينا، ما فرض الله على كافة
أهل الإسلام من الجهاد؛ فلم يكن بين تلبية المدعو
وزهده، وبين قبوله ورده؛ إلا كما يحسو الطائر ماء

¹ في النفع: ((أفاق)).

² في ج، والنفع: ((لا لعرض الدنيا)).

³ في النفع: ((في الاستنفار والاستنصار)).

⁴ نفسه: ((ولا أقصرنا)).

⁵ في ج، والنفع: ((معاملته)).

⁶ ما بين الحاصرتين ساقط في الإسكوريال.

⁷ في الإسكوريال، والزيتونة: ((نصرة الله)).

الشماد¹، ويأبى الله أن يكل نصر² هذه الجزيرة إلى سواه، وأن يجعل فيها سبباً إلا لمن أخلص لوجهه الكريم علانيته ونجواه.

ولما أسلم الإسلام بهذه الجزيرة الغربية³ إلى مثاويه⁴، وبقي المسلمون يتوقعون حادثاً ساءت ظنونهم لمباديه؛ ألقينا إلى الثقة بالله تعالى [وحده⁵ يد الاستسلام، وشميرنا عن ساعد الجد والاجتهاد⁶ في جهاد جهاد عبدة الأصنام، وأخذنا بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾⁷ أخذ الاعتزام، فأمدنا الله تعالى تعالى بتوالي البشائر، ونصرنا بالطفاف أغنى فيها خلوص الضمائر عن قواد⁸ العساكر، ونقلنا¹ على أيدي قوادنا

¹ يقصد قليلاً قليلاً؛ تشبيهاً بتناول الطائر لماء الشماد؛ أي القليل الذي ينضب صيفاً. وقد سبق لأعراب أن قال في هذا: لا أدوق النوم إلا غراراً* مثل حسو الطير ماء الشماد
² في النفع: ((نصرة الإسلام بهذه الجزيرة إلى سواه؛ ولا يجعل فيها شيئاً إلا لمن...)).
³ في ج: ((الغربية))، وفي الزيتونة: ((العربية)).
⁴ في النفع: ((مناويه)).
⁵ أضيفت هذه الكلمة من الإسكوريال.
⁶ كلمة ((الاجتهاد))؛ غير واردة في النفع.
⁷ الآية كاملة هكذا: [وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ]. سورة البقرة؛ الآية: 195.
⁸ في الإسكوريال، والزيتونة، والنفع: ((قود)).

ورجالنا من السبايا والغنائم، ما عُدَّ² ذكره في الآفاق
كالمثل السائر: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾³،
وكيف يحصيها المحصي أو يحصرها الحاصر. وحين أبدت لنا
العناية الربانية وجوه الفتوح⁴ سافرة المحيا، وانتشقتنا
نسيم⁵ النصر الممنوح عبق الريا، استخرنا الله تعالى في
الغزو بأنفسنا⁶، ونعم المستخار، وكتبنا إلى من قرب من
عمالنا⁷ بالحضّ على الجهاد والاستنفار.

وحين وافى من خف للجهاد من الأجناد
والمطوعين، وغدوا بحكم رغبتهم في الثواب على طاعة
الله مجتمعين، خرجنا بهم، ونصر الله تعالى أهدي دليل،
وعناية الله بهذه الفئة المفردة من المسلمين، تقضي⁸
بتقريب البعيد من آملنا، وتكثير القليل. ونحن نسأل الله

¹ في النفع: ((ونقلنا))؛ أي منحنا ما غنمناه.

² نفسه: ((ما غدا)).

³ الآية كاملة هكذا: [وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ]. سورة إبراهيم؛ الآية: 34.

⁴ في ج، والنفع: ((الفتح)).

⁵ أضيفت هذه الكلمة من الإسكوريال. وكتبت في النفع: ((نسانم)).

⁶ في النفع: ((بنفسنا)).

⁷ نفسه: ((من أعمالنا)).

⁸ في الزيتون: ((تقتضي)).

تعالى أن يحملنا على جادة الرّضا والقبول، وأن يرشدنا إلى طريق يفضي¹ إلى بلوغ الأمانة والمأمول²؛ إلى أن حللنا عشية يوم الأحد ثاني يوم خروجنا بمقربة³ حصن اللقوة⁴، اللقوة⁴، فأدرنا به التدبير، واستشرنا من أوليائنا من تحققنا تحققنا نصحه فيما يشير، فاقتضى الرأي المقترن بالرشاد، المؤذن بالإسعاد، قصد قيجاطة؛ [لما رجي من]⁵ تيسير فتحها، وأملا في إضاءة فجر الأمانى لديها، وبيان صباحها. فسرنا [نحوها]⁶ في جيش، يجر على المجرة ذيل النقع المثار، ويضيق عن كثرته واسع⁷ الأقطار، ويقر عين عين الإسلام، بما اشتمل عليه من الحماية والأنصار [تطير بهم نياتهم]⁸ بأجنحة العزم إلى قبض أرواح الكفار. فلما وصلنا إلى وادي يانه⁹؛ على مقربة منها. نزلنا به نريح

¹ في النّفح: ((تفضي)).

² هنا ينتهي النص الوارد في النّفح؛ والذي بدأ بعبارة: ((وقد تقرر)).

³ في ج، والزيتونة: ((بمقربة)).

⁴ في الإسكوريال: ((اللقون)).

⁵ في ج: ((رغبة في تيسير))، وفي الزيتونة: ((من تيسير)).

⁶ أضيفت هذه الكلمة من الإسكوريال.

⁷ في الزيتونة: ((واسعة))، وفي الإسكوريال: ((واسعات)).

⁸ في ج: ((يطير بهم ثباتهم))، وفي الزيتونة: ((يطير بهم ثيابهم)).

⁹ هو نهر بالقرب من قيجاطة؛ وإلى الشرق منه؛ ويسمى بالإسبانية

.Guadiana

الجياد، ونكمل التأهب للقتال الاستعداد. وبات المسلمون
ليلتهم يسألون الله تعالى بأن يمنحهم¹ الإعانة بتأييده
والإمداد.

وحين فجر الفجر وأنار النهار، وقدحت به الأصباح
زند الأنوار، ركبنا إليها والعساكر قد انتظمت عقودها
والسيوف قد كادت تلفظها غمودها، وبصائر الأولياء
المجاهدين قد لاح من نصر الله تعالى معهودها. فلما
وصلناها، وجدنا ناسنا قد سبقوا إليها بالبؤس، وهتكوا
ستر عِصْمَتِهَا المحروس، [وأذن لها]² بزوال النعم، وذهاب
وذهاب النفوس، فعاجلها الأولياء بالقتال، وأهدوا إليها
حمر المنايا من زرق النصال، [ورشقوا جنودها بالنبال،
وجدوا بنات الآجال]³، فلما رأوا ما لا طاقة لهم به، لاذوا
لاذوا بالفرار من الأسوار، وولوا الأدبار، وودعوا الديار
وما فيها من الآثار. وتسّم المسلمون ذروة البلد الأول

¹ في الزيتون: ((يلهم))، وفي الإسكوريال: ((يلهمهم)).
² في ج: ((وخذلوها))، وفي الزيتون: ((وأخرجها))؛ وصوبت من الإسكوريال.
الإسكوريال.
³ وردت بدل هذه العبارة في الإسكوريال والزيتونة؛ عبارة أخرى هي:
((ورشقو جردها بمدنيات من الآجال)).

فملكوه، وخرقوا حجاب الستر المسدول عليه وهتكوه،
وتسرعوا إلى البلد الثاني، [وقد ملأ النصارى أسواره]¹
من حماة رجالهم، وانتقوهم من متخيري أبطالهم، ممن
وثقوا بإقدامه في حماية ضلالهم، فحمل عليهم²
المسلمون حملة عرفوهم بها كيف يكون اللقاء، [
وصرفوهم إلى ما تنصرف إليه أرواحهم من الشقاء]³،
وأظهروا لهم [من صدق العزائم]⁴ ما علموا به أن لدين
الإسلام أنصاراً؛ لا يرغبون بأنفسهم عن الذب عنه
وحماية راياته، ولا يصدرون إلا إلى طاعة الله ابتغاء
مرضاته.

وبادر جماعة إلى إضرار باب المدينة بالنيران،
وعقدوا تحت سماء العجاج منها سماء الدخان، ورموا
النصارى [من النبال]⁵ بشهب تتبع منهم كل شيطان. فهزم
الله النصارى؛ وولوا أذبارهم، وقذف الله في قلوبهم

¹ في ج: ((وقد ملئوا أسواره))، وفي الزيتونة: ((القصر إلى)).

² في ج: ((عليه))؛ وصويت من الزيتونة، والإسكوريال.

³ في الإسكوريال، والزيتونة: ((وأعلموهم بصدقها أن أقرب الأحوال إليهم الشقاء)).

⁴ في ج: ((وأظهروا لهم من الصدق عن الغنايم)).

⁵ أضيفت هذه العبارة من الإسكوريال.

الرب¹، فأخلوا بروجهم وأسوارهم، وتسنّمها المسلمون
معلنين شعار الإسلام، رافعين من الرايات الحمر كواكب
في سماء السعادة تبشر بتيسير كل مرام²، ودخلوا المدينة،
فألفوا بها من القوت والعتاد، والمتاع الفاخر، الذي يربو
على العتداد؛ [ما ملأ³ كل يمين وشمال، وظهروا عليها
بعد بلوغ الأماني على الكمال،] وقتلوا بها من الحماة
أعداء؛ أبدوا في حماية ضلالهم ماضي الفنا والاعتزام⁴
وأعملوا فيهم ماضي العوامل وشبا الإضرام. وارتفع
النصارى إلى القسبة لائذين بامتناعها، معتصمين بعلوها
وارتفاعها، متخيلين [لضلالهم، وعدم استبصارهم⁵؛ أن
نور الهدى لا يحل بديارهم؛ فرأينا أن نُرقي الرجال إلى
أبراج البلد وأسواره، وأمرناهم أن يبيتوا طول ليلتهم
مضيقين على من اعتصم بالقسبة في حصاره، وعمدنا

¹ إشارة إلى قوله تعالى: [وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صِبَايِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا]. سورة الأحزاب؛ الآية: 26.

² في الزيتونة: ((مراد)).

³ في ج: ((فمئلوا)).

⁴ في ج: ((وقتلتوا من بها من أهل الضلال والظلام)).

⁵ جاءت هذه العبارة في الإسكوريال والزيتونة هكذا: ((متخيلين لاستبصارهم في ضلالهم)).

بالعسكر المظفر إلى موضع استيطانه من المحلة المنصورة
واستقراره.

فلما بدا ضوء الصباح بنور الإشراف، ولاح وجهه¹
الغزاة طارحاً شعاعه على الآفاق، أمرنا بترتيب العساكر
على القصبة للحصار، وعينا لكل جماعة مهتم جهة
يبادرون إلى منازلها بالقتال أشد² البدار، فأنتهى
المسلمون من ذلك [إلى غاية لم³ تخطر للكافرين
ببال، وجرعوههم كؤوس المنايا، وأداروا بها بنات
الحنايا، [فأفضت السجال⁴ وأظهر الكفار، مع وقوعهم
في بحر الموت صبراً وطمعوا، أن يقيموا بذلك لصلبانهم
عذراً.

فلما رأوا من عزمنا ما لم تتخيله ظنونهم
وأوهامهم، وصابروهم المسلمون عند النزال مصابرة عظم
فيها إقدامهم [وثبتت أقدامهم⁵ ألقوا بأيديهم إلى

¹ في الزيتونة، والإسكوريال: ((قرن)).

² في الإسكوريال: ((أوفى)).

³ في ج: ((الذي لم)).

⁴ هذه العبارة أضيفت من الإسكوريال.

⁵ أضيفت هذه العبارة من الإسكوريال.

التهلكة، إلقاء] من هاله لمعان الأسنة، واهتزاز رُدِّيَّيات القنا]¹، ولاذوا بطلب الأمان لياذ الغريق بالساحل، بعد ما أشرف على الفنا، وهبط زعيمهم، مقتحماً خطر تلك المسالك، متضرعاً تضرع من طمع في الحياة بعد ما أخذته أيدي المهالك، وشرط أن يملكنا القصبية. ويبقى خديماً لنا بما بيده من البلاد الكثيرة،] والكتيبة² المتخبة، فلم يظهر له عند ذلك قبولاً،] ولم نجعل له³ إلى تكميل ما رغب فيه سبلاً، فقاده البأس الشديد إلى الإذعان، ورغب أن يكمل ما نريده على شرط⁴ الأمان؛ فأسعفنا رغبته على شروط، بَعْدَ عهدُ المسلمين بمثلها،] وهيئت الأسباب بما نعتمده⁵ من الثقة بالله وحده في أمورنا كلها، وذلك على كذا وكذا.

وحين كملت الشروط حق التكميل، وظهرت لنا] منه⁶ أمارات الوفاء الجميل، دخلنا القصبية حماها

¹ هذه العبارة ساقطة في الإسكوريال؛ بينما هي واردة في ج، والزيتونة.

² أضيفت هذه الكلمة من الإسكوريال.

³ في الإسكوريال: ((ولا جعلنا له)).

⁴ في ج، والزيتونة: ((شروطاً)).

⁵ في الإسكوريال: ((وهيأت أسبابها ما يعتمد)).

⁶ أضيفت هذه الكلمة من الإسكوريال.

الله، وقد أغنى [يوم¹] النصر عن شهر السلاح، كما أغنى ضوء الصبح [عن نور المصباح²]، ورفعت على أبراجها حمر الأعلام، ناطقة عن الإسلام، بالتعريف والإعلام. وفي الحين وجهنا من يقبض تلك الحصون، ويزيل ما بها من جرم³ الكفر المأفون أمناء رجالنا. فالحمد لله على هذه النعمة التي أحدثت للقلوب استبشاراً، وخفضت [علم التثليث⁴]، ورفعت للتوحيد مناراً، وأظهرت للملة الحنيفة على أعدائها اعتلاء واستكباراً.

وهذا القدر من الفتح؛ وإن كان سامي الفخر، باقي الذكر بقاء الدهر، فإننا لندرجو من فضل الله أن يُتبعه⁵ بما هو أعلى منه متانة، وأعظم⁶ في قلوب أهل الإيمان موقعاً موقعاً وأعز مكانة، وأن يرغم بما يظهر على أيدينا من عزّ الإسلام، أنف من أظهر له عناداً وخذلاناً. فاستبشروا بهذا

¹ أضيفت هذه الكلمة من الزيتون.
² في الإسكوريال: ((ما فعل المصباح)).
³ في الزيتون، والإسكوريال: ((حريم)).
⁴ في الزيتون: ((علما))، وفي الإسكوريال: ((للشرك علماً)).
⁵ في الإسكوريال: ((يشفعه)).
⁶ في الزيتون: ((وأسنى)).

الفتح العظيم وبشروا، واشكروا الله عليه، فواجب أن تشكروا. وقد كتبنا هذا، ونحن على عزمنا في غزو بلاد الكفار، والسعي الحميد [إلى التنكيل بهم]¹ والإضرار، والمسلمون أعزهم الله في أرضهم يشنون المغار²، ويمتلكون الأنجاد منها والأغوار، ويكثرون القتل والأسار، ويُحَكِّمُونَ أينما نزلوا السيف والنار. [والسلام]]³.

ومن نثر آخر إجازة ما صورته⁴

[وها أنا أجري منه⁵ على حسن معتقده وأكله في هذا الغرض إلى ما رآه بمقتضى تودده، وأجيز له ولولديه، أقر الله بهما عينه، وجمع بينهما وبينه، رواية جميع ما نقلته وحملته⁶، وحسن اطلاعه يفصل من ذلك ما أجملته، فقد أطلقت لهم الإذن في جميعه، وأبجت لهم

¹ في الزيتونة، والإسكورييل: ((في القطع بهم)).

² في الزيتونة: ((الغارات))، وفي الإسكوريال: ((المغوار)).

³ سقطت هذه الكلمة في ج.

⁴ ورد هذا النص في نفح الطيب، وأزهار الرياض؛ الذي كتب فيه:

((بخاطب ابن الجياب الشيخ أبا علي عمر الجراوي)).

⁵ في النفح، والأزهار: ((معه)).

⁶ في الأزهار: ((ما حملته ونقلته)).

الحمل عني، ولهم الاختيار في تنويعه. والله سبحانه وتعالى يخلص¹ أعمالنا لذاته، ويجعلها في ابتغاء مرضاته. قال هذا محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم² حامداً لله عز وجل، ومصلياً ومسلماً³.

وفاته

قُتل رحمه الله صبيحة عيد الفطر؛ من عام ثمانية وسبعمائة⁴، وذلك لتاريخ خلع سلطانه. واستولت يد الغوغاء على منازلهم، شغلهم بها مدبر الفتنة، خيفة من أن يعاجلوه قبل تمام أمره. فضع بها مال لا يكتب، وعروض لا يعلم لها قيمة من: الكتب، والذخيرة والفرش، والآنية، والسلاح، والمتاع، والخُرثي؛ وأخفرت ذمته⁵.

¹ في الأزهاري: ((والله عز وجل يخلص...)).

² جاء في أزهاري الرياض: ((قال هذا وكتبه محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد اللخمي بن الحكيم؛ عفا الله عنه؛ حامداً لله عز وجل، ومصلياً على رسوله المصطفى، ومسلماً عليه وعلى آله. منتصف جمادى الآخرة عام ثلاثة وسبعمائة)).

³ لم ترد هذه الفقرة كلها؛ المحصورة بين حاصرتين في الزيتونة، ولا في الإسكوريال؛ بينما وردت في ج.

⁴ الموافق لـ 1308م.

⁵ أي نقضت عهوده، واتهكت حرمة.

وَتُعَدِّي بِهِ عُدْوَةَ الْقَتْلِ إِلَى الْمُثَلَّةِ¹. وَقَانَا اللَّهَ مَصَارِعَ
السُّوءِ؛ فَطِيفَ بِشَلْوِهِ، وَانْتَهَبَ؛ فَضَاعَ [وَلَمْ يَقْبُرًا]².
وَجَرَتْ فِيهِ شِنَاعَةٌ كَبِيرَةٌ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

مولده

برُنْدَةٌ ظَهَرَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ
الْأَوَّلِ الْمُبَارِكِ؛ مِنْ عَامِ سِتِّينَ وَسِتْمِائَةَ³. وَمِنْ رِثَائِهِ شَيْخُنَا
أَبُو بَكْرِ بْنِ شَبْرِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ⁴:

[سَقَى اللَّهُ أَشْلَاءَ كَرُمُنْ عَلَى الْبَلَى

وَمَا غَضَ مِنْ مَقْدَارِهَا حَادِثَ الْبَلَا

وَمِمَّا شَجَانِي أَنْ أَهَيْنَ مَكَانَهَا

وَأَهْمَلُ قَدْرَ مَا عَهَدَنَاهُ مَهْمَلًا

أَلَا اصْنَعْ بِهَا يَا دَهْرُ مَا أَنْتَ صَانِعٌ

فَمَا كُنْتَ إِلَّا عَبْدَهَا الْمَتَذَلًّا]⁵

¹ أي التمثيل والتنكيل قبل وبعد القتل.

² في الزيتونة والإسكوريال: ((فلم يجبر)).

³ الموافق لـ 1261م.

⁴ توجد هذه القصيدة أيضاً في نفح الطيب. وهي من البحر الطويل.

⁵ لم يرد من هذه القصيدة في الزيتونة سوى هذه الأبيات الثلاثة الواردة بين حاصرتين.

سفكت وما كان الرقوء نواله
لقد جئتها¹ شنعاء فاضحة الملا
(يكفي سبنتي أزرق العين مطرق)²
عدا فغدا في غيه متوغلا
لنعم قنيل القوم في يوم عيده
قنيل تبيكه المكارم والعللا
ألا إن يوم ابن الحكيم لمتكل
فؤادي فما ينفك ما عشت متكلا
فقدناه في يوم أغر محجل
ففي الحشر نلقاه أغر محجلا
سمت نحوه الأيام وهو عميدها
فلم تشكر النعمى ولم تحفظ الولا
تعاورت الأسياف منه ممدحا
كريما سما فوق السماكين منزلا³

¹ في النفع: ((جنتما)).

² هذا الشطر؛ هو عجز بيت من قصيدة قالها جزء بن ضرار أخو
الشمخ في عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ويقول في ذلك البيت:

وما كنت أخشى أن تكون وفاته * وبكفي سبنتي أزرق العين مطرق
³ في ج، والنفع: ((مرحلا)).

وخانته رجل في الطواف به سعت
فناء بصدر للعلوم تحملا
وجدل لم يحضره في الحي ناصر
فمن مبلغ الأحياء أن مهلهل¹
يد الله في ذاك الأديم ممزقاً²
تبارك ما هبت جنوباً وشمالاً
ومن حزني أن لست أعرف ملحداً
له فأرى للترب منه مقبلا
رويدك يا من قد غدا شامتاً به
فبالأمس ما كان العماد المؤملا
وكنا نغادي أو نراوح بابيه
وقد ظل في أوج العلا متوقلا
ذكرناه يوماً فاستهللت جفوننا
بدمع إذا ما أمحل العام أخضلا

¹ أشار هنا إلى قول الشاعر في مهلهل بني ربيعة:
من مبلغ الحيين أن مهلهل * أضحى قتيلا في الفلاة مجندلا
² وهنا أيضاً إشارة إلى قول ابن ضرار:
عليك سلام من أمير وباركت * يد الله في ذاك الأديم الممزق

ومازجَ منه الحزن طول اعتبارنا
ولم ندر ماذا منهما كان أطولا
وهاج لنا شجواً تذكر مجلس
له كان يُهدي الحي والملا الألى
به كانت الدنيا تؤخر مديراً
من الناس حتماً أو تقدم مقبلاً
لتبك عيون الباقيات على فتى
كريم إذا ما أسبغ العرف أجزلاً
على خادم الآثار تتلى صحائفا
على حامل القرآن يتلى مفصلاً
على عضد الملك الذي قد تضرعت
مكارمه في الأرض مسكاً ومندلاً
على قاسم الأموال فينا على الذي
وضعنا لديه كل إصر على علا
وأنى لنا من بعده متعلل
وما كان في حاجاتنا متعللاً

ألا يا قصير العمر يا كامل العلا
يميناً لقد غادرت حزناً مؤثلاً
يسوء المصلى أن هلكت ولم تقم
عليك صلاة فيه يشهدا الملا
وذاك لأن الأمر فيه شهادة
وسنتها محفوظة لن تبدلا
فيا أيها الميت الكريم الذي قضى
سعيداً حميداً فاضلاً ومفضلاً
لنتهل¹ من رب السماء شهادة
تلاقي ببشرى وجهك المتهللاً
رثيتك عن حب ثوى في جوانحي
فما ودع القلب العميد [وما قلا]²
ويا رب من أوليته منك نعمة
وكنت له ذخراً عتيداً وموئلاً

¹ في النفع: ((لتهنك)).

² في الإسكوريال: ((ولا قلا)). وقد اقتبسها من قوله سبحانه وتعالى: [مَا
وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى]. سورة الضحى؛ الآية: 3.

تناساك حتى ما تمر بباله
ولم يدكر ذاك الندى والتفضلا
يرابض في مثواك كل عشية
صفيف شواء أو قديداً معجلاً¹
لحى الله من ينسى الأذمة رافضاً
ويذهل مهما أصبح الأمر مشكلاً
حماميك يا بدر الهدى فلشد ما
تركت بدور الأفق بعد² أفلاً
وكنت لأمالي حياة هنيئة
فغادرت مني اليوم قلباً مقتلاً
فلا وأبيك الخير ما أنا بالذي
على البعد يثسي³ من ذمامك ما خلا
فأنت الذي أويتني متغرباً
وأنت الذي أكرمتني متطفلاً

¹ في النفع (قديراً معجلاً). وهي مأخوذة من قول امرئ القيس في معلقته:
ظل طهاة اللحم من بين منضج * صفيف شواء أو قدير معجل
² في النفع: ((بعدك)).
³ هكذا في النص الأصلي؛ وكتبت في النفع: ((يئسي))؛ وهو أصوب.

فإن لم أنل منك الذي كنت آملاً
فما كنت إلا المحسن المتفضلاً¹
فأليت لا ينفك قلبي مكمداً
عليك ولا ينفك دمعي مسبلاً

¹ أضيف هذا البيت من الإسكوريال. وهو غير وارد أيضاً في نفع الطيب.

محمد بن عبد الرحمن

القيلي الجراوي¹؛ من أهل وادي آش؛ وسكن غرناطة.

حاله

فقيه أديب متطبب، متفنن في علوم جمّة، شاعر مطبوع؛ يكنى أبا بكر. مدح الأمير علي بن يوسف اللمتوني بقوله²:

رحلوا الركائب موهناً

فأذاع عرفهم السنّا

والحلي قد أغرى بهم

لما ترنّم معانّا

كم حفّ حول حماهم

من كل خطّار القنا

¹ وردت هذه الترجمة في مخطوط الإسكوريال فقط.
² مجزوء الكامل.

قال أبو جعفر بن الزبير: ينفك منها قصايد¹:
رحلوا الركاب موهناً ليكتموا
ظعن الحمول وهل تواري الأنجم
فأذاع سرهم السنا ورمى بهم
فلُّ الذميل شذاهم المتنسم
كم حف حمل قبابهم وركابهم
من ليث غاب في برائته الدم
من كل خطار القناة مموه
بين الرحيل نصبه يستسلم

وهي طويلة، خاطب بها أمير المسلمين علي بن
يوسف بن تاشفين. وقال في وصف القصيدة²:
أيا ملكاً يسمو بسعد مساعد
وقدرٍ على علو الكواكب صاعد

¹ البحر الكامل.
² البحر الطويل.

نظمت قصيداً في علاك مضمناً
ثلاث قواف في ثلاث قصائد
إذا فصلت أغنى عن البعض بعضها
وإن وصلت كانت ككعب وساعد

فأجازه بظهير كريم ؛ بتحرير ماله وتنويهه.

* * *

محمد بن عبد الرحمن¹

المُتأهل؛ من أهل وادي آش؛ يعرف² بعماستي.

حاله

من التاج: ناظم أبيات، وموضح غرر وشيات،
وصاحب توقيعات رفيفات، وإشارات ذوات شارات،
وكان شاعراً مكثراً، وجواداً لا يخاف³ عثاراً. أدخل على
أمير بلده المخلوع عن ملكه، بعد انتشار⁴ سلكه، وخروج
الحضرة عن ملكه، واستقراره بوادي آش، مروع⁵ البال،
معللاً بالآمال، وقد بلغه دخول طبرنش في طاعته،
فأنشده من ساعته⁶:

خذها إليك طبرنشا

شفع بها وادي الأشا⁷

¹ هكذا في مخطوط الزيتونة؛ وبالتحديد في آخر جزئه الأول. بينما جاء

الاسم في الإسكوريال: ((عبد الرحيم)).

² في الزيتونة: ((المعروف)).

³ نفسه: ((يخلف)).

⁴ نفسه: ((استنثار)).

⁵ نفسه: ((موروع)).

⁶ مجزوء الكامل.

⁷ يقصد وادي آشي.

والأم تتبع بنتها
والله يفعل ما يشا
ومن نوادره العذبة يطلب خطة الحسبة¹:
أنلني يا خير البرية خطة
ترفعني قدراً وتكسبني عزاً
فأعتز في أهلي كما اعتزّ بيدق²
على سفرة الشطرنج لما انثنى فرزاً
فوقع الأمر بظهر رقعته، ما ثبت في حرف النون عند
ذكره؛ والاحتجاج بفضله.

وفاته

كان حياً بعد سنة سبع عشرة وسبعمائة³. وفد على
الحضرة مرات كثيرة.

¹ البحر الطويل.
² البيدق: هو الجندي في لعبة الشطرنج؛ ويعتبر البيدق أضعف قطعة في
تلك اللعبة وأكثرها عدداً.
³ الموافق لـ 1317م.

محمّر

ابن عبد الملك بن محمّر بن محمّر بن طفيل القيسي¹؛
من أهل وادي آش، يكنى أبا بكر.

حاله²

كان عالماً، صدرًا، حكيماً، فيلسوفًا، عارفًا
بالمقالات والآراء، كلفًا بالحكمة المشرقية، محققًا، متصوفًا،
طبيبًا ماهرًا، فقيهاً بارع الأدب، ناظمًا، ناثرًا، مشاركًا في
جملة من الفنون³.

¹ توجد ترجمة محمد بن طفيل في: المعجب، والمقتضب من كتاب تحفة
القادم، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء؛ وضمن ترجمة أبي الوليد بن
رشد. والأعلام للزركلي. ودائرة المعارف الإسلامية، ومعجم المطبوعات.
² سقطت في الإسكوريال.

³ كان ابن طفيل فيلسوفًا ومفكرًا وقاضياً وطبيباً وفلكياً. ويعتبر بمثابة الأب
الروحي للنزعة الطبيعية في التربية؛ وذلك من خلال كتابه "حي بن يقظان"؛
الذي سعى فيه للتوفيق فلسفياً بين المعرفة العقلية، والمعرفة الدينية.

مشيخته

روى عن أبي محمد الرُّشاطي، وعبد الحق بن عطية،
وغيرهما¹.

حُظوته ودخوله غرناطة

اختص بالريس² أبي جعفر، وأبي الحسن بن مَلْحان.
قال ابن الأبار في تحفته³: وكتب لوالي غرناطة وقتاً⁴.

¹ من بين شيوخه أيضاً أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ السرقسطي المعروف بابن باجة.

² هكذا.

³ هو أبو عبد محمد بن عبد الله بن الأبار القضاعي؛ وكتابه هو المقتضب من تحفة القادم.

⁴ بعدها؛ أصبح طبيباً خاصاً للخليفة الموحي أبي يعقوب يوسف؛ وذلك سنة 558هـ/1162م. وبقي على ذلك إلى يوم وفاته بمراكش 581هـ/1185. وكان محبوباً لديه، شغوفاً بأعماله وأقواله؛ حتى أنه كان يقيم عنده أياماً؛ ليلاً ونهاراً؛ فلا يظهر. وكان له الفضل في استقدام بعض العلماء إلى بلاط الدولة الموحدية بمراكش؛ مثل تلميذه وخليفته ابن رشد.

توالمفه

رسالة حيّ بن يقظان¹، والأرجوزة الطيّبة المجهولة²،
وغير ذلك³.

شعره

قال: وهو القايل من قصيدة في فتح قفصة⁴
سنة ست وتسعين⁵؛ وأنفذت إلى البلاد:

¹ حي بن يقظان: حكاية أسطورية؛ ذات معزى فلسفي؛ تسرد قصة المدعو حي بن يقظان؛ الذي نشأ في جزيرة خالية وحيداً. وهذه القصة ترمز للإنسان ككل، وعلاقته بالكون والدين. وأول من شرع في نسج هذه الأسطورة هو الفيلسوف ابن سينا؛ ثم واصل ذلك العمل شهاب الدين السهروردي؛ وبعدها تولى كتابتها الفيلسوف الأندلسي ابن طفيل. وفي الأخير عمل ابن النفيس على مواصلة رواية هذه القصة غير أن أشهر هذه الأعمال الأربعة هي قصة ابن طفيل؛ التي التصقت به وعرفت باسمه. وقد تأثرت الآداب الغربية بقصة ابن طفيل هذه؛ فترجمت إلى لغات عديدة؛ مثل: اللاتينية، والعبرية، والإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والهولندية. وكتب على غرارها قصة روبنسون كروز، وقصة طرزان.

² عدد أبيات هذه الأرجوزة 7700.

³ عقدت بينه وبين الفيلسوف ابن رشد مباحث ومراجعات في ((رسم الدواء))؛ جمعها ابن رشد في كتاب الكليات. ولابن طفيل أيضاً رسالة في النفس؛ وهي رسالة فلسفية.

⁴ قصة: مدينة في الجنوب الغربي التونسي الآن. وهي مقر ولاية.

⁵ صحح عنان هذا التاريخ بـ: 576هـ/1180م. وهو التاريخ الذي فتح فيه أبو يعقوب الخليفة الموحد مدينة قفصة بإفريقية؛ بعد عصياتها؛ ونبذها للطاعة. وكان رفقة الخليفة - في هذا الفتح - ابن طفيل. وهذا التاريخ يتطابق مع ما جاء في البيان المغرب.

ولما انقضى الفتح الذي كان يرتجى
وأصبح حزب الله أغلب غالب
وانجزنا وعد من الله صادق
كفيل بإبطال الظنون الكواذب
وساعدنا التوفيق حتى بينت
مقاصدنا مشروحة بالعواقب
وأذعن من عليا هلال بن عامر¹
أبي ولبيّ الأمر كل مجانب
وهبوا إذا² هب النسيم كما³ سرى
ولم يتركوا بالشرق علقة آيب
يغص بهم عرض الفلا وهو واسع⁴
وقد زاحموا الآفاق من كل جانب

¹ هم بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. استعانت بهم الدولة الموحدية أثناء حروبها مع أعدائها.

² في البيان المغرب: ((كما)).

³ نفسه: ((إذا)).

⁴ في البيان المغرب: ((يغص بهم عرض الفيافي وطولها)).

كأن بسيط الأرض حلقة خاتم
بهم وخضم البحر بعض المذائب
ومدَّ على حكم¹ الصغار لسلمنا
يديه عظيم الروم في حال راغب
يصرح بالرويا² وبين ضلوعه
نفس مذعور ونفرة راهب
وعَي³ من لسان الحال أفصح خطبة
ما وضحت⁴ عنه فصاح القواضب
وأبصر متن الأرض كفة حامل
عليه وإصراه في كف حالب
أشرنا بأعناق الجياد إليكم
وعجباً عليكم من صدور الركائب

¹ في البيان المغرب: ((رغم)).

² وذلك بتخفيف الهمزة. بينما كتبت في البيان المغرب: ((بالرغبي)).

³ في البيان المغرب: ((وعى)).

⁴ نفسه: ((وما صمتت))؛ وهذا أسلم.

إلى بقعة قد بين¹ الله فضلها
بمن حل فيها من ولي² وصاحب
على الصفوة الأذنين منا تحية
توافيهم بين الصبا والجنائب
وله أيضاً³:
ألمت وقد نام الرقيب⁴ وهوّما
وأسرت الوادي⁵ العقيق من الحما
وراح⁶ إلى نجد فرحت منجدا
ومرت بنعمان فأضحى مُنعمًا
وجرت على ترب المخصّب⁷ ذيلها
فما زال ذاك الترب نهباً مقسما

¹ في البيان المغرب: ((يمن)).

² نفسه: ((إمام)).

³ هذه القصيدة واردة في الإسكوريال؛ بينما سقطت في الزيتونة. وموجودة

أيضاً في كتاب المعجب. وهي من البحر الطويل.

⁴ في كتاب المعجب لعبد الواحد المراكشي: ((المشيخ)).

⁵ نفسه: ((إلى وادي العقيق)).

⁶ في المقتضب: ((وراحت)).

⁷ في المقتضب، والمعجب: ((المخصّب)). والمخصّب موضع يقع بين منى ومكة.

تتأقله¹ أيدي التجار² لطيمة
ويحمله الدارين³ أيان يمما
ولما رأت أن لا ظلام يجنها
وأن سراها فيه لن يتكتما
سرت⁴ عذبات الريط عن حر وجهها
فأبدت شعاعاً يرفع اليوم مظلماً⁵
فكان تجليها حجاب جمالها
كشمس الضحى يعشى بها الطرف كلما
ولما رأت زهر الكواكب أنها
هي النير الأسمى وإن كان باسمها
بكت أسفاً أن لم تفرّ بجوارها
وأسعدتها صوب الغمام فأسجما
فجلت يمج القطر ريان بردها
فتنفضه كالدرد فذاً وتوأما

¹ في المعجب: ((تناوله)).

² في المقتضب: ((الرجال لطيمة)).

³ في المعجب والمقتضب: ((الداري)).

⁴ في المعجب: ((نضت)).

⁵ جاء هذا الشطر في المعجب هكذا: ((فأبدت محيا يدهش المتوسماً)).

يضم علينا الماء فضل زكاتها
كما بل سقط الطل نوراً مكمماً
ويفتق نضح الغيث طيب عرفها
نسيم الصبا بين العرار منسما
وجلت عن ثناياها وأومض برقها¹
فلم أدر من شق الدجنة منهما
وساعدني جفن الغمام على البكا
فلم أدر وجداً² أينما كان أسجما
ونظم سمطي ثغرها ووشاحها
فأبصرت در الثغر أحلى وأنظما
نقول وقد ألممت أطراف كمها
يدي وقد أنعلت أخصها الفما
نشدتك لا يذهب بك الشوق مذهباً
يسهّلُ صعباً أو يُرخّص مائماً

¹ في المعجب: ((بارق)).

² نفسه: ((دمعاً)).

فأقصرت¹ لا مستغنياً عن نوالها
ولكن رأيت الصبر أوفى وأكرما
وقال²:

أتذكر إذ مسحت بفيك عيني³
وقد حلَّ البكا فيها عقوده
ذكرت بأن ريقك ماء ورد
فقابلت الحرارة بالبرودة
وقال⁴:

سألت من المليحة برء دايمي
برشف برودها العذب المزاج
فما زالت تقبل في جفوني
وتبهرني بأصناف الحجاج

¹ في المعجب: ((فأمسكت)).
² البحر الوافر.
³ في المقتضب: ((دمعي)).
⁴ البحر الوافر.

وقالت إن طرفك أصلاً لدايك¹
فليقدّم في العلاج

وفاته

توفي: بمراكش سنة إحدى وثمانين وخمسمائة². وحضر
السلطان³ جنازته.

* * *

¹ أضاف د. طويل كلمة: ((كان)) قبل ((أصلاً))؛ فأضحى البيت هكذا: ((وقالت إن طرفك كان أصلاً * لدايك فليقدّم في العلاج)).

² الموافق لـ 1185م.

³ يقصد الخليفة الموحد المنصور أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي؛ الذي حكم بلاد المغرب والأندلس من سنة 580هـ/1184م إلى سنة 595هـ/1198م. وكان الفيلسوف ابن طفيل طبيبه الخاص؛ وصديقه المقرب.

محمد بن عبد العزيز

ابن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عياش التجيبي البرشاني¹،
من أهل حصن برشانة (المسروب في هذه العمالة،
يكنى أبا عبد الله؛ كاتب الخليفة).

حاله

قال القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك²: كان كاتباً
بارعاً، فصيحاً، مشرفاً على علوم اللسان، حافظاً للغات
والآداب، جزلاً، سري الهمة، كبير المقدار، حسن الخلق،
كريم الطباع³، نفاعاً بجاهه وماله، كثير الاعتناء⁴ بطلبة
العلم، والسعي الجميل لهم، وإفاضة المعروف على
قصاده، مستعيناً على ذلك بما نال من الثروة والحظوة
والجاه، عند الأمراء من بني عبد المؤمن؛ إذ كان صاحب

¹ توجد ترجمة محمد بن عبد العزيز بن عياش البرشاني في التكملة
لكتاب الصلة، والذيل والتكملة. واسم البرشاني نسبة إلى حصن برشانة
Purchena؛ التابع لعمل ألمرية. ويعتبر هذا الحصن من أمنع الحصون؛
إذ يقع على مجتمع نهريين.
² صاحب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة.
³ في الذيل والتكملة: ((الطبع)).
⁴ نفسه: ((الاعتبار)).

القلم الأعلى¹، على عهد المنصور وابنه، رفيع المنزلة والمكانة لديهم، قاصداً² الإعراب في كلامه، لا يخاطب أحداً³ في كلامه من الناس، على تفاريق أحوالهم، إلا بكلام معرب، وربما استعمله⁴ في مخاطبة قدمته⁵ وأمه، من حوشي الألفاظ، ما لا يكاد يستعمله⁶، ولا يفهمه إلا حفاظ اللغة من أهل العلم، عادة ألفها واستمرت حاله عليها.

مشيخته

روى عن أبي عبد الله بن حميد، وابن أبي القاسم السهيلي⁷، وابن حبيش، [وروى عنه بنوه: أبو جعفر،

¹ في الذيل: ((الأعلى عند المنصور منهم، فابنه الناصر، فابنه المستنصر؛ رفيع المنزلة...))
² في الذيل: ((عامدا)).
³ نفسه: ((أحداً من أصناف الناس...)).
⁴ نفسه: ((استعمل)).
⁵ نفسه: ((خدمته)).
⁶ نفسه: ((يستعمل)).
⁷ كلمة ((السهيلي)) سقطت في الإسكوريال؛ بينما وردت في الزيتونة.

وأبو القاسم¹، و عبد الرحمن، وأبو جعفر بن عثمان،
وأبو القاسم البلوي².

توآلفه

له اختصار حسن في إصلاح المنطق، ورسائل مشهورة، تناقلها الناس، وشعره يحسن في بعضه.

جاهه

حدث الشيخ أبو القاسم البلوي، قال: كنت أخفُ إليه³، وأشفع عنده في كبار المسائل، فيسرع في قضايها. ولقد عرضت لبعض أصحابي من أهل بلاد الأندلس حاجة مهمة كبيرة، وجب علي السعي فيها، ورجوته من جميل أثره في تيسير أمرها، وكان قد أصابه حينئذ التياث لزم من أجله داره، ودخلت⁴ عليه عايداً، فأطال السؤال عن حالي، وتبسط معي في الكلام، مبالغة في تأنيسي، فأجلت ذكر الحاجة⁵، ورغبت منه في الشفاعة عند

¹ في الذيل: عبد الرحمن فقد؛ بدون ((واو العطف)).

² ما بين الحاصرتين؛ سقط في الإسكوريال؛ بينما ورد في الزيتونة.

³ في الذيل: ((عليه)).

⁴ نفسه: ((فدخلت)).

⁵ نفسه: ((ذكر تلك الحاجة)).

السلطان في شأنها، وكان مضطجعاً، فاستوى جالساً، وقال لي، جهل الناس قدرني، وكررها ثلاثاً، في¹ مثل هذا أشفع إلى أمير المؤمنين، هات الدواء والقرطاس، فناولته إياهما، فكتب برغبتي، ورفعته إلى السلطان، فصرف في الحين معلماً، فاستدعاني، ودفعه إلي، وقال: يا أبا القاسم، لا أرضى منك أن تحجم عني في التماس قضاء حاجة تعرضت لك خاصة، وإن كانت لأحد من معارفك عامة، كبرت أو صغرت؛ فألتزم قضاءها، وعلي الوفا، فإن لكل مكتسب² زكاة، وزكاة الجاه بذله.

وحدثني شيخي أبو الحسن بن الجياب، عمن حدثه من أشياخه، قال: عرض أبو عبد الله بن عياش والكاظم ابن القالمي³ على المنصور كتابين، وهو في بعض الغزوات، في كلب البرد⁴، وبين يديه كانون جمر. وكان ابن عياش بارع الخط، وابن القالمي ركيكه، ويفضله في البلاغة، أو بالعكس؛ الشكّ متي. وقال

¹ في الذيل: ((أفي)).

² في الذيل: ((مكتسب)).

³ في الإسكوريال: ((ابن القالي)).

⁴ أي: عند استعاره وشدته.

المنصور: أي كتب لو كان بهذا الخط، وأي خط لو كان بهذا الكتب، فرضي ابن القالمي، وسخط ابن عياش. فانتزع الكتاب من يد المنصور، وطرحه في النار، وانصرف. قال: فتغير وجه المنصور، وابتدر أحد الأشياخ؛ فقال: يا أمير المؤمنين، طَعَنْتُمْ له في الوسيلة التي عرفته ببابكم، فعظمت غيرته لمعرفته بقدر السبب الموصل إليكم. فسرى عن المنصور، وقال لأحد خدامه: إذهب إلى السبي، فاختر أجمل نساء الأبيكار؛ وأتِ بابن عياش؛ فقل له: هذه تُطْفِي من خلقك. قال: ابن عياش يخاطب ولده، وقد حدّث الحديث: هي أمّك يا محمد أو فلان.

بعض أخباره مع المنصور

ومحاورته الدالة على جلالته قدره.

قال ابن خميس: حدثني خالي أبو عبد الله بن عسكر: أن الكاتب أبا عبد الله بن عياش، كتب يوماً كتاباً ليهودي؛ فكتب فيه: ويحمل على البرّ والكرامة.

فقال له المنصور¹: من أين لك أن تقول في كافر: ويحمل على البرّ والكرامة؟ فقال: ففكرت ساعة؛ وقد علمت أن الاعتراض يلزمني. فقلت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا أتاكم كريم قوم، فأكرموه))؛ وهذا عام في الكافر، وغيره. فقال نعم هذه الكرامة؛ فالمبرّة أين أخذتها؟ قال: فسكت ولم أجد جواباً؛ قال: فقرأ المنصور: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لَا يَنْهَأُكُمُ اللَّهُ عَنِ الزَّيْنِ لَمْ يِقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ، وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾². قال: فشهدت بذلك؛ وشكرته.

¹ جاء في الإسكوريال؛ بعد هذه الكلمة: ((ففكرت ساعة؛ وقد علمت)). وقد تكررت هذه العبارة.
² نقل الناسخ هذه الآية بالأخطاء؛ فتم تصحيحها. وهي من سورة الممتحنة؛ الآية: 8.

شعره

من شعره¹:

بلنسية بيني عن العلياء² سلوة
فإنك روض لا أحن لزهرك
وكيف يجب المرء داراً تقسمت
على صارمي³ جذع⁴ وفتنة مشرك

وذكره الأديب أبو بحر صفوان بن إدريس في زاد
المسافر؛ عند اسم ابن عياش؛ قال: اجتمعنا في ليلة
بمراكش، فقال أبو عبد الله بن عياش⁵:
وليلة من ليالي الصفح قد جمعت
إخوان صدق ووصل للدهر غير مختلس⁶

¹ ورد هذان البيتان في نفح الطيب، والروض المعطار، ومعجم البلدان؛
وقد نسبهما صاحب الكتاب الأخير إلى ابن حريق وهما من البحر الطويل.
² في نفح الطيب، والروض المعطار، ومعجم البلدان: ((عن القلب)).
³ في معجم البلدان: ((على ضاربي)).
⁴ في الإسكوريال، نفح الطيب، والروض المعطار، ومعجم البلدان:
((جوع)). وصوبت من الزيتونة.
⁵ البحر البسيط.
⁶ حذف د. طويل كلمة ((غير)) من أجل سلامة الوزن.

كانوا على سنة الأيام قد بعدوا
فألفت بينهم لو ساعد الغلس
وقال من قصيدة¹:

أشفارها² أم صارم الحجاج
وجفونها أم فتنة الحلاج
فإذا نظرت لأرضها وسمائها
لم تلف غير أسنة وزجاج
وقال في المصحف (الإمام)، المنسوب إلى عثمان بن
عفان، لما أمر المنصور بتحليلته بنفيس الدرّ من قصيدة³:
ونقلت⁴ من كل ملك ذخيرة
كأنهم كانوا يرسم مكاسبه
فإن ورث الأملاك شرقاً ومغرباً
فكم قد أخلوا جاهلين بواجبه

¹ بحر الكامل.

² في الزيتونة: ((بأشفارها)).

³ الأبيات الموالية موجودة في التكملة لكتاب الصلة، الذيل والتكملة.

⁴ في الذيل والتكملة: ((ونقلته))؛ وهذا أسلم.

وَأَلْبَسْتَهُ الدَّرَّ¹ وَالْيَاقُوتَ حَلِيَّةً
وغيرك قد رواه من دم صاحبه

كتابه

قال ابن سعيد² في المرقصات والمطربات³: أبو عبد
الله بن عياش، كاتب الناصر وغيره، من بني عبد المؤمن
وواسطة عقد ترسيله، قوله في رسالة كتبها في نزول
الناصر على المهديّة⁴ بجرّاً وبرا، واسترجاعها من أيدي

¹ جاء هذا الشطر في التكملة، والذيل والتكملة هكذا: ((وَأَلْبَسْتَهُ الْيَاقُوتَ
وَالدَّرَّ حَلِيَّةً)). وهو اسلم.
² هو علي بن موسى بن سعيد الأندلسي؛ المعروف بابن سعيد الأندلسي.
ينتمي إلى أسرة عريقة وذات أثر محمود في فنون الأدب وتاريخه وعلمي
التاريخ والجغرافية. تعاقب غرر أفرادها في تصنيف مؤلفات في غاية
الأهمية؛ منها: ((المُشْرَقُ فِي حَلِي الْمَشْرَقِ))، و((المَغْرِبُ فِي حَلِي
المَغْرِبِ))، و((عنوان المرقص والمطربات))، و((الطالع السعيد في تاريخ
بني سعيد))، و((ملوك الشعر))، و((القدح المعلى في التاريخ المحلي))،
و((رايات المبرزين وغايات المميزين))؛ وكتاب الجغرافيا؛ وغيرها من
المؤلفات التاريخية، والجغرافية. وثمة ترجمة لعلي بن سعيد في الإحاطة.
وقد ترجم له عدد من الكتاب؛ وقد اختلفت المصادر في تاريخ وفاته؛
غير أن أشهرها أنه ولد في قلعة يحصب القريبة من غرناطة؛ سنة
1213م/610هـ. وتوفي بدمشق سنة 1274م/673هـ.
³ عنوان هذا الكتاب هو: ((عنوان المرقصات والمطربات)). ويبدو أن
النسخة التي اطلع عليها الخطيب من هذا الكتاب؛ مخافة لما هو موجود حالياً.
⁴ مدينة بإفريقية كانت حاضرة للفاطميين.

الملثمين¹: ((ولما حللنا عرى السفر، بأن حللنا حمى
المهدية، تفاءلنا بأن تكون لمن حل بساحتها هدية، فأحدقنا
بها إحداق الهدب بالعين، وأطرنا لمختلس وصالها غربان
البين؛ فبانت بليلة باسنيّة²، وصباح يوماً صافحته فيه يد
المنية³. ولما اجتلينا منها عروساً، قد مدّ بين يديها بساط
الماء، وتوجهت بالهلال، وقرطته بالثريا، ووشجت⁴
بنجوم السماء، والسحب تسحب عليها أردانها، فترتديها
تارة مثلثة، وطوراً سافرة، وكأتما شرفاتها المشرفة أنامل
مخضبة بالدجاجي، مختمة بالكواكب الزاهرة، تضحي عن
شرب لا تزال تقبله أفواه المجانيق، وتمسي باسمه عن
لعس، لا تبرح ترشفه شفاه سهام الحريق، خطبناها.
فأرادت التنبيه على قدرها، والتوفير في إعلاء مهرها،
ومن خطب الحساء، لم يغله المهر، فتمنعت تمنع
المقصورات في الخيام، وأطالت إعمال العامل في

¹ من بني غانية؛ وهم الأمراء السابقون لجزيرة مايورقة. إذ انتقلوا إلى إفريقيا بعد سقوط جزيرتهم في أيدي النصارى؛ وشنوا حرباً مضنية ضد الموحديين في تلك الديار.
² هكذا وردت في الزيتونة؛ بينما حرفت في الإسكوريال فكتبت: ((ما بغية)).
³ أي توفي.
⁴ أي اشتبكت.

خدمتها، وتجريد الحسام، إلى أن تحققت عظم موقعها في النفوس، ورأت¹ كثرة ما ألقى لها من نثار الرؤوس، جنحت إلى الإحصان بعد النشوز، ورأت اللجاج في الامتناع من قبول الإحسان لا يجوز، فأمكنك زمامها من يد خاطبها، بعد مطاولة خطبها وخطابها، وامتنعت على رغم رقيها بعناقها، ورشف رضاها، فبانة معرساً، حيث لا حجال إلا من البنود، ولا خلوق إلا من دماء² أبطال الجنود، فأصبح وقد تالأأت بهذه البشائر وجوه الأفكار؛ وطارت بمسارها سوايح البراري، وسوانح البحار. فالحمد لله الذي أقر الحق في نصابه، واسترجعه من أيدي غصابه، حمداً يجمع شمل النعم، ويلقحها كما تلقح الرياح الديم فشنفوا الأسماع بهذه البشائر، واملثوا الصدور بما يرويه لكم من أحاديثها كل وارد وصادر، فهو الفتح الذي تفتحت له أبواب السماء [وعم الخير واليمن

¹ هكذا وردت في الزيتونة؛ بينما كتبت في الإسكوريال: ((وزادت)).
² كلمة ((دماء)) سقطت في الزيتونة؛ بينما ذكرت في الإسكوريال.

به¹ بسيطي الشرق والماء؛ فشكر الله عليه فرض، في كل قطر من أقطار الأرض.

دخل غرناطة

مرتاداً، ومتعلماً، ومجتازاً.

مولده

ببرشانة بلده، عام خمسين وخمسمائة².

وفاته

توفي بمراكش؛ في شهر رجب³ الفرد؛ من عام ثمانية عشرة وستماية⁴، رحمه الله.

* * *

¹ ما بين حاصرتين؛ وراى في الإسكوريال، وساقط في الزيتونة.

² الموافق لـ 1155م.

³ جاء في الذيل والتكملة: ((وتوفي بمراكش لخمس بقين من جمادى الآخرة...)). أما في التكملة لكتاب الصلوة؛ فقد كتب: ((توفي بمراكش في العشر الأواخر من جمادى الآخرة...)).

⁴ الموافق لـ 1221م.

محمد بن علي

(ابن محمد بن إبراهيم بن محمد الهنراني؛ من أهل وادي آش؛
يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن البراق)¹.

حاله

قال ابن عبد الملك²: كان محدثاً حافظاً، راوية
مكثراً، ثقة ضابطاً³، شهر بحفظ كتب كثيرة، من
الحديث، وغيره، ذا نظر صالح في الطلب⁴، أديباً بارعاً،
كاتباً بليغاً، مكثراً لجيده⁵، سريع البديهة في النظم والنثر،
والأدب أغلب عليه. قال أبو القاسم بن المواعيني: ما
رأيت في عباد الله، أسرع ارتجالاً منه.

¹ وردت هذه الترجمة في الإسكوريال فقط؛ إذ سقطت في الزيتونة، و ج.
وتوجد ترجمة محمد بن علي الهمداني بن البراق أيضاً في روايات
الميرزين، والمقتضب من كتاب تحفة القادم، وزاد المسافر، والمطرب،
والتكملة لكتاب الصلة، والذيل والتكملة، وبغية الملتبس، ونفح الطيب،
والمغرب في حلى المغرب؛ حيث كني فيه ((أبو عمرو)).
² صاحب كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة.
³ في الذيل والتكملة: ((ضابطاً ثقة)).
⁴ نفسه: ((في الطب)).
⁵ نفسه: ((مكثراً مجيداً)).

مشيخته

روى عن أبي بحر يوسف بن أحمد بن أبي عيشون،
وأبي بكر بن زرقون، وابن قيد¹، وابن إبراهيم بن المل،
وابن النعمة وصحبه²، ولقيه بمراكش، ووليد بن موفق،
وأبي عبد الله بن يوسف بن سعادة، ولازمه أزيد من
ست سنين، وأكثر عنه، وابن العمرسي، وأبي العباس بن
إدريس، والخروبي، وتلا عليه بالسبع، وأكثر عنه،
وعرض عليه من حفظه كثيراً، وابن مضاء، وأبي علي
ابن عرب³، وأبي القاسم بن حبيش، وابن عبد الجبار،
وأبي محمد بن سهل الضرير، وعاشر وقاسم بن دحمان،
وأبي يوسف بن طلحة. وأجاز له أبو بكر بن العربي،
وابن خير، وابن مندلة⁴. وابن تمارة⁵، وأبو الحسن شريح،
شريح، وابن هذيل، ويونس بن مغيث، وأبو الجليل⁶

¹ في الذيل والتكملة: ((وابن فيد)).

² في الإسكوريال: ((ونحبه)) وفي الذيل والتكملة: ((ونجبة)).

³ نفسه: ((عريب)).

⁴ في الذيل والتكملة: ((وابن فندلة)).

⁵ نفسه: ((وابن نمارة)).

⁶ نفسه وأبو الخليل.

مفرج بن سلمة، وأبو عبد الله حفيد مكّي، وأبو عبد الرحمن بن مساعد، وأبو عامر محمد بن أحمد السالمي، أبو القاسم ابن بشكوال، وأبو محمد بن عبيد الله، وأبو مروان البياضي، وابن قزمان، وأبو الوليد بن حجاج.

من روى عنه

روى عنه ابنه أبو القاسم، وأبو الحسن بن محمد بن بقي الغساني، وأبو عبد الله محمد¹ بن يحيى السكري، وأبو العباس النباتي، وأبو عمرو بن عياد، وهو أسن منه وأبو الكرم جودي.

توآلفه

صنف في الأدب² مصنفات منها: ((بهجة الأفكار وفرصة³ التذكار في مختار الأشعار))، و((مباشرة ليلة السفح⁴))، و((مقاله في الإخوان))، خرجها من شواهد شواهد الحكم، و((مصنف في أخبار معاوية))، و((الدر

¹ سقطت كلمة ((محمد)) في الذيل والتكملة.

² في الذيل والتكملة: ((في الآداب)).

³ نفسه: ((وفرجة)).

⁴ نفسه: ((ومباشرة ليلة السفح من خبر أبي الأصبغ عبد العزيز بن أبي الفتح)).

المنظم في الإحسار¹ المعظم))، و((مجموع في الألفاظ²))،
و((رضة الحدائق في تأليف الكلام الرائق))، ((مجموع
نظمه ونثره))، و((ملقى³ السبل في فضل رمضان))،
و((قصيدته في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم))،
و((خطرات الواجد في رثاء الواحد))، و((رجوم⁴ الإنذار
بهجوم العذار))، إلى غير ذلك.

محتته

غربه الأمير ابن سعد⁵ من وطنه، وألزمه سكنى
مرسية، ثم بلنسية. ولما مات ابن سعد؛ آخر يوم من
رجب؛ سبع وستين وخمسمائة⁶، عاد إلى وطنه، واستقر
واستقر به يفيدته الديّة، إلى آخر عمره.

¹ في الذيل: ((الاختيار)).

² نفسه: ((في ألفاظ)).

³ نفسه: ((ملتقى السبل...)).

⁴ نفسه: ((ورجوم)).

⁵ هو أمير بلنسية؛ محمد بن سعد بن مردنيش الجذامي. له ترجمة في الإحاطة.

⁶ الموافق لـ 1171م.

شعره

وشعره كثير. فمن ذلك القصيدة الشهيرة في مدح
رسول الله صلى الله عليه وسلم¹، وذكر صحابته²:
بِالْهَضْبِ هَضْبِ زُرُودٍ أَوْ تَلْعَاتِهَا
سَاقَتِكَ³ هَاتِفَةَ عَلَى نِغْمَاتِهَا
مِصْدُورَةَ تَفْتِنَ فِي جِيعِهَا⁴
فِيْبِيْنَ نَفْثِ السَّحْرِ فِي نَفْثَاتِهَا
إِنْ رَاغَهَا⁵ رَأْدَ الضَّحَى أَوْ رَاعَهَا
جَنَحَ الدَّجَا سِيَانَ فِي ذِكْرَاتِهَا
هَذَا يَمْتَعَهَا وَذَلِكَ يَشْوِقُهَا
وَالْمَوْتَ⁶ فِي يَقْظَاتِهَا وَسِنَاتِهَا

¹ وردت كاملة في الذيل والتكملة. وهي طويلة ومخمسة؛ ومطلعها:

يا مسبلا من عبراتها * أشجتك هاتفة على أثلاثها

أم شمت بارقة بعرض فلاتها * بالهضب هضب زرود أو تلعاتها

² البحر الكامل.

³ في الذيل: ((شافتك)).

⁴ نفسه: ((ترجيها)).

⁵ نفسه: ((إن راقها)).

⁶ نفسه: ((فالموت)).

ولولا¹ التعلل بالكرى ينتابها
نضحت فزور² الطيف برح شكاتها
لكن بين جفونها وهنامها³
خرزاً⁴ تثير النهب في كراتها
ولئن نطقت لها به فتقول من
يلقى الرياح بملتقى هباتها⁵
مطلولة الفرعين يلحفها الربى
كتفاً ويلثمها المنى زهراتها⁶
وتسيغها⁷ ماء النخيلة جرعة
لغياضها من مجتنى نجلاتها⁸

¹ في الذيل: ((ولو)).

² نفسه: ((بزور)).

³ نفسه: ((ومنامها)).

⁴ نفسه: ((حرباً)).

⁵ جاء هذا البيت في الذيل والتكملة هكذا:

((ولئن نطقت لها به فتقول * من للرياح بملتقى هباتها))

⁶ جاء هذا البيت في الذيل والتكملة هكذا:

((مطلولة الفرعين تلحفها الربى * كنفاً وتلثمها لَمَى زهراتها))

⁷ في الذيل: ((ويسيفها)).

⁸ جاء هذا الشطر في الذيل هكذا: ((تعتاضها من مجتنى نخلاتها)).

منها:

يا من تبلج نوره عن صاعد
بالواضحات الغر من آياتها
يا شارعاً في أمة جعلت به
وسطاً فغالت¹ مستدام حياتها
في دار خلد لا يشيب وليدها
حيث الشباب يرف في وجناتها
وتنسم² الرضوان في أكنافها
وشيم³ الريحان من جنباتها
يا مصطفاها مرفع قدرها
بأكنفها يا منتهى غاياتها⁴

¹ في الذيل: ((نالت)).

² نفسه: ((وتسنم)).

³ نفسه: ((وتنسم)).

⁴ جاء هذا البيت في الذيل والتكملة هكذا
((يا مصطفاها يا مرفع قدرها * يا كهفها يا منتهى غاياتها))

يا منتقاها من أرومة هاشم
يا هاشم الصلبان في نزواتها
يا خاضداً للشرك شوكة حزبه

قلت: نقل الشيخ¹ أزيد من ذلك أو ضعفه أو نحوه.
إلى أن قال: وهي طويلة، قلت: وثقيلة الروح. ولقد
صدق في قوله. ومن شعره²:

يا بدر تم طالعاً في الحشا
بَرَّحَ بي منك أوان المغيب
حظك من قلبي تعذيبه
وحظه منك الأسى والوجيب
فمن يكن يزهى بلبس المنى
فإن زَهوي بلحاس النَّحيب
في ساعة قصر أنيابها
غيبته لي وحضور الرقيب

¹ الشيخ أبو الحسن الرعيني.
² البحر السريع.

لعلّ من باعد ما بيننا
يفرج الكربة عما قريب
وقال¹:

رثوا² القباب بأدمع مفضوضة
ذوى للفراق وأكبد تتصرم
فللنفس في تلك الربوع حبيبة
والقلب في إثر الوداع مقسم
هل لي بهاتيك الظبا الماعة
أم هل لذاك السرب شمل ينظم
حقاً فقدت الذات عند فراقهم
فالشخص يوجد والحقيقة تعدم

¹ كلمة: ((وقال)) وضعها عنان؛ للتمييز بين الأبيات الشعرية. والأبيات من بحر الكامل.
² جعلها د. طویل ((رثوا))؛ بالشين.

وفاته

توفي ببلده ؛ لثلاث بقين من رمضان ؛ ست وتسعين
وخمسمائة¹. قال أبو القاسم المواعيني: عثر في مشيه
فسقط ؛ فكان سبب منيته، ودخل غرناطة، في غير ما
وجهة منها، راويا عن أبي القاسم بن الفرس. ومع ذلك
فهو من أحوازها وبنياتها.

* * *

¹ الموافق لـ 1199م. ورد في بغية الملتمس؛ أنه توفي سنة 595هـ؛ بينما
ذكر في المصادر أنه ولد سنة 529هـ.

محمد بن علي

(ابن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري¹؛
من أهل المريّة، يثني أبا عبد الله.

حاله

من كتاب الإكليل ما نصه: ممن ثكلته البراعة،
وفقدته البراعة، تأدّب بأخيه²، وتهذّب؛ وأراه في النظم
المذهّب، وكساه من التفهم والتعليم البُرد³ المذهب،
فاقتفى واقتدى، وراح في الحلبة واغتدى، حتى نبّل وشدا.
ولو أمهله الدهر لبلغ المدا. وأما خطه فقيّد الأبصار،
وطرفة من طرف الأمصار، واعتبط⁴ يانع الشبيبة، مخضر
الكتيبة.

¹ كل ما ورد في الزيتونة من ترجمة محمد بن خاتمة؛ لا يتجاوز أربعة عشر سطراً. وقد وردت ترجمته أيضاً في الدرر الكامنة، ونفح الطيب.
² ترجمة أخيه؛ وهو أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد المعروف أيضاً بابن خاتمة؛ الذي توفي سنة 1368/هـ 770م؛ وردت في الإحاطة؛ قبل هذه الترجمة. كما طبع ديوانه بتحقيق د. محمد رضوان الداية.
³ في النفح: ((الرداء)).
⁴ أي توفي في شبابه.

شعره¹

كفوا الملام فلا أصغي إلى العذل
عقلي وسمعي عن العذار في شغل²
يقول في هذه القصيدة:
هزلُّ المحبَّة جدُّ والهوان هوى
والصبُّ يتلف بين الجدِّ والهزل
من مسعدي وفؤادي لا يساعدي
أو من شفيعي وذلي ليس يشفع لي
أعلُّ النَّفس بالآمال أطمعها
حتى وقعت من التعليل في علل
لئن كنت تجهل ما في الحبِّ من مِحَنِ
أنا الخبير فغيري اليوم لا تسل

¹ هذا البيت، والأبيات المألوية له؛ من بحر البسيط.
² اعتباراً من هذه الحاضرة وحتى تقفل الحاضرة بعد عبارة ((ولا ظل))؛
ساقط في الزيتونة؛ ووارد في الإسكويال.

أنا الذي قد حَبَبْتُ الحَبَّ أَشْطُرَهُ
فلم يفدني لا حولي¹ ولا حيل²
لا أشرب الرّاح كي أخلو براحتِها
لكن لأدفع ما بالنفس من كسل
ولا أجول بطرفي في الرّياض سوى
ذكرى لأيامنا في ظلها الأول
أنا العهد مضى ما كان أعذبُه
لم يبق لي غير آيات من الخبل
كم فديتك يا قلبي وأنت على
تلك الغواية لم تبرح ولم تنزل
فاختر لنفسك إما أن تُصاحبني
حلواً وإلا فدعني منك وارتحل
فقد تبعتك حتى سرت من شغفي
ولو عتي في الهوى أعجوبة المثل

¹ أي لا حنقي ولا جودة نظري.
² أي ولا قدرة على التصرف.

ومن شعره¹:

وَمَضَ الْبَرْقُ فَنَارَ الْقَلْقُ
ومَضَى النَّوْمُ وَحَلَّ الْأَرْقُ
وينعاني من غرامي قد شكَا
ودموعي من ولوعي تَتَطَّقُ²
ودليلي في غليلي زفرتي
وعذابي بانتحابي أصدق
وحسودي من وقودي رق لي³
ضَمَّنَا فِيهَا الْحَمَى وَالْأَيْفَقُ⁴
وعشيات تقضت باللَّوى
في مَخِيلِي⁵ الدهر منها رَوَّنَقُ
إذ شبابي والتَّصَابِي جُمِعَا
ورِيَاضُ الْأَنْسِ غَضُّ مُوَنَّقُ⁶

¹ الأبيات التالية من بحر الرمل.

² هذا البيت، والبيت الموالي له لم يردا في نفع الطيب.

³ ورد هذا الشطر في نفع الطيب هكذا: ((مذ تذكرت لأيام خلتي)).

⁴ في نفع الطيب: ((والأبرق))؛ أرض فيها حجارة وطين ورمل.

⁵ نفسه: ((في مَحْيَا)). وهذا أسلم.

⁶ نفسه: ((مورق)).

شَتَّ¹ يَوْمَ الْبَيْنِ شَمَلِي لَيْتَ مَا
خَلِقَ الْبَيْنَ لِقَلْبٍ يَعْشَقُ
أَهْ مِنْ يَوْمِ قَضَى لِي فُرْقَةَ
شَابَ مِنِّي يَوْمَ حُلَّتْ مَفْرَقُ

ومن ذلك²:

أَيَا جِيرَةَ الْحَيِّ الْمَمْنَعِ جَارُهُ
سَقَى رَيْقُكُمْ دَمْعِي إِذَا بَخَلَ الْوَابِلُ
مَتَى غَيْبْتُمْ عَنِّي فَأَنْتُمْ بِخَاطِرِي
وَإِنْ تَقْصِدُوا ذَلِّي فَقَدْ لَذَّنِي الذُّلُّ
عَذَابِكُمْ قُرْبٌ وَبُخْلُكُمْ نَدَى
وَإِذْلَاكُمُ عَزٌّ وَهَجْرَانُكُمْ وَصَلُّ
وَأَنْتُمْ نَعِيمِي لَا نَعِمْتُمْ بِغَرِيكُمُ
وَرَوْضِي لَا مَا³ أُرِيدُ وَلَا ظِلُّ⁴

¹ أي فرَّق.

² البحر الطويل.

³ صوبها د. طویل؛ فجعلها: ((لا ماء)).

⁴ إلى هنا ينتهي ما هو وارد في الإسكويال، وساقط في الزيتونة.

ومن ظريف نزعاته قوله¹:
الرَّفْعُ نَعْتُكُمْ لَا خَابَكُمْ² أَمَل
والخفض شيمة شأني³ والهوى دول
هل منكم لي عطف بعد بعدكم
إذ ليس لي منكم يا سادتي بدل

وفاته

اعتبط في الطاعون؛ في أوائل ربيع الأول؛ عام
خمسين وسبعماية⁴. ورد إلى الحضرة غير ما مرة.

¹ هذان البيتان من بحر البسيط.

² في النسخ: ((لا خانكم)).

³ نفسه: ((مثلي)).

⁴ الموافق لـ 1349م.

محمد بن عيسى

(ابن عبد الملك بن قزمان¹ (الثَّهري²؛ من أهل قرطبة؛ يُلنى أبا بكر

حاله

نسيج وحده، أدباً وظرفاً ولوذعية وشهرة. قال ابن عبد الملك: كان أديباً بارعاً، محسناً، شاعراً حلوا الكلام، مليح التندير، مبرزاً في نظم الطريقة الهزلية، بلسان عوام الأندلس، الملقب بالزجل. قلت³ وهذه الطريقة بديعة يتحكم فيها ألقاب البديع، وتنفسخ لكثير مما يضيق سلوكه على الشاعر. وبلغ فيها أبو بكر مبلغاً حجره الله عن سواه. فهو آيتها المعجزة، وحجتها البالغة، وفارسها

¹ علق عنان على هذه الترجمة بإسهاب في آخر المجلد الثاني؛ حيث سلط الضوء على الالتباس الذي وقع فيه ابن الخطيب؛ حيث خلط بين شخصيتين: الأولى هي شخصية ابن قزمان الأكبر؛ وهو عم ابن قزمان الزجال؛ ويسمى أبو بكر محمد بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان القرطبي؛ ذكره ابن بشكوال في الصلة؛ وقال عنه: أنه كان ((من أهل العلم والذكاء والفهم، وكانت عنده دراية ورواية ولغة وأدب وافر))؛ وكانت وفاته سنة 508هـ/1114م. وبذلك يكون هو غير ابن قزمان أمير الزجل؛ الذي توفي سنة 555هـ/1160م.

² توجد ترجمة محمد بن عيسى بن قزمان أيضاً في: الغرب في حلى المغرب، والمقتضب من كتاب تحفة القادم، ورايات المبرزين، والوافي بالوفيات، ونفح الطيب.

³ هذا قول ابن الخطيب؛ يعلق به على ما قاله ابن عبد الملك المراكشي.

العلم، والمبتدي فيها والتمم، رحمه الله. وقال الفتح¹ فيه: ((مُبْرَزٌ فِي الْبِيَانِ، وَمَحْرَزُ السَّبْقِ² عِنْدَ تَسَابِقِ الْأَعْيَانِ، اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْمُتَوَكِّلُ³ عَلَى اللَّهِ اشْتِمَالاً رَقَاهُ⁴ إِلَى مَجَالِسِ، وَكَسَاهُ مَلَابِسِ، وَاقْتَطَعَ⁵ أَسْمَى الرَّتَبِ وَتَبَوَّأَهَا، وَنَالَ أَسْنَى الْخَطَطِ⁶ وَمَا تَمَّ الْأَهَا)).

شعره

قال الفتح⁷: وقد أثبت له ما يعلم⁸ به رفيع رفيع قدره، ويعرف كيف أساء الزمن⁹ بغدره، قوله¹⁰:

¹ هو الفتح بن خاقان؛ توفي سنة 535هـ/1140م؛ وهو مؤلف كتاب قلاند العقين.
² في القلائد: ((الخصل)).
³ ابن الأفتس المتغلب على بطليوس أيام الطوائف؛ لقب نفسه بلقب المتوكل على الله. ولكنه قتل من قبل المرابطين سنة 488هـ/1095م.
⁴ في القلائد: ((أرقاه)).
⁵ نفسه: ((فاقتطع)).
⁶ نفسه: ((الحظوظ)).
⁷ في كتابه قلاند العقيان.
⁸ في القلائد: ((ما تعلم به حقيقة قدره، وتعرف كيف...)).
⁹ نفسه: ((الزّمان)).
¹⁰ نفسه: ((فمن ذلك قوله)). وهذان البيتان من بحر الكامل؛ يوجدان في المغرب؛ إذ نسبا فيه إلى أبي بكر محمد بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان؛ عمّ صاحب الترجمة.

ركبوا السُّيُولَ¹ من الخيول وركبوا
فوق العوالي السُّمْرَ زُرُقَ² قِطَافٍ
وتجلَّوا الغدران من ماذِيهِمْ
مُرْتَجَّةً إِلَّا عَلَى الْأَكْتِافِ
³ وكتب إليه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن أبي
الخصال⁴ يستدعيه إلى مجلس أنس⁵:
أني أهزك هز الصارم الخنم
وبيننا كل ما تدريه من نهم
ذاك شاك⁶ من قطع أنس أنت واصله
بما لديك من الآداب والحكم
وشت شمل كرام أنت ناظمه
ورد دعوة أهل المجد والكرم

¹ كتبت في الإسكوريال: ((الخيول)). وما جاء في أصل النص مستمد من قلائد العقيان.

² في القلائد والمغرب: ((نطاف)).

³ اعتباراً من هذه الحاصرة؛ وحتى تقفل بحاصرة أخرى بعد كلمة ((الدَّيْم))؛ غير وارد في الزيتونة.

⁴ وردت من قبل ترجمة في الإحاطة لابن أبي الخصال.

⁵ الأبيات التالية من بحر البسيط.

⁶ جعلها د. طويل: ((ذا شاك))؛ من أجل الوزن.

ولو دعيت إلى أمثالها لسعت
إليك سعي مشوق هائم قدم
وإن نشطت لتصريقي صرفت له
وجهي وكنت من الأعوان والخدم
وما أريد سوى عفو تجود به
وفي حديثك ما يشفي من الألم
أنت المقدم في فخر وفي أدب
فاطلع علينا طلوع السيد العمم
فأجابه رحمه الله¹:

أتى من المجد أمر لا مرد له
نمشي على الرأس فيه لا على القدم
لييك لبيك أضعافاً مضاعفة
إني أجبت ولكن داعي الكرم
لي همة ولأهل العز مطمحها
لا زلت في كل مجد مطمح الهمم

¹ البحر البسيط.

وإن حَقَّكَ معروف وملتزم
وكيف يوجد عندي غير ملتزم
زَفْنٌ¹ ورقص وما أحببت من ملح
عندي وأكثر ما تدريه من شيم
حتى يكون كلام الحاضرين بها
عند الصباح وما بالعهد من قدم
يا ليلة السفح هلا عدت ثانية
سقى زمانك هطال من الديم²
وقال في غرض النسيب³:
يارُبَّ يوم زادني⁴ فيه مَنْ
أطلع من غربه⁵ كوكبا
ذو شفة لمياء معسولة
ينشع من خديه ماء الصبا

¹ أي طرب.

² كل ما سبق؛ وإلى بعد فتح الحاصرة الأولى؛ وحتى هنا سقط في الزيتونة.

³ هذه الأبيات موجودة في المقتضب، ونفح الطيب؛ وهي من البحر السريع.

⁴ في المقتضب والنفح: ((زارني)).

⁵ نفسيهما: ((غرته))؛ وهو أسلم.

قلت له وهَب¹ لي بها قبلة
فقال لي مبتسماً مرحباً
فذقت شيئاً لم أذق مثله
لله ما أحلى وما أعذباً
أسعدني الله بإسعاده
يا شقوتي² يا شقوتي لو أبي
وقال³:

جئت لتوديعه وقد ذرفت
عيناى من حسرة وعيناه
في موكب البين باكين⁴ ولا
أصعب من موقف وقفناه
معانقاً جیده على حذر
فمن رأني مقبلاً فاه

¹ في المقتضب والنفح: ((هَبَّ))؛ بدون واو العطف.
² أي يا شقائي.
³ بحر المنسرح.
⁴ جعلها د. طویل: ((باکین))، بیائین؛ من أجل الوزن.

نغص توديعه لعاشقه
ما كان من قبل قد تمناه
وقال يعتذر ارتجالاً وأحسن ما أراد¹:
يا أهل ذا المجلس السامي سراوته²
ما ملت لكنني مالت بي الراح
وإن³ أكن مظعناً⁴ مصباح بيتكم
فكل من فيكم⁵ في البيت مصباح
وقال يهنئ بعرس⁶:
صرفت إليك وجوهها الأفراح
وتكففتك سعادة ونجاح
فاقض المآرب في زمان صالح
لا سد عنك من الزمان صلاح

¹ هذان البيتان موجودان في كتاب المغرب في حلى المغرب. وورد فيه أنه قالهما؛ بعد أن رقص في مجلس شرب؛ فأطفأ المصباح بأكمامه.

² في المغرب: ((سراوته)).

³ نفسه: ((فإن)).

⁴ نفسه: ((مُظنناً)).

⁵ ورد هذا الشطر في المغرب هكذا: ((فكل من قد حواه البيت مصباح)).

⁶ هذه القصيدة من البحر الكامل.

إن كان كالشمس المنيرة حسنها
فالبدر أنت وما عليك جناح
لا فترق بينكما لرأي فاستوى
زي النساء قلادة ووشاح
هل يوحد المصباح عندكما مهجاً
وكلاكما ببهائه مصباح
[أحرزت يا عبد العزيز محاسنا
كثرت فلم تستوفها الأمداح
يا من له كفُّ تجود وأضلعُ
مَطْوِي على حِفْظِ الودادِ شجاع¹
ما ألقى الحاجات دوني قفلها
إلا ويمن يمينك المفتاح
في كل ما تتحو إليه ملاحه
وكذاك أفعال المليح ملاح²

¹ جعلها د. طویل: ((سجاح))؛ أي الذي لا يحسن العفو. وهذا أفضل.
² الشعر المحصور ما بين حاصرتين سقط في الزيتونة.

ومن الحكمة قوله¹:

كثير المال تبذله فيبقى

ولا يبقى مع البخل القليل²

ومن غرست يدها ثمار جود

ففي ظل النشاء له مقيـل

وقال رحمه الله³:

وعهدي بالشباب وحسن قدي

حكى ألف ابن مقلّة في الكتاب⁴

¹ هذان البيتان موجودان في المقتضب، وتحفة القادم، ونفح الطيب. وهما من بحر الوافر.
² ورد هذا الشطر في المقتضب هكذا: ((وقد يبقى من الذكر القليل)).
³ نسبت بعض المصادر المشرقية هذين البيتين إلى أبي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي البغدادي؛ (ولد سنة 494هـ؛ وتوفي سنة 569هـ). البيتان يوجدان في المقتضب، ونفح الطيب. وهما من بحر الوافر. وإذا علم أن صاحب هذه الترجمة (ابن قزمان) قد توفي سنة 555هـ؛ اتضح أنهما عاشا في زمن واحد تقريباً؛ حتى وإن كان ابن قزمان قد توفي قبل ابن الدهان بسنوات. وعليه؛ فلا يعرف بالضبط صاحب هذين البيتين.

⁴ ابن مقلّة: هو أبو علي محمد بن الحسين بن مقلّة؛ أحد وزراء وكتاب الدولة العباسية. اشتهر بخطه البارع؛ وهو من مدينة بغداد؛ يعتبر بمثابة المهندس للخط العربي. ولد في بيت علم وفن سنة - 272 / 886 م، وتوفي في عام 328هـ / 940 م. تعلم الخط عن أبيه أولاً، ثم عن إسحاق ابن إبراهيم البربري. والبيتان المنسوبان لابن الدهان النحوي؛ وردا هكذا:
وعهدي بالصبا زمام وقدي * حكى ألف ابن مقلّة في الكتاب
فصرت الآن منحنياً كأي * أفتش في التراب على شبابي

فصرت اليوم منحنياً كأنني
أفتش في التراب على الشباب¹
وقال رحمه الله²:

يُمسِكُ الفارسُ رُمحاً³
وأنا أمسكُ فيها قصبه⁴
وكلانا⁵ بطلٌ في حربِهِ
إن الأقاليم رماحُ الكتّبة

قال ابن عبد الملك: أنشدت على شيخنا أبي الحسن
الرُّعَيْنِي، قال: أخبرنا الراوية أبو القاسم بن الطُّيْلَسَان؛
قال سألته؛ يعني أبا القاسم أحمد بن أبي بكر هذا، أن
ينشد شيئاً من شعر أبيه المُعَرَّب⁶، فأخرج لي قطعة بخط
أبيه وأنشده. وقال: أنشدني أبي رحمه الله لنفسه⁷:

¹ في المقتضب، ونفح الطيب: ((على شبابي)).
² هذان البيتان وردا في المقتضب. وهما من بحر الرمل.
³ جاء هذا الشطر في المقتضب هكذا: ((يمسك الفارس رمحاً بيد)). وهذا
أصح وأسلم.
⁴ في الزيتونة: ((القصبة)).
⁵ في المقتضب: ((فكلانا)).
⁶ في الإسكوريال: ((المعرب)).
⁷ هذه القصيدة من بحر المنسرح.

أحسن ما نيط في الدعا¹ لمن
رتب في خطة من الخطط
خَصَّكَ اللهُ من عوايقها
ودمت في عصمة من الغلط
مقرباً منك ما تُسرُّ به
وكل مكروهة على شحط
الكل بالعدل منك مغتبط
وليس في الناس غير مغتبط
وليس يخايك من أنا لكها²
من عمل بالنجاة مرتبط
فانفذ بعون الله مجتهدا
بقلب [صَفِيٍّ بِالضَّمِيرِ]³ مرتبط
يا صاحب الأمر والذي⁴ يده
نايلها للعفاة غير بط⁵

¹ جعلها د. طويل: ((الدعاء)). من أجل الوزن.

² في الزيتونة: ((أما لكيها)).

³ في الإسكوريال: ((صافي الضمير)).

⁴ في الزيتونة: ((التي)).

⁵ جعلها د. طويل: ((بطي)).

رفعتم يا بني رفاة ما
كان من المعلّوات [في هبط]¹
ومنبر الحق من سواه بكم
فها هو الآن غير مختلط
وانضبط الأمر واستقام لكم
ولم يكن من قبل ذا بمنضبط²
أتيت في كل ما أتيت به
فالغيث بعد الرجاء³ والقنط
جلت عن سواك منزلة
فلست ممن سواك في نمط
أنت من المجد والعالا طرف
وكلهم في العلامن الوسط

¹ في الزيتونة: ((منهبط)).
² تصرف د. طويل في هذا الشطر؛ فجعله هكذا: ((ولم يكن قبل ذا بمنضبط)).
³ جعلها د. طويل: ((الرجاء)).

كتابه

وقفت من ذلك على أفانين. منها في استهلال شهر رمضان قوله: ((سلام على أنس المجتهدين¹، وراحة المُتَّهِّجِينَ²، وقرّة أعين³ المهتدين، والذي زين الله به الدُّنيا، وأعزبه الدِّين. شَرَّفَ اللهُ به الإسلام، وجعل أيامه رقوماً في عواتق الأيام وشهوره غرراً في جباه الأعلام، وحلَّ به عن رقاب الأمة قلايد الآثام⁴، ونزّه فيه الأسماع عن المكاره، وصان الأفواه من رفث الكلام⁵. أشهد أنّ الله أثنى عليك، وأدخل من شاء الجنة

¹ أضحت هذه العبارة شائعة الاستعمال، وعرضة للاقتباس من قبل الخطباء والدعاة.

² المتجهدون: هم الذين يصلون صلاة التَّجْهِد؛ وهي مستحبة. وتكون بعد منتصف الليل. والأفضل أن تُصلى مثنى مثنى. ولصلاة التَّجْهِد أفضلية تلي صلاة الفرض مباشرة؛ لأن مؤديها قريب من الله؛ كما جاء في الحديث الشريف: إذ روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ)).

³ أي ما تُسَرِّبه أعين المهتدين الراشدين.

⁴ إشارة إلى حديث شريف جاء فيه: عن أبي هريرة؛ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه. ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه)).

⁵ إشارة إلى الحديث الشريف: إذ قال عليه الصلاة والسلام: ((من لم يدع قول الزور والعمل به، والجهل؛ فليس لله حاجة في أن يدع طعامه

على يدك، وخصك من الفضائل بما يشي فيه التفسير حتى يكل، ويسأم ذلك اللسان ويمل، وأبادت ذنوب الأمة بمثل ما أبادت الشمس الظل، ذلك الذي يتهلل للسماء هلاله، ويهتزّ العرش لجلاله، وترتج الملائكة في حين إقباله، وتدخل الحور العين في زينتها تكريماً، وتلتزم إجلاله وتعظيمه، ويهتدي فيه الناس إلى دينهم صراطاً مستقيماً، وتغل الشياطين¹ على ما خليت، وتذوق وبال ما كادت به وتخلت، ويشمر التقيّ لعبادة ربه ذليلاً، وتهبط الملائكة إلى سماء² الدنيا ليلاً³، وينتظم المتقون في ديوانه انتظام السلك، ويكون خلوف فم الصائم عند الله أطيّب من ريح المسك⁴، وتفتح الجنة أبواباً، ويغفر لمن

وشرا به)). متفق عليه. وقال أيضاً: ((الصيام جنة؛ فإذا كان يوم صوم أحدكم؛ فلا يرفث، ولا يصب، ولا يجهل؛ فإن شاتمه أحد أو قاتله؛ فليقل إني صائم، إني صائم)). (أخرجه أحمد ومسلم والنسائي).

¹ إشارة إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ جاء فيه: عن أبي سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا جاء رمضان؛ فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصدت الشياطين. رواه مسلم.

² في الإسكوريال: ((السماء))؛ وصوبت من الزيتونة.

³ في قوله تعالى: [تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ]. سورة القدر؛ الآية: 4 - 5.

⁴ وهذا قول؛ إشارة إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال فيه: ((كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة

صامه إيماناً واحتساباً: ﴿ جَزَاءُ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴾¹،
وبما فضلك الله على سائر الشهور، وقضى لك بالشرف
والفضل المشهور؛ فرضك في كتابه، ومدحك في
خطابه، حيث قال: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ
هُدًى لِلنَّاسِ، وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾². يعني تكبير
الناس عليك، وتقليب أحداقهم بالنظر إليك؛ حين لثمت
بالسحاب، ونظرت من تحت ذلك النقاب، وقد يمتاز
الشيء وإن استتر بالخضاب. حتى إذا وقف الأئمة منك
على الصحيح، وصرحوا برؤيتك³ كل التصريح، نظرت
كل جماعة في اجتماعها، وتأهبت القراءة لإشفاها⁴،

ضعف. قال الله عز وجل "إلا الصوم فإنه لي؛ وأنا أجزي به. يدع
شهوته وطعامه من أجلي. للصائم فرحتان. فرحه عند فطره. وفرحه عند
لقاء ربه. ولخلاف فيه أطيب عند الله من ريح المسك)). حديث لأبي
هريرة؛ متفق عليه.

¹ سورة النبأ؛ الآية: 36.

² الآية كاملة هكذا: [شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ،
وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ
مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ].

سورة البقرة؛ الآية: 185.

³ الحديث هنا عن هلال شهر رمضان.

⁴ أي في صلاة الشفع.

واندفعت الأصوات باختلاف أنواعها، وتضرعت¹ الأبواب، وطلبت المواقف أواخر العشار والأحزاب، وابتدیت²: ﴿الْم 3 فَلَكَ الْكِتَابُ﴾⁴، عندما أوقدت قناديل كأنما قد بدت من الصّباح، ورقصت رقص النواهد عند هبوب الرّيح: ﴿وَاللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾⁵. فأملك المسلمون في سرّ وجهه، وحطت أثقال السيئات عن كل ظهر، والتمست الليلة التي هي خير من ألف شهر⁶، فنشط الصالحون بك صوماً، وهجر المتهجدون في ليلك نوماً، وأكملناك إن أذن الله ثلاثين يوماً. فيا أيها الذي رحل، رحل⁷ بعد مقامة،

¹ في الإسكوريال: ((واصطرعت)).

² هكذا بتخفيف الهمزة؛ لأنها بالرسم المشرقي: ((واِبْتَدَيْتْ)).

³ في الإسكوريال: ((أ. ل. م)).

⁴ يقصد صلاة الشفع التي تستهل بسورة البقرة؛ التي تبدأ ب: [الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ]. سورة البقرة؛ الآيتان: 1 - 2.

⁵ الآية كاملة هكذا: [وَاللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ]. سورة النور؛ الآية: 35.

⁶ إشارة إلى قوله تعالى: [لَيْلَةَ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ]. سورة القدر؛ الآية: 3.

⁷ تكررت هذه الكلمة هكذا في الإسكوريال؛ بينما لم تتكرر في الزيتونة.

وقام للسفر من مقامه، ورأى من قضى حقه، ومن قصر في صيامه، فمشى الناس إلى تشييعه، وبكوا لفراقه وتوديعه، وندم المضيع على ما كان من تضييعه، ولم يثق بدوام العيش إلى وقت رجوعه، فعضّ على كفه ندماً، وبكت عينه ماء وكبده دماً؛ رويداً حتى أمرح في ميدان فراتك، وأتضرع إلى حنانك وإشفاقك، وأتشفى من تقبيلك وعناقك، وأسأل منك حاجة إن أراد الله قضاها، وشاء نفوذها وإمضاها، إذا أنت وقفت لربّ العالمين، فقبلك من قوم، وردك في وجوه آخرين. إن تثني جميلاً، فعسى يصفح لعهدك وإن أسأ، فعلم الله أنني نويت التوبة أولاً وآخراً، وأملت الأداء باطناً وظاهراً، وكنت على ذلك لو هدى الله قادراً، وإثماً علم، من تقصير الإنسان ما علم، وللمرء ما قضى عليه به وحكم، ﴿إِنَّ النَّفْسَ لِلْآثِمَةِ وَالسُّوءِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ، فَإِنْ غَفَرَ فَبَطُولِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَإِنْ عَاقَبَ فِيمَا قَدِمْتَ يَدَ الْعَبْدِ مِنْ عَصِيَانِهِ،

¹ الآية كاملة هكذا: [وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنْ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ]. سورة يوسف؛ الآية: 53.

فيا وحشة لهذه الفرقة، ويا أسفاً على بعد الشقة¹، ويا شدّ ما خلفته لنا بفراقك من الجهد والمشقة، ولطالما هجر الإنسان بك ذنبه، وراقب إعظاماً لكربه، وشرحت إلى أعمال البر قلبه. ومع هذا أترك ترجع وتري، أم تضم علينا دونك أطباق الثرى. فيا ويلتا إن حل الأجل، ولم أقض دينك، ورجعت وقد حال الموت بيني وبينك. فأغرب، لا جعله الله آخر التوديع، وأي قلب يستطيع. وقال في استهلال شوال: ((ولكل مقام مقال². الله أكبر؛ هذا هلال شوال قد طلع، وكرّ في منزله وقطع، وغاب أحد عشر شهراً، ثم رجع؛ مالي أراه رقيق الاستهلال، خفي الهلال، وروحاً تردد في مثل انمالات؟ ما باله أمسى الله رسمه، وصحح جسمه، ورفع في شهور العام اسمه، على وجهه صفرة بينة، ونار إشراقه لينة، وأرى السحاب تعتمده وتقف، وتغشاه سويعة

¹ في الزيتوننة: ((ويا شر)).

² المقصود من هذا المثل: أن لكل أمر أو فعل أو قول موضعاً وحدوداً؛ لا يصح الخروج عنها أو تجاوزها. وفي هذا قال أبو عبد الله محمد بن زياد ابن الأعرابي الهاشمي (ت: بسامراء في 13 شعبان 231 هـ).
تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِيكَ * فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا
أَي: أحسن إليّ كي أذكرك في كلّ مقام رداً على حسن أفعالك.

وتنصرف، ما أراه إلا بطول ذلك المقام، وتوالي الأهوال
العظام. أصابه مرض في فصل من فصول العام، فعادته
كما يعاد المريض، وبكته الأيام الغرّ والليالي البيض،
وقلن كلاك الله وكفاك، وحاطك وشفاك. وقُل: كيف
نجدك؟ لا فضّ فاك¹. هذا على الظن؛ لا على التحقيق،
ومجاز لا يحكم التصديق. وإنه ليعد مثل هذا المقدار، أن
يقدر فيه طول الغيب، وتواتر الأسفار. أليس هو قد أَلْفَ
مجالى الرياح، وصحب برد الصباح، وشاهد الأهوية مع
الغدو والرواح، وطواها بتجربته طي الوشاح. ما ذاك إلا
أنه رأى الشمس في بعض الأيام ماشية، والحسن يأخذ
منها وسطاً وحاشية، ودلائل شبابها ظاهرة فاشية، فوقع

¹ الفضُّ لغة هو: الكسر. ومعنى لا فضّ فوك أو لا يفضض الله فاك هو: لا
كسر الله أسنانك. وذلك بتسمية الشيء مجازاً؛ باسم محله؛ لأن للأسنان
دوراً هاماً في التعبير وحسن الكلام؛ إذ يتعدّر على من كسرت أسنانه
التعبير بفصاحة وطلاقة. فلأسنان دور في مخارج الحروف. من ذلك ما
ورد في حديث النابغة الجعدي؛ الذي أنشد أمام رسول الله صلى الله
عليه وسلم قصيدته الرائية التي يقول في مطلعها:

بلغنا السما مجدداً وفخرأ وسودداً * وإنا لترجو فوق ذلك مظهرا
فقال له عليه السلام: ((إلى أين يا أبا ليلى؟)). فقال: إلى الجنة يا رسول
الله؛ فقال له: ((لا يفضض الله فاك)). فقيل: عاش النابغة مائة وعشرين
سنة؛ لم تسقط له سن.

منها في نفسه ما وقع، وثبت على قلبه من النظر ما زرع، ووقع في شركها، وحق له أن يقع. فرثت هي لحاله وأشفقت، ونهجت بوصولها وتأنقت، وقطعت من معدن نيلها وأنفقت، ورأت أنها له شاكلة يبلغ أملها، وتبلغ مامله، ولذلك ما مدت لذيد السماح، فتعرضت بالعشي، وارصدها في الصباح، مع ما أيقنا به من الانقطاع، ويمسنا من الاجتماع، كما نَفِدَ القدر، وصدر الخبر. وقال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾¹، فوجد لذلك وجداً شديداً²، وأذاقه مع الساعات شوقاً جديداً، وأصبح بها دنفاً³، وأمسى عميداً⁴، حتى سلب ذلك بهاه، وأذهب سناه، وردّه النحول كما شاه⁵، ولقي منها مثل ما لقي غيلان⁶ من ميته، وجميل

¹ الآية كاملة هكذا: [لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ]. سورة ياسين؛ الآية 40.

² أي حزن حزناً شديداً

³ أي مريضاً.

⁴ أي مريضاً لا يقدر على الجلوس؛ فتسند جوانبه بالوسائد.

⁵ شاه شوهاً: قبح. وشاه شوهاً وشوهة الرجل: حسده، وأصابه بالعين.

وشاه شوهاً وشوهة الرجل: أفرعه.

⁶ هو غيلان بن عقبة بن بهيش؛ ويكنى أبا الحارث؛ وهو من بني صعْب بن ملكان بن عدي بن عبد مناة العدنانيين. يلقب بذِي الرمة؛

من بثينته¹، وحنّ إليها حين عروة إلى عفراء²،
وموعدهما يوم وهبّ ناقته الصفراء. على رسلك أني
وهمت، وحسبت ذلك حقاً وتوهمت. والآن وقد فطنت،
وأصبت الفصّ فيما ظننت؛ إنه لقي رمضان في إقباله،
وضمه نقصان هلاله، وصامه فجأة ولم يك في باله،
فأثر ذلك في وجهه الطلق، وأضعفه كما فعل بساير
الخلق. وها هو قد أقبل من سفره البعيد، فقل هو هلال

لأسباب اختلفت فيها الآراء؛ كما اختلفت أيضاً بخصوص وفاته: مكاناً
وزماناً وسبباً. وهو شاعر عاصر الدولة الأموية.
¹ سبقت الإشارة إلى جميل بن عبد الله بن معمر (سالم بن بخيت
المعشني)؛ الشاعر العذري المحب لمن سماها بثينة (بلخيلر بنت سهيل
ارعبوب). ويقال بثينة بنت يحيى؛ من بني ربيعة أيضاً. وفيها يقول:
لقد أورتني قلبي وكان مصححا * بثينة صدغا يوم طار رداؤها
إذ خطرّت من ذكر بثنة خطيرة * عصنتي شؤون العين فانهل ماؤها
فإن لم أزرها عادني الشوق والهوى * وعاود قلبي من بثينة داؤها
² قصة عروة وعفراء ذائعة الصيت في الأدب العربي. وهما من قبيلة
عذرة الشهيرة بحكايات الحب العذري الروحي. وتقول القصة أن عروة
تربى من صغره بعد موت أبيه عند عمه والد عفراء؛ فأحبها وأحبته.
ولما كبرا؛ خطبها من عمه؛ ونظراً لفقره؛ فقد قبل بعد ممانلة؛ وطلب
منه السعي لإحضار مهرها الغالي. ولما سافر عروة للعمل على توفير
المهر؛ زوج عمه عفراء من غريب في بلاد الشام. ولما عاد عروة؛ زعم
عمه أن عفراء ماتت؛ وأراه قبراً حديثاً ادعى أنه لها. ولكن الكذبة
انكشفت، وذهب عروة لرؤية حبيبته؛ وتأكد من زواجها؛ فعاد حزينا إلى
أهله؛ فأتشد مرضه ومات؛ والتحقت به عفراء بعد فترة قصيرة.
والحكاية طويلة وشيقة. ومن شعر عروة في عفراء:

واني لأهوى الحشر إن قيل أنني * وعفراء يوم الحشر ملتقيان
فيا ليت محيانا جميعا وليتنا * إذا نحن متنا ضمنا كفننا

الفطر أو قل هو هلال العيد؛ فلَّقَه صباح مشى الناس فيه
مَشْيَ الحَبَاب¹، ولبسوا أفضل الثياب، وبرزوا إلى
مصلاهم من كل باب. فارتفعت همّة الإسلام، وشرفت
أمة محمد عليه السلام، وخطب بالناس ودعا للإمام،
عندما طلعت الشمس بوجه كَدَوْر المرأة، ولون كصفا
المهراة؛ وخرج لا ينسيها ريم الفلاة؛ وقضوا السنة،
وبذلوا الجهد في ذلك والمنة، وسألوا من الله أن يدخلهم
الجنة، ثم خطبوا حمداً لله وشكراً، وذكره كذكرهم
آبائهم أو أشد ذكراً، ثم انصرفوا راشدين، وافترقوا
حامدين. وشبك الشيخ بيديه، ونظر الشاب في كفيه؛
ورجعوا على غير الطريق الذي أتوا عليه، فلقد استشفى
من الرؤية ذو عينين، وتذكر العاشق موقف البين، وشق
المتنزه بين الصفيين، فنقل عينيه من الوشي إلى الديقاج،
ووجوه كضوء السّراج، وعيون أقتل من سيف الحجاج²،

¹ أي الفقاقيع التي تعلوا الماء.

² هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن الحكم الثقفي؛ ولد
بالطائف؛ أين ديار ثقيف سنة 41هـ/661م. اسمه في الحقيقة ((كليب))؛
ولكنه غيره واختار اسم الحجاج. عرف بقسوته وقهره لأعدائه بشتى
الأساليب الدموية المريعة. ووصل به الفجور والطغيان إلى حد أنه قصف
الكعبة الشريفة بالمنجنيق؛ فألحق بها الضرر. أما قولهم ((سيف

ونظرات لا يدفع داؤها بالعلاج، وقد زينت العيون
بالتكحيل، والشعور بالترجيل، وكُرِّر السَّوَاك على مواضع
التقبيل، وطوقت الأعناق بالعقود، وضرب الفكر في
صفحات الحدود، ومدَّ بالغالبة¹ على مواضع السجود،
وأقبلت صنعاء بأوشيتها، وعنت بأرديتها، ودخلت
العروس في حليتها، ورقمت الكفوف بالحناء، وأثني على
الحسن وهو أحق بالثناء، وطلقت التوبة ثلاثاً بعد البناء،
وغصَّ الذراع بالسوار، وتختم في اليمين واليسار،
وأمسكت الثياب بأيدي الأبيكار، ومشيت الإماء أمام
الأحرار، وتقدمت الدايات بالأطفال الصغار، وامتلأت

الحجاج))؛ فمرده إلى سفكه للدماء دون حساب أو تقيه؛ ثم قوله في
خطبته الشهيرة في أهل العراق: ((أما والله فإني لأحمل الشرَّ بثقله،
وأحذوه بنعله، وأجزيه بمثله، والله يا أهل العراق إني لأرى رؤوساً قد
أينعت، وحنان قطافها؛ وإني لصاحبها)). ثم أضاف: ((إنما هو انتضاء هذا
السيف؛ ثم لا يغمد في الشتاء والصيف؛ حتى يذل الله لأمير المؤمنين
صعبكم، ويقيم له أودكم، وصغركم)). ومن الطرائف التي تناقلها الرواة
عنه: أنه طلب من امرأة خارجية أن تقرأ له شيئاً من القرآن؛ فقرأت:
((بسم الله الرحمن الرحيم إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس...
يخرجون من دين الله أفواجاً)). فصرخ الحجاج مقاطعاً إياها: ويحك يا امرأة..
[إذا جاء نصرُ الله والفتحُ * ورأيتَ الناسَ يدخلونَ في دينِ الله أفواجاً]. فقالت
له: لقد دخلوا؛ وأنت أخرجتهم.
¹ الغالبة: ضرب من الطيب.

الدنيا سرراً¹، وانقلب الكل إلى أهله مسروراً. وبينما كانت الحال كما نصصت، والحكاية كما قصصت، إذ تلالأت الدنيا برقاً، وامتد مع الأفقين غرباً وشرقاً، ورد لمعانه عيون الناظرين زرقاً، ولولا أنه جرب حتى يدرى؛ لقبل قد طلعت مع الشمس شمس أخرى؛ حتى أقبل من شَرُفَتِ الْعَرَبِ بِنَسْبِهِ، وفخر الإسلام بسببه، من انتسب إلى زَهْرَةَ وَقُصَيٍّ²، وازدانت به آل غَالِبٍ وَآلِي لُؤَيٍّ³، من إذا ذكر المجد فهو ممسك بنده⁴، أو الفضل فهو لابس برده⁵، أو الفخر فهو واسطة عقده، أو

¹ جعلها د. طویل: ((سروراً)).

² بنو زهرة؛ هم أخوال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب. وهم أهل أمه أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة. أما قصي فهو جد لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأبيه؛ إذ أنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (واسم عبد المطلب شيبية) بن هاشم. واسم هاشم (عمرو بن عبد مناف). واسم عبد مناف المغيرة بن قصي. (واسم قصي زيد).

³ آل غالب وآل لوي؛ حيان لهما صلة نسب برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ نسبه بالكامل هو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان؛ وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل. قال ابن إسحاق: فولد لؤي بن غالب أربعة نفر: كعب ابن لؤي، وعامر بن لؤي، وسامة بن لؤي، وعوف بن لؤي.

⁴ تصرف د. طویل؛ فكتبها: ((بعده)).

⁵ البرد واحدته برده؛ وهو ثوب مخطط، أو كساء من الصوف الأسود؛ يلتحف به.

الحسن فهو نسيج وحده، الذي رفع لواء العليا،
وعارضت مكارمه صوب الحيا، وحكت محاسنه زهرة
الحياة الدنيا. فأما وجهه فكما شرقت الشمس وأشرقت،
وغربت كواكب سمايها وشرقت، وتفتحت أطواق الليل
عن غرر مجده وتشققت. ولولا حياً يغلب عليه، وخفر
يصحبه إذا نظرت إليه، لاستحال النهار، وغارت لنوره
كواكب الأسحار، ولكاد: ﴿سَنَا بَرْقِهِ يَزْهَبُ
بِالْأَبْصَارِ﴾¹، لا يحفل بالصبح إذا انفلق، ولا بالفجر إذا عم
آفاق الدجا وطبق، ولو بدا للمسافر في ليله لطرق، قد
عجم الأبنوس على العاج، وأدار جفناً كما عطف على
أطفالها النعاج، يضرب بها ضرب السيف، ويلم بالفؤاد
إمام الطيف، ويتلقاها السحر تلقي الكريم للضيف؛ لو
جردها على الرّيم لوقف، أو على فرعون² ما صرف من

¹ إحالة إلى قوله تعالى: [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ
يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ
فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ
يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ]. سورة النور؛ الآية 43.

² فرعون: لقب يطلق على ملوك مصر؛ خاصة بعد ظهور النبي موسى عليه السلام.

سحره ما صرف، أو على بسطام بن قيس¹ لألقى سلاحه وانصرف. وأما أدواته فكما انشقت الأرض عن نباتها، وأخذت زخرفها في إنباتها، ونفخ عرف النسيم في جنباتها، يتفنن أفانين الزهر، ويتقلب قلب الدهر، وتطلع له نوادر كالنجوم الزهر، لو أبصره مطرف² ما شهر بخطه، ولا جرّ من العجب ذيل مرطه، ولا كان المخبر معه من شرطه. وأما أنه لو قري على سحبان كتابه، وانحدر على نهره عبابه، وملاّت مسامعه أطنايه وأسبابه؛ ما قام في بيانه ولا قعد، ولنزل عن مقامه الذي إليه صعد، ولا خلف من بلاغته ما وعد. لعمر ك ما كان بشر بن المعتمر³ بتفنن للبلاغة فنوناً، ولا يتقبلها بطوناً ومتوناً، ولا أبو العتاهية⁴ لشرطها كلاماً موزوناً، ولا نمّق

¹ هو بسطام (الشيبياني) ابن قيس بن مسعود بن خالد بن عبد الله ذي الجدين؛ من ولد همام بن مرة. اشتهر بالبطولة والفروسية.

² هو التابعي أبو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشخير العامري الحرشي البصري. ولد في عهد النبي محمد عليه السلام، وتوفي سنة سبع وثمانين؛ في عهد الوليد بن عبد الملك الأموي.

³ هو أبو سهل بشر بن المعتمر الكوفي ثم البغدادي؛ من ابرز أئمة المعتزلة. كان أخبارياً وشاعراً وفيلسوفاً؛ توفي في سنة 220هـ/835م.

⁴ هو الشاعر الفحل أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي؛ أي من قبيلة عنزة. ولد في عين التمر سنة 130هـ/747م،

الحسن بن سهل¹ الألفاظ، ولا رفع قس بن ساعدة²
صوته بعكاظ³، ولا أعاظ زيد بن علي⁴، هشاماً بما
أعاظ. وأما مكارمه فكما انسكب الغيث عن ظلاله وخرج
الودق من غلاله، فتدارك النعمة عن فوتها، وأحيا

وتوفي سنة 221هـ/826م. وأبو العتاهية كنية اشتهر بها نظراً لما عرف
عنه في شبابه من ميل للمجون، ومن انحراف. غير أنه ترك كل ذلك،
وتحول إلى حياة الزهد والتبسك. من أجمل ما قال:

أشدَّ الجهادِ جهادُ الهوى * وما كرمَ المرءَ إلا التُّقى
وأخلاقُ ذي الفضلِ معروفةٌ * ببذلِ الجميلِ وكفِّ الأذى
وكلُّ الفكاهاتِ مملوءةٌ * وطولُ التعاشرِ فيه القلبي
وكلُّ طريفٍ له لذةٌ * وكلُّ تليدٍ سريعُ البلى
ولا شيءَ إلا له آفةٌ * ولا شيءَ إلا له مُنتهى
وليسَ الغنى نَشَبٌ في يدٍ * ولكنْ غنى النفسِ كلُّ الغنى
وإنَّا لفي صنِّعٍ ظاهرٍ * يدلُّ على صانعٍ لا يرى

¹ هو أبو محمد الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي؛ تولى وزارة
المأمون؛ بعد أخيه ذي الرياستين الفضل؛ وحظي عنده، وتزوج المأمون
ابنته بوران. وكان الحسن بن سهل عالي الهمة، كثير العطاء للشعراء
وغيرهم. وفي سنة 203هـ اضطرب حاله، وتكدرت نفسه؛ فأصيب بمرض
نفسي سموه السوداء؛ تدرج في الكآبة والاحباط؛ إلى أن أضحي مرضه
لوثة في العقل. فهاج حتى شد في الحديد، وحبس في بيت. وكانت وفاته
بمدينة سرخس في سنة 236هـ؛ وقيل 235هـ.

² هو قس بن ساعدة الإيادي (توفي في حدود سنة 600م. كان خطيباً
وحكياً وقساً بنجران. سبقت الإشارة إليه.

³ عكاظ: سوق تجاري وإعلامي؛ كان يعقد أيام الجاهلية في موضع
بالقرب من الطائف. سبق الحديث عنه.

⁴ هو الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط ابن علي بن
أبي طالب. أعلن الدعوة لنفسه أيام هشام بن عبد الملك المرواني؛ الأمر
الذي أغضبه؛ فجهر له جيشاً لحربه؛ فقتل زيد بسهم في جبهته. ومثل
به بنو أمية.

الأرض بعد موتها. ذلك الشريف الأجل، الوزير الأفضل،
أبو طالب بن القرشي الزهري، أدام الله اعتزازه، كما
رقم في حلل الفخر طرازه، فاجتمعت به السيادة بعد
افتراقها. وأشرق وجه الأرض لإشراقها، والتفت الثياب
بالثياب، وضم الركاب بالركاب، ولا عهد كأيام الشباب،
فوصل القريب البعيد، وهنوه كما جرت العادة بالعيد،
فوقف مع ركابه وسلمت، وجرت كلاماً وبه تكلمت.
فقلت تقبل الله سعيك، وزكى عملك، وبلغك فيما توده
أملك، ولا تأملت وجهاً من السرور إلا تأملك، ونفعك
بما أوليت، وأجزل حظك على ما صمت واصلت،
ووافقك لعل وساعدتك لئيت، وهناك عيد الفطر وهنأته،
وبداك بالمسرات وبدأته، وتبرأ لك الدهر مما تحسد وبرأته.
وهكذا بحول الله أعياد واعتياد، وعمر في دوام، وعز في
ازدياد، والسنة تفصح بفضلك إفصاح الخطباء من إياد¹،

¹ أي قبيلة إياد؛ التي ينتمي إليها قس بن ساعدة؛ أبلغ الخطباء في
الجاهلية.

وأقرأ عليك سلام الله ما أشرق الضحا، ودام الفطر
والأضحى¹.

دخوله غرناطة

دخل غرناطة، وتردد إليها غير ما مرة، وأقام بها؛
وامتدح ابن أضحى²، وابن هاني، وابن سعيد، وغيرهم
من أهلها. قال ابن سعيد في طالع³، وقد وصف وصول
ابن قزمان إلى غرناطة، واجتماعه بجنته بقرية الزاوية⁴ من
خارجها، بنزهون القليعية الأديبة، وما جرى بينهما،
وأنها قالت له بعقب ارتجال بديع، وكان لبس غفاره
صفراء: أحسنت يا بقرة بني إسرائيل، إلا أنك لا تسر
الناظرين، فقال لها: إن لم أسر الناظرين، فأنا أسر
السامعين، وإنما يطلب سرور الناظرين منك، يا فاعلة يا

¹ قيلت هذه الرسالة؛ في استهلال شهر شوال. وقد وردت في مخطوط
الإسكوريال فقط.

² هو أبو الحسن علي بن عمر بن أضحى؛ رئيس من الرؤساء؛ ثار
على المرابطين في غرناطة سنة 539هـ/1144م. ولكنه لم يصمد طويلاً؛
حيث توفي سنة 540هـ/1145م.

³ عنوان هذا الكتاب بالكامل هو: الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد.
⁴ هي بلدة صغيرة قريبة من غرناطة؛ وتسمى بالإسبانية La Zabia.

صانعة. وتمكن السكر من ابن قزمان، وآل الأمر إلى أن
تدافعوا معه حتى رموه في البركة، فما خرج منها إلا
وثيابه تقطر؛ وقد شرب كثيراً من الماء، فقال: إسمع يا
وزير ثم أنشد¹:

إِيهِ أَبَا بَكْرٍ وَلَا حَوْلَ لِي
بِدَفْعِ أَعْيَانٍ وَأَنْذَالٍ
وَذَاتِ جِرْحٍ² وَاسِعِ دَافِقٍ
بِالْمَاءِ يَحْكِي حَالَ أَذْيَالٍ³
غَرَقْتَنِي فِي الْمَاءِ يَا سَيِّدِي
كَفَّرَهُ بِالْتَّغْرِيقِ فِي الْمَالِ

¹ هذه الأبيات من البحر السريع.

² في النسخ: ((فرج)).

³ نفسه: ((أذيالي)).

فأمر بتجريده، وخلع عليه ما يليق به [ولم يرا¹
لهم بعد عهدهم بمثله. ولم ينتقل ابن قزمان من غرناطة،
إلا بعد ما أجزل له من الإحسان، ومدحه بما هو في
ديوان أزجاله.

محتته

جرت عليه بابن حمدين² محنة كبيرة، عظم لها
نكاله، بسبب شكاسة أخلاق كان موصوفاً بها، وحدة
شقي بسببها. وقد ألمّ الفتح³ في قلايده بذلك، واختلت
حاله بأخرة، واحتاج بعد انفصال أمر مخدمه الذي نوّه به.

¹ في الإسكوريال: ((ومر)).

² هو قاضي قرطبة؛ أبو جعفر بن حمدين؛ الذي ثار على المرابطين في قرطبة؛ وذلك عندما شعر في سلطتهم بعض الوهن والضعف؛ وقد تم هذا سنة 1144/هـ-539م. ولما سيطر على قرطبة أعلن نفسه أميراً عليها. وقد استمرت رياسته نحو عام؛ ولكنه غلب أخيراً وانهزم أمام القائد المرابطي ابن غانية. وتوفي سنة 1151/هـ-546م.

³ أي الفتح بن خاقان.

وفاته

توفي: بقرطبة؛ لليلة بقيت من رمضان؛ سنة خمس وخمسين وخمسمائة¹، والأمير ابن سعد يحاصر قرطبة. رحمه الله.

* * *

¹ الموافق لـ 1160م.

محمد بن غالب

(الرصاني¹ يكنى أبا عير (الله؛ بلنسي (الأصل)؛
سكن غرناطة مرة، ثم مالقة.

حاله

قال الأستاذ²: كان فحلاً من فحول الشعراء، ورئيساً في الأدباء، عفيفاً، ساكناً، وقوراً، ذاسمت وعقل. وقال القاضي³: كان شاعراً مجيداً، رقيق الغزل، سلس الطبع، بارع التشبيهات، بديع الاستعارات، نبيل المقاصد والأغراض، كاتباً بليغاً، ديناً، وقوراً، عفيفاً، مثقهاً، عالي الهمة، حسن الخلق والخلق والسّمت، تام العقل، مقبلاً على ما يعنيه من التعيش بصناعة الرّفي⁴ التي كان يعالجها بيده؛ لم يبتذل نفسه في خدمة، ولا تعرض لانتجاع بقافية، خلا وقت سكناه بغرناطة، فإنه امتدح

¹ توجد ترجمة محمد بن غالب الرصافي الرّفاء في: التكملة لكتاب الصلة، ووفيات الأعيان، والمعجب في تلخيص أخبار المغرب، وجذوة المقتبس، وكتاب الأعلام للزركلي.
² الأستاذ أبو جعفر بن الزبير؛ مؤلف كتاب صلة الصلة.
³ هو القاضي ابن عبد الملك المراكشي مؤلف كتاب الذيل والتكملة.
⁴ في الإسكوريال: ((الرفو)). والرفاء: هو الذي يرفأ الثياب؛ أي يصلح الثياب ويخيطها.

واليها حينئذ، ثم نزع عن ذلك، راضياً بالخمول حالاً،
والقناعة مالاً، على شدة الرغبة فيه، واغتنام ما يصدر
عنه.

أخبار عقله وسكونه

قال الفقيه أبو الحسن شاكربن الفخار المالقي: وكان
خبيراً بأحواله: ما رأيت عمري رجلاً أحسن سمناً،
وأطول صمتاً، من أبي عبد الله الرصافي. وقال غيره من
أصحابه: كان رفاءً؛ فما سمع له أحد من جيرانه كلمة
في أحد. وقال أبو عمرو بن سالم: كان صاحباً لأبي،
ولقيته غير ما مرة، وكان له موضع يخرج إليه في فصل
العصير، فكنت أجتاز عليه مع أبي فألثم يده، فربما قبل
رأسي، ودعالي، وكان أبي يسأله الدعاء؛ فيخجل،
ويقول أنا والله أصغر من ذلك. قال، وكان بإزايه أبو
جعفر البلنسي. وكان متوقد الخاطر، فربما تكلم مع أحد
التجار؛ فكان منه هفوة، فيقول له جلساؤه، شتان والله
بينك وبين أبي عبيد الله في العقل والصمت؛ فربما طالبه
بأشياء ليجاوبه عليها، فما يزيد على التبسم. فلما كان

أحد الأيام، جاء البلنسي ليفتح دكانه. فتعمّد إلقاء الغلق من يده؛ فوقع على رأس أبي عبد الله. وهو مقبل على شغله؛ فسأل دمه؛ فما زاد على أن قام، ومسح الدّم، ثم ربط رأسه، وعاد إلى شغله. فلمّا رأى ذلك منه أبو جعفر ترامي عليه، وجعل يقبل يديه، ويقول: واللّه ما سمعت برجل أصبر منك، ولا أعقل.

شعره

وشعره لا نهاية فوقه رونقاً ومائية، وحلاوة وطلاوة، ورقة ديباجة، وتمكن ألفاظ، وتأصل معنى. وكان رحمه الله، قد خرج صغيراً من وطنه، فكان أبداً يكثر الحنين إليه، ويقصر أكثر منظومه عليه. ومحاسنه كثيرة فيه، فمن ذلك قوله¹:

خليلي ما للبيد قد عبقّت نشرا

وما لرؤوس الركب قد رجحت² سكرًا

¹ البحر الطويل.

² في الديوان: ((رئحت)).

هل المسك مفتوتاً¹ بمدرجة الصبا
أم القوم أجروا من بلنسية ذكرا
خليليّ عوجا بي قليلاً فإنه
حديث كبرد الماء في الكبد الحرّي
قفا غير مأمورين ولتتصدّياً²
على ثقة للمزن³ فاستسقى القطرا
بجسر معان والرصافة أنه
على القطر أن يسقي الرصافة والجسرا⁴
بلادي التي ريشت قويدمتي⁵ بها
فريخاً وأورثتني قرارتها وكرا
فبادي⁶ أنيق⁷ العيش في ريق الصبا
أبي الله أن أنسى اغتراري بها غراً⁸

¹ في الديوان: ((مفتوقاً)).

² نفسه: ((ولتصدبا بها)).

³ نفسه: ((للغيث)).

⁴ الرصافة موضع جميل للتنزه في بلنسية.

⁵ تصغير للقوادم؛ وهي الريش الأربعة في مقدمة جناح الطائر.

⁶ في الديوان: ((مبادي)).

⁷ نفسه: ((لين)).

⁸ ورد هذا الشطر في الديوان هكذا: ((أبي الله أن أنسى لها أبداً ذكراً)).

لبسنا بها ثوب الشباب لباسها
ولكن عرينا من حلاه ولم تعرا¹
أمنزلنا عصر الشبيبة ما الذي
طوى دوننا تلك الشبيبة والعصرا
محل أغر العهد لم نبد ذكره
على كبد إلا امترى أدمعاً حمرا
أكل مكان كان² في الأرض مسقطاً
لرأس الفتى يهواه ما عاش مضطرا³
ولا مثل مدحُوٍّ من المسك تربة
تملي الصبّا فيه حقيقتها⁴ عطرا
نبات كأن الخد يحمل نوره
تخال لجيناً في أعاليه أو تبرا

¹ هذا البيت والبيتان الماليتان؛ لم يردا في الديوان.

² في الديوان: ((راح)).

³ أي دون حاجة إلى سبل الإقناع.

⁴ في الديوان: ((حقيبتها)).

وما¹ كتر صيغ المجرة جللت
نواصيه² الأزهار واشتبتكت³ زهرا
أنيق كريان⁴ الحياة التي خلت⁵
طليق كريعان⁶ الشباب الذي مرا
وقالوا هل الفردوس ما قد وصفتَه
فقلت وما الفردوس في الجنة الأخرى⁷
بلنسية تلك الزمردة⁸ التي
تسيل عليها كل لؤلؤة نهرا
كأن عروساً أبدع الله حسنهما
فصير من شرخ الشباب لها عمرا

¹ في الديوان: ((وماء)).

² نفسه: ((نواحيه)).

³ نفسه: ((فاشتبتكت)).

⁴ نفسه: ((كريعان)).

⁵ نفسه: ((حلت))؛ بالحاء المهملة.

⁶ نفسه: ((كريان)).

⁷ لم يرد هذا البيت في الديوان.

⁸ في الديوان: ((الزبرجدة)).

يؤيد منها¹ شعشعانية الضحى²
مضاحكة الشمس البحيرة والبحرا³
تراجم⁴ أنفاس الرياح بزهرها
نجوماً فلا شيطان يغربها⁵ ذعرا
وإن كان قد مدت يد البين بيننا
من الأرض ما يهوى المجدُّ به شهرًا⁶
هي الدرة البيضاء من حيث جدتها⁷
أضاءت ومن للدر أن يشبه الدرًا⁸
خليلي أن أصدر لها فإنها⁹
هي الوطن المحبوب أوكله الصدرًا¹⁰

¹ في الديوان: ((تؤيد فيها)).
² أي أنوار الضحى الكمشعة المتوهجة.
³ ورد هذا الشطر في الديوان هكذا: ((إذا ضاحك الشمس البحيرة والبحرا)).
⁴ في الديوان: تراجم)).
⁵ نفسه: ((يقربها)).
⁶ لم يرد هذا البيت في الديوان.
⁷ في الديوان: ((جنتها)). وهذا أسلم.
⁸ نفسه: ((البدرا)). وهذا أصوب.
⁹ هذا الصدر مختل الوزن.
¹⁰ اعتباراً من هذا البيت وحتى آخر الأبيات؛ غير وارد في الديوان.

لم أطو عنها الخطو هجراً لها إذاً
فلا لثمت نعلي مساكنها الخضرا
ولكن إجلالاً لتربتها التي
تضم فتاها الندب أو كهلها الحرى
أكارم عاث الدهر ما شاء فيهم
فبادت لياليهم فهل أشتكي الدهرا
هجوع بطن وأرض قد ضرب الردى
عليهم قبيبات فويق الثرى غبرا
تقضوا فمن نجم سالك ساقط¹
أبى الله أن يرعى السماك أو والنشرا
ومن سابق هذا إذا شاء غاية
وغير محمود جواد العلى خضرا²
أناس إذا لاقيت من شيت منهم
تلقواك لا غث الحديث ولا غمرا

¹ هذا الشطر مختل المعنى والوزن.

² هذا الشطر مختل المعنى والوزن.

وقد درجت أعمارهم فتطلعوا
هلال ثلاث لو شفارق أو بدرا
ثلاثة أمجاد من النفر الألى
زكوا خيراً بين الورى وزكوا خيرا
تكلتهم¹ تكلأ دهى العين والحشا
فعجّر ذا أمّا وسجّر ذا جمرا
كفى حزناً أنى تباعدت عنهم
فلم ألق من سُرى منها ولا سُراً
وإلى متى أسل بهم كل راكب²
ليظهر لي خيراً تأبط لي شرا
أباحثه عن صالحات عهدتها
هناك فيسبني³ بما يقصم الظهر
محياً خليل غاض ماء حياته
وساكن قصر أضر⁴ مسكنه القبرا

¹ جعلها د. طویل: ((أَتَكَلَّتْهُمْ))؛ من أجل الوزن.
² جعل د. طویل هذا الشطر هكذا: ((وإلا متى أسلو بهم كل راكب))؛
وذلك من أجل الوزن.
³ جعلها د. طویل: فيسبيني)).
⁴ جعلها د. طویل: ((ضر)).

وأزهر كالإصباح قد كنت أجتلي
سواء كما يستقبل الأرقُ الفجرا
فتى لم يكن خلُو الصفات من الندى
ولم يتناس الجود أصرم أم أثرا
يصرف ما بين اليراعة والقنا
أنامله لابل هواطله الغرا
طويل نجاد السيف لان كأنما
تخطى به في البرد خطية سمرا
سقته على ما فيك من أريحية
خلائق هن الخمر أو تشبه الخمر
ونشر محيا للمكارم لو سرت
حُمياه في وجه الأصيل لما اصفرا
[هل السعد إلا حيث حط صعيده
لمن بل في شفري ضريح له شفرا
طوين الليالي طيهن وإنما
طوين¹ عني التجلد والصبرا

¹ جعلها د. طويل: ((أطوين))؛ من أجل الوزن.

فلا حرمت سقياه أدمع مزنة
تري مبسم النوار عنبر معتراً
وما دعوتي للمزن عذراً لدعوتي
إذا ما جعلت البعد عن قربه عذراً¹
وقال يرثي أبا محمد ابن أبي العباس بمالقة²:
أبنى البلاغة فيم حفل النادي
هبها عكاظ فأين قس أياد
أما البيان فقد أجرّ لسانه
فيكم بفتكته الحمام العاد
عرشت سما عليكم ما أنتم³
من بعد ذلكم الشهاب الهادي
حطوا على عمد الطريق فقد خبت
لآلي⁴ ذاك الكوكب الوقاد

¹ الأبيات المحصورة بين حاصرتين وردت في الإسكوريال؛ وسقطت في الزيتونة
² هو الفقيه الأديب عبد الله بن أبي العباس الجذامي المالقي؛ له شهر
في مدح سلطان الموحدين يوسف بن عبد المؤمن. وهذه القصيدة من
البحر الكامل؛ توجد بعض أبياتها في ديوان الرصافي البلنسي؛ بينما لم
في المغرب سوى البيت الأول منها.
³ جعلها د. طویل هذا الشطر هكذا: ((عرشت سما علاكم ما أنتم))؛ من أجل الوزن.
⁴ جعلها د. طویل: ((لآلاء))؛ من أجل الوزن.

ما فل لهزمه¹ الصقيل وإنما
نثرت كعوب قناكم المناد
إيه عميد الحي غير مدافع
إيه فدى لك غابر الأمجاد
ما عذر سلك كنت عقد نظامه
إن لم يصر برداً إلى الآباد
حيث² الزمان عليك تكلا أن يرى
من طول ليل في قميص حداد
يومي بأنجمه لما قلده
من در ألقاظ وبيض أياد
كثف الحجاب فما ترى متفضلاً
في ساعة تصغي به وتتادي
ألمم بربعك غير مأمور فقد
غص الفنا بأرجل القصاد

¹ جعلها د. طويل: (لهذمة)؛ أي في حال اتحاد القاطع من الأسنة.
² في الديوان: ((حسب)).

خبراً يبلغه غير مأمور فقد
غصَّ الفناء بأرجل القصاد
خبراً يبلغه إليك ودونه
أمن العداة وراحة الحساد
قد طأطأ الجبل المنيف قذاله
للجار بعدك واقشعر الوادي
أعد التفاتك نحونا وأظنه
مثل الحديث لديك غير معاد
وامسح لنا عن مقاتيك من الكرى
نوماً تكابد من بكى وسهاد
هذا الصباح ولا تهب إلى متى
طال الرقاد ولات حين رقاد
وكأنما قال الردى نَمْ وادعاً
سبقت إلى البشرى بحسن معاد
أموسداً تلك الرخام بمرقد
أخشن به من مرقد ووساد

خصبت بقدرك حفرة فكأنها
من جوفها في مثل حرف الصاد
وثر لجنبك من أثاث مخيم
ترب نـد¹ وصفايح أنضاد
يا ظاعناً ركب السرى في ليلة
طار الدليل بها وحاد الحادي
أعزز علينا إن حطت بمنزل
تبلى عن الزوار والعواد
جار الأفراد هنالك جيرة²
سقياً لتلك الجيرة الأفراد
الساكنين إلى المعاد قبابهم
منشورة الأطناب والأغماد
من كل ملقية الجراب بمضرب
ناب البلى فيه عن الأوتاد

¹ جعلها د. طويل: ((الندى)).

² هذا الشطر مختل الوزن.

بمعرس السفر الألى ركبوا السرى
مجهولة الغايات والاماد
سيان فيهم ليلة ونهارها
ما أشبه التأويب بالإسناد
لحق البطون من اللعب على الطوى¹
وعلى الرواحل عنفوان الزاد
لله هم فلشد ما نفضوا من أم
تعة الحياة في² حقايب الأجساد
ياليت شعري والمنالك جنة
والحال مؤذنة بطول بعاد
هل للعلا بك بعدها من نهضة
أم لانقضاء نواك من ميعاد
بأبي وقد ساروا بنعشك صارم
كثرت حمايله على الأكتاد³

¹ هذا الشطر مختل.
² حذف د. طويل كلمة ((في)) ليستقيم الوزن.
³ أي على الأكتاف.

ذلت عواتق حامليك فإنهم
شاموك في غمد بغير نجاد
نعم الذماء البر ما قد غوروا
جثمانه بالأبرق المنقاد
علياء خص بها الضريح وإنما
نعم الغوير بأبؤس الأنجاد
أبني العباس أي حلاحل
سلبتكم الدنيا وأي مصاد
هل كان إلا العين وافق سهمها
قدراً فأقصد أيما إقصاد
أخلل بمجد لا يسد مكانه
بالإخوة النجباء والأولاد
ولكم يرى بك من هضاب لم يكن
لولاك غير دكادك ووهاد
ما زلت تتعشها بسبيك قابضاً
منها على الأضباع والأعضاد

حتى أراك أبا محمد الردى
كيف انهداد بواذخ الأطواد
يا حرها من جمرة مشبوبة
يلقى لها الأيدي على الأكتاد
كيف العزاء وإنها لرزية
خرج الأسى فيها عن المعتاد
صدع النعاة بها فقلت لمدعي
كيف انسكابك يا أبا الجواد
لك من دمي ما شيت غير مُنَهَّه
صب كيف شيت معصفر الأبراد
بقصير مجتهد وحسبك غاية
لو قد بلغت بها كبير مراد
أما الدموع فهي¹ أضعف ناصر
لكنهن كثيرة التعداد²

¹ جعلها ذ. طويل: ((هن)).
² في الديوان: ((الأعداد)).

ثم السلام ولا أغب قراره
وأرتك صوب روايح وغواد
تسقيك ما سفحت عليك يراعة
في خد قرطاس دموع مداد
ومن غرامياته وإخوانياته قوله من قصيدة¹:
عاد الحديث إلى ما جر أطييه
والشيء يبعث ذكر الشيء عن سبب
إيه عن الكدية البيضاء إن لها
هوى يغلب² أخيك الواله الوصب
راوح بها³ السهل من أكنافها وأرح
ركابنا ليلنا⁴ هذا من التعب

¹ القصيدة التالية: وردت في الإسكوريال، بينما سقطت في الزيتونة. وموجودة في ديوان الرصافي البنسي. وهي من البحر البسيط.
² في الديوان: ((بقلب))؛ وهذا اسلم.
³ نفسه: ((بنا)).
⁴ نفسه: ((ليلها)).

وانضح نواحيها¹ من مقلتيك وسل
من² الكئيب الكريم العهد في الكتب³
وقل لسرحته يا سرحة كرمت
على أبي عامر عزي عن السحب
يا عذبة الماء والظل أنعمي طفلاً
حييت ممسية ميادة الغضب⁴
ماذا على ذلك الألمي وقد قلصت
أفياؤه لوضفا شيئاً لمغترب
أهكذا تتقضي نفسي لديك ظما
الله في رمق من جارك الجنب⁵
لولاك يا سرح لم يبق⁶ الفلا عطلا
من السرى والدجا خفاقة الطنب

¹ في الديوان: ((جوانبها)).

² نفسه: ((عن)).

³ نفسه: ((الكئيب))؛ بالثناء المثلثة.

⁴ نفسه: ((القضب)).

⁵ أي جار من الغرباء.

⁶ في الديوان: ((لم نبق)).

ولم نبت نتقاضى من مدامعنا
ديناً لتربك من رقراقها السَّربِ
إنّا¹ إذا ما تصدى من هوى طلل
عجنا عليه فحييناه عن كتب
مستعطفين سخيّات الشئون له
حتى يحاك² عليه مموق³ العشب
سلي خميلتك الريا بأية⁴ ما
كانت ترف بها ربحانة الأدب
عن فتية نزلوا على⁵ سرارتها
عفت محاسنهم إلا من الكتب
محافظةين على العليا وربتما
هزوا السجايا قليلاً بابنة العنب

¹ في الديوان: ((أخا)).

² نفسه: ((تحاك)).

³ نفسه: ((نمرق))؛ وهو أسلم.

⁴ نفسه: ((لأية)).

⁵ نفسه: ((عليا)).

حتى إذا ما قضوا من كأسها وطراً
وضاحكوها لدى جد¹ من طرب
راحوا رواحاً وقد زیدت عمايمهم
حلماً ودارت على أسفى من السبب²
لا يظهر الشكر³ حالاً في⁴ ذوايهم
إلا التفات⁵ الصبا في ألسن العذب
المنزليين القوافي من معاقلها
والخاضدين لديها شوكة العرب
ومن مقطوعاته قوله⁶:

دعاك خليل والأصيل كأنه
عليل يقضي مدة الزمن الباقي
إلى شط منساب كأنك ماؤه
صفاً ضميراً وعذوبة أخلاق⁷

¹ في الديوان: ((إلى حد)).

² نفسه: ((أبهى من الشهب)).

³ نفسه: ((السكر)).

⁴ نفسه: ((من)).

⁵ نفسه: ((التفاف)).

⁶ لم يرد في الديوان من هذه القصيدة سوى البيت الثاني. وهي من البحر الطويل.

⁷ ورد هذا الشطر في الديوان هكذا: ((صفاً ضميراً أو عذوبة أخلاق)). وهو أسلم. أسلم.

ومهورى جناح للصبا يمسح الربى
خفي الخوافي والقوادم خفاق
وفتيان صدقك كالنجوم تألفوا
على النأي من شتى بروج وآفاق
على حين راح البرق في الجو مغمداً
ظباه ودمع المزن في جفنه راق
وجالت بعيني في الرياض التفاتة
حبست بها كأسى قليلاً عن الساقى
على سطر خيرى ذكرتك فانثنى
يميل بأعناق ويرنو بأحداق
وقف وقفه المحبوب منه فإنها
شمايل مشغوف بمراك مشتاق
وصل زهرات منه صفر كأنها
وقد خضلت قطراً محاجر عشاق

وقال وكلفها في حايك¹ [وهو بديع]²:
قالوا وقد أكثروا في حبه عدل³
لو لم تهتم بمزال⁴ القدر مبتذل
فقلت لو أن أمري في الصبابة لي
لاخترت ذاك ولكن ليس ذلك لي
في كل قلب عزيزات مذلة
للحسن والحسن ملك حيث جل ولي
علقته حبيبي⁵ الثغر عاطره
درِّي لون المحيا أحور المقل⁶
إذا تأملته أعطاك منتقياً
ما شيت من لحظات الشادن الوجل⁷

¹ وردت هذه العبارة في المغرب هكذا: ((وقوله في غلام حانك)).
² هاتان الكلمتان سقطتا في الزيتونة. وهذه الأبيات موجودة في ديوان الرصافي البلبني. وهي من البحر البسيط.
³ في الديوان: ((عدلي)).
⁴ نفسه: ((بمزال))؛ أي بالمتهم المبتذل.
⁵ جعلها د. طویل: ((حَبَّي))؛ وهذا أسلم.
⁶ ورد هذا الشطر في الديوان هكذا: ((ألمى المُقبَّل أحوى ساحر المقل)).
⁷ في الديوان: ((الغزل)).

هيهات أبغي به من غيره بدلا
أخرى الليالي وهل في الغير من بدل
غزير لم تزل في الغزل جايلة
بنانه جولان الفكر في الغزل
جذلان تلعب بالمحرك¹ أنمله
على السدى لعب الأيام بالأمل²
ما أن يني تعب الأطراف مشتغلا
أفديه من تعب الأطراف مشتغل
ضرباً³ بكفيه أو فحماً بأخمصه
تخبط الظبي في أشراك محتبل
وقال⁴:

ومهفف كالغصن إلا أنه
سلب التثني النوم عن أثنائه

¹ في الديوان: ((بالمحواك)).

² نفسه: ((بالدول)).

³ نفسه: ((جذباً)).

⁴ هذان البيتان توجدان في ديوان الرصافي البلنسي، والمعجب؛ وهما من بحر الكامل.

أضحى ينام وقد تخدّد¹ خده
عرقاً فقلت الورد رُشّ بمائه
وقال²:

أدرها فالغمامة قد أجالت
سيوف البرق في لمم البطاح
وراق الروض طاووساً بهياً
تهب عليه أنفاس الرياح
تقول وقد تثنى قزح عليه
ثياب الغيم معلمة النواح
خذوا للصحو أهبتكم فإني
أعرت المزن قادمي جناح
وقال³:

أدرها على أمر فما ثم من بأس
وإن جددت آذانها ورق الآس

¹ في المعجب، والديوان: ((تحبب)).

² هذه الأبيات من بحر الوافر.

³ هذه الأبيات من البحر الطويل.

وما هي إلا ضاحكات غمايم
لواعب من ومض البروق بمقياس
ووفد رياح زعزع النهر مدة
كما وطيت درعاً سنابك أفراس
وقال في وصف مغنٍ محسن¹:
ومطارح مما تحس² بنانه
صوتاً³ أفاض عليه ماء وقاره
يثني الحمام فلا يروح لوكره
طرباً ورزق بنيه في منقاره
وقال يصف جدول ماء عليه سرحة، ولها حكاية معروفة⁴:
ومُهَدَّل الشطين تحسب أنه
متسائل⁵ من درة لصفائه

¹ هذان البيتان يوجدان في ديوان الرصافي البننسي؛ وهما من بحر الكامل.
² في الديوان: ((تجس)) بالجيم المعجمة التحتية.
³ نفسه: ((لحناً)).
⁴ هذه الأبيات توجد في المعجب، وديوان الرصافي البننسي. وهي من بحر الكامل.
⁵ في المعجب: ((متسائل)).

فأنت عليه مع العشيّة¹ سرحة
صدئت لفينتها صفيحة مايه
فتراه أزرق في غلالة سمرة
كالدارع استلقى بظل لوايه²

نثره

قال من مقامة يصف القلم³:
قصير كالأنابيب⁴ لكنه
يطول مضاء طوال الرماح
إذا عبّ للنفس في دامس
ودب من الطرس فوق الصفاح
تجلت به مشكلات الأمور
ولان له الصعب بعد الجماح

¹ في الديوان، والمعجب: (الهجيرة)).

² سقط هذا البيت في الزيتونة.

³ استهل هذه القطعة النثرية بأبيات من الشعر. والأبيات من بحر المتقارب.

⁴ جعلها د. طويل: ((قصير الأنابيب)). وهذا أسلم.

فلولا هو¹ لغدت أغصان الاكتساب زاوية²، وبيوت
الأموال خاوية، وأسرعت إليها البوسى، وأصبحت كفؤاد
أم موسى³، فهو لا محالة تجرُّها الأريج، وميزانها الأرجح.
به تدر ألبانها، وتثمر أفنانها، وتستمر أفضالها وإحسانها،
وهو رأس مالها، وقطب عمالها وأعمالها. وصاحب القلم
قد حوى الملكة بأسرها، وتحكم في طيها ونشرها، وهو
قطب مدارها، وجهينة⁴ أخبارها، وسر اختيارها
واختبارها، ومظهر مجدها وفخارها، يعقد الرايات لكل
والٍ، ويمنحهم من المبرة كل صافية المقييل، ضافية
السربال، يطفي جمرة [الحرب]⁵ العوان، ويكايد العدو
بلا صارم ولا سنان، يقدر المفاصل، ويتخلل الأباطح
والمعاقل، ويقمع الحواسد والعواذل.

¹ هكذا كتبت في الإسكوريال والزيتونة؛ وتقابل ما اصطلح عليه حديثاً: ((فلولاه)).
² حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((خاوية)).
³ إشارة إلى قوله تعالى: [وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ]. سورة القصص؛ الآية: 10.
⁴ إشارة إلى المثل القائل: ((عند جهينة الخبر اليقين)). ومفاده أن السر لا يعرفه إلا جهينة. أي صاحب السر.
⁵ سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.

وفاته

توفي بمالقة؛ يوم الثلاثاء لإحدى عشرة بقيت من
رمضان؛ سنة اثنين¹ وسبعين وخمسمائة²؛ وقبره مشهور بها.

¹ صوبها د. طویل؛ فكتب: ((اثنین))؛ وهذا أصح.
² الموافق لـ 1176م.

محمد بن قاسم

(ابن أبي بكر القرشي المالقي؛ من أهل مالقة، وسكن غرناطة،
وتروو إليها

حاله

كان ليبياً لودعياً، جامعاً لحصال؛ من خط بارع
وكتابة، ونظم، وشطرنج، إلى نادر حار، وخاطر ذكي،
وجرأة. توجه إلى العدو، وارتسم بها طبيياً، وتولى النظر
على المارستان بفاس في ربيع الثاني؛ من عام أربعة
وخمسين وسبعمائة¹.

شعره

أنشدني بمدينة فاس عام ستة وخمسين²، في وجهتي
رسولاً إلى المغرب، قوله في رجل يقطع في الكاغد³:
أبا علي حسينا أين الوفا منك أيننا

¹ الموافق لـ 1353م.

² 756هـ/1355م.

³ المجتث.

قد بين الدمع وجدي وأنت تزدداد بينا
بلت لحاظك قلبي تالله ما قلت مينا
قط المقص لهذا سبب الصب مينا
بقيت تفتقر حسنا ودمت تزدداد زينا
وقال أيضاً¹:

فضل التجارات باد في الصناعات
لولا الذي هو فيها هاجر عات
حاز الجمال فأعياني وأعجزني
وإن دعيت بوصاف ونعات

وكان شديد المغالطة، ذاهباً أقصى مذاهب القحة،
يحرك من لا يتحرك، ويغضب من لا يغضب. عتب يوماً
جدته على طعام طبخته له، ولم يستطبه، وكان بين يديه
القط يصدعه بصياح طلبه، فقال له ضجراً، خمسمائة
سوط، فقالت له جدته لم تعط هذه السياط للقط، إنما
عنيتني بها، وأعطيتها باسم القط، فقال لها حاش لله يا
مولاتي، وبهذا البخل تدريني أو الزحام عليها، بل ذلك

¹ البسيط.

للقط حلالاً طيباً، ولك أنت ألف من طيبة قلب،
فأرسلها مثلاً، وما زلنا نتفكه بذلك، وكان في هذا الباب
لا يشق غباره.

مولده

بمالقة؛ عام ثلاثة وسبعماية¹.

وفاته

بعث إليّ الفقيه أبو عبد الله الشديد، يعرفني أنه
توفي في أواسط عام سبعة وخمسين وسبعماية².

¹ الموافق لـ 1303م.
² الموافق لـ 1356م.

محمد بن سليمان

(بن القصيرة¹؛ أبو بكر؛ كاتب الرولة للمتونة، وعلم وقته.

حاله

قال ابن الصيرفي²: الوزير الكاتب، الناظم، الناثر،
القايم بعمود الكتابة، والحامل للواء والبلاغة، والسابق
الذي لا يشق غباره، ولا تخمد أبداً أنواره. اجتمع له براعة
النثر، وجزالة النظم، رقيق النسيج، حفيف المتن، رقعته
ماشيت في العين واليد. قال ابن عبد الملك³: وكان كاتباً
مجيداً، بارع الخط، كتب عن يوسف بن تاشفين⁴.

¹ توجد ترجمة محمد بن سليمان بن القصيرة أيضاً في: الذجيرة،
والمغرب في حلى المغرب، والمطرب، والصلة، وقلاند العقيان، والبيان
المغرب، والمعجب، والوافي بالوفيات، والمحمدون من الشعراء، والذيل
والتكملة، ونفح الطيب.

² صاحب كتاب الأنوار الجليلة في تاريخ الدولة المرابطية.

³ صاحب الذيل والتكملة.

⁴ في الذيل والتكملة: ((كتب عن أبي يعقوب يوسف بن تاشفين للمتوني)).

مشيخته

روى عن أبي الحجاج الأعمى، وأبي الحسن بن شريح¹، وروى عنه أبو الوليد هشام بن يوسف بن الملجوم، لقيه بمراكش².

شعره

وهو عندي في نبط دون ما وصف به. فمن ذلك قوله من قصيدة أنحى فيها على ابن ذي النون، ومدح ابن عباد، عند خلع ابن جهور، أبي الوليد، وتصيير قرطبة إليه³:
فسل عنه أحشاء ابن ذي النون هل سرى
إليها سكون منذ زلزلها الذعر
وهل قدرت مذ أوحشته طلايع الـ
ظهور عليه أن⁴ تؤنسه الخمر

¹ في الذيل: ((وأبي الحسن شريح)).

² نفسه: ((لقيه بمراكش سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة)).

³ البحر الطويل.

⁴ جعلها د. طويل: ((أني))؛ من أجل الوزن.

[ألم يجن يحيى من تعاطيك ظله
سجا لك هيهات السهى منك يا بدر
لجارك واستوفيت أبعد غاية
وآخره عن شأوك الكف والعثر
فأحرزت فضل السبق عفواً وكفه
على رغمه مما توهمه صفر
ويا شد ما أغرته قرطبة وقد
أبشرتها خيلنا فكان لك الدر]¹
ومنها:

[أنتك وقد أزرى ببهجة حسنهما
ولا لأنها² من جور مالكا طمر
فألبيستها من سابغ العدل حلة
زهاها بهاتيه وغازلها كبر
وجاءتك متقالا فضمخ حيهما
وازدانها من ذكرك المعتلي عطر

¹ الأبيات الواردة بين حاصرتين؛ سقطت في مخطوط الزيتونة.
² جعلها د. طويل: ((ولا أنها))؛ من أجل الوزن.

وأجريت ماء الجود في عرصاتها
فروض حتى كاد أن يورق الصخر
وطاب هوا¹ أفقها فكأنها
تهب نسيماً فيه أخلاقك الزهر
وما أدركتهم في هواك هواده
وما أنتمروا إلا لما أمر البر
وما قلدوك لأمر² إلا لواجب
جنته³ فيه المجرب والغمر
وبوأنهم في ذروة المجد معقلا
حرام على الأيام إمامه حجر
وأوردهم من فضل سيبك مورداً
على كثرة الوارد مشرعه غمر
فلولاك لم تفصل عرى الإصر عنهم
ولا انفك من ربق الأذى لهم أسر

¹ جعلها د. طويل: ((هواء))؛ من أجل الوزن.
² جعلها د. طويل: ((قلدوك الأمر))؛ من أجل الوزن.
³ أضاف د. طويل هنا كلمة: ((ما))؛ فأضحت هكذا: ((ما جنته)). وهذا التصرف من أجل الوزن.

أعدت نهار ليلهم ولطالما
أراهم نجوم الليل في أفقه الظهر
ولا زلت تؤويهم إلى ظل دوحه
من العز في أرحابها النعم لخضر¹

كتابه

وهي من قلة التصنع والإخشوشان، بحيث لا يخفى
غرضها. ولكل زمان رجاله. وهي مع ذلك تزينها
السذاجة، وتشفع لها الغضاضة. كتب عن الأمير يوسف
ابن تاشفين ولاية عهده لولده: ((هذا كتاب تولية عظيم
جسيم، وتوصية حميم كريم، مهدت² على الرضا
قواعده، وأكدت بيد³ التقوى [مواعده]⁴ ومعاقده،
وسددت إلى الحسنى مقاصده، وأبعدت عن [الهوادة
والهوى]⁵ مصادره وموارده. أنفذه أمير المسلمين، وناصر

¹ سقطت هذه القصيدة في الزيتونة؛ بينما وردت في الإسكوريال.

² في الزيتونة: ((بنيت))،

³ نفسه: ((على)).

⁴ هذه الكلمة أضيفت من الزيتونة.

⁵ كتب في الزيتونة مكانهما: ((الحوادث)).

الدين، أبو يعقوب يوسف بن تاشفين، أدام الله أمره، وأعز نصره، وأطال فيما يرضيه منه، ويرضى به عنه عمره، غير محاب، ولا تارك في النصيحة لله ولرسوله والمسلمين، وموضع ارتياب لمرتاب، للأمير الأجل أبي الحسن علي ابنه، المتقبل هممه وشيمه، المتأثل حلمه وتحلمه، الناشئ في حجر تقويمه وتأديبه، المتصرف بين يدي تخرجه، وتدريبه، أدام الله عزه وتوفيقه، ونهج إلى كل صالح من الأعمال طريقه. وقد تهتم بمن تحت عصاه من المسلمين، وهدى في انتقاء من يخلفه هدى [المتقين، ولم ير أن يتركهم بعد سدى غير مدينين]¹ واعتام في النصاب الرفيع، واختار واستنصح أولي الرأي والدين؛ واستشار فلم يوقع² بعد طول تأمل؛ وتراخي مدة؛ وتمثل اختياره، واختبار من فاوضه في ذلك من أولي التقوى³ والحكمة واستشارة الأعلية ولا صار بدونهم الارتياح والاجتهاد إلا إليه؛ ولا التقى رواد الرأي والتشاور إلا

¹ ما كتب ضمن الحاصرتين سقط في الزيتونة.

² في الزيتونة: ((يوافقه)).

³ نفسه: ((التقى)).

لديه ؛ فولاه عن استحكام بصيرة ، وبعد طول مشورة ،
عهده ، وأفضى إليه الأمر والنهي ، والقبض والبسط عنده¹
بعده ، وجعله خليفته الساد في رعاياه مسده ، وأووطأ
عقبه جماهير الرجال ، وناط به مهمات الأمور والأعمال ،
وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع ، ولا يعدل عن سمت
العدل وحكم الكتاب والسنة ، في أحد عصا أو أطاع ، ولا
ينام عن حماه² الحيف والخوف بالاضطجاع ، ولا يتلين
دون معلن شكوى ، ولا يتصام عن مستصرخ لذي بلوى ،
وأن ينظم أقصى البلاد وأدناها في سلك تديره ، ولا يكون
بين القريب والبعيد بون في إحصائه³ وتقديره . ثم دعا
أدام الله تأييده ، لمبايعته ، أدام الله عزه ونصره ، من حضر
ودنا من المسلمين ، فلبوا مسرعين ، وأتوا مهطعين ،
وأعطوا صفقة إيمانهم متبرعين متطوعين ، وباعوه على
السمع والطاعة ، والتزام سنن⁴ الجماعة ، وبذل النصيحة

¹ كلمة ((عنده)) أضيفت من الزيتون.

² في الزيتون: ((جملة)).

³ نفسه: ((أحكامه)).

⁴ نفسه: ((سنة)).

جهد¹ الاستطاعة، ومناصفة من ناصفه، ومحاربة من حاربه، ومكايدة من كايده، ومعاندة من عانده، لا يدخرون في ذلك على حال المنشط مقدرة، ولا يحتجون² في حالتي الرضا والسخط إلى معذرة. ثم أمر بمخاطبة ساير أهل البلاد لمبايعته، كل طائفة منهم في بلدها³، وتعطيه كما أعطاه من حضر، وصفقة يدها، حتى ينتظم في التزام طاعته القريب والبعيد، ويجتمع على الاعتصام بجبل دعوته، الغايب والشهيد، وتطمين من أعلام الناس وخيارهم نفوس قلقة، وتنام عيون لم تزل مخافة إقذئها مورقة⁴، ويشمل الناس كافة السرور والاستبشار، وتتمكن لديهم الدعوة، ويتمهد القرار، وتنشأ لهم في الصلاح آمال، ويستقبلهم جد صالح وإقبال. والله يبارك لهم بيعة رضوان، وصفقة رجحان، ودعوة يمن وأمان، إنه على ما يشاء قدير، لا إله إلا هو، نعم المولى ونعم النصير. شهد على إشهد أمير المسلمين بكل ما ذكر عنه فوق هذا من

¹ في الزيتونة: ((قدر)).

² في الإسكوريال: ((يحجون)).

³ في الزيتونة: ((وطنها)).

⁴ سقطت هذه الكلمة في الزيتونة.

بيعته، ولقيه حَمَلَةٌ¹ عنه ممن التزم البيعة المنصوصة قبل،
وأعطى صفقته طائِعاً متبرعاً بها. وبالله التوفيق. وكتب
بحضرة قرطبة؛ في ذي الحجة؛ سنة ست وتسعين
وأربعمائة².

دخل غرناطة

غير ما مرة، وحده، وفي ركاب أميره.

وفاته

توفي في جمادى الآخرة؛ من عام ثمانية وخمسمائة³.

¹ في الزيتونة: ((جملة)).

² الموافق لـ 1102م.

³ الموافق لـ 1114م.

محمد بن يوسف

(ابن عبد الله بن إبراهيم التميمي المازني؛ من أهل سرقسطة؛
ووصل غرناطة؛ وروى عن أبي الحسن بن الباقوش بها؛
يكنى أبا الطاهر؛ وله المقامات اللزوميات المعروفة).

حاله

كان كاتباً لغوياً شاعراً، معتمداً في الأدب، فرداً،
متقدماً في ذلك في وقته، وله المقامات المعروفة، وشعره
كثير مدون.

مشيخته

روى عن أبي علي الصديقي، وأبي محمد بن السيد،
وأبي الحسن بن الأخضر، وأبي عبد الله بن سليمان
المعروف بابن أخت غانم، وأبي محمد بن عتاب، وأبي
الحسن بن الباذش. وأبي محمد عبد الله بن محمد التجيبي
الدكلي، وأبي القاسم بن صوابه¹، وأبي عمران بن أبي
تليد، وغيرهم. أخذ عنه القاضي أبو العباس بن مضاء،
أخذ عنه الكامل للمبرد؛ قال: وعليه اعتمد في تقييده.

¹ في الزيتونة: ((صرافه)).

وروى عنه المقرئ المسن، الخطيب أبو جعفر بن يحيى
الكتامي، وذكره هو وابن مضاء.

توفي بقرطبة

ظهر يوم الثلاثاء، الحادي والعشرين من
جمادى الأولى؛ سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة¹،
بزمانة² لازمته نحو من ثلاثة أعوام، نفعه الله.

شعره³

أيا قمر أتطلع من وشاح
على غض فاخر من كل راح
أدار السحر من عينيه خمراً
معتقة فأسكر كل صاح
وأهدى إذ تهادى كل طيب
كخوط البان في أيدي الرياح
وأحيا حين حيا نفس صب
غدت في قبضة الحب المتاح

¹ الموافق لـ 1143م.

² أي بعاهة.

³ الأبيات الموالية من بحر الوافر.

وسوغ منه عتبي بعد عتب
وعلاني براح فوق راح
وأجناني الأمانى في أمان
وجنح الليل مسدول الجناح
وقال أيضاً¹:

ومنعم الأعطاف معسول اللّمي
ما شيت من بدع المحاسن فيه
لما ظفرت بليلة من وصله
والصب غير الوصل لا يشفيه
أنضحت وردة خده بنفسى
وظللت أشرب ماءها من فيه
وقال أيضاً²:

حكى السلاف صفاته بحبابها
من ثغره ومذاقها من رشفه

¹ البحر الكامل.
² البحر الكامل.

وتوردت فحكت شقايق خده
وتأرجت فيسيمها من عرفه
وصفت فوق أديمها فكأنها
من حسن رونق وجنتيه ولطفه
لعبت بألباب الرجال وغادرت
أجسامهم صرعى كفعلته طرفه

ومن الغرباء في هزلا الحرف

محمد بن حسن

العمراني (الشريف)¹؛ من أهل فاس

حاله

كان جهوياً ساذجاً، خشن البزة، غير مرهف التجند، ينظم الشعر، ويذكر كثيراً من مسائل الفروع، ومعاناة الفرائض، يجعجع بها في مجالس الدروس، تشقى به المدرسون، على وتيرة من صحة السجية وحسن العهد، وقلة التصنع.

وجرى ذكره في الإكليل: كريم الانتماء، مستظل² بأغصان الشجرة السماء، من رجل، سليم الضمير، ذي باطن أصفى من الماء النмир، له في الشعر طبع يشهد

¹ توجد ترجمة محمد حسن الشريف العمراني في: الدرر الكامنة، ونفح الطيب.
² في النفح: ((متظل)).

بعروية أصوله، ومضاء نصوله. فمن ذلك؛ قوله يخاطب
السلطان أمير المسلمين؛ وقد أمر له بكسوة¹:

منحت منحت النضر والعز والرضا
ولا زلت بالإحسان له مقرضاً
ولا زلت للعليا جنى مكارماً²
وللإمر الملك³ العزيز مقيضاً
ولا زالت الأملاك باسمك تتقى
وجيشك وفرأ يملأ الأرض والفضا
ولا زلت ميمون النقيبة ظافراً
مهيباً ووهاباً وسيفك منتضاً
تقر به الدين الحنيف وأهله
وتقمع جباراً وتهلك مبغضاً
وصلت شريف البيت من آل هاشم
وخولته أسنى مراد ومقتضاً

¹ البحر الطويل.

² أضاف د. طويل ((الواو))؛ فغدت: ((ومكارماً))؛ من أجل الوزن.

³ جعلها د. طويل: ((للملك))؛ من أجل الوزن.

وجدت بإعطاء اللجين وكسوة
سُتُكْسَى ثوباً من النور أبيضاً¹
وما زالت الأنصار تفعل هكذا
نال² علي في الزمان الذي مضى
هم نصروا الهادي وآووا وجدّوا
بحد ذباب السيف من كان معرضاً
فخذ ذا أبا الحجاج من خير مآدح
لخير مليك في البرية مرتضاً
فقد كان قبل اليوم غاض قريضه
فلما رأى الإحسان منك تفيضاً
ونظم الفنى يسمو على قدر ما يرى
من الجود مهما ينقضي نيله انقضى
ومن حكم القول اللّهي متح اللّهي
ومن مدح الأملاك يرجو التعرضاً

¹ أضاف د. طویل كلمة ((بها)) بعد كلمة ((سُتُكْسَى))؛ فأضحى الشطر هكذا: ((سُتُكْسَى بها ثوباً من النور أبيضاً)). بحجة سلامة الوزن.
² جعلها د. طویل: ((فعال))؛ لسلامة الوزن وصواب المعنى.

فلا زال يهديك الشريف قصادا
ينال بها منك المودة والرضا

وقال يخاطب من أخلفته بوارق الأمل فيه، وخابت لديه
وسائل قوافيه¹:

الشعر أسنى كلام خص بالعرب
والجود في كل صنف خير مكتسب
وأفضل الشعر أبيات يقدمها
في صدر حاجته من كان ذا أدب
فما يوفي كريم حق مادحه
لو كان أولاه ما يحويه من نشب
المال يفنى إذا طال الثواء به
والمدح يبقى مدى الأزمان والحقب
وقد مدحت لأقوام ذوي حسب
فيما ظننت وليسوا من ذوي حسب

¹ البحر البسيط.

مدحتهم بكلام لو مدحت به
دهري أمنت من الإملاق والنصب
فعاد مدحي لهم هجواً يصدقه
من لؤمهم عودتي عنهم بلا أرب
فكان ما قلت من مدحهم كذباً
أستغفر الله من زور ومن كذب

وقال في غرض يظهر من الأبيات، يخاطب السلطان¹:
مالي أرى تاج الملوك وحوله
عبدان لا حلم ولا آداب
فكأنه البازي الصيود وحوله
نغر يقلب ريشه وخراب
يا أيها الملك الكرام جدوده
أسنى المحافل غيرها أتراب

¹ البحر الكامل.

أبدلهما من¹ بالبيض من صفيهما
إن العبيد محلها الأبواب

وفاته

توفي في حدود ثمانية وأربعين وسبعمائة²، أو بعد ذلك³.

¹ حذف د. طويل كلمة: ((من))؛ من أجل الوزن.

² الموافق لـ 1347م.

³ جاء في النسخ: ((وذكر في الإحاطة أن الشريف المذكور توفي في حدود ثمانية وثلاثين وسبعمائة)).

محمد بن محمد

(بن إبراهيم بن المرادي بن العشاب¹ قرطبي الأصل؛ تونسي
الولوة والنشأ؛ ابن نعمة وغزى جاه وحرمة.

حاله

كان حياً فاضلاً كريماً، سخيّاً. ورد على الأندلس،
مفلتاً من نكبة أبيه، وقد عركته عرك الرحي لثقالها، على
سنن من الوقار والديانة والحما، يقوم على بعض الأعمال
النيهة.

وجرى ذكره في الإكليل بما نصه: جواد لا يتعاطى
طلقه، وصبح فضل لا يماثل فلقه. كانت لوالده² رحمه
الله³، من الدول الحفصية منزلة لطيفة المحل، ومفاوضة في
العقد والحل، ولم يزل يسمو⁴ به قدم النجابة، من العمل
إلى الحجابة. ونشأ ابنه هذا، مقضي الديون، مفدى

¹ توجد ترجمة محمد بن إبراهيم العشاب أيضاً في نفح الطيب؛ وقد وردت
فيه مرتين: الأولى ذكر فيها أنه: ((أبو عبد الله العشاب)). بينما سمي
وفي الثانية: ((محمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم المرادي العشاب)).
² في النفح: ((أبيه)).
³ نفسه: ((رحمه الله تعالى)).
⁴ نفسه: ((تسمو)).

بالأنفس والعيون. والدهر ذو ألوان، ومارق حرب عوان¹،
والأيام كرات تتلقف، وأهوال² لا تتوقف، فألوى بهم
الدهر وأنحى³، وأغام جوهم بعقب ما أضحى⁴، فشملمهم
الاعتقال؛ وتعاورتهم التُّوب⁵ الثقال، واستقرت بالمشرق
ركابه، وحطت به أقتابه؛ فحج واعتمر، واستوطن تلك
المعاهد وعمّر، وعكف على كتاب الله⁶؛ فجوّد الحروف،
الحروف، وأحكم⁷ الخلف المعروف وقيد وأسند، وتكرر
إلى دور الحديث وتردد، وقدم على هذا الوطن قدوم
النسيم البليل على كبد العليل. ولما استقر به قراره،
واشتمل على جفنه غراره، بادرت الى مؤانسه، وثابرت
على مجالسته. فاجتليت للسرّ⁸ شخصاً، وطالعت ديوان
الوفا مستقصا.

¹ أي الحرب الشديدة التي تكرر القتل فيها مرة بعد مرة..

² في النفع: ((وأحوال)).

³ أي أهلكهم الدهر.

⁴ في النفع: ((ما أضحى)).

⁵ أي تداولت عليهم المصائب والنوازل.

⁶ في النفع: ((الله تعالى)).

⁷ نفسه: ((وقرأ المعروف)).

⁸ نفسه: ((السرّ)). أما معنى السرّ؛ فهو: الفضل.

شعره

وشعره ليس بحايد عن الإحسان، ولا غفل من
النكت الحسان. فمن ذلك ما خاطبني به¹:
بِيُؤْمِنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ² مُحَمَّدٌ
يُؤْمِنُ³ هَذَا الْقَطْرُ وَانْسَجْمُ الْقَطْرِ
أَفْاضَ عَلَيْنَا مِنْ جَزِيلِ عَطَايِهِ
بِحُورِ الدِّيمِ⁴ الْمَدَّ لَيْسَ لَهَا جِزْرٌ
وَأَنْسَنَا لِمَا عَدَمْنَا مَغَانِيًا
إِذَا ذَكَرْتَ فِي الْقَلْبِ مِنْ ذِكْرِهَا⁵ عِبْرٌ
هَنْبِيًا بَعِيدَ الْفَطْرِ يَا خَيْرَ مَا جَدِ
كَرِيمٍ بِهِ تَسْمُو السِّيَادَةُ وَالْفَخْرُ
وَدَمْتَ مَدَى الْأَيَّامِ فِي ظِلِّ نِعْمَةٍ
تَطِيْعُ لَكَ الدُّنْيَا وَيَعْنُو⁶ لَكَ الدَّهْرُ

¹ البحر الطويل.

² في النسخ: ((بِيُؤْمِنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ))؛ وهذا أسلم.

³ نفسه: ((تِيْمَنُ))؛ وهو أسلم.

⁴ نفسه: ((بِحُوراً تَدِيمِ))؛ وهذا أسلم.

⁵ ورد هذا الشطر في النسخ هكذا: ((إِذَا ذَكَرْتَ فِي الْقَلْبِ لَيْسَ لَهَا ذَعْرُ)).

⁶ أي يخضع.

ومما خاطب به سلطانه في حال الاعتقال¹:
لعل عفوك بعد السخط يغشاني
يوماً فينعش قلب الوالد العان²
مولاي رحماك إني قد عهدتك ذا
حلم وعفو وإشفاق وتحنان
فاصرف حنانك واعطف³ علي وجد
برحمة منك تحيي جسمي الفان⁴
فقد تناهى الأسى عندي وعذبني
وشرد النوم عن عيني وأعيان⁵
وحق أليك الحسنى وما لك من
طول وفضل وإنعام وإحسان
إني ولو حلت البلوى على كبدي
وأسبكت فوق خد دمعي القان⁶

¹ البحر البسيط.

² أضاف د. طويل الياء؛ في آخر الكلمة؛ فأضحت: ((العاني)).

³ جعلها د. طويل: ((ثم أعطف)).

⁴ جعلها د. طويل: ((الفاني)).

⁵ جعلها د. طويل: وأعياني).

⁶ جعلها د. طويل: ((القاني)).

لوائق بحنان منك يطرقني
عما قريب وعفو عاجل دان
دامت سعودك في الدنيا مضاعفة
تذل طوعاً كل سلطان¹

¹ تصرف د. طويل؛ فأضاف كلمة ((دان))
347

محمد بن محمد

ابن عبد الملك بن محمد بن سعيد الأنصاري الأوسي¹؛
يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن عبد الملك؛ من أهل مرآش،
وسكن غرناطة.

حاله

من عايد الصلة: كان رحمه الله غريب المنزع،
شديد الانقباض، محجوب المحاسن، تنبو العين عنه
جهامة، وغرابة شكل، ووحشة ظاهر²، في طي ذلك
أدب غضّ، ونفس حرة، وحديث ممتع، وأبوة كريمة،
أحد الصابرين على الجهد، المتمسكين³ بأسباب الحشمة،
الراضين بالخصاصة. وأبوه قاضي القضاة، نسيج وحده،
الإمام العالم، التاريخي، المتبحر في الأدب⁴، تقلبت به
أيدي الدهر⁵ بعد وفاته لتبعة سلطت على نسبه⁶، فاستقر

¹ توجد ترجمة محمد بن محمد بن عبد الملك أيضاً في نفح الطيب.

² في النفح: ((ظاهرة)).

³ نفسه: ((المستمسكين)).

⁴ كتب في النفح: ((الأداب)). والمقصود هنا هو ولده القاضي ابن عبد
الملك المراكشي؛ صاحب كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة.

⁵ في النفح: ((الليالي)).

⁶ نفسه: ((نشبه)).

بمآلة، متحارفاً مقدوراً عليه، لا يهتدي لمكان فضله، إلا
من عشر عليه جزافاً.

شعره¹

من لم يصن في أمل وجهه
عنك فصن وجهك عن رده
واعرف له الفضل وعرف به²
حيث أحل النفس من قصده
ومما خاطبني به قوله³:
وليت ولاية أحسنت فيها
ليعلم أنها شرفت بقدرك
وكم والٍ أساء فقبل فيه
دني القدر ليس لها بمدرك

¹ هذان البيتان يوجدان في نفح الطيب؛ وهما من البحر السريع.

² في النفح: ((له)).

³ هذان البيتان يوجدان أيضاً في نفح الطيب؛ وهما من البحر الوافر.

وأشدني في ذلك أيضاً؛ رحمة الله عليه¹:
وليت فقيل أحس خير وال
فعاق² مدى مداركها بفضلها
وكم وال أساء فقيل³
دنا فمحا محاسنها بفعله
ومما خاطب به السلطان يستعديه على من مطلقه من
العمال، وعذر عليه واجبه من الطعام والمال⁴:
مولاي نصيراً⁵ فكم يضام من ما له غيرك اعتصام
أمرت لي بالخلاص فمر⁶ لي عنده المال والطعام
فقال ما اعتاده جواباً وحسبي الله والإمام
هذا مقام ولا فعال بغير مولاي والسلام

¹ هذان البيتان موجودان أيضاً في نفح الطيب؛ وهما من البحر الوافر.

² في النفع: ((ففاق)).

³ جاء هذا الشطر في نفح الطيب هكذا: ((وكم وال أساء فقيل فيه)).

⁴ مخرج البسيط.

⁵ جعلها د. طويل: ((نصراً))؛ من أجل الوزن.

⁶ جعلها د. طويل: ((فامرر))؛ من أجل الوزن.

وفاته

فقد في وقية على المسلمين من جيش مالقة بأحواز
إستبة¹؛ في ذي قعدة؛ من عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة².

* * *

¹ يعتقد عنان أنها إشتبونة Estepona؛ المطلة على البحر الأبيض المتوسط؛ بين مربلة وجبل طارق. وليست إستبة المذكورة؛ التي يقول أنها تقع جنوب شرقي إستجة القريبة من قرطبة.
² الموافق لـ 1342م.

محمد بن خميس¹

(ابن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن خميس (البحري) - حَبْرُؤِي رُعيْن. (التلمساني²؛ يُكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بابن خميس).

حاله

من عايد الصلاة: كان رحمه الله نسيج وحده زهداً وانقباضاً، وأدباً وهمة، حسن الشيبة، جميل الهيئة، سليم الصدر، قليل التصنع، بعيد عن الرِّيا والهوادة³ عاملاً على السياحة والعزلة، عالماً⁴ بالمعارف القديمة. مضطرباً بتفاريق النحل، قائماً على صناعة العربية والأصلين، طبقة الوقت في الشعر، وفحل الأوان في النظم المطول، أقدر الناس على اجتلاب الغريب، ومزج الجزالة بالسلاسة، ووضع الألفاظ البيانية مواضعها. شديد الانتقا وإلرجا، خامد نار الروية، منافساً في الطريقة منافسة كبيرة. كتب بتلمسان عن ملوكها من بني زيان،

¹ ((ابن خميس)) هنا؛ أضيفت من الزيتونة.

² توجد ترجمة محمد بن خميس التلمساني أيضاً في بغية الوعاة، وأزهار الرياض، ونفح الطيب.

³ في أزهار الرياض: ((والهوى)).

⁴ في النفح وأزهار الرياض: ((عارفاً)).

ثم فرّ عنهم، وقد أوجس منهم خيفة. لبعض ما يجري
بأبواب الملوك. وبعد ذلك بمدة، قدم **غرناطة**، فاهتز الوزير
ابن الحكيم لتلقيه، وامتّ إليه بالوسيلة العلمية، واجتذبه
بخطبة¹ التلميذ، واستفزه² بتأنيسه وبره، وأقعه للإقراء
بجواره. وكان يروم الرحلة، وينوي السفر، والقضاء يثبطه.
حدثني شيخنا الرئيس أبو الحسن بن الجياب، قال: بلغ
الوزير أبا عبد الله³ الحكيم أنه يروم السفر؛ فشق ذلك
عليه، وكلفنا⁴ تحريك الحديث بحضرتة. وجرى ذلك. فقال
الشيخ أنا كالدّم بطبعي، أتحرّك في كل ربيع.

شعره

وشعره بديع. فمن ذلك قوله يمدح أبا سعيد ابن
عامر، ويذكر الوحشة الواقعة بينه وبين أبي بكر بن خطّاب⁵:

¹ في الإسكوريال: ((بمخطفة)).

² في الإسكوريال غير واضحة؛ واعتقد عنان أنها ربما تكون: ((واستفسره)).

³ في النفع، والأزهار: ((أبا عبد الله بن الحكيم)).

⁴ نفسيهما: ((وكلفه)).

⁵ ورد في أزهار الرياض البيتان: الأول والثاني فقط من هذه القصيدة.
وهي من البحر الوافر.

مَشُوقٌ زَارَ رَبْعَكَ يَا إِمَامَا
مَحَا آثَارَ دِيمَنْتَهَا التَّنَامَا¹
تَتَّبَعُ رِيْقَةَ الطَّلِّ ارْتِشَافَا
فَمَا² نَفَعَتْ وَلَا نَقَعَتْ أُوَامَا
وَقَبَّلَ خَدَّ وَرَدْتَهَا جِهَارَا
وَمَا رَاعَى لِضُرَّتِهَا دِمَامَا
وَمَا لِحَرِيمِ بَيْتِكَ أَنْ يَدَانِي
وَلَا لِعُلَا³ قَدْرِكَ أَنْ يُسَامَا
وَلَكِنْ عَاشَ فِي رَسْمٍ مَغْنَى⁴
تَجَشَّمَهُ سَلَامَاً وَاسْتَلَامَاً
تَتَنَفَسُ رَوْضَةَ الْمَطْوُولِ وَهَنَا
فَحَنَ وَشَمَّ رِيَّاهُ فَهَامَا
تَلَقَّى طَيْبَ ب...تِه⁵ حَدِيثَا
رَوَتْ مَسْنَدَاً عَنْهُ النَّعَامَا

¹ في أزهار الرياض: ((الشأما)).

² نفسه: ((فلا)).

³ جعلها د. طویل: ((لعلی))؛ من أجل الوزن.

⁴ جعلها د. طویل: ((لمغنی))؛ من أجل الوزن.

⁵ كلمة محاة بعض أحرفها في الإسكوريال.

فيا نفس الصبا إن جيت ساحا
ولم تعرف لساكنها مقاما
وأخطأت الطريق إلى حماها
فردتك العرادة والخزّاما
فلا تبصر بسرحتها قضيباً
ولا تذعر بمسرحها سواما
وعانق قربانتها اراتباطاً
وصافح كف سوسهنا التزاما
ونافح عرف زهرتها كباً
تعاطك ماء ريقها مداما
ويا برقاً أضاء¹ على أوال
يمانياً متى جيت الشّاما
أثغر إمامة أنت ابتساماً
أم الدر الأوامى انتظاما
خفقت ببطن واديها لواً
ولحت على ثنيتها حساما

¹ أشار عنان إلى نص لم يحدده؛ قال أنه كتب فيه: ((أطل))؛ بدلاً من ((أضاء)).

أمشبهه قلبي المضى احتداما
على مَ ذدت عن عيني المناما
ولمَ [أسهرتني وطردت]¹ عني
خيالاً كان يأتيني لماما
وأبلغ منه تأريقاً لجفني
كلام أئخن الأحشا كلاما
تعرض لي فأيقظت² القوافي
ولو ترك القطا يوماً لناما
وقيل وما أرى يومي كأمسي
جدعت رواطبا وقلبت هامما
وجرعت العدو سماً زعافاً
فكان لحسد موتاً زواما
دعوت زعيمهم ذاك ابتياسا
ورعت خميسهم ذاك اللماما

¹ أشار عنان أيضاً إلى نص لم يحدده؛ فقال أنه كتب فيه: ((أسكرتني
وصددت))؛ بدل الذي حصر ما بين حاصرتين.
² في الإسكوريال: ((فأنبطت)).

نزعت شواه كبشهم نطاحا
ولم أترك لقرمهم سناما
أضام وفي يدي قلبي لماذا
أضام أبا سعيد¹ أو علاما
به وبما أذلق من لساني
أفل الصارم العضب انهزاما
وغرام الوزير أبي سعيد
أصرفه إذا شيت انتقاما
به وبنجله البر انتصاري
لما أكلوه من لحمي حراما
أعثمان بن عامر لا تكني²
لدهر علم الشح الغمام
وردت فلم أرد إلا سرايا
وشمت فلم أشم إلا جهاما

¹ هكذا في الإسكوريال؛ بينما أشار عنان أيضاً إلى نص لم يحدده؛ فقال أنه كتب فيه: ((بغير جرم)).
² ذكر عنان أنه كتب في نص آخر؛ لم يعرف به: ((خليلي إن قدرت فلا تكني)).

قطعت الأرض طولاً ثم عرضاً
أزور بني ممالكها الكراما
وجا جانبي على كرم نداهم
وأعجلت الخوافي والقداما
وذلت المطامع من إيايي
وقبلت البراجم والسلاما
ومن أدبي نصبت لهم حبالا
أصيد بها النعام ولا النعاما
فلم أر مثل ربعي دار أنس
ولم أر مثل عثمان إماما
ولا كأبيه أو كنى أبيه
أبي يحيى غيوثاً أو رهاما
كفاني بابن عامر خفض عيش
ورفع مكاتي إلا أضاماً

وإني من ولايك في يفاع
أقابل منهم بدرهم التمام
ومن شعره رحمه الله قوله¹:
تُرَاجِعُ من دُنْيَاكَ مَا أَنْتَ تَارِكُ
وتَسَلُّهَا² العُنْبِيَّ وها هي فَارِكُ³
تؤمل بعد الترك رجع ودادها
وشر وداد ما تود الترائك
حلالك منها ما خلا⁴ لك في الصبّا
فأنت على حلوايه متهالك
تظاهر بالسُلوان عنها تجملاً
فقلبك محزون وثرغرك ضاحك
تنزهت عنها نخوة لا زهادة
وشعر عذارى أسود اللون حالك

¹ بعض الأبيات من هذه القصيدة؛ موجودة في نفع الطيب، وأزهار الرياض، وهي من البحر الطويل.

² في النفع: ((تسألها)). وهو أسلم.

³ العُنْبِيّ: الاسترخاء. أما كلمة ((فارك))؛ فقد شرحت في مخطوط الإسكوريال؛ وبالتحديد في أسفل الصفحة؛ فكتب: ((الفرك: بغض المرأة زوجها. وقد فركته تفركه فهو فارك)).

⁴ في نفع الطيب، وأزهار الرياض: ((ما حلا)).

ليالي تغري بي وإن هي أعرضت
زنانب من ضواتها وعواتك
غصون قدود في حقاف روادف
تمايل من ثقل بين الأرايك
تطاعني منهن في كل ملعب
ثدي كأسنان الرماح فواتك
وكم كلة فيها هتكت ودونها
صدور العوالي والسيوف البواتك
ولا خدن إلا ما أعدت ردينه
لطالبها أو ما تحير هالك
تضل فواد المرء عن قصد رشده
فواتر أحاظ للظبا الفواتك
وفي كل سن لابن آدم وإن تطل
سنوه طباع جمّة وعوايك

وإلا فمالي بعد ما شاب مفرقي
وأعجز رأيي عجز من الركارك¹
أجوب إليها كل ببداء مملق
ترافقني فيها الرجال الحواتك²
واسترشد الشهب الشوابك جار
إذا اشتبهت فيها عليّ المسالك
نهازز أمثال الجياد توودة
أغوارب أمثال الهضاب توامك
ظما وما غير السماوة مورد
وينحى وما دون الصواة مبارك
ذواهل عن عض الرجال ظهورها
إذا ما اشتكت عض السروج الموارك
إذا ما نبا عن سنبك الأرض سنباك
هلعن فلانت تحتهن السنابك

¹ تصرف د. طويل؛ فصوب هذا الشطر؛ حيث أضحى هكذا:
(وَأَعْجَزَ رَأْيِي عَجْزُهُنَّ الرَّكَارِكِ)). وذلك بحجة سلامة الوزن.
² أي الرجال المسرعون في السير.

تقد بنا في كل قاع وفدِّدِ
بوايكها والمنغيات الدراهك
فأمامها ري كالسحاب موالع
وأمامها ركاً كالرياح بواشك
قلاص بأطواف الجدیل بوالع
وجرد لأوساط الشكيم عوالك
ترامى بها ليد النوق كل مُرتمى
فهن نواح للردى أو هوالك
وكم منزل خليته لطلابها
تعفيه تعدي السافيات السواهك
يمر به زواره وعفاته
وما إن به إلا لصوق الحبايك
وآثارتنا تقادم عهدهم
وهن عليه جائيات بوارك
لوارب أفراس ونوى حذاة
ثلاث أثاف كالحمام سوادك

تمر عليه نسمة الفجر مثلما
تمر على طيب العروس المداوك
وأركب كالشهد ينفح برده
لمجهول حسي ماله للدهر مبانك
يطلبها مني غريم ممالك
ويمطني منها عديم ممالك¹
أحاول منها لما تعذر في الصبا
ومن دونه وقع الحمام المواشك
يسلي الفتى منها وإن راق حسنها
حسايف لا تحصى ومبارك
فمنها ملال دايم لا تمّله
وتزور إفك عن رضى الحق آفك
تهاون بالإفك الرجال جهالة
وما أهلك الأحياء إلا الأفايك

¹ كتب في هامش المخطوط: ((ممالك: (المماطل)، والمعك: (اللجاج)؛
وفي القامس: (معك): أي مظه، ودافعه.

تزن طول تسهادي وقدري تَمَلَملي
طوال الليالي والنجوم النوابك
تغير على الدهر منه جافل
كأن مدوم الرجم فيها نيازك
فليت الذي سودت فيها معوض
بما بيضت مني دجاها الحوالك
ألا لا تذكريني تلمسان والهوى
وما دهكت منا الخطوب الدواك
فإن اذكار ما مضى من زمانها
لجسمي وللصبر الجميل لناهاك
ولا تصفن أمواها لي فإنها
لنيران أشواقي إليها محارك
ومن حال عن عهد أو أخفر ذمة
فإني على تلك العهود لرامك
سقى منزلي فيها وإن مح رسمه
عهد الغوادي والدموع السوافك

وجادت ثرى قبر بمسجد صالح
رواعدها والمدخمت الحواشك
ولا أفلعت عن دار يونس مزنة
يروى صده لقطرها المتدارك
إلى أن يروق الناظرين رواؤها
ويرضى الرعاوى نبتها المتلاحك
ويصبح من حول الحيا في عراسها
زُرَّاق تحكي¹ بسطها² ودرانك²
ولا برحت منه ملايكة الرضى
تصلي على ذاك الصدى وتبارك
وطوبى لمن روى منازلها الحيا
وبشرى لمن صلت عليه الملايك
ألا ليت شعري هل تقضى لبانتي
إذا ما انقضت عشر عليها دكادك

¹ كتبها د. طويل: ((تحاكي)).

² كتب في هامش المخطوط: ((الدرانك: ضرب من البسط)).

وهل تمكن الطيف المغرب زيارة
فيرقب أو تلقى إليه الروامك
وهل تغفل الأيام عنها بقدر ما
تودي إليها بالعتاب الحالك
ويا ليت شعري أرض تقلني
إذا كل عن رحلي الجلال اللكالك
وأى غرار من صفاها يحثني
إذا فقدتني مسها والدكادك
إذا جهل الناس الزمان فإنني
بدونهم دون الأنام لحاتك
تثبت إذا ما قمت تعمل خطوة
فإن بقاع الأرض طراً شوائك
ولا تبذل¹ وجهاً لصاحب نعمة
فما مثل بذل الوجه للستر هاتك

¹ جعلها د. طویل: ((تبذلن))؛ من أجل الوزن.

تَجَسَّمْ ما¹ استطعت واحذر أذاهم
ولا تلقهم إلا وهرك شأنك
فكل على ما أنعم الله حاسد
وكل إذا لم يعصم الله حاسك
ولا تأنس² ريبة الزمان فإنه
بمن فات منا لا محالة فاتك
تمنى مصاب بربر وأعاره
وترضى ذكامي فارس والهنادك
وبدرت الليالي³ الجون حوضي لجاجها
وتعرف إقدامي عليها المهالك
فما أذعنت إلا إلي عشار
ولا أصفقت إلا علي الشكاشك
ولا قصدت إلا فنايي وقودها
ولن أملت إلا قتامي الضرارك

¹ استبدل د. طويل كلمة: ((ما))؛ فكتبها: ((إن)).
² جعلها د. طويل: ((ولا تأس))؛ من أجل الوزن.
³ استبدل د. طويل كلمة: ((الليالي))؛ فكتبها: ((ليل))؛ من أجل الوزن.

به شرفت أذواها وملوكها
كما شرفت بالنويهار البرامك
فلا تدعون غيري لدفع ملمة
إذا ما دهى من حادث الدهر داهك¹
فما إن لذاك الصوت غيري² سامع
وما إن لبيت المجد بعدي سامك³
يَعَصُّ وَيَشْجَى نَهْشَلٌ وَمُجَاشِعٌ⁴
بما أورتنتي حميرٌ والسكاسك⁵
تفارقني روعي⁶ التي لست غيرها
وطيب ثنائي⁷ لاصق بي صايك⁸

¹ في نفح الطيب: ((داعك)). والداهك: هو الكاسر الطاحن؛ من دهم الشيء؛ أي طحنه وكسره.
² في الإسكوريال: ((غير))؛ وصوبت من النفح.
³ السامك: هو الرافع لقواعد البناء. من ذلك؛ قوله تعالى: [أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا]. سورة النازعات؛ الآيتان: 27 - 28.
⁴ نهشل بن مرهبة: بطن من قبيلة همدان القحطانية. أما مجاشع بن دارم: فبطن من قبيلة حنظلة العدنانية.
⁵ حمير بن سبأ: قبيلة قحطانية عظيمة. أما السكاسك؛ فهم بطن من قبيلة حمير.
⁶ في النفح وأزهار الرياض: ((الروح)).
⁷ كتب في الإسكوريال هكذا؛ حسب الأسلوب المغربي في تخفيف الهمزة؛ بينما كتبت في نفح الطيب: ((ثنائي)).
⁸ أي لاحق بي.

وماذا عسى تـرجو لداتي وأرتـجي
وقد شـمطت منا¹ اللـحـا والأفانك²
يـعود لنا شـرخ الشـاب الـذي مـضى
إذا عاد للـدنـيا عـقيل ومـالك
ومن شـعره أـيضاً قـوله³:

سـحت بـساحك يا مـحل الأدمع
وتـصرمت سـفاً عـليك الأضـلع
ولطالما جـادت ثـرى الأـمال مـن
جـاوي مـؤمـلك الغـيوث الـهمع
للـه أـيام بـها قـضيتـها
قـد كـنت أـعلم أنـها لا تـرجع
فلـقد رـشفت بـها رـضاب مـدامـة
بـنـسيم أنـفاس البـديع تـشعشع

¹ في النـفـح والأزهار: ((مـني)).
² الأفانك؛ مفردـها إـفـنـيك: وهو مـجمـع اللـحيين. وقـد كـتبت هـذه الـكـلمة في النـفـح: ((الأفانك)).
³ البـحر الـكـامل.

في روضة يرضيك منها أنها
مرعى لأفكار الندام¹ ومشروع
تجري بها فقر² سكنت رهانها
أجدى بميدان الكلام وأسرع
فقر كريغان الشباب وعهدنا
بجنابها وهو الجناب الأمتع
نفائفة الأنواء في عقد الثرى
والنفث في عقد الثرى لا يمنع
حتى إذا حاك الربيع برودها
وكسا رباها وشبه المتنوع
بدأت كمايم زهرها تبدي بها
بدعاً تفرق تارة وتجمع
قد صمّ منها ما تجمع مغلق
إذ بت منها ما تفرق مصقع

¹ أشار عنان إلى نص لم يحدده؛ قال: كتب فيه: ((الندامي)).

² أشار عنان أيضاً إلى نص قال: كتب فيه: ((كميت)).

وكلاهما مهما أردت مسالم
ومحارب ومؤمن ومروع
كل له شرع البيان محلل
المنكر¹ في مثل هذا مدفع
حيث ازدهت أنوار كل حديقة
أدباً ينظم تارة ويسجع
فمرجل من رقمها ومهلل
ومسمط من نظمها ومصرع
أبدى البديع بها بدايع صنعه
فمجنس ومبدل ومرصع
وموشح ومرشح ومصدر
ومكرر ومفرع ومتبع
كل يروق بها بحسن² روايه
وإذا تزين به كلامك تبرع

¹ جعلها د. طويل: ((ومُنْكَرٌ)).
² في الإسكوريال: ((حسن)).

ولقد غدوت بها وفي وكناتها
طير لها فوق الغصون ترجع
بمطهم الفكر الذي ما إن له
إلا بمستن الأدلة مرتع¹
قيد المطالب لا يزال² نخبه
بين الجياد لعنقه أو يوضع
أرمى به الأمد البعيد وإنه
حمل يضل به الدليل الأصمع
من بعد ما عفت السواري سُبُلُهُ
ومحت معالمه الرياح الأربع
لكنني جدت دائر رسمه
فطريقه من بعد ذلك مهيع
أوضحت فهم حدوده وضُرُوبه
والكل في كل المسالك ينفع³

¹ هكذا وردت في الإسكوريال؛ بينما يشير عنان إلى نص آخر كتب فيه: ((مصرع)).

² جعلها د. طویل: ((لا نزال)).

³ هكذا في الإسكوريال أيضاً؛ بينما يشير عنان إلى نص - دون تحديد - كتب فيه: ((يدفع)).

حتى وردت من السماع مواردًا
فيها لظمان المباحث مكرع
مع كل مصقول الذكاء فحدسه
لذكاء أسرار الطبايع مطلع
يرتاد من نجع العناصر نجعة
فيها مصيف للعقول ومربع
لا شيء أبدع من تجاورها وما
يبتدى¹ بها ذاك التجاور أبدع
فإذا تشعشع مزجها أورى بها
نار الحباب مرجها المتشعشع
فمكين سر حياته بحبابها
من بعد قدح زنادها مستودع
وهنا تفاض عليه صورته التي
لبهائها شم الطبايع تخضع

¹ جعلها د. طويل: ((يبتدى)).

من واهب الصور التي قد خصها¹
ببديع حكمته الحكيم المبدع
رب له في كل شيء حكمة
يقضي بها البَدْعِيّ والمتشرع
وحللت من أرض الرياضة أربعاً
نفسى الفداء لها وهذي الأربع
قامت زواياها فما أوتادها
إلا تقوم ما تقيم الأضلع
وتناسب أقدارها نسباً لها
لو كنت تبصرها فروع فرع
فأجل ما قد سمته بطولها
من بارق لجناب رشدي يلمع
لا شك أن وراءه مطراً له
في كل ضرب من قياسي موقع
بحر روي مترع ملاحه
من فيضه هذا الروي المترع

¹ في الإسكوريال: ((الذي قد خصه)).

لم لا أضيع بها عهد مدامعي
إني إذا لعوها¹ لمضيع
خَلِّيَّ لو لم تسعداني في البكا
لقطعت من حبايكما² ما يقطع
أرأيتما نفساً تفارق جسمها
وبه تتعمها ولا تتوجع
عظمت رزيتها وأي رزية
ظلت لها أكبادنا تتصدع³
هذي حمامك يا علي سواجع
وأخالها أسفاً عليها تسجع
إن طارحتني ورقها فبأضلعي
شوق يطارحه ادكار موجع
آه على جسيمي الذي فارقته
لا كنت ممن جسمه لا يرجع

¹ سقط حرف الدال المهملة؛ فأضافه د. طويل؛ فأضحت الكلمة: ((لعوها)).
² في الإسكويال: ((حبلكما))؛ فصوبها عنان.
³ هكذا وردت في الإسكوريال؛ بينما يشير عنان إلى نص لم يحدده؛ كتب فيه: ((تتقطع)).

ومن العجاب رجوع ما أودى¹ به
دهر بتشتت² الأحبة مولع
الجور منه إذا استمر طبيعة
والعدل منه إذا استقام تطبع
هذي عقوبة زلة سلفت بها
من أكل طعمته التي لا تشبع
قد كنت أمتع رسخ نفسي قبلها
واليوم أوجب أنه لا يمنع
لم لا وقد أصبحت بعد محلة
فيها السحايب بالرغائب تهمع
دار يدر الرزق من أخلاقها
ولكم دعا داع بها من يوضع
وكان مجلسها البهي بصدرها
ملك بأعلى³ دسته³ متربع

¹ هكذا كتبت في الإسكوريال؛ بينما كتب في نص أشار إليه عنان كتب: ((أردى)). أما د. طویل؛ فقد كتبها: ((بتشتيت))؛ وذلك من أجل الوزن.
² الشيء نفسه؛ في نص: ((بتشتيت)).
³ في الإسكوريال؛ ((دستها)). فعدلها عنان.

وكان مجمر عنبر بفنايها
يذكي ما قد سيف¹ منه يسطع
وكانها المتوكلية بهجة
وعلي بن الجهم فيها يبدع
في حجر ضب خافض بجواره
من كان قبل له العوامل ترفع
يا نفثة المصدر كم لك قبلها
من زفرة بين الجوانح تسفع
وعساك تتقع غلة بك إنها
بجحيم ما أسبلته لا تتقع
لله أنت مذاعة أودعتها
من كل سر بالضمائر يودع
بدوية في لفظها ونظامها
حضرية فيما به يترجع

¹ الشيء نفسه؛ إذ كتب في نص: ((ضاع)).

لم لا تشفع في الذي أشكو بها
ومثالها في مثله يتشفع¹
كملت وما افترعت فأبي خريدة
لو كان يفرعها همام أروع
بارت علي فأصبحت لحيائها
مني بضافي مرطها تتلفع
ومن شعره قوله يمدح ذا الوزارتين أبا عبد الله بن
الحكيم، وهي من مشاهير أمداحه²:
سل الريح إن لم تسعد السفن أنواء
فعند صباها من تلمسان أنباء
وفي خفقان البرق منها إشارة
إليك بما تنمي إليها³ وإيماء
تمر الليالي ليلة بعد ليلة
وللأذن إصغاء وللعين إكلاء⁴

¹ في الإسكوريال: ((تشفع))؛ فصوبها عنان.
² توجد هذه القصيدة في نوح الطيب وأزهار الرياض. وهي من البحر الطويل.
³ في أزهار الرياض: ((إليك)).
⁴ جاء في القاموس: وأكلأ عينه: أسهرها. وأكلأ إكلاء بصره في الشيء: رده فيه مصوباً ومصعداً.

وإني لأصبو للصبا كلما سرت
وللنجم مهما كان للنجم أصباء¹
وأهدي إليها كل حين² تحية
وفي رد إهداء التحية إهداء
واستجلب النوم الغرار ومضجعي
قتاد كما شاءت نواها وسلاء³
لعل خيالاً من لدنها يمر بي
ففي مره بي من جوى الشرق إبراء
وكيف خلوص الطيف منها وحولها⁴
عيون لها في كل طالعة راء
وإني لمشتاق إليها ومنبئ
ببعض اشتياقي لو تمكن إنباء
وكم قايل تفنى غراماً بحبها
وقد أخلقت منها ملاء وإملاء

¹ في أزهار الرياض: ((إسراء)).

² في النفع وأزهار الرياض: ((كل يوم)).

³ القتاد: نبات على شكل أشجار صلبة؛ ذات أشواك حادة. والسلاء؛ مفردها سلاءة: شوك النخل.

⁴ في النفع وأزهار الرياض: ((ودونها)).

لعشرة أعوام عليها تجرمت
إذا مضى قيظ بها جاء إهراء
يطنب فيها عابثون¹ وحزب²
ويرحل عنها قاطنون وأحياء³
كأن رماح الذاهيين⁴ لملكها
قداح وأموال المنازل أبداء
فلا تبغين فيها مناخاً لراكب
فقد قلصت منها ظلال وأفياء
ومن عجيبي⁵ أن طال سقمي ونزعها
وقسم إضناء علينا وإطناء⁶
وكم أرجفوا غيظاً بها ثم أرجأوا
فيكذب إرجاف ويصدق إرجاء

¹ في النفع، والأزهار: ((عائثون)).

² نفسهما: ((وخرَّب)).

³ هكذا في النفع؛ وفي أزهار الرياض: ((وثناء))؛ بينما كتب في

الإسكوريال: ((وثناء)).

⁴ في النفع، والأزهار: ((الناهيين)).

⁵ نفسهما: ((ومن عَجَب)).

⁶ أي استحياء وانقباضاً.

يردها عيًّا بها¹ الدهر مثلما
يردد حرف الفاء في النطق فأفاء
فيا منزلاً نال الردى منه ما اشتهى
تري وهل لعمر الأوس بعدك إنساء²
وهل للظى الحرب التي فيك تلتظي
إذا ما انقضت أيام بوسك إطفاء
وهل لي زمان أرتجي فيه عودة
إليك ووجه البشر أزهر وضاء
فواسيئي حالي³ إن هلكت ولم أقل
لصحي بها الغر الكرام ألا هاؤا

¹ في النفع، والأزهار: ((عبَّأها)).

² أي تأخيراً.

³ الشيء نفسه؛ إذ كتب في نص: ((فواجر بالي)). وفي أزهار الرياض:
((فيا هي مالي)).

ولم أطرق الدير¹ الذي كنت طارقاً
كعادي² وبدر الأفق أسلغ مسناء³
أطيف به حتى تهر كلابه
وقد نام عساس وهوم سباء
ولا صاحب الأحسام⁴ ولهذم
وطرف لخد الليل مذ كان وطاء
وأسحم قاري كشعري حلقة
تلاً في من سنى الصبح أضواء
فما لشرابي في سواك⁵ مرارة⁵
ولا لطعامي دون بابك⁶ إمراء

¹ في أزهار الرياض: ((الدرب)).
² هكذا في الإسكوريال؛ بينما كتب في نص أشار إليه عنان: ((بليل)).
وفي أزهار الرياض: ((لعاد)).
³ في أزهار الرياض: ((أسلغ مشناء)). و الأسلغ باغين المعمة، والأسلغ
بالعين المهملة: نعت للمصاب بالبرص؛ الأحمر اللون. أما المشناء: فهو
الذي يبغضه الناس. والمنساء: المتباعد.
⁴ في أزهار الرياض: ((إلا حُسام)). وهذا أسلم وأصوب.
⁵ نفسه: ((مزازة)).
⁶ نفسه: ((مانك)).

وباداري الأولى بدربِ حلاوة¹
وقد جد عيث في بلاها وإرداء
أما أن أن يحمى حماك كعهده
وتجتاز أحماش² عليك وأحماء
أما أن أن يعشو لنارك طارق
جنيب له رفع إليك ودأء³
يرجي نوالاً أو يؤمل دعوة
فما زال قار في ذراك وقرأء
أحن لها ما أطت النيب⁴ حولها
وما عاقها عن مورد الماء إظاء⁵
فما فاتها مني نزاع على النوى
ولا فاتني منها على القرب إجشاء⁶

¹ سقطت كلمة: ((حلاوة)) في الإسكوريال، بينما كتب في أزهار الرياض: ((مخيلة)).
² الشيء نفسه حسب عنان؛ كتب في نص: ((أصحاب)). بينما كتب في
أزهار الرياض: ((ويجتال أحماس)).
³ أي له سرعة فائقة، وعدو حثيث شديد.
⁴ أي ما صوتت الإبل.
⁵ الإظماء: هي المدة التي تنقطع فيها الإبل عن ورود الماء.
⁶ أي شوقاً.

كذلك جدي في صحابي وأسررتي
ومن لي به من¹ أهل ودي إن فأؤوا
ولولا جوار ابن الحكيم محمد
لما فات نفسي من بني الدهر إقماء
حمانى فلم تنتب محلي نوايب
بسوء ولم ترزأ فؤادي أرزاء
وأكفاء بيتي في كفالة جاهه
فصاروا عبيداً لي وهم لي أكفاء
يؤمنون قصدي طاعة ومحبة
فما عفته عاقوا وما شئتته شاء²
دعاني إلى المجد الذي كنت أملاً
فلم يك لي عن دعوة المجد إبطاء
وبوأنى من هضبة العز تلعة
يناجي السها منه³ صعود وطأطاء⁴

¹ في النفع: ((في)).

² نفسه: ((شاءوا)).

³ في النفع، والأزهار: ((منها)).

⁴ الطأطاء: المنخفض من الأرض.

يشاعني فيها¹ إذا سرت حافظ
ويكلأني منها إذا نمت كلاً²
ولا مثل نومي في كفالة غيره
وللذيب إمام وللصل إمام
بغیضة لیث أو بمرقب خالب
تَدُّ³ كِساءً فيه وتقطع أكساء
إذا كان لي من نايب الملك كافل
ففي حيثما هومت كِنّ وإدفاء
وإخوان صدق من صنایع جاهه
يبادرني منهم قيام وإيلاء
سراع لما يرجى من الخير عندهم
ومن كل ما يُخشى من الشرِّ إبراء⁴
إليك أبا عبد الإله صنعها
لزومية فيها لوجدي إفشاء

¹ في النفع، والأزهار: ((يشاعني منها)).

² أي الحافظ.

³ في النفع، والأزهار: ((تُبْرُّ)).

⁴ أي في حكم البراءة.

مبراة مما يعيب لزومها
إذا عاب إكفاء سواها وإيطاء¹
أذعت بها السر الذي كان قبلها
عليه لأحناء الجوانح إضناء
وإن لم يكمن كل الذي كنت² أما
واعوز إكلاء فما عاز إكماء³
ومن يتكلف مفحما شكر منة
فما لي إلى ذلك التكلف إجماء
إذا منشد لم يكن عنك ومنشئ
فلا كان إنشاد ولا كان إنشاء
ومن شعره قوله⁴:
أطار فؤادي برق الأحا
قمّ ضم بعد لو كر جناحا

¹ الإكفاء، والإيطاء: عيبان من عيوب القافية في علم العروض.
² كتب في الإسكوريال: ((أنت))؛ وصوبت من النفع.
³ أكما إكماء المكان: كثر به الكمء. والكمأة ضرب من الفطر؛ يكمن تحت الأرض؛ فيستخرج في فصل الأمطار. يسمى بالعامية الجزائرية ((الترفاس)).
⁴ هذه القصيدة من البحر المتقارب.

كأن تألقه في الدجى
حسام جبان يهاب الكفاحا
أضياء وللعين إغفاءة
تلذ إذا ما سنى الفجر لاحا
كمعنى خفي بدا بعضه
وزيد بيانا فزاد اتضاحا
كأن النجوم وقد غربت
نواهل ماء صدرن قُمَاحا¹
لواغب¹ باتت تجد السرى
فأدركها الصبح روي طلاحا
وقد لبس الليل أسماله
فمحت¹ عليه بلاً وانصياحا¹
وأيقظ روض الربا زهره
فحيا نسيم صباه الصباحا

¹ كتب في هامش المخطوط: ((قمح البعير: إذا رفع رأسه وامتنع عن الشراب ربا - لواغب روي طلاحا؛ كل ذلك بمعنى: أعياء - مح الثوب إذا بلى؛ وانصاح الثوب: إذا انشق.

كأن النهار وقد غالها
ميت مال حواه اجتياحا
أتى يستفيض دموعي امتياحا
ويلهب نار ضلوعي اقتداحا
فلم يلق دجن انتحابي شحيا
ولم يلف زند اشتياقي شحاحا
ولولا توقد نار الحشا
لانفدت ماء جفوني امتياحا
ومما يشرد عني الكرى
هديل حمام إذا نمت صاحا
ينوح علي وأبكي له
فأقطع ليلي بكأ أو نياحا
أعين أريحي أطلت الأسي
عليك وما زدت إلا انتزاحا
دعيني أرد ماء دمعي¹ فلم
أرد بعد مايك ماء قراحا

¹ الشيء نفسه؛ إذ كتب في نص: ((عيني)).

أحن إليك إذا سفت ريحا
وأبكي عليك إذا ذقت راحا
وأفنى التياحا إليك وكم
أشحت بوجهي عنك اتشاحا
ولولا سخايم قوم أبوا
إياي ركبت إليك الرياحا
أباحوا حماي وكم مرة
حميت حمى عرضهم أن يباحا
ودافعت عنهم بشعري انتصارا
فكان الجزاء جلالي المتاحا
أباعوا ودادي بخسا فسل
أكان سماحهم بي رباحا
وأغروا بنفسي طلابها
سراراً فجاءوا لقتلي صراحا
وآلو يميننا على أن ما
توهمت لم يك إلا مزاحا

فشاورت نفسي في ذا فما
رأت لي بغير الفلاة فلاحا
فبت أناغي نجوم الدُّجى
نجا فلم ألق¹ إلا نجاحا
أجوب الدياجير وحدي ولا
مؤانس إلا القطا والسِّراحا²
وإلا الثعالب تحس في
مبيتي فتملاً سمعي ضُّباحا³
أجوز الأفاحيص⁴ فيحاً قفارا
وأعرو الأداحي⁵ غبرا فساحا
فأعي شوارد هذي عداء
وأعلو لواعي تلك صياحا
وجواب بدو إذا استبحوا
أجابوا عواء وأموا النباحا

¹ هكذا في الإسكوريال؛ بينما كتب في نص: ((ألف)).

² كتب في الهامش: ((جمع سرحان: وهو الذئب)).

³ الضباح: هو صوت الثعلب.

⁴ الأفاحيص؛ مفردها: أفحوص: وهو المكان الذي تبيض فيه القطا.

⁵ الأداحي؛ مفردها أدحي: وهو المكان الذي تبيض فيه النعام.

يرون قتالي في الحجر حلاً
وإذهاب نفسي فيه مباحا
قصدت هناهم¹ فلم أخطهم
أعاجم شوس العيون قباحا
فسل كيف كان خلاصي من
أسارهم أسرى أم سراحا
ولا مثل بيت تيممته
فلم ألف إلا الغنا والسماحا
عياباً² ملاء ونيباً سماناً³
وغيداً خدالاً⁴ وعوداً أقاحا
وإلا أعاريب شم الأنوف
كرام الجدود فصاحاً صباحا
وإلا يعافير سود العيون
يرين فساد المحب صلاحا

¹ هكذا في الإسكوريال؛ بينما كتب في نص: ((سناهم)).
² العياب؛ مفردها: عَيْبَة؛ عبارة عن وعاء يوضع فيه الثياب.
³ أي نوق مسنة وسمينة.
⁴ هكذا في الإسكوريال؛ بينما كتب أيضاً في نص لم يحدده عنان:
((حساناً)). وغيداً خدالاً: ممتلات ضخام.

يرددن فينا لحاظاً مرضاً
يمرضن منا القلوب الصحاحا
وتحت الوجاج طلاً ربرب¹
لَوَ أَنَّ الْقِيَانَ رَفَعْنَ الْوَجَاحَا
أراني محاسن منه فلم
أطق عن حماه بقلبي براحا
محيماً وسيماً وفرعاً أثيثاً
وقدأ قويماً وردفاً رداحا
وأبدي لعيني بدايع لم
يدع لي عقلاً بها حين راحا
إذا لم يرد غير سفك دمي
فَجِلٌّ وَبَلٌّ² له ما استباحا
وما زلت سمحاً بنفسي كذا
متى ما رأيت الوجوه الملاحا

¹ الربرب: قطيع من بقر الوحش.
² أي حلال ومباح.

وبابن رشيد تعوذت من
هواه فقد زدت فيه افتضاحا
وقد ضاق صدري عن كتمه
وأودعته جفن عيني فباحا
وبابن رشيد تعوذت من
خطوب أجلى علي القداحا
ألح الزمان بأحداثه
فألقيت طوعاً إليه السلاحا
أعاد شبابي مشيباً كما
سمعت وصير نسكي طلاحاً¹
وفرقت بيني وبين الأهيل
ولم ير ذا عليه جناحا
أخي وسمي أصخ مسعداً²
لشجو حزين إليك استراحا

¹ في نص: ((صلاحا)). والطلاق: الفساد؛ وهو ضد الصلاح.

² الشيء نفسه: في نص: ((مسمعا)).

فقد جَبَّ¹ ظهري على ضعفه
كُداماً² وأذهى شواتي نطاحا
وطوَّح بي عن تلمسان ما
ظننت فراقي لها أن يتاحا
وأعجل سيرى عنه ولم
يدعني أودع تلك البطاحا
نأى بصديقك عن ربعه
فكان له النأي موتاً صراحاً³
وكان عزيزاً على قومه
إذا هاج خاضوا إليه الرماحا
فها هو إن قال لم يلتفت
إليه امتهاناً له واطراحا
عجبت لدهري هذا وما
ألاقي مساءً به وصباحا

¹ أي قطع.
² أكدام: نبات في المراعي يتكسر على الأرض.
³ أي موتاً خالصاً.

لقد هدمني ركناً شديداً
ونزل مني حياء لقاحا
وُقيتُ الرَدَى من أخٍ مخلصٍ
لو استطعت¹ طرت إليه ارتياحا
وإني على فيح ما بيننا
لأتبع ذاك الشذا حيث فاحا
أحن إليه حنين الفحول²
ونوح الحمام إذا هو ناحا
وأسأل عنه هبوب النسيم
وخفق الوميض إذا ما ألحاحا
إن شيت عرفان حالي وما
يعانيه جسمي ضنى أو صحاحا
فقلب يذوب إليك اشتياقا
وصدر يفاح إليك انشراحا

¹ جعلها د. طويل: ((لو أسطعت)). وذلك من أجل الوزن.

² في نص: ((العجول)).

وغرس وداد أصاب فضاء
ندياً وصادف أرضاً براحا
كراسخ مجد تأتلته
فلم تخش بعد عليه امتصاحا
وعلياء بوئتها لو بغي
سموا إليها السماك لطاحا
مكارم جمعت أفذاذها
فكانت لعطف¹ علاك وشاحا
و درس علوم تهيم بها
عمرت الغدوبه والرواحا
نشأت عن الخير واعتدته
فلم تدر إلا التقى والصلاحا
وقمت لها أيما رحلة
كسحت المعارف فيها اكتساحا
بهرت رجال الحديث اقتداء
وفت رجال الكمال اقتراحا

¹ في نص: ((العضب)).

فما [إن جليس]¹ إذا قلت قال
أو أن الخطيب إذا لحت لاحا
ولو لم تحج بها مكة
لحج الملايك عنك صراحا
وأما أنا بعد نهي النهي
فما زادني² الطبع إلا جماحا
أدير كؤوس هواي اغتباقا
وأشرب ماء دموعي اصطباحا
فبرد جواي برد جواب
توبخ فيه مشي الوقاحا
وهن بنيات فكري وقد
أثنين فاخفض لهن الجناحا

¹ حرفت في الإسكوريال؛ فكتبت: ((ابن حبيش)).

² كتبت في الإسكوريال: ((زاد))؛ فصوبها عنان.

ومن شعره رحمه الله قوله يمدح ذا الوزارتين المتقدم
ذكره، ويذكر غفارة وجهها له مع هدية¹:
كبت العدى إنعامك البغت
فلي الهنا² وللعدى الكبت
يا من إلى جدوى أنامله
يزجي³ للسفين⁴ وتزجر البُخت⁵
لولاك لم يوصل بناحية
وخذ ولم يقطع بها دشت⁶
لولاك لم يطلع بها نشر
منه ولم يهبط بها خبت
خولتني ما لم تسعه يدي
فأصابني من كثره غمت⁷

¹ هذه القصيدة من البحر الكامل.

² صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((الهنا)).

³ في نص: ((يرجي)).

⁴ كتبها د. طويل: ((السفين))؛ من أجل سلامة الوزن واستقامة المعنى.

ويقصد بالسفين: المركب البحري.

⁵ البُخت: هي الإبل الخراسانية.

⁶ الدشت هنا هي الصحراء.

⁷ أي تخمة.

شَتَى أَيَادِ كَلِمَا عَظُمْتَ
عِنْدِي تَلْكَأُ خَاطِرِي الْهَتَّ¹
يَعِيَا لِسَانِي عَنِ إِذَاعَتِهَا
وَيَضِيقُ عَنِ شُكْرِي لَهَا الْوَقْتِ
وَطَأَتْ لِي الدُّنْيَا فَلَآ عَوجَ
فِيمَا أَرَى مِنْهَا وَلَا أُمَّتِ
أَمَكَّنْتَنِي مِنْهَا فَمَا لِي بِدِي
رَدِّهِ وَلَا لِمَقَالَتِي عَتِ
بَالِغَتِ فِي بَرِيٍّ وَلَا نَسَبِ
أَدْلِي إِلَيْكَ بِهِ وَلَا حَسَبِ²
لَكِنْ حَسْبِي إِنْ مَتَّ بِهِ
يَوْمًا إِلَيْكَ وَدَادِي الْبَحْتِ
بُورَكَتِ مِنْ رَجُلٍ بِرُؤْيَيْتِهِ
يُوسَى الضَّنَّاءِ وَيُعَالِجُ الْغَتَّ³

¹ أي خاطري المكسور.

² هذا البيت مختلف في رويته عن بقية أبيات القصيدة.

³ أي يعالج الحزن والغم.

لو سار في بهاء مقفرة
في حيث لا ماء ولا نبت
لتفجر الماء النмир بها
ولأعشبت أرجاؤها¹ المرت
لا تحسبن البخت نيل غنى
نيل الرضا منه هو البخت
آلت جلالته وحق لها
أن لا يحيط بكنهها نعت
أظهرت دين الله في زمن
ما زال يغلب حقه البهت
شيدته وهددت ممتعضاً
لضياعه ماشيد الجبت²
أمنت أرض المسلمين فلا
ذئب يخاف بها ولا لصت³

¹ كلمة ((أرجاؤها))؛ نقلت من المنتخب النفيس؛ لأن في موضعها بالمخطوط بياض.
² أي من لا خير فيه.
³ أي: ولا لص.

وحفظتها من كل نايبة
تخشى فأنت حفيظها التبت
ونهجت سبيل¹ المكرمات فما
لمؤمل عن غايه ألت²
لم تبق غفلاً من متالعها
إلا وفيه لحاير بُرت³
هادن ظغاة الكفر ما هدأت
حتى يجيء نهارها المَحْت⁴
دعها تودع في معاقلها
ما لم تعد جفاتها العَفْت⁵
كم نذتها عنا وقد هبرت
لهراشنا أشداقها الهَرْت⁶

¹ جعلها د. طويل: ((سُبَل)). من أجل الوزن.

² الألت، وألته: حبسه وصرفه.

³ البُرت: هو الدليل الماهر.

⁴ أي: نهارها الحار.

⁵ أي: في حال الالتواء والانكسار.

⁶ أي: أشداقها الواسعة.

بوقوف طرفك عند شدته
يبأى ويفخر ملكها الرّت¹
ويشكر² ما أظهرت من كرم
في ذاك تفصح عجمها المّرّت³
لك من ممالكها وإن رغمت
ما جال فيه جوادك الحّت³
ولكل أصيد من بطارقها
في كلّ أري له دَعْتُ⁴
لولا لباك البيض ما أرقّت
للقايتها أفراسنا الكمت
عنده⁴ لمن ينتابه مَقّة
ولمن ينيب لغيره مقت⁵
ولو أنّ بيضك لم تسلّ لما
ذلت أنوف طغاتها السلت

¹ أي: ملكها الرئيس.

² جعلها د. طويل: ((والشكر)).

³ أي: الساقط.

⁴ جعلها د. طويل: ((عندي)).

⁵ في نص: ((المقت)). وهذا البيت كتب في هامش المخطوط.

يا ابن الحكيم أمنت صرف ردى
أبدأ له في أثلتي نَحْتُ¹
وبيمينه أنست من أمني
ما لم يكن يوماً له عَرْتُ²
مثنى الوزارة مؤئلي وله
ما دمت أملك قدرتي أقت³
وبأسه أظفي شرارة من
يعثو وأقدح أنف من يَعْتُ⁴
عم الورى جوداً وفضل غنى
حتى تساوى العَدُّ والغَلْتُ⁵
وهمى على عال ومنخفض
لم يبق فوق لا ولا تحت

¹ أي: أبدأ له في أصلي طعن.

² أي: شدة واضطراب.

³ الأقت: الوقت المعين.

⁴ جعلها د. طويل: ((يعتو)) بالواو.

⁵ أي: غلط.

ظل إذا نصطاف معتدل
عطر الشذا وحيأ إذا نشت¹
يتضاءل الصبح المنير إذا
لاقى سنأه جبينك الصلت
حتى كآن شمس الضحى قمر
وكآن ضوء شعاعها فخت²
وغريبة في لطف صنعها
يمضي الزمان وما لها أخت
ينأى الندى بها إذا لبست
ويتيه إن طويت بها التخت
زنجية لكن لمحتدها
في الروم يعنو القس والشنت³
مثل العروس على منصتها
من شأنها التزيين والزت⁴

¹ كتبها د. طويل: ((نشتو))؛ بالواو.

² الفخت: ضوء القمر في أول مبدئه.

³ كلمت ((شنت)) أو ((سنت))؛ ترمز إلى القداسة؛ مثل: شنت مرية.
وبالإسبانية: Santo.

⁴ زت العروس: تزيينها.

لأكون أنحل ما أكون هدى
فيها فيعبل جسمي الشخت
وبمثل شيببي فوق حلكتها
يبدو الوقار ويحفظ السمات
تظهريني¹ بلباسها وبه
عندي لها الإيثار ما عشت
لا زلت تؤثرني بها أبداً
ولا تف من يشقى² بذا السلت
وبقيت تدرك ما تريد وما
تهوى بقاء ماله فت
ومن شعره أيضاً في المدح؛ قوله رحمه الله من
قصيدة ثبتت في ديوان مجموع من أمداحه منها قوله³:
طرقتك وهنا أخت آل علاج
والركب بين دكادك وحراج

¹ جعلها د. طويل: ((تظهرنني)).

² في نص: ((يشجى)).

³ هذه القصيدة من البحر الكامل.

في ليلة ليلاء لم ينبح بها
كلب ولم يصرخ أذنين دجاج
أنى اهتدت لمضالين توهنوا
منها لهتك دياجر ودياج
متسربلي برد الظلام كأنهم
فيه قداح في رماية ساج
وثقوا بمحمود السرى وتسلموا
لمخارم مجهولة وفجاج
ومنازل درس الرسوم بلاقع
أخوين¹ من هيح ومن هجهاج
محت معالمهن غير مثلم
كسوار تاج أو كدملج عاج
وموائل مثل الحمام جوائم
ورق وأسمج دائم التشحاج
ومشجج ما زال منهل الحيا
يبكي صداه بدمعه الثجاج

¹ في الإسكوريال: ((أقوين)).

حتى أعاد لعوده أوراقه
خضر الظلال نكية الأراج
وكسا عراة عراضه من وشيه
حلا تبور صنعة الديباج
لا مثل ليالات [مضين سريعة]¹
بردت حرارة قلبي المهتاج
أدركت منها في صباي مطالبي
وقضيت منها في شبابي حاج²
كم ليلة مرت ولم يشعر بها
غيري وغير منادمي وسراج³
بتنا ندير إلى انبلاج صباحها
كأس الهوى صرفاً بغير مزاج
وتدير أعيننا حديث غرامنا
بمرامز من فضها⁴ وأحاج

¹ في الإسكوريال: ((بنعب سويقة))؛ وصويت من المنتخب.

² جعلها د. طويل: ((حاجي))؛ بالياء.

³ جعلها د. طويل: ((وسراجي))؛ بالياء.

⁴ في نص: ((فضة)).

بمآرج¹ النفحات من دارين أو
بمدارج النسومات من دراج
وخلوص ود في نقاء سريرة
كسلاف راح في صفاء زجاج
أمحضته حظي من الزمن الذي
أعيب مراسي أهله وعلاج²
واخترت قرب جواره لخلوصه
وتركت كل مماذق³ مراج
ما في زمانك غيره فاخلص له
غيباً وداهن من أردت وداج
لا تحلفن بغيره واستعفين
بوقاره عن كل غمر ماج
أترك بني الدنيا وأعرض عنهم
فعسالك⁴ تطعم لذة الإثلاج

¹ في نص: ((بمؤرج)).

² جعلها د. طويل: ((وعلاجي)؛ بالياء.

³ أي غير مخلص.

⁴ في الإسكوريال: ((بأساً)).

نزّهت نفسي عنهم بنواله
وحفظتها من جاهه بسياج
أصبحت من آلايه وولايه
في عزة ضحيا وعزداج
ولو أنّني عجت الركاب ميمما
أحداً سواه ما حمدت معاج¹
طلق إذا احتلك الزمان أنار في
ظلمائه كالكوكب الوهاج
طود الرصانة والرزانة والحجا
بحر الندى المتلاطم الأمواج
وغمامه الهامي على أماله
من غير إرعاد ولا إرعاج
وهزبر آجام القنى الضاري إذا
سقطت عواتمها² على الأزجاج

¹ جعلها د. طويل: ((معاجي))؛ بالياء.
² في الإسكوريال: ((عواملها))؛ وصوبت من المنتخب.

ضمن الإله له على أعدائه
ما شاء من ظفر ومن إفلاج
أبقى أبو عبد الإله محمد
ما شاد والده أبو الحجاج¹
وبنى أبو إسحاق قبل و صنوه
ركنا الضعيف ومعدنا² المحتاج
وجرى على آثار³ أسلاف لهم
درجوا وكلهم على منهج
ما منهم إلا أعز مبارك
مصباح ليل أو صباح عجاج
بيت بنوه من سراوة حمير
في الذروة العلياء من صنهاج
كم كان في الماضين من أسلافهم
من رب إكليل وصاحب تاج

¹ هو الغني بالله محمد بن يوسف النصرى؛ سبق ذكر ترجمته في الإحاطة. ووالده هو أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج النصرى. ستأتي ترجمته لاحقاً في الإحاطة.
² في نص: ((مؤلاً)).
³ في الإسكوريال: ((أسال)).

أساس كل رياسة ورؤس كل
ل سياسة وليوث كل هياج
أعيت نجوم الليل من سهر وما
أعيا أبو موسى من الإدلاج
حتى أصارته لرحمة ربه
يوم العقاب وقبعة الأعلاج
وأقيم نجل أخيه بعد مقامه
فيهم يطاعن مثله ويواج
فردا يلف كتايبا بكتايب
ويكب أفواجا على أفواج
حتى تجلى دجن كل عجاجة
عنهم وأمسك رعد كل ضجاج
من مثل يوسف في قراع¹ كتايب
ولقاء أعداء وخوض لجاج
أو من يشق من الأنام غباره
في رد آراء ونقض حجاج

¹ في نص: ((نزال)).

إن خاض يوماً في بيان حقيقة
أنهى عن¹ الثوري² والحلاج³
وإذا تكلم في الغريب وضبطه
لم يعبأ بالعتبي⁴ والزجاج⁵
أنست قصائد جرول⁶ أشعاره
وأرازج العجلي¹ والعجاج⁷
جمع الفصاحة والصباحة والتقى
والجود في وجد وفي إحراج
تخشاه أسد الغاب في أجماتها
والروم في الأسوار والأبراج

¹ في نص: ((أربى على)).

² هو الإمام المحدث سفيان بن سعيد الثوري (توفي سنة 161هـ/777م).

³ في نص: ((الحجاج)). والحلاج هو الزاهد المتصوف الحسين ابن منصور. المتوفي سنة 309هـ/921م. وقد سبق التعريف به.

⁴ هو محمد بن عبد الله بن عمرو العتبي؛ اشتهر بفصحانة اللسان. توفي سنة 228هـ/842م.

⁵ هو إبراهيم بن محمد بن السري؛ نحوي. توفي سنة 310هـ/922م.

⁶ كتب في هامش المخطوط: ((جرول: هو الحطينة. والعجلي: هو أبو النجم)). واسم الحطينة بالكامل هو جرول بن أوس بن مالك؛ شاعر الهجاء الشهير. توفي سنة 30هـ/650م. أما العجلي فهو الأغلب بن عمرو بن عبدة الشاعر الراجز. توفي سنة 21هـ/641م.

⁷ العجاج: هو عبد الله بن ربيعة؛ راجز. توفي في حدود 590هـ/1193م.

إننا بني قحطان لم نخلق لغير
ر غيات ملهوف ومنعة لاج
نُبْري طُلّي¹ الأعراب في الهيجا وفي اللـ
أواء² سوف نماري³ الأعراج⁴
بسيوفنا البيض اليمانية التي
طبعت لحز غلاصم ووداج
تأبى لنا الإحجام عن أعدائنا
يوم اللقاء طهارة الأمشاج
أنصار [خير العالمين]⁵ وحزبه
وحماته في الجحفل الرجراج
وفداته بنفوسهم ونفيسهم
من غدر مغتال وسبة هاج
هم صفوة الخلق التي اختيرت له
وسواهم همج من الأهماج

¹ الطلّي مفردھا؛ طلية: وهي العنق.

² الأواء: الشدة والمحنة.

³ أي نجادل.

⁴ جعلها د. طويل: ((الأعرابي))؛ بالياء.

⁵ ورد في نص أشار إليه عنان دون تحديده: ((دين الهاشمي)).

إلا الألى سبقوا بباهر فضلهم
من ساير الأصحاب والأزواج
وكفى بحكمتنا إقامة حجة
وبركننا من كعبة الحجاج
ولنا مفاخر في القديم شهيرة
كالصبح في وضح وفي إبلاج
منا التبابعة الذين بباهم
كانت تتيخ جباة كل خراج
ولأمرهم كانت تدين ممالك الـ
دنيا بلا قهر ولا إخراج
من يقتدح زندا فإن زنادهم
في الجود وارية بلا إخراج
أبوابهم مفتوحة لضيوفهم
أبداً بلا قفل ولا مزلاج

ومما اشتهر من شعره قوله¹:
أَرْقَّ عَيْنِي بَارِقٌ مِنْ أُنَّالٍ
كَأَنَّهُ فِي جُنْحٍ لَيْلِي ذُبَالٌ
أَثَارُ شَوْقاً فِي ضَمِيرٍ² الْحَشَا³
وعبرتي في صحن خدي أسال
حكى فؤادي قلقاً واشتعال
وجفن عيني أرقاً وانهمال
[جوانح تلفح نيرانها
وأدمع تتهل مثل العزال]⁴
قولوا وشاة الحب ما شئتم
ما لذة الحب سوى أن يقال
عذراً للوأمي⁵ ولا عذر لي
فزلة العالم ما إن تقال

¹ هذه القصيدة توجد في النفع، والأزهار. وهي من البحر السريع.

² في أزهار الرياض: ((من صميم)).

³ في النفع: ((الحشا)).

⁴ ورد هذا البيت في النفع؛ بينما سقط في الإسكوريال. يقصد بكلمة

((العزال))؛ العزالي: وهو مصب الماء من الراوية.

⁵ في أزهار الرياض: ((عذرُ لُوأمي)).

قم نطرد الهم بمشمولة
تقصر الليل إذا الليل طال
وعاطها صفراء ذميمة
تمنعها الذمة من أن تنال
كالمسك ريحاً والما مطعماً
والتبر لوناً والهوا في اعتدال
عتقها في الدن خمارها
والبكر لا تعرف غير الحجال
لا تُتَّقِبِ الْمِصْبَاحَ¹ لا واسقني
على سنى البرق وضوء الهلال
فالعيش نوم والردى يقظة
والمراء ما بينهما كالخيال
خذها على تنغيم مسطارها²
بين خوابيها وبين الدوال

¹ أي لا تجعل ضوء المصباح ساطعاً.
² أي خمرها المؤثرة؛ التي تصرع شاربها.

في روضة باكر وسميها¹
أخمل دارين وأنسى أوال²
كان فار المسك مَغْبُوقَةً³
فيها إذا هبت صباً أو شمال
من كل⁴ ساجي الطرف الحاظه
مفوقات أبداً للنضال
من عاذري والكل لي عاذل⁵
من حسن الوجه قبيح الفعال
من خلي الوعد كذابه
ليان لا يعرف غير المطال
كأنه الدهر وأي امرئ
يبقى على حال⁶ إذا الدهر حال

¹ كتبت في الإسكوريال: ((وسميته))؛ وصوبت من النفع. والوسمي: هي مطر الربيع الأول.
² أوال: هو الاسم القديم للبحرين.
³ في النفع والأزهار: ((مفتوتة)).
⁴ نفسيهما: ((كف)).
⁵ نفسيهما: ((عاذر)).
⁶ نفسيهما: ((على الدهر)).

أما تراني آخذاً ناقضاً
عليه ما سوغني¹ من محال
ولم أكن قط له عائباً
كمثل ما عابته قبلي رجال
يأبى ثراء المال علمي وهل
يجتمع الضدان علم ومال
وتأنف الأرض مقامي بها
حتى تهاداني ظهور الرجال²
لولا بنو زيان ما لذلي الـ
عَيْش ولا هانت عليّ الليال
هم خوفوا الدهر وهم خففوا
على بني الدهر³ خطاه الثقال
ورثت⁴ من عامرهم سيّداً
غمراً رداء الحمْدِ عمراً⁵ النوال

¹ في النفع والأزهار: ((سوفني)).

² نفسيهما: ((الرحال)).

³ نفسيهما: ((الدنيا)).

⁴ في النفع: ((لقيت))، وفي الأزهار: ((ألفيت)).

⁵ في النفع، والأزهار: ((جم)).

وكعبة للجود منصوبة
يسعى إليها الناس من كل حال¹
خذها أبازيان من شاعر
مستلمح النزعة عذب المقال
يلتفظ الألفاظ لفظ النوى
وينظم الآلاء نظم اللال
مجارياً مهيار² في قوله
(ما كنت لولا طمعي في الخيال)³

ومما قال أيضاً، واشتمل ذلك على شيء من نظمه
ونثره؛ وهذا الرجل مغرب النزعة، في شغوف نظمه على
نثره⁴:

¹ في النفع والأزهار: ((بال)).
² هو أبو الحسن مهيار بن مروزيه الديلمي؛ كاتب وشاعر فارسي؛ كان
مجوسياً فأسلم سنة 494هـ/1100م؛ على يد شيخه الشريف الرضي. ولد
بموطنه الديلم في حدود 428هـ/1036م. وتوفي ببغداد.
³ هذا الشطر هو صدر بيت لقصيد مهيار الديلمي؛ من البحر السريع؛ يقول فيها:
((ما كنت لولا طمعي في الخيال * أنشد ليلى بين طول الليال))
⁴ هذه القصيدة موجودة في النفع، والأزهار؛ وهي من البحر الكامل.

عجباً لها أيدوق طعم وصالها
من ليس يطمأن¹ يمر ببالها
وأنا الفقير إلى تعة ساعة
منها وتمنعي زكاة جمالها
كم ذا وعن² عيني الكرى متأنف³
يبدو ويخفي في خفي مطالها
يسمو لها بدر الدجا متضايلاً
كتضائل الحسناء في أسمالها⁴
وابن السبيل يجيء يقبس نارها
ليلاً فتمنحه عقيلة مالها⁵
يعتادني في النوم طيف خيالها
فتصيني ألحاظها بنبالها

¹ في النفع، والأزهار: ((يأمل)).
² كتبت في الإسكوريال، ونفح الطيب، وأزهار الرياض: ((كم زاد عن)).
³ في الإسكوريال: ((متألق))؛ وصويت من النفع.
⁴ اقتبس هذا الشطر بتصريف عن أبي تمام؛ الذي قال:
((كسيت سبائب لومه فتضائلت * كتضائل الحسناء في الأظمار)).
⁵ عقيلة المال: أكرمه.

كم ليلة جادت به فكأنما
زُفَّتْ عليّ ذُكاء¹ وقت زوالها
أسرى فَعَطْرُهَا وَعَطْلُ شُهْبِهَا
يَأْبَى شذا المعطار من معطالها²
وسواد طرته كجنج ظلامها
وبياض غرته كضوء هلالها
دعني أشم بالوهم أدنى لمحة³
من ثغرها وأشم مسكة خالها
ما راد طرفي في حديقة خدها
إلا لفتنته بحسن دلالها
أنسيب شعري رق مثل نسيمها
فشمول راحك مثل ريح شمالها
وانقل أحاديث الهوى وأشرح غريـ
بَ لغاتها وأذكر تقات رجالها

¹ ذكاء: اسم الشمس.

² ورد هذا البيت في نفع الطيب وأزهار الرياض هكذا:
(أسرى فَعَطْلُهَا وَعَطْلُ شُهْبِهَا * بأبي شذا المعطار من معطالها).

³ في النفع والأزهار: ((لمعة)).

وإذا مررت برامة فتوق من
أطلايها¹ وتمش في أطلالها
وانصب لمغزلها حباله قانص
ودع الكرى شركا للصيد غزالها
وأسل جداولها بفيض دموعها
وانضح جوانحها بفضل سجالها
أنا من بقية معشر عَرَكَتَهُمْ
هذي النوى عَرَكَ الرَّحَى بِثِقَالِهَا²
أكرم بها فئة أريق نجيعها
بغياً فراق العين حسن جمالها³
حلت مدامة وصلها وحلت لهم
فإن انتشوا فبطلوها وحلالها
بلغت بهرمس غاية ما نالها
أحد وناء بها لبعده منالها

¹ الأطلاء؛ مفردها: طلا؛ وهو ولد الظبية.
² في النفع والأزهار: ((بثقالها)). وهو أصح؛ لأنه اقتبس هذا عن زهير
ابن أبي سلمى في قوله:
((فتعركم عرك الرحي بثقالها * وتلقح كشافاً ثم تنتج فتتنم)).
³ في النفع، والأزهار: ((مالها)).

وَعَدَتْ عَلَى سُقْرَاطٍ¹ صُورَةَ² كَأْسِهَا
فَهْرِيقٍ مَا فِي الدَّنِّ مِنْ جَرِيَالِهَا
وَسَرَّتْ إِلَى فَارَابٍ مِنْهَا نَفْحَةَ
قَدْسِيَّةٍ جَاءَتْ بِنَخْبَةِ آلِهَا³
لِيَصُوغَ مِنْ أَلْحَانِهِ فِي حَانِهَا
مَا سَوَّغَ الْقَيْسِيَّ مِنْ أُرْمَالِهَا

¹ هو الفيلسوف اليوناني الأول؛ (469-399)؛ لم يترك كتابات تعرف بفلسفته؛ وإنما نقل تلاميذه أفكاره؛ ومن أهم تلاميذه أفلاطون.
² في النّفح والأزهار: ((سورة)).
³ فاراب: مدينة تتواجد في بلاد ما وراء النهر؛ وتعرف اليوم بتركستان. وينسب إليها الفيلسوف المعلم الثاني بعد شارح أريسطو أبو نصر محمد الفارابي؛ ولد سنة 257هـ/870م؛ وتوفي سنة 339هـ/950م. ويلمح الشاعر هنا إلى الفارابي؛ كونه ألف في الموسيقى؛ بل طوّر الآلة المسماة بالقانون؛ كما أنه أول من قدم وصفا لآلة الرباب ذات الوتر الواحد، والوترين المتساويين في الغلظة، بالإضافة إلى أنه أول من عرف الموسيقى ومصطلحها، إلى جانب أنه قد ابتكر بعض المصطلحات الموسيقية؛ وأسماء الأصوات التي بقيت مستعملة إلى الآن.

وتعلقت¹ في سَهْرورد² فأسهرت³
عينا يُورقها طروق خيالها
فخبا شهاب الدين لما أشرق
وخبا³ فلم يثبت لنور جلالها
ما جن مثل جنونه أحد ولا
سمحت يد بيضاء بمثل نوالها
وبدت على الشوذى⁴ منها نفحة⁵
ما لاح منها غير لمعة آها

¹ في النفع والأزهار: ((وتغلغلت)).
² هي بلدة تقع في الجبال القريبة من زنجان؛ شمال غرب إيران. ينسب إليها الشيخ الصوفي شهاب الدين أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي؛ يكون قد ولد في حدود سنة 554هـ/1150م أو 550هـ/1155م. وقتل في عام 587هـ/1190م؛ بأمر من الملك الظاهر ابن السلطان صلاح الدين. وهو مؤسس حكمة الإشراق؛ التي يتضمنها كتابه الشهير "حكمة الإشراق"؛ وهو الذي يشير إليه الشاعر في البيت الموالي.
³ في النفع والأزهار: ((وخوى)).
⁴ هو الشيخ الولي الصالح الزاهد أبو عبد الله الشوذى الإشبيلي المعروف بالحلوي؛ لأنه كان يبيع الحلوى للصبيان. ويقال أنه تولى القضاء في إشبيلية أيام الدولة الموحدية؛ فترك ذلك وهاجر إلى تلمسان؛ التي استوطنها، ودفن بها.
⁵ في النفع والأزهار: ((نشوة)).

بطلت حقيقته وحالت حاله
فيما يعبر عن حقيقته¹ حالها
هذي صبابتهم ترق صباية
فيروق شاربها صفاء زلالها
إعلم أبا الفضل بن يحيى أنني
من بعدها أجري على آسالتها²
فإذا رأيت مؤلها³ مثلي فخذ
في عدله إن كنت من عدالها
لا تعجبين لما ترى من شأنها
في حلها إن كان أو ترحالها
فصلاحها بفسادها ونعيمها
بعذابها ورشادها بضلالها
ومن العجايب أن أقيم ببلدة
يوماً وأسلم من أذى جهالها

¹ في النفع والأزهار: ((حقيقة))؛ وهو أسلم.
² في أزهار الرياض: ((أخرى على آمالها)). ومن هنا؛ وحتى آخر
القصيدة غير وارد في نفع الطيب؛ بينما هو موجود في أزهار الرياض.
³ في الأزهار: ((مؤلها)).

شغلوا بدنياهم أما شغلتهم
عني فكم ضيعت من أشغالها
حجبوا بجهلهم فإن لاحت لهم
شمس الهدى عشوا¹ بضوء ذبالها
وإن انتسبت فإنني من دوحة
تثقل الأقيال بررد² ظلالها
من حمير من ذي رعين من ذرى³
حجر من العظماء من أقيالها
وإذا رجعت لطينتي معنى فما
سلسألهم⁴ بأرق من صلصالها
لله درك أي نجل كريمة
ولدته فاس⁵ منك بعد حبالها⁶

¹ في أزهار الرياض: ((عبثوا)).
² في الإسكوريال: ((أرد))؛ وصوبت من الزيتونة. وورد هذا الشطر في
أزهار الرياض هكذا: ((ينفياً الإنسان بررد ظلالها)).
³ في الأزهار: ((ذوي)).
⁴ نفسه: ((سلساله)).
⁵ في الإسكوريال: ((فلس)).
⁶ في الأزهار: ((حيالها)).

ولأنت لا عدمتك والد فخرها
وسماك سؤدها وبدر كمالها
أغظ على من عاث من أنذالها¹
واخشع لمن تلقاه من أبدالها²
والبس بما³ أوليتها من نعمة
حلل الثناء وجر من أذيالها
خذها أبا الفضل بن يحيى تحفة
جاءتك لم ينسج على منوالها
ما جال في مضمارها شعر ولا
سمحت⁴ قريحة شاعر بمثالها
واتل أبا البركات من بركاتها
وادفع محال شكوكه بمحالها⁵

¹ في الزيتونة: ((أبدالها)).

² كتبت في افسكوريال: ((أبداتها))؛ وصوبت من الزيتونة.

³ في الزيتونة: ((لما)).

⁴ نفسه: ((سحت)).

⁵ في الأزهار: ((من أله)).

هذه أمتع الله ببقاياك ، وأسعد بلقايك. وأراها بما
تؤمله من شريف اعتنايك ، وترجوه من جميل احتفايك ،
ما تعرف به من احتذايك ، وتعترف له ببركة اعتفايك ،
كريمة الأحياء ، وعقيلة الأموات والأحياء ، بنت الأذواء
والأقيال ، ومقصورة الأسرة والحجال ؛ بل أسيرة الأساوير
والأحجال. على أنها حليفة آلام وأوصاب ، وأليفة أشجان
وأطراب ، صباية أغراب وصيابة أعراب ، جاورت سيف
ابن ذي يزن في رأس غُمدان ، وجاوزت مسلمة بن مخلد
يوم جابية الجولان ، وذقت لسان ابن أخته حسان ،
فتضاءلت لرقه حده جسوم بني عبد المُدان ، وقربه وماشيم
من غمده قيد ابن الإطنابة بين يدي النعمان ، قربت بيني
جفنة مزار جلق ، وسعرت لبني تميم نار محلق ؛ ومرت
على معتاد غالب ، فما أنست ناره ، وطافت ببيت عبد
الله بن دارم ، فلم ترض جواره ، ولو حلت بفناية ،
واستحلت ما أحل لها من مبذول حبائه ، لاغتفر لها ما
جنته ببطن أواره ، ولحلت لها حبوتاً مجاشع وزرارة ، مزقت
على مزيقيا حلاً ، وأذهبت يوم حليلة مثلاً ، وأركبت

عنزاً شريومها يجدع¹ جملاً، وناطت بأذن مارية قرطها،
وجرت على أثر الكندي مرطها، وقفها بين الدخول
فحومل فوقفت، وأنفها يوم دارة جلجل فأنفت منه ومنا
ألفت، عقر ناقته وانتهس عبيطها، ودخل خدر عنيزة
وأمال غبيطها، وأغرت أبا قابوس بزياد، واسرجت
للزبيدي فرس أبي داود²، ونافرت بحاتم طي كعب إياد،
وساورت للمساور بمثل جوده السائر. ولئن بلت الجعفري
لييذا، فلقد استعبدت الأسيدي عبيداً، وقطعت به في أثر
سليماه الأسيدي³ بيذاً، أرتة المنية على حربة هندها
الملحوب، وما حال قريضه⁴ دون جريضه، وأقفر من
أهله ملحوب، وما زالت تحبب في شعاب الأنساب،
فترشد، وتنشد ضالتها اليمانية، فتنشد:
إن كنت من سيف بن ذي يزن
فانزل بسيف البحر من عدن

¹ في نص كما ذكر عنان دون تحديد: ((يحدج)).

² في نص أيضاً: ((أدو اد)).

³ في نص أيضاً: ((الأمهرية)).

⁴ سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال؛ وأضيفت من المنتخب.

وذر الشّام وما بناه به الر
—رومي من قصر ومن فدن

تعلف سيل العرم، وترد غسان، وتمهد لها أهضام
تباله، فتقول (مَرَعَى ولا كالسَّعدان)¹، تساجل عن
سميحة بابن خرام، وتناضل بسمير يوم خزام، وتنسى
قاتل ستة آلاف، وكاسي بيت الله الحرام ثلاثة الأفواف،
فلو ساجلت بنبعها أبا كرب، وأرته ضراعة خدها الترب،
لساجلت به أخضر الجلدة في بيت العرب، ماجداً يملا
الدلو إلى عقد الكرب، بل لو حطت بفناء بيتها الحجري
رحلها²، وساجلت بفناء حدها ذي رعين، لاستوفت
سجلها. كم عاذت بسيفها اليزني، فأدركت ذحلها،
ولاذت بركنها اليمني فأجزل محلها. ولو استسقت بأوديتها،
لأذهبت محلها. كافحت عن دينها الحنفي، فما كهم

¹ مَرَعَى ولا كالسَّعدان: والسعدان عشب جيد للرعي؛ إذ يخثر اللبن،
ويكثر دسمه. وهذا المثل يضرب للشّي الذي يفضل أقرانه وأشباهه.
وأول من قال هذا المثل هي الخنساء بنت عمرو. والمراد هو: هذا مرعى
جيد؛ ولكنه ليس كالسعدان في جودته.
² في نص: ((رجلها)).

حسامها، ونافحت عن نبيها الأمي، فأيدت بروح القدس
سهامها. سدت باب الدرب دون بني الأصفر، وشدت
لموته ثوب موت أحمر، وما شغلها كسر تاج كسرى عن
قرع هامة قيصر. ولقد حلت من سنام نسبها اليعربي
باسمك ذروة، وتعلقت من ذمام نبيها العربي بأوثق عروة.
تفرد صاحب تيماء بأبلقه الفرد فعز، وتمرد ربُّ دومة
الجنديل لما كان من مارد في حرز، فما ظنك، أعزك الله،
بمن حل من قدسي عقله، بمعقل قدس، يطار إليه فلا
يطار، وراذ من فردوس أدبه، في جنة لا يضام رايدها ولا
يضار. زها بمجاورة الملك فازدهى رؤساء الممالك، وشغف
بمجاورة الملك، فاشتغل عن مطالعة المسالك، أيشق
غباره، وعلى جبين المرزم مثاره، أو ينتهك ذماره، وقلب
الأسد بيته، ودار أخيه أسامة زاره. ولما قضت من أنديتها
العربية أوطارها، واستوفت على أشرف منازعها الأدبية
أطوارها، وعطرت بنوافح أنفاسها الذكية آثارها،
وأطلعت في ظلم أنفاسها الدجوجية كواكبها النيرة
وأقمارها، عطفت على معقلتها الشاذلية فحلت عقالها،

وأمر لها فراق الوطن. فلما استمر لها¹ حلالها، استودعت بطنان تباله آلهها، وتركت أهضامها المخصبة وحلالها. أطلت على دارات العرب فحيت أطلالها، ودعت لزيارة أختها اليونانية، أذواء حمير وأقيالها. أطمعتها بلمعية ألمعيتها الأعجمية، ومثلها يطمع، وجاء بها من قدماء الحكماء كل أوحدى الأحودية، فباتت تحب إليه وتوضع، باحثة عن مركز دارتهم² الفيثاغورية؛ آخذة في إصلاح هيئتهم الإنكساغورية³، مؤثرة لما تدل عليه دقائق حقائق بقايا علوم مقاييسهم البراهانية، وتشير إليه رموز كنوز وصايا علماء نواميسهم الكلدانية، من ماثور تأثير لاهوتية قواهم السيمائية، راغبة فيما يفاض على مادتها الجسمانية، ويطرأ على عاقليتها الهيولانية، من علويات آثار مواهبها الربانية، موافقة لثلهم المفارقة أفضل موافقة، موافقة لما وافق من شوارد آرايهم الموافقة أحسن موافقة. وتحت هذه الأستار محذرات أسرار أضربها الإسرار،

¹ كلمة ((لها)) أضيفت من الزيتونة.

² في نص لم يحدده عنان: ((دانرتهم)).

³ في نص أيضاً: ((الإنكسارية)).

وطالما نكر معارفها الإنكار، ونقلت من صدور أولئك
الصدور، إلى بطون هذه الأوراق، في ظهور فوق دفاتر
فلسفيات معاني علومهم الرقاق. وفي تلك المغاني، أبكار
معاني، سكن الجوانح والصدور، بدل الأرايك والحدور،
ولحن في دياجي ظلم هذه الأحاجي، كأقمار في أطمار،
بهرن وما ظهرن، وسطعن وما لمعن، فعشقن وما رمقن،
واستملحن وما ملحن. أدرن خمور أجفانهن على ما
خوريات ألحانهن، فهيجت البلابل نغم هذه البلابل،
واستفرغته الأكياس، مترعات تلك الأكواس. ما سحر
بابل، كخمر بابل، ولا منتقى¹ أغانيهن الأوایل،
كحمايكم الهوادل، إن وصلت هديلها بخفيف، وصلن
ثقلهن بخفيف. إيه أيها الشمري المشمعل، دعنا من
حديثك المضمحل، سر بنا أيها الفارس النّدى²، من
حظيرة النفس، إلى حضرة القدس، صرح بإطلاق
الجمال، وجل من عالميتك الملكوتية في أفسح مجال، تمش
بين مقاصر قصورها، ومعاصر خمورها، رخي البال،

¹ في الإسكوريال: ((مقلات)).
² أي الفارس السريع في الطعن.

مرخي السربال، فما ينسج لك على منوال، نادم عليها
من شغف دن سقراط، إن استحسنت لها حسان، فما
يصلح لك، صالح بن علاط. بت صريع محياها، فقد
أوصت بمعالجة عقير معاقرة عقارها بقراط، لا تخش
صاحب شرطتها، فلا شرط له عليك ولا اشتراط، مالك
غير مبديك الأول، من قال امثل الأمر، وما عليك من
أمر وال. على رسلك ما هذا العجل، لا خطأ تتوقعه ولا
خطل، أمكره أنت في هذه الكريهة، أم بطل. لو علم
أنك ضبارية هذا الخميس، وخبثة¹ ذلك الخميس، لما
عانى اليم رسيس، شوقاً إليك محمد بن خميس، على أن
لا غالب اليوم لأنني غالب، ولا طالب يدرك شأوهذا
الطالب، فقه بلا تفهيق، وحذق في تحذلق. أقسم أبا
الفضل بمالك على أبي البركات من الفضل، ذلك العراقي
الأرومة، لا هذا الفارس الجرثومة، وإن يك ذلك،
إسرايلي الأصل، وهذا إسمعيلي الجنس، علوي الفضل.
فلتلك الذات، شرف تلك الأدوات. قدم لي غالبنا

¹ في الزيتون: ((بنعشته)).

المذكور، من بأسه الغر لأرفع، وأسمى من مقعد،
وقوطيهم المشهور، من إغرناطة الحمراء، ومن متبواً أبي
أميتهم المرحوم، من جنات جزيرتهم الخضراء، فيما أنت
أبا الفضل من هذه العريجة¹، وألوك². رأيت في عمرك،
مثل هذا الصعلوك، لا والله ما على ظهر هذه الغبراء،
من يتظاهر بمثل هذه المعرفة في بني غبرا. فأني شيء هذا
المنزع إيش، لا حال لنا معك ولا عيش، من يضحك
على هذا الطيش. ما هذا الخبل، أخمار بك أم ثمل،
إرجع إلى ما كنت بصدده، وقيت الزلل، خذ في الجد
فما يليق بك الهزل. رق عن ذلك فحك لنا منه أرق
غزل، ماذا أقول، وأي عقل يطاوعني على هذا المعقول.
أفحمتني والله عن مكالمتكم هذه المحن، ومنعتني من
طلب مسالمتكم، ما لكم علي في دنياكم هذه من الإحن.
إن تكلمت كلمت، وإذا استعجمت عجمت. أما لهذه العلة
آس، أم على هذه الفيلة مواس؛ ما حيلتي في طبع بلدكم

¹ في الزيتونة: ((العجرتة)).

² نفسه: ((والدك)).

الجاسي. أما يلين لضعفي أما يرق¹ قلب زمانكم القاسي.
ما هذه الدّمن يا بني خضروات الدّمن، أظهرتم المحن،
فقلب لكم ظهر المجن². إن مر بكم الولي حمّتموه، وإن
زجركم العالم فجرتم عليه ففسقتموه، وإذا نجم فيكم
الحكيم، غصصتم به، فكفرتموه وزندقتموه، كونوا
فوضى، فما لكم اليوم مسراً سواه³ واذهبوا من مراعيكم
المستوبلة، حيث شئتم، فقد أهملكم الرعاة. ضيعتم النص
والشرائع، وأظهرتم في بدعكم العجايب والبدائع. نفقتم
النفاق، وأقمتم سوق الفسوق على ساق. استصغرتم
الكباير، وأبجتم الصغاير. أين غنيكم الشاكر، يتفقد
فقيركم الصابر، أين عالمكم الماهر، يرشد متعلمكم الخاير.
مات العلم بموت العلماء، وحكم الجهل بقطع دابر
الحكماء. جرد لنا شريعتك يا أفضل الشارعين. أتم فيها
موعظتك يا أفصح التابعين. لا والله [ما يوقظكم]⁴ من

¹ في الإسكوريال تكررت هنا كلمة: ((أما يلين))؛ والتصويب تم من كتاب المنتخب النفيس.

² قلب له ظهر المجن: مثل يضرب لمن كان مع صاحبه على حال من المودة؛ ثم تغير حاله، وانقلب عليه.

³ في الإسكوريال: ((مسراه)).

⁴ أضيفت هذه العبارة من الزيتونة.

هذا الوسن، وعظ الحسن، ولا ينقذكم من فتن هذا
الزمن، إلا سيف معلمه أبي الحسن والسلام.

قدم غرناطة

في أواخر عام ثلاثة وسبعماية¹.

وتوفي

في يوم مقتل صاحبه الوزير أبي عبد الله بن
الحكيم، فرّ من دهليز جاره فيمن كان بها من الأعلام،
بعد أن نهبت ثيابه، حسبما جرى على غيره من
الحاضرين، وهو يقول، هكذا تقوم الساعة بغتة. ولقيه
بعض قرابة السلطان، ممن كان الوزير قد وتره، فشرع
الرمح إليه، فتوسل إليه برسول الله، فلم يقبل منه،
وطعنه، فقتله يوم عيد الفطر؛ عام ثمانية وسبعماية²،
وآخر العهد به، مطرحاً بالعراء، خارج باب الفخارين، لا

¹ الموافق لـ 1303م.

² الموافق لـ 1308م.

يعلم قبره¹، لمكان الهرج في تلك الأيام. نسل الله جميل
ستره. وساء بأثر قتله إياه حال [ذلك الرجل]² وفسد
فكره، وشرد نومه وأصابته علة ردية، فكان يثب المرة بعد
الأخرى، يقول: ابن خميس يقتلني، حتى مات لأيام من
مقتل المذكور³.

¹ في الإسكوريال: ((مكانه)).

² في الزيتونة: ((قاتله)).

³ كتب عنان هنا هذا التوضيح؛ فقال: ((نود أن نشير هنا إلى أننا قد
انتفعنا بمراجعة شعر ابن خميس ونثره؛ على ما ورد منهما في كتاب
(المنتخب النفيس من شعر أب عبد الله بن خميس. تلمسان سنة 1965).
لصديقتنا العلامة الأستاذ عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة المغربية.

محمد بن عمر

ابن علي بن إبراهيم المليشني¹؛ يكنى أبا عبد الله.

حاله

كان فاضلاً، متخلقاً، أديباً، شاعراً، صوفياً، جميل العشرة، حسن الخلق كريم العهد، طيب النفس. كتب عن الأمراء بإفريقية، ونال حظوة، ثم شرف وحج، ولقي جلة، ووصل الأندلس عام ثمانية عشر وسبعمائة²، فلقي بغرناطة حفاية، وانسحبت بها عليه جراية، ثم انصرف إلى وطنه، وناله به اعتقال، ثم تخلص من النكبة، وأقام به، يزجي وقته إلى آخر عمره.

وجرى ذكره في الإكليل الزاهر: كاتب الخلافة، ومشعشع الأدب المزري³ بالسلافة، كان يرحمه الله، بطل مجال، ورب روية وارتجال، قدم على هذه البلاد، وقد نبا به وطنه، وضاق ببعض الحوادث عطنه، فتلوم بها تلوم

¹ توجد ترجمة محمد بن عمر المليشني أيضاً في: نيل الابتهاج، والدرر الكامنة، ورحلة البلوي، ونفح الطيب.

² الموافق لـ 1318م.

³ في النفح: ((الذي يزري)).

النسيم بين الخمايل، وحل بها¹ محل الطيف من الوشاح
الجايل، ولبث مدة إقامته تحت جراية واسعة، ومبرة²
يانعة. ثم آثر قطره، فولي وجهه شطره، واستقبله دهره
بالإنابة، وقدله خطة الكتابة، واستقامت³ حاله، وحطت
رحاله، وله شعر أنيق، وتصوف وتحقيق، ورحلته⁴ إلى
الحجاز، سببها⁵ في الخبر وثيق، ونسبتها⁶ في الصالحات⁷
عريق.

شعره

نقلت من خط الوزير أبي بكر بن ذي الوزارتين، مما
قيد عنه، وكان خبيراً بحاله⁸:

¹ في النفع: ((منها)).

² نفسه الطيب: ((وميرة)).

³ نفسه: ((فاستقامت)).

⁴ نفسه: ((ورحلة)).

⁵ نفسه: ((سعيها)).

⁶ نفسه: ((ونسبها)).

⁷ في الإسكوريال: ((الصامتات)).؛ وصوبت من نفع الطيب.

⁸ هذه القصيدة موجودة في نفع الطيب؛ وهي من البحر الطويل.

رضى نلت من كل ما يهوى¹
فلا توقفي² موقف الذل والشكوى
وصفحاً عن الجاني المسيء لنفسه
كفاه الذي يلقاه من شدة البلوى
بما بيننا من خلوة معنوية
أرق من النجوى وأحلى من السلوى
قفي أتشكى لوعة البين ساعة³
ولا يك هذا آخر العهد بالنجوى
قفي [ساعة في]⁴ عرصة الدار وانظري
إلى عاشق لا يستفيق من البلوى
وكم قد سألت الريح شوقاً إليكم
فما حنّ مسراها إلي⁵ ولا ألوى

¹ ورد هذا الشطر في نفع الطيب هكذا:

((رضى نلت ما ترضين من كل ما يهوى)).

² في النفع: ((فلا توقفي)).

³ في الإسكوريال: ((يا علوا))؛ وصوبت من نفع الطيب.

⁴ في النفع: ((ساعديني)).

⁵ نفسه: ((علي)).

فيا ريح حتى أنت ممن يغار بي
ويا نجد حتى أنت تهوى الذي أهوى
خلقت ولي قلب جليد على النوى
ولكن على فقد الأحبة لا يقوى

وحدث بعض من عُنيَ بأخباره أيام مقامه بمالقة
واستقراره؛ أنه لقي ليلة¹ بباب الملعب في² أبوابها ظبية
من ظبيات الأنس، [وفتنة من فتن]³ هذا الجنس؛ فخطب
وصالها، واتقى بفؤاده نصالها، حتى همت بالانقياد،
وانعطفت انعطاف الغصن المياد، فأبقى على نفسه،
وأمسك، وأنف من خلع العذار، بعد ما تنسك، وقال⁴:
لم أنس وقفنتا بباب الملعب
بين الرجا واليأس من متجنب

¹ سقطت كلمة: ((ليلة)) في نفع الطيب.

² في النفع: ((من)).

³ نفسه: ((قينة من قينات)).

⁴ هذه القصيدة موجودة في نفع الطيب. وهي من البحر الكامل.

وعدت فكنت مراقباً لحديثها
يا ذل وقفة خائف مترقب
وتذللّت¹ فذللت بعد تعزُّز
يأتي الغرام بكل أمر معجب
بدوية أبدى الجمال بوجهها
ما شيت من خدّ شريق² مذهب
تدنو وتبعد نفرة وتجنباً³
فتكاد تحسبها مهاة الربّ ربّ⁴
ورنت بلحظ فاتر لك فاتن⁵
أنضى وأمضى من حسام المضرب
وأرتك⁶ بابل سحرها بجفونها
فسبت وحق لمثلها أن تستب⁷

¹ في النفح: ((وتذللّت)).

² أي خدّ مشرق.

³ في النفح: ((وتجنباً)).

⁴ أي القطيع من البقر الوحشي.

⁵ كتب هذا الشطر في النفح هكذا: ((ورنت بلحظ فاتن لك فاتر)).

⁶ في الإسكوريال: ((وأرتك))؛ وصوبت من النفح.

⁷ جعلها د. طويل: ((تستبي))؛ بالياء.

وتضاحكت فحكت بنيرٍ ثغرها
لمعات¹ نور ضياء برق خلب²
بمنظم في عقد سمطي جوهر
عن شبه ثور الأقحوان الأشنب
وتمايلت كالغصن أخضله الندى³
ريان من ماء الشبيبة مخصب
تثنيه أرياح⁴ الصباية والصبا
فتراه بين مشرق ومغرب
أبت الروادف أن تميل بميله
فرست وجال كأنه في لولب
منتوجاً بهلال وجه لاح في
خلل السجوف⁵ لحاجب ومحجب
يا من رأى فيها محباً مغرماً
لم ينقلب إلا بقلب قلب

¹ في النفع: ((لمعان)).

² أي المظمع المخادع؛ الذي لا مطر من ورائه.

³ أي بلله الندى.

⁴ في النفع: ((أرواح)).

⁵ نفسه: ((السحاب)).

ما زال مذولى يحاول حيلة
تدنية من نيل المنى والمطلب
فأجال نار الفكر حتى أوقدت
في القلب نار تشوق وتلهب
فتلاقت الأرواح قبل جسومها
وكذا البسيط يكون قبل مركب
ومن مقطوعاته البديعة، مما سمع منه بغرناطة، حرسها
الله، أيام مقامه بها قوله¹:
أرى لك يا قلبي بقلبي محبة
بعثت بها سرّي إليك رسولا
فقابله بالبشر² واقبل عشية
فقد هبّ مسكياً³ للنسيم عليلا
ولا تعتذر بالقطر أو بلل الندى
فأحسن ما يأتي النسيم بليلا

¹ هذه الأبيات موجودة في نفع الطيب؛ وهي من البحر الطويل.

² في النفع: ((البشرى)).

³ نفسه: ((مسك)).

ونقلت من خط الفقيه القاضي أبي جعفر الرعيني،
مما أملاه علي بمنزله بغرناطة. قال وحضرت في عام ثلاثة
عشر وسبعماية¹، يوم إحرام الكعبة العلية، وذلك في
شهر ذي القعدة على اصطلاحهم في ذلك، وصفته أن
يتزين سدنة البيت من شيبية بأحسن زي، ويعمدوا إلى
كرسي، يصل فيه صاعده، إلى ثلث الكسوة، ويقطعها
من هنالك، ويبقى الثلثان إلى الموسم، وهو يوم مشهود
عند سكان الحرم، يحتفل له، ويقوم المنشدون أدراج
الكعبة ينشدون. فقلت في ذلك²:

ألم ترها قد شمרת تطلب الجدا
وتخبر أن الأمر قد بلغ الحدا
فجد كما جدت إليها وشمّر
عن الساعد الأقوى تتل عندها سعدا

¹ الموافق لـ 1313م.

² هذه القصيدة من البحر الطويل.

طوت بردها طي السجل كناية
لأمر خفي سره طوت البردا
وأندت محياها فحيا¹ جماله
وقبل على صون المقلة² ذلك الخدا
فكم سترت سود البرود جمالها
وغطته لكن عن سنه³ا الرمد³
وكم خال ذلك الخال عما مقصر
عن العلم بالأنساب لا يعرف الحدا
لقد سمرت عن وجهها الكعبة التي
لها المسني⁴ في حسن⁴ها المبد⁴
وقالت ألا أين مكلي قصدوا⁵ إلى⁵
جمالي فقد أبدى الحجاب الذي أبدا

¹ جعلها د. طويل: ((فحْيِي)).

² جعلها د. طويل: ((صوت المقى)).

³ هذا الشطر مختل.

⁴ تصرف د. طويل؛ فجعل هذا الشطر هكذا:

((لها الحجر المسني في حسن⁴ها المبد⁴))؛ بحجة سلامة الوزن.

⁵ هذا الشطر مختل.

فلبت لها العشاق من كل جانب
يومونها يستقربون لها البعدا
فمن ندف أشفى على تلف ومن
محب على قرب يهيم بها وجدا
ومن ساهر على النجوم ولم يذق
بعينه طعم النور أو يبلغ القصدا
يسائل عن بدر وبدر تجاهه
كذلك¹ اشتراك اللفظ قد ينغص الخدا
ومن مستهام لا يقر قراره
كأن به من حر أشواقه وقدا
يقلب قلباً بين جنبيه مورياً
أوار الأسى فيه فتحسبه زندا
إذا ما حدى حادي الركاب ركابه
كأن قلوب الراكبين له نجدا
أحاد بها إن أنت جئت بها منى
ونلت المنى والأمن فانزل ورداً وردا

¹ جعلها د. طویل: ((كذلك))؛ من أجل الوزن.

ولا خوف هذا الخيف¹ والتربة التي
سرت² قد عين المصطفى عدا
وفي عرفات فاعترف وانصرف إلى
مشاعر³ فيها يرحم المالك العبد
وإن كنت من أوفى العبيد جرايما
فحسن نبيل العقد من ربك العقدا
لين صدقت فيك الوعيد جرايم
فعفواً لجميل⁴ الصبح يصدقك الوعد
وعد مفضياً للبيت طف واستلم وقم
بها للمقام الرحب واسجد وكن عبدا
ورد في الثنا والحمد والشكر واجتهد
فمن عرف الإحسان زادته حمدا

¹ الخيف: غرة بيضاء في الجبل الأسود الرابض خلف جبل أبي قبيس بمكة المشرفة؛ وعلى ذلك سمي مسجد الخيف المتواجد بها.
² تصرف د. طويل؛ فأضاف كلمة ((بهما)) بعد كلمة ((سرت))؛ من أجل الوزن.
³ المشاعر: هي مواضع مناسك الحج. والمشعر الحرام: موضع بين عرفات ومنى؛ وفيه يقول تعالى: [لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ]. سورة البقرة؛ الآية: 198.
⁴ حذف د. طويل اللام؛ فأضحت: ((جميل)).

وعج نحو فرض الحب وأفض حقوقه

وزر قبر من أولاك من هديه رشدا

قال، وكنت في زمن الحداثة، أفضل الأصيل على
السحر، وأقول فيه رقة المودع ورقة المعتذر. فلما كان أوان
الأسفار، واتصلت ليالي السير، إلى أوقات الأسفار،
رأيت أفق الشرق أشرق، ووجدت القايل يفضل السحر
أصدق، فابتدأت راكباً، فلما جيت لذكر الجناح العلي
النبوي، أتمت ماشياً، وأنا في رملة بين مصر وعقبة
إيله، وقلت¹:

ما أحسن الأفق الشرقي إسفارا

فكم هذا في دجى الإدلاج أسفارا

إذا بدا سارت الأظعان هادية

له وصارت به الظلماء أنوارا

يجلو غياهب ليل طالما سدلت

على المحبين في الظلماء أستار

¹ هذه القصيدة من البحر البسيط.

ونمّ منه نسيم ثم ذا بعد
على أحاديث كانت ثم أسراراً
سرت سحيراً فبرّت سرّ ذي سحر
أهدت له ريح من يهواه معطاراً
سرت بيانات أكناف اللوى فغدت
كأن دارين قد أصبحت داراً
طابت بطيبة أرواح معطرة
بها فأصبح أفق الشوق عطاراً
كأنما فلق الإصباح حين بدا
خدر بهجة¹ حسن الشمس قد وارا
حقي بدت وتبدت حسن صورتها
فعمّمته² الأرض أنجاداً وأغواراً
كأنه دعوة المختار حين بدت
دانت لها الخلق إعلاناً وإصراراً

¹ جعلها د. طويل: ((خدّ وبهجة)).

² جعلها د. طويل: ((فعمّت)).

من نوره كل نور أنت تبصره
ونوره زاد الأبصار¹ إصارا
هدا به الله أقواماً به سعاد²
لولاه كانوا مع الكفر كفارا
هو الشفيح الذي قالت شفاعته
للموبقين ألا لا تدخلوا النارا
هو العفو³ عن الجاني وإن عظمت
من المسيء ذنوب كان غفارا
هو الكريم الذي ما ردّ سائله
يوما ولو كرر التسأل تكرارا
هو الحبيب الذي ألقى محبته
في كل قلب فقلبي نحوه طارا
أحبه كل مخلوق وهام به
حتى الجمادات أحجاراً وأشجاراً

¹ جعلها د. طويل: ((للأبصار)).

² جعلها د. طويل: ((سعدا)).

³ أي كثير العفو.

وانشق بدر الدجا من نور غرته
وانهلت السحب من كفيه أنهارا
ومن مقطوعاته، قال: ومما نظمته في ليل السرى،
وتخيل طيف الكرى، مبدأ قصيد قصده أي معنى أردته،
أشغل عنه ما بي منه¹:

منع الهجر من سليمى هجوعا
فانثنى طبعها يريد الرجوعا
بعثته ليلا يعلل قلباً
مستهاماً بها محباً ولوعا
لم يجد غير طرف جفن قريح
شاخصا نحوها يذر الدموعا

وكتب إلى صديقه شيخنا أبي بكر بن شبرين من
بجاية، وهو معتقل بقصبتها، وقد امتحنه بذلك أبو عبد
الله بن سيد الناس²:

¹ هذه الأبيات من البحر الخفيف.

² هذه القصيدة من البحر الخفيف.

شرح حالي لمن يريد سؤالي
إنني في اعتقال مولى الموال¹
مطلق الحمد والثناء عليه
وهو للعطف والجميل موال
لا أرى للولادة في احتكاما
وولي مال على كل وال
أرتجي بالمصائب تكفير ذنبي
حسبما جاء في الصحاح العوال²
لا تدوم الدنيا ولا الخير فيها
وكذا الشر ذا وذا للزوال
فاغتم ساعة الوصال وكم من
منحة وهي منحة من نوال
فاذا غبت عنك فاحضر تجدها
للجواب المفيد عن السؤال³

¹ أضاف د. طویل؛ الياء فأضحت: ((الموالي)).
² أضاف د. طویل؛ الياء فأضحت: ((العوالي)).
³ هذا الشطر مختل.

فهي نور للنهار¹ والنور منها
وهي الأنس في الليالي الطوال
فاستدمها تدم ولا تضح منها
وأدرها على اليمين ووال

فإن الكأس مجراها على اليمين، ومسراها لفي
الصبح المبين، تغني عن الإصباح والمصباح، وتدني لهم
معنى النور المشرق في الوجوه الصُّباح، وتجري في
الأشباح، فتسري في الأرواح. وهذه الرسالة طويلة، فيها
كل بديع من نظم ونثر. فأجابه رحمه الله²:

أرغمنّ هذه القيود الثقال
رب ودّ مصيره للتغال³
طال صبري على الجديدين حتى
كدت مما لقيت أن يشفقا⁴ ل

¹ جعلها د. طويل: ((النهار)).

² هذه القصيدة من البحر الخفيف.

³ أضاف د. طويل؛ الياء فأضحت: ((للتغالي)).

⁴ أضاف د. طويل؛ الياء فأضحت: ((لي)).

إن بعض الرضا لديه فسيح
أي مدد¹ به وأيّ ابتقال
حاش لله أن أكون لشيء
شاده الصانع القديم بغال
إن عندي من الثناء عليه
لأماني لم يملهنّ القال²
يا إمامي الذي بودي لو أمـ
كن نصي³ إليه أوار قال
أرجُ دنياك وأرج مولاك واعلم
أن راجي سواه غير مقال
وابتغاء الثواب من ربك اعمل
فهو يجزي الأعمال بالمتقال
واغنتم غيبة الرقيب ففيها
لقلوب الرجال أي صقال

¹ جعلها د. طويل: ((مدّ)).

² أضاف د. طويل؛ الياء فأضحت: ((القال)).

³ جعلها د. طويل: ((نصلي)).

وأحل في الوجود فكر غنيّ
عن ضروب الإنعام والأحقال
وإذا الوقت ضاق وسعه بالصبـ
ر ولا تنس من شهير المقال
ربما تكره النفوس من الأمـ
ر له فرحة كحل العقال

لا غرو أن وقع توان، أو تلوم دهر ذو ألوان، فالأمر
بين الكاف والنون، ومن صبر، لم يبوء بصفقة المغبون.
وللسعداء تخصيص، ومع التقريب تمحيص، وما عن
القضاء محيص، والمتصرف في ماله غير معتوب، وقديم
الحقيقة إلى الحيف ليس بمنسوب. وقد ورد خطاب عمادي
أطاب الله محضره، وسدد إلى المرامي العلية نظره، ناطقاً
بلسان التفويض، سارحاً من الرضا في الفضاء العريض،
لايذاً بالانقياد والتسليم، قائماً على أسكفة¹ باب الأدب،
لمثابة حكم الحكيم. ومنها: والوقايح عافاكم الله وعاظ

¹ أسكفة الباب: خشبته التي يوطأ عليها.

ونحن هجود. وفي الحي إيقاظ، وما كل المعاني تؤديها الألفاظ. وهذا الفناء الذي نشأ عن الوقت، هو إن شاء الله عين البقيا. وإذا أحب الله عبداً حماه الدنيا، وما هي إلا فنون، وحنون فنون، وحديث كله مجون. وقد يجمع الله الشيتين، ولن يغلب عسر يسرين ولا بأس، ويا خطب لا مساس وأبعد الله اليأس، وإنما يوفي الأجر الصابرون: ﴿لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾¹. وهي طويله بديعة. أسمع بحضرة غرناطة لما قدم عليها، وارتسم في جملة الكتاب بها، وحدث عن رضي الدين أبي أحمد إبراهيم الطهري، بسماعه من الشريف يونس ابن يحيى الهاشمي، وبسماعه من أبي الوقت طراد. وعن الإمام سراج الدين أبي حفص عمر ابن طراد المعري القاضي بالحرم الشريف، وعن شرف الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الحميد الهمداني، وعن الإمام بهاء الدين الخميري عن أبي الطاهر السلفي، وعن جماعة غيرهم.

¹ الآية كاملة هكذا: [يَا بَنِي آدَهْبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَّأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ]. سورة يوسف؛ الآية: 87.

وكان وروده على الأندلس في أوائل عام خمسة عشر
وسبعمائة¹، وحضر بها غزوات، ولقي من كان بها من
الأعلام. ثم انصرف عنها في أوائل عام ثمانية عشر²،
وأحل بسبته، فأكرم ريسها أبو عمر يحيى بن أبي طالب
العزفي قدومه، وأنزله بدار جليلة، كان بها علو مطل
على البحر، لم يتمكن من مفتاحه، لأمر اقتضى ذلك،
فكتب إليه³:

يا صاحب البلد المليح المشرق

ما مثله في مغرب أو مشرق

ومنها:

وخفّضتَ عيشي فيه فارفعْ منزلي

حتى أرى الدنيا بطرف مطرق

وتجول في البلاد، ولقي من بها، واتصل بالأمير

أبي علي بسجلماسة. ومدحه بقصيدة حفظ له منها⁴:

¹ الموافق لـ 1315م.

² 718هـ/1318م.

³ البحر الكامل.

⁴ البحر الطويل.

فيا يوسفىّ الحسن والصفح والرضا
تصدق على الدنيا بسطائك العدل
ثم اتصل بوطنه.

وفاته

نقلت من خط شيخنا أبي بكر المذكور: وفي عام
أربعين وسبعماية¹، توفي بتونس صاحبنا الحاج الفاضل
المتصوف، الكاتب أبو عبد الله محمد بن علي المليكشي؛
الشهير بابن عمر، صدر في الطلبة والكتاب، شهير ذو
تواضع وإيثار، وقبول حسن، رحمه الله.

¹ الموافق لـ 1339م.

محمد بن علي

(بن الحسن بن راجع الحسيني¹؛ من أهل تونس؛ يثني أبا عبد الله.

حاله

هذا الرجل الفاضل، صاحب رواء وأبهة، نظيف البزة، فاره المركب، صدوف عن الملة، مقيم للرسم، مطفف في مكيال الإطراء، جموح في إيجاب الحقوق، مترام إلى أقصى أماد التوغل، سخي اللسان بالثناء، ثثاره، فكه مطبوع، حسن الخلق، عذب الفكاهة، مخصوص حيث حل من الملوك والأمراء بالأثرة، وممن دونهم بالمداخلة والصحبة، ينظم الشعر، ويحاضر بالأبيات، ويتقدم في باب التحسين والتقييح، ويقوم على تاريخ بلده، ويثابر على لقاء أهل المعرفة، والأخذ عن أولي الرواية. قدم على الأندلس في إحدى جمادين، عام خمسين وسبعماية²، مفلتاً من الوقعة³ بالسلطان أبي

¹ توجد ترجمة محمد بن راجع الحسيني أيضاً في نفع الطيب.

² الموافق لـ 1349م.

³ يقصد الانكسار الذي وقع للملك المريني أبي الحسن في تونس؛ وعودة بني زيان لإقامة مملكتهم بتلمسان؛ وتصديهم لأبي الحسن أثناء عودته؛ والإيقاع بقواته؛ بعد قتل ولده الناصر ونهب معسكره. وكان يقود جيش

الحسن بالجهات الشرقية، بأيدي بني زيان وأحلافهم،
فمهد له سلطانها، رحمه الله، كنف بره، وأواه إلى سعة
رعيه، وتأكدت بيني وبينه صحبة.

شعره

كُتبت إليه لأول قدومه بما نصه ؛ أحذو حذو أبيات،
ذكر أن شيخنا أبا محمد الحضرمي خاطبه بها¹ :
أمن جانب الغربي نفحة بارح
سرت منه أرواح الجوى في الجوانح²
قدحت بها زند الغرام وإنما
تجافيت في دين السلو لقادح
وما هي إلا نسمة حارجية
رمى الشوق منها كل قلب بقادح

بني زيان أبو ثابت بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن. حدث ذلك
في سنة 750هـ/1349م.
¹ توجد هذه القصيدة في نفح الطيب؛ وهي من البحر الطويل.
² في النفح: ((الجوارح)).

رجحنا لها من غير شك¹ كأنها
شمايل أخلاق الشريف ابن راجح
فتى هاشم سبقاً إلى كل عليّة²
وصبراً معار الحبل³ في كل فادح⁴
أصيل العلا جم السيادة ذكره
طراز نضار في برود المدايح
وفرقان مجد يصدع الشك نوره
حبا الله منه كل صدر بشارح
وفارس ميدان البيان إذا انتضى
صحافه أنست مضاء الصفايح
رقيق كما راقتك نغمة ساجع
وجزل كما راعتك صولة جارح

¹ هكذا في النسخ؛ وفي الإسكوريال: ((سكر)).

² في النسخ: ((غاية)).

³ نفسه: ((مغار الفتل)).

⁴ أي في كل خطب يثقل حمله.

إذا ما احتبى مستحضرًا¹ في بلاغة
وخيض² خضم القول منه بسابح
وقد شرعت في مجمع الحفل نحوه
أسنة حرب للعيون اللوامح
فما ضععت منه لصولة صادق³
ولا ذهبت منه بحكمة ناصح
تذكرت قسماً قائماً في عكاظه
وقد غص بالشم الأنوف الججاج
ليهنك شمس الدين ما حزت من علا
خواتمها⁴ موصولة بالفواتح
رعى الله ركباً أطلع الصبح مسفراً
لمرآك من فوق الربى والأباطح

¹ في النفح: ((مستحضرًا)).

² نفسه: ((وخوض)).

³ نفسه: ((صادع)).

⁴ نفسه: ((خواتمه)).

ومنها:

أقول لقومي عندما حط كورها

وساعدها السعدان وسط المسارح¹

ذروها وأرض الله لا تعرضوا لها

بمعرض سوء فهي ناقصة صالح

إذا ما أردنا القول فيها² فمن لنا

بطوع القوافي وانبعاث القرايح

بقيت منى نفس وتحفة رايد³

ومورد ظمآن وكعبة مادح

ولا زلت تلقى الرحب⁴ والبر حيثما

أرحت السرى من كل غاد ورايح

فأجابني بما نصه⁵:

أمن مطلع لأنوار لمحة لامح

[تعار لمفقود]⁶ عن الحي نازح

¹ في النفح: ((الأباطح)).

² نفسه: ((فيه)).

³ نفسه: ((قادم)).

⁴ نفسه: ((البر والرحب)).

⁵ هذه القصيدة موجودة في نفح الطيب وهي من البحر الطويل.

⁶ في النفح: ((تُعاد لمفقود)).

وهل بالمنى من مورد الوصل يرتوي
غليل غليل للتواصل جانح
فيا فيض عين الدمع مالك والحمى
ورند الحمى والشيح شيخ المشايح¹
مرابع آرامي ومورد ناقتي
فسقياً لها سقياً لناقة صالح
سقى الله ذاك الحي ودقاً² فإنه
حمى لمحات العين عن لمح سامح³
وأبدى لنا حور الخيام تزف في
حلى الحسن والحسنى وحلي الملامح
ترى حي تلك الحور للهور مهيع⁴
يدل وهل حسم لداء التبارح

¹ في النفع: ((الأشايح)).

² أي مطراً.

³ في النفع: ((لامح)).

⁴ المهيع: الطريق الواضح.

ويا دوحة الرُّويحان¹ هل لي عودة
لعقر عقار² الأُنس بين الأباطح
وهل أنتِ إلا طُلَّةٌ³ حاتمِية
تغص نواديها بغاد ورايح
أقام بها الفخر ابن الخطيب⁴ منابراً
لترتيل آيات الندى والمنايح
وشفع بالإنجيل حمد مديحه
وأوتر بالتَّوراة⁵ شفع المدايح
وفرقت بالفرقان كل فريقة
نأت عن رشاد فيه معنى⁶ النصايح
وهل هو إلا للبرية مرشد
لكل هدى هاد لأرجح راجح

¹ في النفع: ((الريحان))؛ وهذا أسلم.

² نفسه: ((لعقر عقار)).

³ نفسه: ((حُلَّة)).

⁴ نفسه: ((الخطيب))؛ بدون ((ابن)).

⁵ في الإسكوريال: ((التورية))؛ وصوبت من النفع.

⁶ في النفع: محض).

[بشراك شمس الدين]¹ ساد بك الورى
وأورى الهدى للرشد أوضح واضح
متى قلت لم تترك مقالا لقايل
فإن² لم تقل لم يُغن حمد³ لمادح
فمن حام بالحي الذي أنت أهله⁴
وعام ببحر من عطايك⁵ طافح
يحق له أن يشفع الحمد بالثنا
ويغدو بذاك البحر أسبح سابح
ويا فوز ملك دمت صدر صدوره
وبشرى له قد راح أريح رابح
بأرايك التي تدل على الهدى
وتبدي لمن خصت سيل⁶ المناجح

¹ في النفح: ((بشركى لسان الدين)).

² نفسه: ((وإن)).

³ نفسه: ((مدح)).

⁴ نفسه: ((ربه)).

⁵ نفسه: عطايك)).

⁶ نفسه: ((سيل)).

ملكت خصال السبق في كل غاية
وملكت من¹ ملكت يا بان الججاج²
مطامح آمال لأشرف همة
أقل مراميها أجل المطامح
فدونكها يا مهدي المدح مدحة
أجبت³ بها عن مدح أشرف مادح
يهنيك⁴ بالعام الذي عمّ حمده⁵
مواهب هاتيك البحار الطوافح
فخذها سمّي الفخر يا خير مسبل
على الخلق أعضا⁶ ستور التسامح
ودم خاطب العليا لها خير خاطب
وأثوق تواق وأطمح طامح

¹ في النفع: ((ما)).

² الججاج؛ مفرد ما ججاج: هو السيد السمح الكريم.

³ في الإسكوريال: ((أصبت))؛ وصوبت من النفع.

⁴ في النفع: تهنيك)).

⁵ نفسه: ((مدحه)).

⁶ نفسه: ((إغضاء)). وهو أسلم.

وتلقاني بمالقة عند قدومي من الرسالة إلى المغرب،
في محرم عام ستة وخمسين وسبعماية¹، ونظم لي هذه
الآبيات، ولا حول ولا قوة إلا بالله²:
قدومك ذا أبدى لذي الراية الحمرا
ثغور الرضا تعبر عن شنب البشر
وأينع فجر الرشد من فلق الهدى
وكونه نهرا وفجره فجرا
سرينا له كي يحمد السير والسرى
ونرقب شمش الدين من فرعك الفجرا
ونصبح في أحيان المن³ نستلم
مواطنكم شفعاً وآثاركم وترا
ونخطب ما يا ابن الخطيب تشا⁴ من
كرايم ذلك الحي إذ نهزُّ الشعرا

¹ الموافق لـ 1355م.

² هذه القصيدة من البحر الطويل.

³ جعلها د. طويل: ((المن)).

⁴ جعلها د. طويل: ((تشاء)).

فقابلت بالإقبال والبر والرضى
وأقريت من يقرا وأقررت من قرأ
فأبنا قدس الحمد حضرة قدسنا
وأقدامنا تملا وأمداحكم تقرا
هنيا لنا نلنا ونلنا ولم نزل
ننال ولكن هذه المنة الكبرا
رأينا وزير الملد والملك واللوى
وحزب اللوى كل يشد به أزرا
سجدنا وكبرنا وقلنا رسوانا
أتى بالذي يرضي بشرى لنا بشرا
ويُهني الورى هذا الإياب فإنّ في
نتايجه للدهر ما يسهر الدهرا
أرانا سنا ذا اليوم أجمل منظر
وجلّى لنا من وجهك الشمس والبدر
أما والذي أوليت من نعمة غدت
تعلمنا للمنعم الحمد والشكرا

لأنت لسان الدين للدين حجة
تؤيده سراً وتعضده جهراً
بقيت لنا كتفاً منيعاً مشرفاً
ودمت له عضداً ودمت له نصراً
ودمنا بكم في كل أمن ومنة
ندير المنى خمراً أو نصلي¹ العدا جمرأ

ومن أمثل ما مدح به السلطان لأول قدومه بالنسبة إلى غير
ذلك من شعره²:

أما والعيون النجل ترمق عن سحر
وورد رياض الخد والكأس والخمر
وريحانه والراح والطل والطلا
ونرجسه والزهر والنور والنهر
ونور جبين الشمس في رونق الضحى
وهالة بدر التم منتصف الشهر

¹ جعلها د. طويل: ((ونصلي)).

² هذه القصيدة من البحر الطويل.

لقد قلدت آراء يوسف ملكه
قلايد نصر لن تبيد مع الدهر
وقد أيده¹ الإسلام منه بناصر
نصير وخير النصر نصر بني نصر
هم القوم أنصار النبي محمد وحـ
زبه وعصبة الأعلام في اليسر² والعسر
وحسبك من قوم حموا سيد الورى
وقاموا بنصر الحق في السر والجهر
سقى شرعة الإسلام ودق سيوفهم
رحيق الأمانى طيب العرف والنشر
فأصبح روض الرشيد يعبق طيبه
ودوح الهدى بالزهر أزهاره تزري
فيا سايلي عنه وعن سطواته
إذ لاح محفوفاً براياته الحمر

¹ جعلها د. طويل: ((أيّد)).

² تصرف د. طويل؛ في البيت هكذا:

((هم القوم أنصار النبي محمد * به عصبة الأعلام في اليسر والعسر)).

وَجُزَّ مَعَ الْإِقْدَامِ جَيْشًا عَرْمَرَمَا
وَشَرْدَ بِالتَّأْيِيدِ شَرْنَمَةً¹ الْكُفْرِ
لِخَالِيَةِ تَنْبِيكِ عَمَّا وَرَاءَهَا
وَلَا غُرُو فَالْإِفْصَاحِ يَعْرِفُ بِالْعَجْزِ
فِيَا فَوْزٍ مِنْ أَدْنَاهُ بِالْغَنَمِ وَالْغَنَى
وَيَا وَيْلَ مِنْ أَقْصَاهُ لِلْقَفْرِ وَالْفَقْرِ
يَمِينًا بِمَا اخْتَارَتْ يَدَاكَ وَأَحْرَزْتَ
مِنَ الْمَلِكِ وَالتَّأْيِيدِ وَالنَّهْيِ وَالْأَمْرِ
لَقَدْ أَصْعَدْتَ مَجْدِي مَدَائِكُكَ الَّتِي
وَمَجْدُكَ وَالْعَلِيَا مَدَحْتَ بِهَا شَعْرًا²
وَحَقٌّ لِمَنْ لِي يَشْفَعُ الْحَمْدَ بِالثَّنَا
وَيَتَلَوُ مَعَانِيَهُ مَعَ الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ
فَاجْنِي ثَمَارَ الْأَنْسِ مِنْ رَوْضَةِ الْمَنَى
وَأَقْطِفْ زَهِيرًا³ الْحَمْدَ مِنْ شَجَرِ الشُّكْرِ

¹ أي الجماعة القليلة من الكفار.

² جعلها د. طويل: ((شعري))؛ بالياء.

³ جعلها د. طويل: ((زهر)).

وأشرب ماء الفوز عذباً ختامه
رحيق براح السمح في أكوس البشر
ولا برحت أمداحكم تعجز النهى
وإلا فكم تنجني من العسر لليسر
ولا زالت الأقدار تخدم رأيكم
وراياتكم ما دام نجم للسرا يسر

وكتب إلي في غرض يظهر منه نص المراجعة ، وحسبنا الله¹ :
أما والذي لي في حلاك من الحمد
وما لك ملاكي علي² من الرفد
لقد أشعرتني النفس أنك معرض
عن المسرف [اللاي لفطرك يستجد]³
فإن زلة بدت لك جهرة
فصفحاً فما والله إذ كنت عن عمد⁴

¹ هذه الأبيات موجودة في نفح الطيب؛ وهي من البحر الطويل.

² في النفح: ((لدي)).

³ نفسه: ((الأتي لفضلك يستجدي)).

⁴ جاء هذا البيت في نفح الطيب هكذا:
((فإن زلة مني بدت لك جهرة * فصفحاً فما والله أنبت عن قصد)).

فراجعته بقولي¹:

أجلك عن عتب يغض من الود
وأكرم وجه العذر منك عن الرد
ولكنني أهدي إليك نصيحتي
وإن كنت قد أهديتها ثم لم تجد
إذا مقول الإنسان جاوز حده
تحولت الأغراض منه إلى الضد
فأصبح منه الجد هزلاً مزمماً
وأصبح منه الهزل في معرض الجد
فما استطعت² فيضاً للحنان فإنه
أحق السجايا بالعالا³ والمجد

¹ هذه الأبيات موجودة في نفع الطيب؛ وهي من البحر الطويل.

² في النفع: ((اسطعت)).

³ نفسه: ((بالعلاء)).

وفاته

توفي يوم الخميس الثالث لشعبان عام خمسة وستين
وسبعماية، وقد ناهز السبعين سنة، ودفن بروضتنا بباب
إلبيرة، وأعفي شارب الشعر من نابي¹ مقصه. وغير هذه
الدعوى قرارها تجاوز القضية.

* * *

¹ في النفع: ((ثاني)).

محمد بن علي

(بن عمر العبدري¹؛ من أهل تونس؛ شاطبي الأصل؛
يلكنى أبا عبد الله؛ صاحبنا).

حاله

كان فاضلاً من أبناء النعم، وأخلاق العافية، ولي أبوه الحجابة بتونس عن سلطانها برهة، ثم عدا عليه الدهر، واضطر ولده هذا إلى اللحاق بالمشرق، فاتصل به سكناه وحج، وآب إلى هذه البلاد. ظريف النزعة حلو الضريبة، كثير الانطباع، يكتب ويشعر، ويكلف بالأدب، ثم انصرف إلى وطنه. وخاطبني إلى هذا العهد، يعرفني بتقلده خطة العلامة، والحمد لله.

وجرى ذكره في كتاب الإكليل بما نصه: غذيُّ نعمة هامية، وقريع رتبة سامية، صرفت إلى سلفه الوجوه، ولم يبق بإفريقية² إلا من يخافه ويرجوه، وبلغ هو مدة ذلك الشرف، الغاية من الترف. ثم قلب الدهر له ظهر

¹ توجد ترجمة محمد بن علي العبدري أيضاً في: الدرر الكامنة، ونفح الطيب.
² في النفح: ((من إفريقية)).

المجن، واشتدَّ به¹ الخُمار² عند فراغ الدَّنِّ، ولحق صاحبنا هذا بالمشرق، بعد خطوب مبيرة³، وشدة كبيرة، فامتزج بسكانه وقطانه، ونال من اللذات ما لم ينله في أوطانه؛ واكتسب الشمايل العذاب، وكان كابن الجهم⁴، بعث إلى الرصافة، ليرق فذاب، ثم حوم على وطنه تحويم الطائر، وألم بهذه المدينة⁵ إمام الخيال الزاير، فاغتنت صفقة ودّه، لحين وروده، وخطبت موالاته على انقباضه وشروده، فحصلت منه على درة تقتنى، وحديقة طيبة الجنى.

¹ في الإسكوريال: ((بهم))؛ وصوبت من النفج.

² الخمار؛ بضم الخاء: ألم الرأس؛ الذي يصيب شارب الخمر.

³ أي مهلكة.

⁴ هو أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر القرشي السامي. خلفت الأقوال في تاريخ مولده؛ وأشهر الأقوال أنه ولد سنة 188هـ/803م؛ أما وفاته ففي سنة 249هـ/863م. وهو أحد شعراء الدولة العباسية؛ في عهد الخليفة المتوكل.

⁵ في النفج: ((البلاد)).

شعره

أنشدني في أصحاب له بمصر قاموا ببرّه¹:

لكل أناس مذهب وسجية

ومذهب أولاد النظام المكارم

إذا كنت فيهم ثاوياً كنت سيداً

وإن غبت عنهم لم تتلك المظالم

أولئك صحتي لا عدمت حياتهم

ولا عدموا السعد الذي هو دائم

أغني بذكراهم وطيب حديثهم

كما غردت فوق الغصون الحمايم

ومن شعره يتشوق إلى تلك الديار، ويتعلل بالتذكار؛ قوله²:

أحبتنا بمصر لو رأيتهم

بكائي عند أطراف النهار

¹ هذه الأبيات موجودة في نفع الطيب؛ وهي من البحر الطويل.
² هذان البيتان موجودان في نفع الطيب؛ وهما من البحر الوافر.

لكنتم تشفقون لفرط وجدي
وما ألقاه من بعد المزار¹
ومن شعره²:
تَغْنَى حَمَامِ الْأَيْكَ يَوْمًا بِذِكْرِهِمْ
فَأُطْرِبُ حَتَّى كَدْتُ مِنْ ذِكْرِهِمْ أَفْنَا
فَقُلْتُ حَمَامِ الْأَيْكَ لَا تَبِكِ جِيرَةَ
نَاعُوا وَانْقَضَتْ وَصَلَهُمْ عَنَا³
فَقَالَ وَلَمْ يَرُدِّدْ جَوَابًا لَسَائِلِ
أَلَا لَيْتَنَا كُنَّا جَمِيعًا بِذَا الْحَقْنَا⁴

ومن جيد شعره الذي أجهد فيه قريحته، قوله يمدح
السلطان المعظم أبا الحسن؛ في ميلاد عام سبعة وأربعين
وسبعماية⁵:

¹ في النّجح: ((الديار)).
² هذه الأبيات من البحر الطويل.
³ تصرف د. طويل؛ فجعل هذا الشطر هكذا: ((نأوا وانقضت أيام وصلهم عنا)).
⁴ جعلها د. طويل: ((حقتنا)).
⁵ الموافق لـ 1346م. وهذا البيت، والأبيات الموالية له من البحر الطويل.

تقر ملوك الأرض أنك مولاها
وأن الدنا وقف عليك قضايها
ومنها:

طلعت بأفق الأرض شمساً منيرة
أنار على كل البلاد محياها
حكيت لنا للفاروق¹ حتى كأننا
بعين لا نكذب رؤياها²
وسرت على آثاره خير سيرة
قطعنا بأن الله ربك يرضاها
إذا ذكرت سير الملوك بمحفل
ونادى بها النادي وحسن دنياها
فجودك رواها وملكك زانها
وعدلك زانها³ وذكرك حلاها
وأنت لها كهف حصين ومعقل
تلوذ بها أولى الأمور وأخراها

¹ جعلها د. طويل: ((الفاروق)). والفاروق لقب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.
² تصرف د. طويل؛ فجعل هذا الشطر هكذا: ((مَضِينَا بعين لا نُكْذِبُ رُؤْيَاهَا)).
³ جعلها د. طويل: ((زانها)).

ومنها بعد كثير:

ومنكم ذوو التيجان والهمم التي
أناف على أعلى السماكين أنداها
إذا غاب منهم مالك قام مالك
مجدد¹ للبيت المقدس عليها
بناها على التقوى وأسس بيتها
أبو يوسف الزاكي وسير ميناها
وأورثها عثمان خير خليفة
وأحلم من ساس الأنام وأنداها
وقام عليّ بعده خير مالك
وخير إمام في الورى راقب الله
علي بن عمر بن يعقوب ذو العلا
مذيق الأعادي حيثما سار بلواها

¹ جعلها د. طويل: (فجَدَد).

أدام الله وأعطى الخلافة وقتها
ونور أحلاك الخطوب وجلاها
ووصلني كتاب منه مؤرخ في التاسع عشر من شهر
شعبان المكرم؛ من عام أربعة وستين وسبعماية¹؛ جدد
عهدي من شعره بما نصه:
رحلنا فشرقنا وراحوا فغربوا
ففاضت لروعات الفراق عيون
فيا أدمعي منهلة إثر بينهم
كأن جفوني بالدموع عيون
فيا معهداً قد بنت عنه مكلفا
بديلي منه أنة وحنين
سقتك غواذي المزن كرّ عشية
ودادك محلول النطاق هتون
فإن تكن الأيام لم تقض بيننا
بوصل فما يُقضى فسوف يكون

¹ الموافق لـ 1362م.

يعز علينا أن نفارق ربعكم
وأنا على أيدي الخطوب نهون
ولو بلغتني العير عنكم رسالة
وساعد دهر باللقاء ضنين
لكننا على ما تعلمون من الهوى
ولكن لأحداث الزمان فنون

محمد بن يحيى

ابن عبد الله بن محمد بن أحمد العزني¹ من أهل سبتة،
أبو القاسم بن أبي زكريا بن أبي طالب²

حاله

من أهل الظرف والبراعة، والطبع المعين، والذكاء،
رئيس سبتة، [وابن رؤسائها]³ وانتقل إلى غرناطة عند
خلعه، وانصرافه عن بلده. أقام بها. تحت رعي حسن

¹ توجد ترجمة محمد بن يحيى العزفي أيضاً في: الدرر الكامنة، ونفح
الطيب، وأزهار الرياض. وذكر في المصدر الأخير ((أنه ولد بسبتة عام
699هـ؛ وبويع بها بعد أبيه عام 719هـ؛ وخلع في سنة 720هـ؛ فكانت دولته
سنة أشهر؛ وتوفي بفاس سنة 768هـ)). وهذا يكمل ما أورده ابن الخطيب.

² كتبت في الزيتونة ((أبو القاسم أبي يحيى)).
³ الزيادة في الزيتونة. وتعتبر أسرة من أعرق الأسر العربية وأبرزها
بسبتة. ووصلت الرئاسة لهذه الأسرة في سبتة؛ بعد قيام ثورة فيها ضد
الموحدين سنة 647هـ/1248م؛ حيث اختار أهلها عالم سبتة الأكبر
وقاضيها أبو القاسم محمد بن أحمد بن الحسين اللخمي العزفي
لرئاستهم. واستمرت رئاسته لسبتة وما يحيط بها إلى يوم وفاته سنة
677هـ/1278م. وبعدها خلفه في الرئاسة ابنه عبد الله أبو طالب؛ وبقي
في رئاسته حتى سقطت سبتة في قبضة بني مرين سنة 705هـ/1305م.
وتوفي رئيسها عبد الله بعد خلعه في فاس سنة 713هـ/1313م. غير أن
بعض أفراد أسرة العزفي تولوا رئاسة سبتة في ظل حكم بني مرين؛
ومن هؤلاء يحيى بن عبد الله والد صاحب الترجمة الحالية؛ وبقي في
منصبه حتى وفاته سنة 719هـ/1319م. وبعد وفاته تولى الرئاسة ولده
المرجم له؛ ولكنه خلع عنها سنة 720هـ/1320م؛ حيث انتقل إلى غرناطة.

الرُّوا، مألُفاً للظرفاء، وأشتهر بها أدبه، ونظر في الطب، ودون فيه، وبرع في التوشيح. ثم انتقل إلى العدو، انتقال غبطة وأثرة، فاستعمل بها في [خطط نبيهة]¹، وكتب عن ملوكها. وهو الآن بالحالة الموصوفة.

وجرى ذكره في " الإكليل " بما نصه: فرع تأوّد² من الرياسة في دوحة. وتردد بين غدوة في المجد وروحة؛ نشأ والرياسة العزفية، تعله وتنهله؛ والدهر يسير أمله الأقصى ويسهله. حتى اتسقت أسباب سعده، وانتهت إليه رياسته سلفه من بعده. فألقت إليه رحالها وحطت، ومتعته بقربها بعدما شطت. ثم كلح له الدهر³ بعد ما تبسم، وعاد زرعاً⁴ نسيمه الذي كان يتنسم، وعاق هلاله عن تمّه؛ ما كان من تغلب ابن عمه، واستقر بهذه البلاد؛ نائي⁵ الدار بحكم الأقدار؛ وإن كان نبيه المكان والمقدار. وجرت عليه جراية واسعة، ورعاية متتابعة؛ وله أدب كالروض

¹ في الزيتونة ((الخطط النبيهة)) .

² نفسه ((يتأود)) .

³ نفسه : ((الزمن)) .

⁴ الزرع: هي الريح الشديدة.

⁵ في النفع : ((نازح)) .

باكرته الغمايم، والزهر تفتحت عنه الكمايم، رفع منه
راية خافقة، وأقام له سوقاً نافقة. وعلى تدفق أنهاره،
وكثرة نظمه واشتهاره؛ فلم أظفر منه إلا باليسير التافه بعد
انصرافه.

شعره

قال¹:

أفديك يا ريح الصبا عوجي على تلك الربا
واحد النعامى سحرا ترسل غماما صبا
على ربي غرناطة لكي تقضي ما ربا
ثم أبلغني يا ريح عن صب سلاماً طيباً

¹ مجزوء الرجز.

ومن منظومة أيضاً في بعض القضاة الفاسيين ؛ وهو
من البديع ؛ وورى فيه بباين من أبواب المدينة¹ :
[وليت بفاس أمور القضاء
فأحدثت فيها أموراً شنيعة]²
فتحت لنفسك باب الفتوح
وعلقت للناس باب الشريعة
فبادر مولى الورى فارس
بعزلك عنها قبيل الذريعة³
وقال⁴ :

دع عنك قول عواذل ووشاة
وأدر كؤوسك يا أبا اللذات
واخلع عذارك لاهياً في شربها
واقطع زمانك بين هاك وهات

¹ المتقارب.

² ورد هذا البيت في جذوة الاقتباس هكذا:

((أقاضي فاس لقد شنتها * وأحدثت فيها أموراً شنيعة))

³ وردت هذه الأبيات الثلاثة من شعر العزفي في مخطوط الزيتون فقط.

⁴ الكامل.

خذها إليك بكف ساقٍ أُعيد
لين المعاطف فاتر الحركات
قد قام من ألاحظه إنسانها
مثبتاً في فترة اللحظات
يسقيها حمراء يسطع نورها
في الكأس كالمصباح في المشكات
رقت وراققت في الزجاجاة منظرًا
لما عدت تجلي على الرحات
لا تمزجها في الأبارق إنها
تبدو محاسنها لدى الكاسات
عجباً لها كالشمس تغرب في فم
لكن مطالعها من الوجنات
نلنا بها ما نشتهيهِ من المنى
في جنة تزهى على الجنات
رقت عليها كل طل سجسج
من كل غض يانع الثمرات

ما بين خضر حدائق و خمائل
وجد اول تقضي إلى دوحات
سرى النسيم بها يصفاح زهره
فيهب وهو مورج النفحات
وشدا لنا فيها مغن شادن
حاز المدا سبقاً إلى الغايات
طربت له القضب اللدن وبادرت
رجعاله تختال في الحبرات
مرت عليه ركعاً لكنها
جعلت تحيتها لدى الركعات
قصرت صلاة الخوف منه فقربت
قربانها وحفته بالزهرات
والعود مثناه يطابق زيتها
في¹ ردائات على رنات

¹ جعلها د. طويل: ((فيها))؛ من أجل الوزن.

إن جسُّ مَنَّاثِه بان بغنة¹
في اليمِّ من ثقيلة النغمات
فكان ما عنت عليه الورق من
أحانها ألقاه للقينات
عكفت على أحانها تشدو لنا
خلف الستائر باختلاف لغات
فكأنها عجم تورات بالحجاب
وردت سوراً من التورات
نطقت بأفصح نغمة في شدوها
تتلو علينا هذه الآيات

ومما أنشده ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم²:
إذا لم أطق نحو نجد وصولاً
بعثت الفؤاد إليها رسولاً

¹ الغنة: الصوت عندما يخرج من الخيشوم.
² المتقارب.

وكم حل قلبي رهيناً بها
غداة نوى الركب فيها النزولا
محل بها في الحلال التي
ضحى أصبح القوم فيها حلولا
وكم بت فيها غداة النوى
أسح من العين دمعاً همولا
على شمس حسن سما ناظري
ليها وعني توارت أفولا
وقفت بوادي الغضا ساعة
لعلي أندب فيها الطلولا
وفي البان من أيكه ساجع
يرجع بالقضب منها الهدى
بحق الهوى يا حمام الحمى
ترفق بقلبي المعنى قليلا
فقد هجت تالله أشواقه
بذكرك إفاً ثاني¹ أو خيلا

¹ جعلها د. طويل: ((ثنى))؛ من أجل الوزن.

ألم تدر أن ادكاري الهوى
يذيب ويعنى الفؤاد العليا
رعى الله تلك المطايا التي
إلى الحج وخذاً سرت أو زميلاً
ويا عجباً كيف خفت بهم
وحملت القلب حملاً ثقيلاً
وودعني الصبر إذ ودعوا
فما أن وجدت إليه سبيلاً
وآثرت يا ويح نفسي المقام
وآثر أهل الوداد الرحيلاً
وجادوا رجاً¹ الرضى بالنفوس
وكنت بنفسى ضنيناً بخيلاً
ندمت على السير إذ فاتني
ولازمت حزني دهرًا طويلاً
وفاز المخفون إذا يمموا
منازل آثارها لن تزولا

¹ جعلها د. طويل: ((رجاء))؛ من أجل الوزن.

وحجوا وزاروا نبي الهدى
محمداً الهاشمي الرسولا
وفازوا بإدراك ما أملوا
ونالوا ليه الرضى والقبولا
ولو كنت في عزمهم مثلهم
إذا لانصرفت إليه عجولا
ولكنني أتقلتني الذنوب
وما كنت للتقل منها حمولا
ركبت مطية جهل الصبا
وكانت أوان التصابي ذلولا
ومالت بي النفس نحو الهوى
وقد وجدتني غرأ جهولا
فطربى لمن حل في طيبة
وعرس بالسفح منها الحمولا
ونال المنى في منى عندما
نوى بالمنازل منها نزولا

وأصفي الضماير نحو الصفا
يؤمل للوصل فيه الوصولا
وجاء إلى البيت مستبشراً
ليظهر بالأمن فيه دخولا
وظاف ولبي بذاك الحمى
ونال من الحجر قصداً وسولا
بلاد بها حل خير الورى
فطوبى لمن مال فيها الحلولا
نبيّ كريمٍ سما رفعة
وقدراً جليلاً ومجداً أصيلاً
وكان لأمته رحمة
بفضل الشفاعة فيهم كفيلاً
وكان رؤوفاً رحيماً لهم
عطوفاً شفيعاً عليهم وصولاً
له يفزعون إذا ما رأوا
لدى الحشر خسفاً وأمراً مهولاً

وإن جاء في ذنبهم شافعاً
بدا الرحب من ربه والقبولا
له معجزات إذا عدَّتْ
تفوت النهى وتكُلُّ العقولا
ولن يبلغ القول معشارها
وإن كان الوصف فيها مطيلاً
وقس البيان وسحبانه
يرى ذهنه في مداها كليلاً
تخيرهُ الله في خلقه
فكان الخطير لديه المثيلاً
ولم ير في الناس ندّاً له
ولا في الخلائق منه بديلاً
وأبقى له الحكم في أرضه
فكان الأمين عليها الوكيلاً
وكلَّ ظلام وظلم بها
على الفور لمّا أتى قد أزيلاً

وكانت كنفار لظى فتنة
فعدت من الأمن ظليلاً
وقد زان حسن الدجا جيله
إذا ذكر الدهر جيلاً فجيلاً
وأيامه غرر قد بدت
بوجه الدنا والليالي حجولاً
رسول كريم إذا جيته
ويممت مغناه تلقى القبولاً
بمولده في زمان الربيع
ربيع أتنا يجر الذبولاً
فأهلاً به الآن من زاير
أتنا بفضل يفوق الفضولاً
وقام الإمام به المرتضى
فقال ثواباً وأجرأً جزيلاً
هو المستعين أبوسالم
ملك ترفع قدراً جليلاً

وحاز من الصيت ذكراً أثيراً
ومن كرم الخيم مجداً أثيلاً
سليلاً عليّ غمام الندى
ألا أيّد الله ذاك السليلاً
فتّى أوسع الناس من جوده
عطاً جزيلاً وبراً حفيلاً
حلاه الوقار ولاقيه
إذا ارتاح للجود يلقى عجولاً
وقد شاع عنه جميل الثنا¹
وعم البسيطة عرضاً وطولاً
ومامنّ بالوعد إلا وقى
فلم يك بالوعد يوماً مطولاً
ولا في علاه مغال لمن
يكثر في الملك قالاً وقيلاً
تفرد بالفضل في عصره
وكان بعرف الأيادي كفيلاً

¹ جعلها د. طويل: ((الثناء))؛ من أجل الوزن.

أطاعت له حين وافى البلاد
رضى عندما حل فيها حلولا
وجا¹ لطاعته أهلها
سراعاً يرومون فيها الدخولا
فَنَبَّهَ قَدْرَ الْمُوَالِي بِهَا
وأكسف فيها المعادي خمولا
ومهد بالأمن أفكارها
وأمن بالعدل فيها السبيلا
وكف أكف التعدي بها
فلا يظلم الناس فيها فتىلا
وعصر الكروب الذي قد مضى
زمان المسرات منه أديلا
أنانا إلى الغرب في شوكة
بها عاد جمع الأعداي قليلا
وفوق رؤوس الطغاة انتضى
حساماً ليسمع فيها صليلاً

¹ جعلها د. طويل: ((وجاء)).

وجرد من عزمه مرهفاً
لحسم أمور المناوي صقيلا
وكل كفور معاد له
سيأخذه الله أخذاً وبيلا
أعز الخاليق لما ولى
ونوه من كان منهم ذليلا
وراعى لمن جاءه داخلاً
حماه من القاصدين الدخيلا
فكان بأفعاله قصده
إلى منهج الفضل قصداً جميلا
وصح انتعاش المعالي به
وقد كان شخص المعالي عليلاً
وشيد مبنى العلاء بالندى
ووثقه خشية أن يميلا
ينيل ويعطي جزيل العطا¹
فما زال أخرى الليالي منيلا

¹ جعلها د. طويل: ((العطاء)).

ودام مدى الدهر في رفعة
تثير من الحاسدين الغيلا
ولا برح السعد في بابه
يؤمُّ به مربعاً أو مقيلاً¹

¹ ذكر عنان هنا ما سبق ذكره عما ورد في أزهار الرياض عن تاريخي:
ولادة وممات أبا القاسم العزفي.

محمد المكدوي¹

من أهل فاس؛ يثني أبا عبد الله

حاله

من "الإكليل": شاعر لا يتعاطى² ميدانه، مرعى³
بيان ورَفَ عضله⁴، وأينع سعدانه؛ يدعو الكلام فيهطع⁵
لداعيه، ويسعى في اجتلاب المعاني فتنجح مساعيه. غير
أنه أفرط في الانهماك، وهوى إلى السِّمكة⁶ من أوج
السِّمَّك⁷. وقدم⁸ على هذه البلاد مفلتاً من رهق تلمسان؛
حين الحصار؛ صفر اليمين، واليسار من اليسار؛ ملئ⁹
هوى أنحى على طريفه وتلاده، وأخرجه من بلاده.

¹ توجد ترجمة محمد المكدوي في: نفح الطيب، وأزهار الرياض؛ حيث جاء فيه أنه: ((أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المكدوي)).

² في النفح: ((يُنْقَاصِي)).

³ في الإسكوريال: ((مرمى)).

⁴ في النفح: ((عضاهه)).

⁵ أي يسرع.

⁶ وهو برج فلكي في السماء.

⁷ السِّمَّك؛ مثناها: السماكين؛ وهما كوكبان منيران. يسمى الأول: السمك

الرامح، والثاني: السمك لأعزل.

⁸ في النفح: ((قدم)).

⁹ وردت في الإسكوريال: ((بل)). وصححت من النفح.

ولما [جذبته]¹ البين، وحل هذه البلاد [بحال تقبّحها
العين]² والسيف بهزته، لا بحسن بزته، دعوته³ إلى
مجلس، أعاره البدر هالته، وخلع عليه الأصيل غلالته،
وروض تفتح كمامه، وهمى عليه غمامه، وكأس أنس
تدور، فتلقى نجومها البدور. فلما ذهبّت المؤانسة بخجله،
وتذكر هواه، ويوم نواه، حتى خفنا حلول أجله، جذبنا
للمؤانسة زمامه، واستقينا⁴ منها غمامه، فأمتع وأحسب،
ونظر ونسب، وتلكم في المسائل، وحضر⁵ يُطْرَفُ
الأبيات، وعيون الرسايل؛ حتى نشر الصباح رايته،
واطلع النهار آيته. ومما أنشدنا ونسب لنفسه⁶:

¹ في النّفح: ((جذبّه)) .

² في الإسكوريال وردت هذه العبارة: ((محل العين)) .

³ في النّفح: ((دعونا)) .

⁴ نفسه: ((واستقينا)) .

⁵ نفسه: ((وحاضر)) .

⁶ نفسه: ((فمما نسبه إلى نفسه وأنشدناه قوله)) . والأبيان من بحر الوافر .

غرامي فيك جل عن القياس
وقد أسقيتته بكل كأس
ولا أنسى هواك ولو جفاني
عليك أقاربي طرا وناسي
ولا أدري لنفسي من كمال
سوى أنى لعهدك غير ناسٍ

وقال في غرض معروف¹:

بعثت بخمرٍ فيه ماء وإنما
بعثت بما² فيه رايحة الخمر
فقل عليه الشكر إذ قل سكرنا
فنحن بلا سكر وأنت بلا شكر

¹ البحر الطويل.

² في النفع: ((بماء))؛ وهو أسلم.

ومما خاطبني به¹:

رحماك بي فلقد خلدت في خلدي
هوى أكابد منه حررة² الكبد
حللت عقد سلوي في³ فؤادي إذ
حللت منه محل الروح في جسد
مرآك بدري وذكراك التذاذ فمي
ودين حبك أضماري ومعتقدي
ومن جمالك نور لاح في بصري
ومن ودادك، روح حل في خلدي
لا تحسبن فؤادي عنك مصطبر⁴
فقبل حبك كان الصبر طوع يدي
وهاك جسمي قد أودى النحول به
فلو طلبت وجودا منه لم تجد

¹ البحر البسيط.

² في النفع: ((حرقة)).

³ نفسه: ((عن)).

⁴ في النفع: ((مصطبراً)).

بما بطرفك من غنج ومن حورٍ
وما بثغرك من در ومن برد
كن بين طرفي وقلبي منصفا فلقد
حايبت¹ بعضهما فاعدل ولا تحد
فقال لي قد جعلت القلب لي وطنا
وقد قضيت على الأجنان بالسهد
وكيف تطلب عدلا والهوى حكم
وحكمه قط لم يعدل على أحد
من لي بأغيد لا يرثي إلى شجن
وليس يعرف ما يلقاه ذو كمد
ما كانت من قبل إذعاني لصولته²
إخال أن الرشا يسطو على الأسد
إن جاد بالوعد لم تصدق مواعده
فإن قنعت بزور الوعد لم يعد

¹ أي ناصرت وحبذت.
² في النفع: ((لسطوته)).

شكوته علتني منه فقال الأ

مر للطبيب فما برء الضنى بيدي¹

فقلت إن شئت برئي أو شفا ألمي

فبارتشاف لماك الكوثري جد

وإن بخلت فلي مولى وجود على

ضعفي ويبرى ما أضنيت من جسد²

وخرج إلى المدح فأطال³.

¹ ورد هذا البيت في نفع الطيب هكذا:

((شكوته علتني منه فقال الأ * سر للطبيب فما برء الضنى بيدي)).

² في النفع: ((جسدي)).

³ ذكر عنان - نقلاً عن جذوة الإقتباس - أن محمد المكودي توفي بفاس سنة 753هـ.

(المقرؤون والعلماء - الأصيليون منهم

محمد بن أحمد

(ابن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف
ابن جزي الكلبي¹ يكنى أبا القاسم من أهل غرناطة ووفوي الأصاله
والنباهاة فيها؛ شيخنا رحمة الله عليه.

أوليته

أصل سلفه من ولده² من حصون البراجلة، نزل بها
أولهم عند الفتح صحبة قريبهم أبي الخطار حسام بن
ضرار الكلبي، وعند خلع دعوة³ المرابطين، وكانت
لجدهم بجميان رياسة وانفراد بالتدبير.

¹ توجد ترجمة محمد بن أحمد بن جزي الكلبي أيضاً في: الكتيبة الكامنة،
والديباج المذهب، ونيل الابتهاج، ونفح الطيب، وأزهار الرياض.
² في النفح: ((ولبه)). ونبه عنان هنا إلى الغموض الذي يكتنف اسم هذا
المكان. لأن حصون البراجلة تتواجد في المنطقة الجبلية الواقعة جنوب
غرناطة؛ المسماة بالبشرات؛ بينما يقع ثغر لبة في غرب الأندلس؛
وبالتحديد؛ في الجنوب الغربي من إشبيلية.
³ في النفح: ((دولة)).

حاله

كان رحمه الله، على طريقة مثلى من العكوف على العلم. والاقتصاد¹ على الاقتيات من حرّ النَّشْب²، والاشتغال بالنظر، والتقييد والتدوين³ فقيها حافظاً، قائماً على التدريس، مشاركاً في فنون من⁴ العربية والفقهِ، والأصول، والقراءات، والحديث، والأدب، حفظة⁵ للتفسير مستوعباً للأقوال، جماعة للكتب، ملوكي الخزانة. حسن المجلس، ممتع المحاضرة، قريب الغور، صحيح الباطن. تقدم خطيباً بالمسجد الأعظم من بلده على حداثة سنة، فاتفق على فضله، وجرى على سنن أصالته.

¹ في النفع: ((والاقتصار))، وفي الأزهار: ((على العلم والاقتيات من حرّ...)).

² أي خالص المال.

³ في الزيتونة: ((التدبير)).

⁴ الزيادة في الزيتونة والنفع.

⁵ في الزيتونة، والأزهار: ((حافظاً)).

مشيخته

قرأ على الإستاذ أبى جعفر بن الزبير¹، وأخذ عنه العربية والفقہ والحديث والقرآن. وروى أبى الحسن بن مستقور². وقرأ القرآن على الأستاذ المقري الراوية المكثراً أبى عبد الله بن الكماد، ولازم الخطيب أبى عبد الله بن رشيد، وسمع على الشيخ الوزير أبى محمد عبد الله بن أحمد بن المؤذن، وعلى الراوية المسن أبى الوليد الحضرمي. يروي عن سهل بن مالك وطبقته. وروى عن الشيخ الراوية أبى زكريا البرشاني، وعن³ الراوية الخطيب أبى عبد الله محمد بن محمد بن علي الأنصاري، والقاضي أبى المجد بن أبى علي بن أبى الأحوض، والقاضي أبى عبد الله بن برطال، والشيخ الوزير ابن أبى عامر بن ربيع⁴، والخطيب الولي أبى عبد الله الطنجالي، والأستاذ

¹ في النفع: ((أبى جعفر بن جعفر بن الزبير)).

² في الإسكوريال: ((مسغور))، وفي الزيتونة ((مسور)).

³ في المخطوطين: ((على)).

⁴ في النفع، والأزهار: ((أبو عامر بن ربيع الأشعري)).

النظار المتفنن أبي القاسم قاسم بن عبد الله بن الشاط.
وألف الكثير في فنون شتى.

توآلفه

منها: كتاب ((وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم))، وكتاب ((الأنوار السنفة في الكلمات السنفة))، وكتاب ((الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار))، وكتاب ((القوانين الفقهفة في تلخفص¹ مذهب المالفة))، و((التبفة على مذهب الشاففة والحنففة والحنبلفة))، وكتاب ((تقرفب الوصول إلى علم الأصول))، وكتاب ((النور المبفن في قواعد عقافد الدين))، وكتاب ((المختصر البارع في قراءة نافع))، وكتاب ((أصول القراءة الستة غير نافع))، وكتاب ((الفوافد العامة في لحن العامة))، إلى غير ذلك مما قفده في التفسفر والقراءات وغير ذلك. وله فهرسة كبفر. اشتملت على جملة من أهل المشرق والمغرب.

¹ في الزفونة: ((تلخفص)).

شعره

قال في الأبيات الغينية ذاهباً مذهب الجماعة كأبي
العلاء المعري. والرئيس أبي المظفر¹، وأبي الطاهر السلفي،
وأبي الحجاج بن الشيخ، وأبي الربيع بن سالم، وأبي
علي بن أبي الأحوص، وغيرهم، كلهم نظم في ذلك²:
لكل بني الدنيا مراد ومقصد
وإن مرادي صحة وفراغ
لأبلغ في علم الشريعة مبلغاً
يكون به لي للجنان³ بلاغ⁴
وفي⁵ مثل هذا فلينافس أولو⁶ النهي
وحسبي من الدنيا الغرور⁷ بلاغ⁸

¹ في النفع: ((وابن المظفر))، وفي الأزهار: ((والرئيس ابن المظفر)).

² البحر الطويل.

³ أي للقلب.

⁴ البلاغ: الكفاية.

⁵ في النفع وأزهار الرياض: ((ففي)).

⁶ في الأزهار: ((نو)).

⁷ في النفع والأزهار: ((وحسبي من دار الغرور)).

⁸ البلاغ هنا: الإيصال والتبليغ.

فما الفوز إلا في نعيم مؤبد
به العيش رغد والشراب يساغ
وقال في الجنب النبوي¹:
أروم امتداح المصطفى ويردني²
قصوري عن إدراك تلك المناقب
ومن لي بحصر البحر والبحر زاهر
ومن لي بإحصاء³ الحصى والكواكب
ولو أن إعضائي غدت ألسنا إذا
لما بلغت في المدح بعض مآرب⁴
ولو أن كل العالمين تألفوا⁵
على مدحه لم يبلغوا بعض واجب

¹ البحر الطويل.

² في النفع: ((فيردني))، وفي الكتيبة: ((فيصدني)).

³ في النفع والأزهار والكتيبة والديباج المذهب: ((بإحصاء)).

⁴ جاء هذا البيت في أزهار الرياض هكذا:

((ولو أن إعضائي غدت وهي ألسن * لما بلغت في القول بعض مآربي)).

⁵ في النفع: ((تسابقوا إلى...)).

فأمسكت¹ عنه هيبةً وتأدباً
وخوفاً² وإِعظماً لأرفع جانب
ورب سكوت كان فيه بلاغه
ورب كلام فيه عتب لعاتب
وقال رحمه الله مشفقاً من ذنبه³:
يا رب إن ذنوبي اليوم قد كثرت⁴
فما أطيق لها حصراً ولا عدداً
وليس لي بعذاب النار من قبل
ولا أطيق لها صبراً ولا جلدأ
فانظر إلهي إلى ضعفي ومسكنتي
لا تذيقني⁵ حر الجحيم غدا

¹ في الكتيبة: ((فاسكت))، وفي الأزهار: ((فأقصرت)).

² كتبت في النفع: ((وعجزا)).

³ البحر البسيط.

⁴ في الكتيبة: ((قد عظمت)).

⁵ في النفع والأزهار والديباج والكتيبة: ((ولا تذيقني)).

وقال في مذهب الفخر¹:

وكم من صفحة كالشمس تبدو

فيسلي² حسنها قلب الحزين

غضضت الطرف عن نظري إليها

محافظة على عرضي وديني³

وفاته

فقد وهو يشحذ الناس ويحرضهم، ويثبت بصايرهم،
يوم الكاينة بطريف⁴، ضحوة يوم الإثنين السابع⁵ لجمادى
لجمادى الأولى عام أحد وأربعين وسبعماية⁶، تقبل الله
شهادته. وعقبه ظاهر بين القضاء والكتابة.

* * *

¹ البحر الوافر.

² في الكتيبة: ((يسلي))، وفي النسخ: ((فيسلي)).

³ ورد هذا البيت في الكتيبة الكامنة هكذا:

((غضضت الطرف عن نظر إليها * محافظة على علمي وديني)).

⁴ سبقت الإشارة إلى موقعة طريف.

⁵ في النسخ: ((تاسع جمادى الأولى)).

⁶ الموافق لـ 1340م.

محمد بن أحمد

(بن فتوح بن شقران اللخمي
شرقي الأصل؛ من سكان غرناطة؛ يكنى (أبا عبد الله)؛
ويعرف بالطرسوني.

حاله

نقلت من خط شيخنا أبي البركات بن الحاج، أمتع
الله به كنى نفسه أبا عبد الرحمن¹، ودعي بها وقتاً،
وكوتب بها. وكان له ابن سماه عبد الرحيم، فقلنا له
سمه عبد الرحمن؛ ليعضد لك الكنية التي اخترت؛ فأبى.
كان هذا الرجل قيماً على النحو والقراءات واللغة²، مجيداً
في ذلك، محكماً لما يأخذ فيه منه، وكانت لديه مشاركة
في الأصلين والمنطق، طمح إليهما بفض نباهته وذكايه،
وشعوره بمراتب العلوم، دون شيخ أرشده إلى ذلك. يجمع
إلى ما ذكر خطأ بارعاً، وظرفاً وفكاهة، وسخا نفساً،
وجميل مشاركة لأصحابه. بأقصى ما يستطيع. وكان صناع
اليدين يرسم بالذهب، ويسفر ويحكم عمل التراكيب

¹ في الزيتونة: ((أبا عبد الله)).
² نفسه: ((الفقه)).

الطيبة. وعلى الجملة؛ فالرجل من أجلّ نبلاء عصره،
الذين قلّ أمثالهم.

مشيخته

أخذ القراءات عن الشيخ الأستاذ [أبي الحسن]¹ بن
أبي العيش، وبه تفقه ببلده المرابية. وقرأ على الأستاذ أبي
جعفر بن الزبير، والخطيب أبي جعفر بن الزيات،
والراويّة أبي الحسن بن مستقور، والوليّ أبي عبد الله
الطنجالي، وصهره الخطيب أبي تمام غالب بن حسن بن
سيدبونه، والخطيب أبي الحسن القيجاطي، والخطيب
المحدث أبي عبد الله بن رشيد، وغيرهم.

شعره

من شعره قوله²:

إذا قذفت بي حيثما شاءت النوى
ففي كل شعب³ لي إليك طريق

¹ سقطت في الإسكوريال.

² البحر الطويل.

³ في الزيتونّة: ((صعب)).

وإن أنا لم أبصر محياك باسماً
فإنسان عيني في الدموع غريق
فإن لم تصل كفي بكفك وافيأ
[فأسمال أحبابي لدي فتوق]¹

محتته

أحظاه وزير الدولة أبو عبد الله بن المحروق²،
واختصه، ورتب له بالحمراء جراية، وقلد نظره خزانة
الكتب السلطانية. ثم فسد ما بينهما، فاتهمه ببراءات
كانت تطرح بمذامه³ بمسجد البيازين⁴، وترصد ما فيها،
فزعم أنه هو الذي طرحها بمحراب المسجد، فقبض عليه
واعقل ثم جلاه إلى إفريقية.

¹ كتبت في الزيتونة هكذا: ((باسمان أجفاني ملوق فتوق)) .
² هو أبو عبد الله محمد بن أحمد المحروق؛ وزير السلطان النصري أبي
عبد الله بن إسماعيل؛ الذي انتصب على عرش دولة غرناطة سنة
1324/هـ-725م؛ فأنتهى به الأمر إلى القتل بأمر ذلك السلطان سنة
1328/هـ-729م.
³ في الزيتونة ((بحرامه المسجد)).
⁴ كان أحد المسجدين الكبيرين في حي البيازين؛ أشهر أحياء غرناطة الإسلامية.

وفاته

ولما بلغتة بإفريقية وفاة مُخيفه، كرّ راجعاً إلى
الأندلس؛ فتوفي في طريقه ببونة¹؛ من بلاد العناب أو
بأحوازها في أواخر عام ثلاثين، أو أقرب من الأواخر
وسبعماية².

* * *

¹ هي مدينة عنابة الجزائرية حالياً؛ تقع على شاطئ البحر الأبيض
المتوسط؛ في الجهة الشرقية من الجمهورية الجزائرية..
² أي حوالي 1329م.

محمد بن جابر

(بن يحيى بن محمد بن ذى النون التغلبي ويعرف بابن الرمالية¹؛
من أهل غرناطة؛ ويعرف خلفه (الآن ببني مرزبة²؛
ولهم أصالة وقرم وجرة).

حاله

فقيه، نبيه، نبيل، ذكي، عنده معرفة بالفقه والأدب
والعربية، حسن المشاركة والمحاضرة، حاضر الذهن، ذاكر
لما قرأه.

مشيخته

روى عن الإمام أبي بكر بن العربي. قال أبو القاسم
الملاحى، وحدثني سنة أربع وستماية؛ قال: حدثني
الإمام أبو بكر بن العربي رضي الله عنه؛ قال: حدثني
محمد بن عبد الملك السبتي؛ قال: خرجت مع أبي
الفضل الجزيري؛ مشيعين لقافلة الحاج من بغداد،
ومودعين لها من الغد؛ وحين أصبحنا؛ أثرت الجمال،
وفرض الناس الرّحال، ونحن بموضع يعرف بجب عميرة؛

¹ في الزيتونة: ((الذمالة)).

² نفسه: ((بني مرزقة)).

إذا بفتى شاحب اللون، حسن الوجه، يشيع الرواحل؛
راحلة بعد أخرى؛ حتى فنيت، ومشى الحاج؛ وهو
يقول في أثناء ترده ونظره إليها¹:

أحجاج بيت الله في أي هودج
وفي أي بيت من بيوتكم حبي
أبقى رهين القلب² في أرض غربة
وحاديكم يحدو فؤادي مع الركب
فوا أسفاً لم أقض منكم لبانتي
ولم أتمتع بالسلام وبالقرب
وفرق بيني بالرحيل وبينكم
فها أنذا أقضي على إثركم نحبي
يقولون هذا آخر العهد منكم
فقلت وهذا آخر العهد من قلب³

¹ البحر الطويل.

² في الزيتونة: ((الحب)).

³ أضاف د. طويل ((الياء))؛ فأضحت: ((قلبي)).

قال: فلما كمل الحج المشي؛ وانقطع رجاؤه؛ وجعل
يخطو هايماً؛ وهو ينشد؛ ثم رمى بنفسه إلى الأرض
وقال¹:

خل دمع العين ينهمل

بان من تهواه وارتحل

أي دمع صانه كلف

فهو يوم البين ينهمل

قال: ثم مال على الأرض؛ فبادرنا إليه؛ فوجدناه ميتاً؛
فحفرنا له لحداً، وغسلناه وكفناه في رداء وصلينا عليه.
ودفناه.

وفاته

وفاة المترجم به سنة خمسين وستماية².

¹ البحر المديد.

² الموافق لـ 1252م.

محمد بن محمد

(بن يبيش العبدري¹ من أهل غرناطة؛ يكنى أبا عبد الله؛
ويعرف بابن يبيش²).

حاله

كان خيراً، منقبضاً، عفاً، متصاوناً، مشتغلاً بما
يعنيه. مضطرباً³ بالعربية، عاكفاً عمره على تحقيق
اللغة⁴، مشاركاً في الطب. متعيشاً من التجارة في
الكتب. أثرى منها، وحسنت حاله. وانتقل إلى سكنى
سبتة؛ إلى أن حطت بها رسولاً في عام اثنتين وخمسين
وسبعماية⁵. فاستدعيته ونقلته إلى بلده؛ ففقد للاقراء به
إلى أن توفي.

وجرى ذكره في بعض الموضوعات الأدبية بما نصه:
معلم مدرّب، مسهل مقرب، له في صنعة العربية باع

¹ توجد ترجمة محمد بن يبيش العبدري أيضاً في: الكتيبة الكامنة، وبغية
الوعاء، والدرر الكامنة، ونفح الطيب.

² هذا الاسم ما زال معروفاً في إسبانيا حتى الآن؛ حيث يعرف بالإسبانية
Vives. وكتب في الكتيبة الكامنة: ((بيش))، وفي بغية الوعاء: ((بليش)).

³ في بغية الوعاء: ((متضلعاً)).

⁴ في الزيتونة: ((الفقه)).

⁵ الموافق لـ 1351م.

مديد، وفي هدفها سهم سديد، ومشاركة في الأدب، لا يفارقها تسديد، خاصي المنازع، مختصرها، مرتب الأحوال، مقررها، تميز لأول وقته بالتجارة في الكتب، فسُلطت عليها¹ منه أرضة آكلة، وسهم أصاب من رميتها شاكلة²، أترب بسببها وأثرى، وأغنى جهة، وأفقر أخرى. وانتقل لهذا العهد الأخير إلى سكنى غرناطة؛ مسقط رأسه، ومنبت غرسه؛ وجرت عليه جراية من أحباسها³، ووقع عليه قبول من ناسها، وبها تلاحق به الحمام؛ فكان من ترابها البداية وإليه التمام. وله شعر لم يقصر فيه عن المدا، وأدب توشح بالإجادة وارتدى.

مشيخته

قرأ على شيخ الجماعة ببلده أبي جعفر بن الزبير، وعلى الخطيب أبي عبد الله بن رشيد، والوزير أبي محمد بن المؤذن المرادي، والأستاذ عبد الله بن الكماد. وسمع

¹ في النفع: ((منه عليها)).

² نفسه: ((الشاكلة)).

³ أي: أوقافها.

على الوزير المسن أبي محمد عبد المنعم بن سيماك. وقرأ
بسبته على الأستاذ أبي إسحاق الغافقي.

شعره

أنشدني بدار الصناعة السلطانية من سبته تاسع
جمادى الأولى من عام اثنين وخمسين المذكور؛ عند
توجهي في غرض الرسالة إلى السلطان ملك المغرب؛
قوله يجيب عن الأبيات المشهورة؛ التي أكثر فيها الناس
وهي¹:

يا ساكننا قلبي المَعْنَى
وليس فيه سواك ثان
لأبي مَعْنَى كَسَرْتَ قَلْبِي
وما التَّقَى فيه ساكنان

¹ مخرج البسيط.

فقال¹:

نحلتني طايحاً فؤاداً
فصار إذ حزته مكان²
لاغرو إذ كان لي مضافاً
إني على الكسر فيه بان
وقال يخاطب أبا العباس عميد سبتة، أعزه الله؛
وهي مما أنشدنيه في التاريخ المذكور؛ وقد أهدى إليه
أقلاماً³:

أنا ملك الغر التي سيب جودها
يفيض كفيض المزن بالصيب القطر
أنتني منها تحفة مثل عدها⁴
إذا انتضيت كانت كمرهفة السمر
هي الصفر لكن تعلم البيض أنها
محكمة فيها على النفع والضر

¹ مخرج البسيط.

² في الكتبية الكامنة ونفح الطيب: ((مكاني))؛ بالياء.

³ البحر الطويل.

⁴ في الكتبية، والنفح: ((حدها)).

مهذبة الأوصال مشوقة كما
تصاغ¹ سهام الرمي من² خالص التبر
فقباتها عشراً ومثلث أنني
ظفرت بلثم في أناملك العشر
وأشدني في التاريخ المذكور؛ في ترتيب حروف الصحاح
قوله³:

أساجعة بالواديين تبوّئي
ثمّاراً جنتها حاليات خواضب
دعي ذكر روض زاره⁴ سقي شربه
صباح ضحى [طيرٌ ظما⁵] عصايب
غرام فؤادي قاذف كل ليلة
متى ما نأى وهنا هواه يراقب

¹ في النفع: ((تصوغ)).

² في الكتبية: ((أو)).

³ البحر الطويل.

⁴ في النفع: ((زانه)).

⁵ في الكتبية، والنفع: ((طيرٌ ظماء)).

ومن مطولاته ما رفعه على يدي السلطان وهو قوله¹:
ديار خطها مجد قديم
وشاد بناءها شرف صميم
وحل جنابها الأعلى علا²
يقصر عنه رضوى أو شميم
سقى نجداً بها وهضاب نجد
عمادُ ثرة³ وحيات⁴ تميم
ولا عدمت رباه رباب مزن
يغادي روضهن ويستديم
فيصبح زهرها يحكي شذاه
فتيت المسك يذكيه النسيم
وتنثره⁵ الصبا فتريك دراً
نثيراً خانه عقد نظيم

¹ البحر الوافر.

² في الكتيبة: ((علاء))؛ وهو أسلم.

³ نفسه: ((عهادُ ثرة)).

⁴ نفسه: ((عميم)).

⁵ في الكتيبة: ((وتنثره)).

وظلت في ظلال الأيك تشدو
مطوقة لها صوت رخيم
ترجع في الغصون فنون سجع
بألحان لها يصبو الحليم
أهيم بملتقى الوادي تجد¹
وليس سواه في واد أهيم
وكنت صرفت عنه النفس كرها
وما برحت على نجد تحوم
وما ينفك لي ولها نزاع
إلى مغنى به ملك كريم
له بيت سما فوق الثريا
وعز لا يخيم ولا يريم
تبوأ من بني نصر علاها
وأنصار للنبي² له أروم

¹ في الكتيبة: ((بنجد)).

² نفسه: ((وأنصار النبي))؛ وهذا أسلم.

أفاض على الوررى نيلاً وعدلاً¹
سواء فيه مثرٍ أو عديم
ملاذ للملوك إذا أملت
صروف الدهر أو خطب جسيم
تؤمله فتامن في ذراه
وتدنو من علاه فيستقيم²
ويبدو في نديِّ الملُكِ بدرأً
تحفُّ به الملوك وهم نجوم
بوجه يوسفى الحسن طلق
يضيء بنوره الليل البهيم
وتلقاه للعفاة³ له ابتسام
ومنه للعدى أخذ للييم⁴
فيا شرف الملوك لك انقطاعي
وإني في محلكم خديم

¹ في الكتيبة: ((عدلاً ونيلاً)).

² نفسه: ((فتستقيم)).

³ نفسه: ((وتلقاه العفاة))؛ وهو أسلم.

⁴ في الإسكوريال: ((الليم))؛ وفي الكتيبة: ((الأليم))؛ وهو أصوب.

وآمالي أملت لمالك¹ حتى
وردن على نذاك وهن هيم
فالظما وروذك خير ورد²
نميرماؤه عذب جميم
ولا أضحي وفي مغناك ظل
ظليل حين تحتدم السموم
ركبت البحر نحوك والمطايا
تسير لها ذميل أو رسيم
وإن علاك إن عطفت بلحظ
عليّ فذاك العز المقيم³
فوا أسفي على عمر تقضي
بدار ليس لي فيه حميم
سوى ثمر للفؤاد ذهبته عنه
وبين جوانحي منه كلوم

¹ في الكتيبة: ((اليك))؛ وهو أسلم.
² ورد هذا الشطر في الكتيبة: ((فلا ظماً وروذك خير وريد)).
³ في الكتيبة: ((القديم)).

ودون لقاها عرض الفيافي
ونجد¹ موجه طود عظيم
لعل الله ينعم باجتماع
وينظم شلنا البر الرحيم
بقيت بغبطة وقرار عين
بملك سعده أبدا يدوم
كما دامت حلى الأنصار تتلى
يشيد بذكرها الذكر الحكيم
عليك تحية عطر شذاها
تُعرّف² الرّوض جادته الغيوم

¹ في الكتيبة: ((وبحر)).
² نفسه: ((كعرّف الرّوض))؛ وهو أسلم.

مولده

بغرناطة في رجب¹ ثمانين وستمائة².

وفاته

وتوفي عام ثلاثة وخمسين وسبعماية³، ودفن بباب إبيرة⁴؛
وتبعه من الناس ثناءً حسن. رحمه الله.

* * *

¹ في الزيتونة: ((حدود)) وفي النسخ: ((مولده في حدود ثمانين وستمائة)).
² الموافق لـ 1281م. وجاء في الإسكوريال؛ بخصوص مولده: ((توفي
بغرناطة في رجب ثمانين وستمائة؛ بل مولده)). لذا فقد رأى عنان أن
يصحح النص كما أورده.
³ الموافق لـ 1352م.
⁴ سبق التعريف به.

محمربن محمر

النمري (الضري؛ من أهل غرناطة؛ يكنى أبا عبد الله؛
ويعرف بنسبه

حاله

من عايد الصلاة: كان حافظاً للقرآن، طيب النعمة
به، طرفاً في ذلك من أهل المشاركة في العلم، واعظاً
بليغاً، أستاذاً يقوم على العربية قيام تحقيق، ويستحضر
الشواهد من كتاب الله، وخطب العرب وأشعارها، بعيد
القرين في ذلك، آخذاً في الأدب، حفظة للأناشيد
والمطولات، بقية حسنة ممتعة.

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي عبد الله بن الفخار الأركشي¹
وبه تأدب، ولازمه كثيراً، فانتفع به.

¹ نسبة إلى حصن أركش بوادي لكة في الأندلس.

شعره

مما صدر به رسالة لزوجته وهو نازح عنها ببعض البلاد.
فقال¹:

سلام كرشف الطل في ميسم الورد
وسيل نسيم الريح بالقضب الملد
سلام كما ارتاح المشوق مبشراً
بروياء² من يهواه من دون ما وعد
سلام كما يرضي المحب حبيبه
من الجد في الإخلاص والصدق في الوعد
سلام وتكريم وبر ورحمة
بقدر مزيد الشوق أو منتهى الود
على ظبية في الأنس مرتعها الحشا
فتأوى إليه لا لشيخ ولا رند
ومن أطلع البدر التمام جبينها
يُرى تحت ليلٍ من دُجَى الشعر مسود

¹ البحر الطويل.

² جعلها د. طويل: ((برؤية))؛ من أجل الوزن.

وثغر أقاح زانه سمط لؤلؤ
يجب به المرجان في أحكم النضد
يجول به سلسال راح معتق
حمته ظبا الألاحظ صوناً عن الورد
قلله عينا من رأى بدر أسعد
وروضة أزهار علت غصن القد
وبشرى لصب فاز منها بلمحة
من القرب بشراه بمستكمل السعد
وأضحى هواها كامناً بين أضلعي
كمزن خفي النار في باطن الزند
وراحت فراح الروح إثر رحلها¹
وودعت صبري حين ودعها كبد²
وصارت لي الأيام تبدو ليالياً
وقد كان ليل الوصل صباحاً بها يُبْد³

¹ جعلها د. طويل: ((رحيلها))؛ من أجل سلامة الوزن وصواب المعنى.

² أضاف د. طويل ((الياء))؛ فغدت: ((كبي)).

³ أضاف د. طويل ((الياء))؛ فغدت: ((يبي)).

فساعاتها كالدهر طويلاً وطالما
حكى الدهر ساعات بها قصراً عندي
ومنها:

ترى قلبها هل هام مني بمثل ما
بقلبي من الحب الملازم والوجد
وهل ترعى ذمتي ومودتي¹
كما أنا أرها على القرب والبعد
إليك خطابي والحديث لغايب
كذبت بلفظي عن مغيبك بالعمد
عليك سلامي إنني متشوق
للقياك لي أو من جوابك بالرد

¹ تصرف د. طويل؛ فأضاف كلمة: هي؛ فغدا صدر البيت هكذا: ((وهل هي
ترعى ذمتي ومودتي)).

وفاته

توفي بغرناطة تحت جراية من أمرايها؛ لاختصاصه
بقراءة القرآن على قبورهم؛ في التاسع عشر من شعبان؛
عام ستة وثلاثين وسبعماية¹.

¹ الموافق لـ 1335م.

محمد بن عبد الولي

الرُّعِينِي من أهل غرناطة؛ يكنى أبا عبد الله؛
ويعرف بالعواد¹

حاله

من " عايد الصلة " : الشيخ المكتب، والأستاذ
الصالح سابق الميدان وعلم أعلام القرآن، في إتقان
تجويده والمعرفة بطرق روايته، والاضطلاع بفنونه، لا يشق
غباره، ولا يتعاطى طلقه، ولا تأتي الأيتام بمثله. تستقصر
بين يديه مدارك الأعلام، وتظهر سقطات الأئمة. مهتدياً
إلى مكان الحجج على المسائل. مصروف عنان الأشغال
إليه، مستنداً إلى نعمةٍ رخيمة، وإتقان غير متكلف،
وحفظ غزير. وطلب إلى التصدر للإقراء؛ فأبى لشدة
انقباضه. فنبّهت² بالباب السلطاني على وجوب³ نصبه
للناس؛ فكان ذلك⁴ في شهر شعبان من عام وفاته؛
فانتفع به. وكان أدأبُ الناس على سنّة، والزمهم لميقات

¹ في الزيتونة: ((ويعرف بابن العواد)) وفي النسخ ((الأستاذ ابن العواد)) .

² الكلام لابن الخطيب.

³ في المخطوطين: ((وجوه))

⁴ هذه الكلمة أضيفت من الزيتونة.

ورُد. يجعل جيرانه حركته إلى ذلك ليلاً. ميقاتاً لا يختلف ولا يكذب، في ترحيل الليل. " شديد الطرب " مليح الترتيب، لا تمر به ساعة ضياعاً، إلا وقد عمرها بشأن ديني، أو دنياوي، ضروري مما يسوغه الورع، يلازم المكتب، ناصح التعليم، مسوياً بين أبناء النعم وحلفاء الحاجة، شامخ الأنف على أهل الدنيا، تغص السكك عند ترنمه بالقرآن، مساوقاً لتلاوة التجويد، ومباشراً أيام الأخمسة والأثنين العمل في مؤيل¹ كان له، على طريقة القدماء من الإخشيشان عند المهن ونقل آلة الخدمة، غير مفارق للظرف والخصوصية. ويقراً أيام الجمعيات، كتب الوعظ والرقائق على أهله؛ فيصغي إليه الجيران، عادة لا تختلف. وكان له لكل عمل ثوب، ولكل مهنة زي، ما رأيت أحسن ترتيباً منه. وهو أستاذي وجاري الألق. لم أتعلم الكتاب العزيز إلا في مكتبه. رحمة الله عليه.

¹ حسب طريقة المغاربة في تخفيف الهمزة.

مشيخته

قرأ على بقية المقرئين الأستاذ أبى جعر بن الزبير،
ولازمه وانتفع به، وعلى الأستاذ أبى جعفر الجزيري
الضريير؛ وأخذ عن الخطيب المحدث أبى عبد الله بن
رشيد.

مولده

في حدود عام ثمانين وستماية¹.

وفاته

توفي رحمة الله عليه في² الموفي ثلاثين لذي قعدة
من عام خمسين وسبعماية³.

¹ الموافق لـ 1281م.

² اسم اليوم ساقط في المخطوطين. وترك في موضعه بياض.

³ الموافق لـ 1349م.

محمد بن علي

(ابن أعمار الخولاني¹؛ يكنى أبا عبد الله؛ أصله من مجلقر²؛ ويعرف بابن الفخار وبالبيري؛ شيخنا رحمه الله).

حاله

من "عايد الصلة": أستاذ الجماعة، وعلم الصناعة، وسيبويه العصر، وآخر الطبقة من أهل هذا الفن. كان رحمه الله فاضلاً، تقياً منقبضاً. عاكفاً على العلم، ملازماً للتدريس، إمام الأئمة من غير مدافع مبرزاً أمام أعلام البصريين من النحاة، منتشر الذكر، بعيد الصيت عظيم الشهرة، مستبحر الحفظ، يتفجر بالعربية تفجر البحر، ويسترسل استرسال القطر، قد خالطت دمه ولحمه، لا يشكل عليه منها مشكل، ولا يعوزه توجيه، ولا تشد عنه حجة. جدد بالأندلس ما كان قد درس من لسان العرب،

¹ توجد أيضاً ترجمة محمد بن علي الخولاني (ابن الفخار) في: الكتيبة الكامنة، ونفح الطيب.

² يبدو أن اسم هذه البلدة محرف؛ لأن هذا الاسم لم يرد بين القرى التي ذكرها ابن الخطيب في القسم الأول من الإحاطة. ومع هذا فقد اعتقد عنان في احتمال كونها إحدى هذه البلدات: قلنقر، قولجر، قولر.

من لدن وفاة أبي علي الشلوين¹، مقيم السوق على عهده. وكانت له مشاركة في غير صناعة العربية من قراءات وفقه وعروض، وتفسير. وتقدم خطيباً بالجامع الأعظم، وقعد للتدريس بالمدرسة النصرية²، وقل في الأندلس من لم يأخذ عنه من الطلبة. واستعمل في السفارة إلى العدو، مع مثله من الفقهاء فكانت له حيث حل الشهرة وعليه الازدحام والغاشية، وخرج، ودرب، وأقرأ، وأجاز، لا يأخذ على ذلك أجراً؛ وخصوصاً فيما [دون]³ البداية إلا الجراية المعروفة، مقتصداً في أحواله، وقوراً، مفرط الطول، نحيفاً، سريع الخطو، قليل الالتفات والتعريج، متوسط الزي، متبذلاً في معالجة ما يملكه بخارج البلد، قليل الدهاء والتصنع، غريب النزعة، جامعاً بين الحرص والقناعة.

¹ هو عمر بن محمد بن عمر الأزدي المعروف بالشلوين من أهل إشبيلية. ولد سنة 562هـ/1166م؛ وتوفي سنة 645هـ/1247م. كان إماماً بارعاً في علم العربية.

² المدرسة النصرية؛ أو بعبارة أخرى: جامعة غرناطة؛ أسسها السلطان يوسف أبو الحجاج النصري الذي حكم الدولة النصرية بين سنتي: 733هـ/1332م - 755هـ/1354م.

³ أضيفت من الزيتون.

مشيخته

قرأ بسبته على الشيخ الإمام أبي إسحاق الغافقي،
ولازمه كثيراً، وأخذ عنه، وأكثر عليه. وقرأ على الإمام
الصالح أبي عبد الله بن حريث، والمقري الشريف
الفاضل أبي العباس الحسني، والشيخ الأستاذ النظار أبي
القاسم بن الشاط. وأخذ عن الخطيب المحدث أبي عبد
الله بن رشيد، والقاضي أبي عبد الله بن القرطبي
وغيرهم. وهو أستاذي، قرأت عليه القرآن، وكتابي الجمل
والإيضاح، وحضرت عليه دولاً من الكتاب، ولازمته
مدة، وعاشرته، وتوجه صحبتي في الرسالة إلى المغرب.

وفاته

توفي بغرناطة ليلة الإثنين الثاني عشر من رجب عام
أربعة وخمسين وسبعماية¹. وكانت جنازته حافلة.
وخمدت قرابح الآخذين عنه، ممن يدلي دلو أدب. فيأتي
بماء أو حمأة، على كثرتهم، تقصيراً عن الحق، وقدحاً
في نسب الوفاء؛ إلا ما كان من بعض من تأخر أخذه

¹ الموافق لـ 1353م.

عنه. وهو محمد بن عبد الله اللوشي؛ فإنه قال: وعين
هذه الأبيات قرارها¹:

ويوم نعى الناعي شهاب المحامد
تغيرت الدنيا لمصرع² واحد
فلا عذر للعينين إن لم تُسايحا³
بدمع يحاكي الويل يشفي لواجد
مضى من بني الفخار أفضل ماجد
جميل المساعي للعلاج شاهد⁴
طواه الردى ما كل حي يهابه
وما ورده عاراً يشين لوارد
لقد غيبت منه المكارم في الثرى
غداة نوى⁵ وانسد باب الفوائد
فيا حاملي أعواده ما علمتم
بسؤدده الجم الكريم المحاتد

¹ البحر الطويل.

² في الكتيبة: ((لمهلك)).

³ نفسه: ((شامحا)).

⁴ نفسه: ((شاند)).

⁵ نفسه: ((ثوى)).

ويا حفرة خُطَّتْ له اليوم مضجعاً
سقتك الغواذي الصادقات¹ الرواعد
إلا يا حمام الأيك ساعدني² بالبكا³
على علم⁴ الدنيا وزين المشاهد
على أني لو استطعت الفدا فديته⁵
بأنفس آل⁶ من طريف وتالد
محمد ما للنعمي⁷ لموتك غضة⁸
توقف⁹ ولا ماء الحياة ببارد
وكيف وباب العلم بعدك مغلق
ومورده¹⁰ المتروك بين الموارد

¹ في الكتيبة: ((الغاديات)).

² نفسه: ((ساعدن))؛ وهو أسلم.

³ نفسه: ((في البكا)).

⁴ نفسه: ((عالم)).

⁵ ورد هذا الشطر في الكتيبة هكذا: ((على أن لو استطعت الفدا لفيته)).

⁶ في الكتيبة: ((مال))؛ وهو أصوب.

⁷ نفسه: ((النعمي))؛ وهذا أسلم وأصوب.

⁸ نفسه: ((غبطة)).

⁹ نفسه: ((تروق))؛ وهذا أسلم وأصوب.

¹⁰ نفسه: ((وموردك)).

أستاذنا كنت الرجا¹ لآمل
فأصبحت مهجور الفنا² لقاصد
فلا تبعدن شيخ المعارف والحجا³
ليس⁴ الذي تحت التراب بباعد
لتبك العلوم بعدك شجوها⁵
ويقفر⁶ لها ربع العلا والمعاهد⁷
ليبك عليك الجود والدين⁸ والتقى
وحسب البكا أن صرت ملحود لاحد
أمولاي من للمشكلات بينها
فيجلي⁹ عمى كل القلوب الشواهد
ومن ذا يحل المقفلات صعابها
ومن ذا الذي يهدي السبيل لحايد

¹ في الكتيبة: ((الرجاء))؛ وهذا أسلم.
² نفسه: ((الفناء))؛ وهذا أسلم.
³ نفسه: ((والحمى)).
⁴ نفسه: ((أليس)).
⁵ ورد هذا الشطر في الكتيبة هكذا: ((لتبك العلوم بعدك اليوم شجوها)).
⁶ في الكتيبة: ((ويعف)).
⁷ نفسه: ((والمحامد)).
⁸ نفسه: ((والحلم)).
⁹ نفسه: ((فتجلو)).

فيا راحلا عنا فزنا لفقده
لقد أونست منك القبور بوافد
ويا كوكبا غال النهار¹ ضياءه
وشيكاً وهل هذا الزمان بخالد
سأبكيك ما لاحت بروق لشايم
وأرعاك ما كان الغمام بعابد²
عليك سلام الله ما دامت³ الصبا
بغصن في الأراكة مايد⁴

1 قلت: العجب من الشيخ ابن الخطيب. كيف قال،
وَحَمَدَتْ قَرايِحَ الآخِذِينَ عَنْهُ، وهو من أَجَلٍّ من أخذ
عنه، حسبما قرَّره آنفاً؛ بل أَخَصُّ من ذلك المعاشرة
والسفارة للعدوة. وهو مع ذلك أقدرهم على هذا الشأن،
وأسخاهم قريحة في هذا الميدان؛ وإن أتى غيره بماء أو
حمأة؛ أتى هو بالبحر الذي لا ساحل له. ولعمري لو قام

¹ في الكتيبة: ((الزمان)).

² نفسه: ((بعائد)).

³ نفسه: ((هبت)).

⁴ ورد هذا الشطر في الكتيبة هكذا: ((تهب بغصن في الأراكة مايد)).

هو بما يجب من ذلك ؛ لزال القدح في نسب وفاء الغير ؛
فعين ما نسبه من التقصير عن الحق في ذلك ، متوجه
عليه ، ولاحق له ، ولا يبعد عنده أن يكون وقع بينهما ما
أوجب إعراضه ؛ مما يقع في الأزمان ؛ ولا سيما بين أهل
هذا الشأن ؛ فيكون ذلك سبباً في إعراض الغير مشياً في
غرضه ، ومساعدة له . والله أعلم بحقيقة ذلك كله ¹ .

* * *

¹ ذكر عنان أن الفقرة الواقعة بين حاصرتين هي من كلام ناسخ الكتاب.
وهذا - حسب السياق - صحيح.

محمد بن علي

(ابن محمد البندسي؛ من أهل غرناطة؛ يكنى أبا عبد الله)

حاله

طالب هش، حسن اللقاء عفيف النشأة، مكب على العلم، حريص على استفادته¹، مع زمانة أصابت يمينه يديه؛ نفعه الله. قيد بأختها وانتسخ، قايم على العربية والبيان، ذاكر الكثير من المسائل، حافظ متقن، على نزعة عربية، من التجاذع في المشي، وقلة الالتفات إلا بجملمته، وجهوريّة الصّوت، متحل بسداجة، حسن الإلقاء والتقرير، متّ للتمتغلب على الدولة بضنّ، أفاده جاهها واستعمالاً في خطة السوق، ثم اصطناعاً في الرسالة إلى ملك المغرب، جرّ عليه آخراً النكبة، وقاد المحنة، فأرصد له السلطان أبو عبد الله في أخرياتها، رجالاً بعثهم في رُندة، فأسروه في طريقه، وقدموا به سلباً؛ قدوم الشهرة والمثلة، موقناً بالقتل. ثم عطف عليه حيناً إلى

¹ في الزيتونة: ((الاستفادة)).

حسن تلاوته في محبسه ليلاً، فانتاشه لذلك من هفوة¹
بعيدة ونكبة مبيرة. ولما عاد لمكله، أعاده للإقراء.

مشيخته

جل انتفاعه بشيخ الجماعة أبي عبد الله بن الفخار؛
لازمه وانتفع به، وأعاد دول تدرسه، وقرأ على غيره.
وألف كتاباً في تفسير القرآن، متعدد الأسفار، واستدرك
على السهيلي في أعلام القرآن كتاباً نبياً، رفعه على
يَدِيّ للسلطان. وهو من فضلاء جنسه، أعانه الله وسدده.

* * *

¹ في الزيتونة: ((غفوة)).

محمربن سحر

(بن محمربن لب بن حسن بن حسن بن عبر الرحمن بن بقى¹؛
يكنى أبا عبر الله؛ ويعرف باسم جرّه

أوليته

كان القاضي العدل أبو عبد الله بن هشام، قاضي
الجماعة² بالأندلس يجلس سلفه، وينسبه إلى بقى بن
مخلد³، قاضي بالخلافة بقرطبة. وابن هشام ممن يحتج به.

حاله

هذا الرجل فاضل، حسن الخلق، جميل العشرة
كريم الصحبة، مبدول المشاركة، معروف الذكاء والعفة،

¹ توجد أيضاً ترجمة محمد بن سعيد بن بقى في: الكتيبة الكامنة، ونيل الابتهاج.
² خطة قاضي الجماعة في الأندلس وبلاد المغرب تعادل خطة قاضي
القضاة في المشرق. وصاحب الخطة مالكي المذهب؛ وكذا الحال بالنسبة
لبقية القضاة المرؤسين له. وسبب هذا هو سيادة المذهب المالكي في
هذه الديار وانتشاره الواسع.
³ يعد من أشهر فقهاء الأندلس، وأغزرهم علماً. نشأ في قرطبة، ورحل
إلى المشرق؛ حيث برع في الحديث والرواية؛ وكانت له حظوة لدى أمير
الأندلس محمد بن عبد الرحمن بن الحكم؛ لغزير علمه وفضله. توفي في
سنة 276هـ/889م.

مبسوط الكنف، مع الانقباض، فكه مع الحشمة، تسع الطوائف أكناف خلفه، ويعم المتضادين رحب ذرعه. طالب محصل. حصيف العقل، حسن المشاركة في فنون، من فقه وقراءات ونحو وغير ذلك. تلکم للناس بجامع الرّبض ثم بمسجد البكري المجاور للزاوية والتربة اللّتين أقمتهما بأخبارش¹ من داخل الحضرة وحلق به لتعليم العلم، فأثال عليه المتعلم والمستفيد والسامع، لإجادة بيانه، وحسن تفهيمه.

مشيخته

قرأ القرآن بحرف نافع، على أبيه، وعلى الشيخ الخطيب المكتب أبي عبد الله بن طرفة، والخطيب أبي عبد الله بن عامور. وقرأ العربية على إمام الجماعة الأستاذ أبي

¹ يعتقد عنان أن هذا الاسم كان يطلق على حي في غرناطة؛ مخصص للزوايا والمقابر.

عبد الله بن الفخار ، وجودّ عليه القرآن ، بالقراءات
السبع ، وقرأ على الأستاذ أبي سعيد بن لب.¹

شعره²

أنشدني من ذلك قوله بعد الانصراف من مواراة جنازة³:

كم أرى مدمن لهو ودعه
لست أخلي ساعة من تبعه
كان لي عذر لدى عهد⁴ الصبا
وأنا آمل في العمر سعه
أو ما يوقظنا من كنا
أنفأ⁵ لقبيره قد شيعه

¹ ورد في هامش المخطوط بقلم الناسخ: ((وروي عن الشيخ الإمام الخطيب ابن مرزوق التلمساني، والشيخ الإمام القاضي أبي عبد الله المقري التلمساني رحمة الله عليهما؛ "وممن أخذ عنه رحمه الله الشيخ أبو عبد الله المنقظوري، وتزوج بابنته أيضاً؛ والشيخ أبو عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد روايتي والله أعلم - كاتبه)).

² سقط هذا العنوان من الناسخ.

³ بحر الرمل.

⁴ في الزيتونة: ((عصر)).

⁵ في الكتيبة: ((أنفأ)).

سيما وقد بدا¹ في مفرقي
ما إخال الموت قد جاء معه
فدعوني ساعة أبكي على
عمر أمسيت ممن ضيعه

ومن شعره في النوم؛ وهو كثير ما يطرقه²:
أباد البين أجناد التلاقي
وحالت بيننا خيل الفراق
فجودوا وارحموا وارثوا ورقوا
على من جفنه سكب المآقي

ومن ذلك ما أنشد في النوم على لسان رجل من
أصحابه³:

يا صاحبي قفا المطايا
واشفقاً فالعبيد عبده

¹ في الكتيبة: ((إذ بدا))؛ وهذا أسلم.

² البحر الوافر.

³ مخرج البسيط.

إذا انتهى وانقضى زمان
[هل يرسل]¹ الله من يردده

مولده

في الثاني عشر لصف من عام اثنين وعشرين وسبعماية².

* * *

¹ في الزيتونة : ((فيرسل)).
² الموافق لـ 1322م.

محمد بن سعيد

ابن علي بن يوسف الأنصاري من أهل غرناطة؛ يثني أبا عبد الله؛
ويعرف بالطرارز

حاله

من صلة ابن الزبير: كان رحمه الله مقرباً جليلاً،
ومحدثاً حافلاً، به ختم بالمغرب هذا الباب البتة. وكان
ضابطاً متقناً، ومقيداً حافلاً، بارع الخط، حسن الوراق،
عارفاً بالأسانيد والطرق والرجال، وطبقاتهم، مقرباً عارفاً
بالأسانيد والقراءات، ماهراً في صناعة التجويد، مشاركاً
في علم العربية والفقه والأصول وغير ذلك، كاتباً نبيلاً،
مجموعاً فاضلاً متخلقاً، ثقة فيما روى، عدلاً ممن يرجع
إليه فيما قيد وضبط، لإتقانه وحذقه. كتب بخطه كثيراً،
وترك أمهات حديثية، اعتمدها الناس بعده، وعولوا
عليها. وتجرد آخر عمره، إلى كتاب ((مشارك الأنوار))
تأليف القاضي أبي الفضل عياض، وكان قد تركه في
مبيضة، في أنهى درجات النسخ والإدماج والإشكال،
وإهمال الحروف حتى اخترمت منفعتها، حتى استوفى ما

نقل منه المؤلف، وجمع عليها أصولاً حافلة، وأمهات جامعة، من الأغرابة وكتب اللغة، فتخلص الكتاب على أتم وجه وأحسنه، وكمل من غير أن يسقط منه حرف ولا كلمة. والكتاب في ذاته لم يؤلف مثله.

مشيخته

روى عن القاضي أبي القاسم بن سمحون والقاضي ابن الطباع،¹ وعن أبي جعفر شراويل وأبي عبد الله بن صاحب الأحكام والمتكلم، وأبي محمد بن عبد الصمد بن أبي رجا¹، وأبي القاسم الملاحى، وأبي محمد الكواب وغيرهم، [أخذ عن هؤلاء كلهم ببلده]²، وبقرطبة عن جماعة، وبمالقة كذلك، وبسبته. وبإشبيلية عن أبي بالحسن بن زرقون، وابن عبد النور. وبفاس، وبمرسية عن جماعة.

¹ ما بين حاصرتين أضيف من الزيتونة.
² الزيادة الواردة بين حاصرتين في الزيتونة.

قلت : هذه الترجمة في الأصل المختصر منه هذا طويله ،
واختصرتها لطولها .

وفاته

توفي بغرناطة ثالث شوال عام خمسة وأربعين
وستماية¹، وكانت جنازته من أحفل جنازة، إذ كان الله
قد وضع له ودا في قلوب المؤمنين .

* * *

¹ الموافق لـ 1247م .

محمد بن يوسف

(ابن علي بن يوسف بن حيان النفزي)¹ من أهل غرناطة؛
يكنى أبا حيان؛ ويلقب من الألقاب (المشرقية بأثير الرين)

حاله

كان نسيج وحده في ثقب الذهن، وصحة الإدراك والحفظ والاضطلاع بعلم العربية، والتفسير وطريق الرواية، إمام النحاة في زمانه غير مدافع نشأ ببلده غرناطة²، مشاراً إليه في التبريز بميدان الإدراك، وتغيير السوابق في مضمار التحصيل. ونالته نبوة³ لحق بسببها بالمشرق، واستقر بمصر، فنال ما شاء من عز وشهرة، وتأثّل وبرّ وحظوة⁴، وأضحى لمن حل بساحته من المغاربة، ملجأً وعدة. وكان شديد البسط، مهيباً،

¹ نسبة إلى قبيلة نفزة الأمازيغية. وتوجد أيضاً ترجمة أبي حيان محمد ابن يوسف النفزي في: الكتيبة الكامنة، الوافي بالوفيات، والدرر الكامنة، وبغية الوعاة، وغاية النهاية، والبدر السافر، ونكت الهميان، وشذرات الذهب، والنجوم الزاهرة، ونفح الطيب.

² في النفح: ((في بلده)).

³ أي جفوة.

⁴ في النفح: ((وتأثّل وافر وحظوة)).

جهورياً، مع الدعابة والغزل، وطرح السميت¹، شاعراً
مكثراً، مليح الحديث، لا يمل وإن أطال، وأسَنَّ جداً،
وانتفع² به. قال بعض أصحابنا، دخلت عليه، وهو
يتوضأ وقد استقر على إحدى رجليه لغسل الأخرى، كما
تفعل البرك والأوز؛ فقال³ لو كنت اليوم جار شُلَيْر⁴ ما
تركني لهذا العمل في هذا السنّ.

مشيخته

قرأ ببلده على الأستاذ حايذ الرياسة أبي جعفر بن
الزبير ولازمه، وانتسب إليه، وانتفع به، وشاد له بالمشرق
ذكراً كبيراً. ويقال إنه نادى في الناس عندما بلغه نعيه،
وصلى عليه بالقاهرة، وله إليه مخاطبات أدبية اختصرتها،
وعلى الأستاذ الخطيب أبي جعفر علي بن محمد الرعيني
الطباع، والخطيب الصالح ولي الله أبي الحسن فضل بن

¹ في النفع: ((التسمت)).

² نفسه: ((فانتفع)).

³ نفسه: ((فقال لي)).

⁴ أي جار لجبل شُلَيْر (جبل الثلج) القريب من غرناطة. وبوضوح فهو:
يتمنى لو كان بغرناطة المجاورة له.

محمد بن علي بن إبراهيم بن فضيلة المعافري. وروى عن القاضي المحدث أبي علي الحسين بن عبد العزيز بن أبي الأحواض الفهري، والمكتب أبي سهل اليسر بن عبد الله ابن محمد بن خلف بن اليسر القشيري، والأستاذ أبي الحسن بن الصايغ، والأديب الكاتب أبي محمد عبد الله ابن هارون الطائي بتونس، وعلى المسند صفى الدين أبي محمد عبد الوهاب بن حسن بن إسماعيل بن مظفر بن الفرات الحسني بالإسكندرية، والمسند الأصولي وجيه الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عمران الأنصاري بالثغر، والمحدث نجيب الدين¹ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمداني بالقاهرة، وغيرهم ممن يشق إحصاءهم: كالإمام بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر بن النحاس الشافعي. قرأ عليه جميع كتاب سيبويه في سنة ثمان وثمانين وستماية²، وقال له عند ختمه، لم يقرأه على أحد غيره.

¹ في الزيتونة ((حباب الدين)).
² الموافق لـ 1289م.

توآلفه¹

وتوآلفه كثرفة؁ منها شرحه كتاب "تسهفل الفوآفد لابن مالك؛ وهو بديع؁ وقد وقفت على بعضه بفغرناطة فف عام سبعة وخمسفن وسبعمآفة². وكتابه فف تفسير الكتاب العزفز؁ وهو المسمى بـ"البحر المحفط" تسمية زعموا موافقة للغرض. وآلف كتاباً فف نحو اللسان التركف؁ حدثنا عنه الجملة الكثرفة من أصحابنا؁ كالحآب أبو فزفد آالء ابن عفسف؁ والمقرف الخطفب أبو بعبفر الشقورف؁ والشرفف أبو عبء الله بن رآب؁ وشفخنا الخطفب أبو عبء بن مرزوق. وقال³ حدثنا شفخنا أئفر الءفن⁴ فف الجملة سنة خمس وثلاثفن وسبعمآفة⁵ بالمءرسة الصالآفة بفن القصرفن بمنزله منها: قال حدثنا الأستاذ العلامة المتفنن أبو بعبفر آحمد بن إبراهم بن الزفر؁ سماعاً من

¹ ورد فف هامش المخطوط ما فلف: ((وءكر عبء القاءر المكف فف مقءمة شرح التسهل له؛ أن بعضهم ءكر أن توآلف أبو آفان تربوا على خمسفن تألفاً)). رآمة الله تعالى عفله.

² الموافق لـ 1356م.

³ فف النفب: ((قال)).

⁴ نفسه: ((شفخنا أبو آفان)).

⁵ الموافق لـ 1334م.

لفظه، وكتباً¹ من خطه بغرناطة، عن الكاتب أبي إسحاق ابن عامر الهمداني الطوسي بفتح الطاء، حدثنا أبو عبد الله بن محمد العنسي² القرطبي، وهو آخر من حدث عنه، أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد الحافظ الجياني؛ نا³ حكم بن محمد، (أنا) أبو بكر بن المهندس، (نا) عبد الله ابن محمد، (نا) طالوت بن عياد⁴ بن بصال بن جعفر: سمعت أبا إمامة الباهلي يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((أكفلوا لي [بيت أهل] ⁵ لكم في الجنة، إذا حدث أحدكم بلا كذب، وإذا ائتمن فلا يخن، وإذا وعد فلا يخلف. غضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم))⁶. وقال: أنشدنا الخطيب أبو جعفر الطَّبَّاع. قال: أنشدنا ابن خلفون. قال: أنشدنا

¹ في النفع: ((وكتبه)).

² في الزيتونة: ((القيسي)).

³ في النفع: ((أنيابنا))؛ وما سيأتي بين قوسين كذلك.

⁴ نفسه: ((عباد بن نصال)).

⁵ نفسه: ((بست أكفل)).

⁶ حدث خلط واضطراب في سياق هذا الحديث؛ ولكنة ورد في نفع الطيب هكذا: ((أكفلوا لي بست أكفل لكم في الجنة، إذا حدث أحدكم بلا كذب، وإذا ائتمن فلا يخن، وإذا وعد فلا يخلف؛ غضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم)).

أبو عبد الله محمد بن سعيد. قال: أنشدنا أبو عمران
موسى بن أبي تليد لنفسه¹:

حالي مع الدهر في تقلبه
كطائر ضمّ رجله الشرك
فهمه في خلاص مهجته
يروم تخليصها فيشتبك

ومن مُلّجه: قال: قدم علينا الشيخ المحدث أبو
العلاء محمد بن أبي بكر البخاري الفرضي بالقاهرة في
طلب الحديث. وكان رجلاً حسناً طيب الأخلاق، لطيف
المزاج، فكُنّا نسايره في طلب الحديث، فإذا رأى صورة
حسنة، قال هذا حديث على شرط البخاري؛ فنظمت
هذه الأبيات²:

بدا كهلال العيد³ وقت طلوعه
وماس⁴ كغصن الخيزران المنعم

¹ البحر المنسرح.

² البحر الطويل.

³ في الكتيبة: ((الأفق)).

⁴ نفسه: ((ومال)).

غزال رخيم الدلّ وافى مواصلا
موافقة منه على رغم لوم
مليح غريب الحسن أصبح معلماً
بخمرة¹ خد بالمحاسن معلم
وقالوا على شرط البخاري قد أتى
فقننا² على شرط البخاري ومسلم
فقال مولاي أنا البخاري فمن مسلم
فقلت له أنت البخاري وأنا مسلم³

محنته

حملته حدة الشبيبة على [التعريض⁴ للأستاذ⁵ أبي
جعفر الطباع، وقد وقعت بينه وبين أستاذه ابن الزبير
الوحشة فنال منه، وتصدى للتأليف في الرد عليه،
وتكذيب روايته، فرفع أمره إلى السلطان، فامتعض له،

¹ في الكتيبة: ((بخمرة)).

² نفسه: ((فقلت)).

³ تصرف د. طويل؛ بحجة سلامة الوزن؛ فجعل هذا البيت هكذا:
(فقال البخاري فمن هو مسلم * فقلت له أنت البخاري وأنا مسلم).

⁴ في النسخ: ((التعرض)).

⁵ وردت هذه العبارة في الإسكوريال هكذا: ((التعرض على الأستاذ)).

ونفذ الأمر بتنكيهه، فاختمى، ثم أجاز البحر مختمياً،
ولحق بالمشرق يلتفت خلفه.

شعره

وشعره كثير بحيث يتصف بالإجادة وضدها. فمن
مطولاته رحمه الله قوله¹:

لا تعذلاه فما ذو الحب معذول
العقل مختبل والقلب متبول
هزت له أسمرأ من خوط قامتها
فما انثنى للصب² إلا وهو مقتول
جميلة فصل الحسن البيديع لها
فكم لها جمل منه وتفصيل
فالنحر مرمرة والنشر عنبره
والنحر جوهره والريق معسول³

¹ البحر البسيط.

² في النسخ: ((الصب))؛ وهذا أسلم.

³ ورد هذا البيت في نصح الطيب هكذا:
((فالنحر مرمرة والنشر عنبرة* والنحر جوهره والريق معسول)).

والطرف ذو غنجٍ والعرف ذو أرج
والخصر مختطف والعنق مجدول
هيفاء ينبس¹ في الخصر الوشاح لها
ردماً² تخرس في الساق الخلاخيل
من اللواتي غذاهن النعيم فما
يشقين آباؤها الصيّد³ البهاليل⁴
نزر الكلام غميات الجواب إذا
يسلن بعد الصحا حصر مكاسيل
من حليها وسناها مونس وهدى
فليس يلحقها ذعر وتضليل
حلت بمنعقد الزوراء زارة
شوسا غيارى فعقد الصبر محلول

¹ في النفتح: ((ينطق)).
² نفسه: ((درماء)). وهذا أسلم. والدرماء من النساء: هي الممتلئة التي تظهر كعوبها ومرافقها من الشحم.
³ الصيّد: هم الذين يرفعون رؤوسهم كبراً وشموخاً.
⁴ أي الذين يجمعون كل خير.

فعد عن ذكر ليلى إن ذكرها¹
على التتايي لتعذيب وتعليل
أتاك منك نذير فأنذرن به
وبادر التوب إن التوب مقبول
وآمل العفر واسلك مهمها
قدفا إلى رضى الله إن العفو مأمول
إن الجهاد وحج البيت مختتما
بزورة المصطفى للعفو تأميل
فشق حيزوم هذا الليل ممتطياً
أخا خرام به قد يبلغ السؤل
أقب أعوج يعزى للوجيه له
وجه أغر وفي الرجلين تحجيل
جفراً حوافره معرّ قوايمه
ضمّر أياطله وللذيل عُنكول²

¹ جعلها د. طويل: ((نكراها))؛ من أجل الوزن.
² العنكول: هو عنق النخل الذي يحمل التمر: ((العرجون)).

إذا توجه أصغى وهو ملتفت
ساعر¹ اعتقا فيهن تأليل
إن تعارض به هوجا² هاج له
جرّي يرى البرق عنه وهو مخذول
يحمي³ حوزة الإسلام ملتقياً
كتايبا غص منها العرض والطول
كتايباً قد عموا عن كل واضحة
من الكتاب وغرتهم أباطيل
في رماقط⁴ ضرب الموت الزوام⁵ به
سرادقاً فعليهم منه تخييل
هيجا⁶ يشرف فيها المشرفي على
هام العدو ويصحب⁷ النقع تظليل

¹ كتبها د. طويل: ((مساعر)).

² جعلها د. طويل: ((هوجاء))؛ أي الريح الشديدة.

³ أضاف د. طويل هنا كلمة: ((به))؛ فأضحت: ((يحمي به)).

⁴ جعلها د. طويل: ((في ماقط))؛ أي الحيز الضيق في الحرب.

⁵ أي الموت الكريه.

⁶ جعلها د. طويل: ((الهيجاء))؛ من أجل الوزن.

⁷ جعلها د. طويل: ((ويصحى))؛ من أجل الوزن.

تدير كأس شَعُوب¹ في شعوبهم
فكلهم منهل بالموت معلول
إذا² قضيت غزاة فالتفت عملا
للحج فالحج للإسلام تكميل
واصل بسر³ يابن أندلس
والطرف أدهم بالأشطان مغلول
يلاطم الريح منه أبيض نفق له
من السحب المزبد إكليل
يعلو حضارة⁴ منه شامخ جلل
سام طفا وهو بالنكباء محمول
كأنما هو في طخيا⁵ لجته أيم
يعرو⁶ أديم السيل شمليل

¹ أي كأس المنية.

² جعلها د. طويل: ((وإذ))؛ من أجل الوزن.

³ أضاف هنا د. طويل كلمة ((معد))؛ دون ذكر مصدره؛ فأضحت: ((واصل
((واصل بسر معد)).

⁴ جعلها د. طويل: ((حضارين)).

⁵ جعلها د. طويل: ((طخياء).

⁶ أضاف د. طويل كلمة ((أيم))؛ وهو ذكر الأفعى؛ فأضحت: ((أيم
يغرو))؛ ولكنه لم يذكر مصدره.

ما زالت الموج تعلية وتخضه
حتى بدا من منار الثغر قنديل
وكبر الناس أعلاه الرنيم¹
وكلهم طرفه بالشهد مكحول
وصافحوا البيد بعد اليم وابتدروا
سبلا بها لجناب الله توصيل
على نجائب تتلوه أجناها²
خيل بها الخير معقود ومعقول
في موكب تزحف الأرض الفضاء به
أضحت وموحشها بالناس مأمول
يطارد الوحش منه فيلق لجب
حتى لقد ذعرت في بيدها الغول
سيوفهم طرب نحو الحجاز فهم
ذوو ارتياح على أوكارها ميل

¹ في هذا الصدر خلل.
² هذا الصدر مختل أيضاً.

شعث رؤوسهم يبس شفاههم
خوص عيونهم غرب مهازيل
حتى إذا لاح من بيت الإله لهم
نور إذا هم على الغبرا أراحيل
يعفرون وجوها طالما سمت
باكين حتى أديم الأرض مبلول
حفوا بكعبة مولا هم فكعبهم
عال بها لهم طوف وتقبيل
وبالصفا وقتهم صاف بسعيهم
وفي منى لمناهم كان تنويل
تعرفوا عرفات واقفين بها
لهم إلى الله تكبير وتهليل
لما قضينا من الغراء منسكنا
ثرنا وكل بنار الشوق مشمول
شدنا على الشد قميات التي سكنت
أبدانهم وأفناهم تنقيل

إلى الرسول تزجى كل تعلمة
أجل من نجوة تجزي المراسيل
من أنزلت فيه آيات مطهرة
وأورثت فيه تورته¹ وإنجيل
وعطرت من شذاه كل ناحية
كأنما المسك في الأرجاء محلول
سر من العالم العلوي ضمنه
جسم من الجوهر الأرضي محمول
نور تمثل في أبصارنا بشرا
على الملائك من سمياه تمثيل
لقد تسامى وجبريل مصاميه
إلى مقام راخى² فيه جبريل
أوحى إليه الذي أوحاه من كتب
فالقلب واع بسر الله مشغول

¹ جعلها د. طويل: ((توراة))؛ من أجل الوزن والمعنى.
² جعلها د. طويل: ((رَخِي))؛ من أجل الوزن والمعنى. والرَخِي: هو الواسع.

يتلو كتابا من الرحمن جاء به
مطهرا ظاهر منه وتأويل
جار على منهج الأعراب أعجزهم
باق مع الدهر لا يأتيه تبديل
بلاغة عندها كعّ البليغ فلم
ينطق وفي هديه صاحت أضاليل
ومنها:

وطولبوا أن يجيبوا حين رابهم
بسورة مثله فاستعجز القيل
لأنوا بذوبان خَطِيٍّ¹ وبتزُّ ظبا
يوم الوغا واعتراهم منه تنكيل
فمونف في جبال الوهد منحدر
وموثق في حبال الغد مكبول
مازال بالعضب هتاكاً سوابغهم
حتى انثنى العصب منهم وهو مفلول

¹ أي رمح من مرفأ بالبحرين يسمى الخط.

وقد تحطم في نحر العدا قصد
أصم الوشج¹ وخانتها العواميل
من لا يعدّله القرآن كان له
من الصفاذ وبيض البتر تعديل
وكم له معجزاً غير القرآن أتى²
فيه من الحق منقول ومعقول
فلرسول انشقاق البدر نشهده
كما لموسى انفلاق البحر منقول
ونبع ماء فرات من أنامله
كالعين ثرت فجا الهتان ماء³ النيل
رووا الخميس وهم زهاء سبع مي³
مع الركاب فمشروب ومحمول
ومي³ عين بكف جاء يحملها
قتادة وله شكوى وتعويل

¹ جعلها د. طويل: ((صمّ الوشج))؛ من أجل الوزن والمعنى. لأن

الوشج: هو الشجر الذي تصنع منه الرماح.

² هذا الصدر مختل الوزن.

³ حذف د. طويل الهمزة؛ فأضحت: ((ما))؛ من أجل الوزن

فكانت¹ أحسن عينيه ولا عجب
مست أناميل فيها اليمن مجعول
والجذع حنّ إليه حين فارقه
حنين ولهي لها للروم مذكول
وأشيع الكثر من قل الطعام ولم
يكن ليعوزه بالكثير تقليل
وفي جراب لي² هن عجائب كم
يمتار منه فمبذول ومأكول
وفي ارتواء لي ذر³ بزمزم ما
يكفي تبدين منه وهو مهزول
والعنكبوت بباب الغار قد نسجت
حتى كأن رداءً منه مسدول
وفرخت في حماه الورق ساجعة
تبكي وما دمعا في الخد مطول

¹ جعلها د. طويل: ((فكانت))؛ من أجل الوزن

² جعلها د. طويل: ((ولا))؛ من أجل الوزن

³ جعلها د. طويل: ((إلى نرء))؛ من أجل الوزن والمعنى.

هذا وكم معجزات للرسول أتت
لها من الله أمداد وتأصيل
غدت من الكثر أعداد النجوم فما
يحصي لها عدداً كتب ولا قيل
قد انقضت معجزات الرسل منذ قضاوا
نحباً وأعجم منها ذلك الجيل
ومعجزات رسول الله باقية
محفوظة مالها في الدهر تحويل
تكفل الله هذا الذكر يحفظه
وهل يضيع الذي بالله مكفول
هذي المفاخر لا يحظى الملوك بها
الملك¹ منقطع والوحي موصول²
ومن مطولاته في غرض يظهر منها³:
هو العلم لا كالعلم شيء تراوده
لقد فاز باغيه وأنجح قاصده

¹ جعلها د. طويل: ((الملك))؛ من أجل الوزن

² لم ترد هذه القصيدة في الزيتونة.

³ البحر الطويل.

وما فضل الإنسان إلا بعلمه
وما امتاز إلا ثاقب الذهن واقده
وقد قصرت أعمارنا وعلومنا
يطول علينا حصرها ونكابده
وفي كلها خير ولكن أصلها
هو النحو فاحذر من جهول يعانده
به يعرف القرآن والسنة التي
هما أصل دين الله ذو أنت عابده¹
وناهيك من علم علي مشيد
مبانيه أعزز بالذي هو شايد
لقد حاز في الدنيا فخاراً وسودداً
أبو الأسود الديلي² فللجر سانه
هو استنبط العلم الذي جل قدره
وطار به للعرب ذكر نعاوده

¹ في الزيتونة: ((أصل ذا الدين الذي أنت عابده)).
² المقصود هنا هو أبو الأسود الدولي (ظالم بن عمرو بن سفيان الديلي)؛ ولد سنة 16 قبل الهجرة؛ وتوفي سنة 69هـ بوباء الطاعون. وهو واضع علم النحو؛ كما أنه أول من شكل القرآن الكريم.

وساد عطانجله ابن هرمرز¹
ويحيى ونصر ثم ميمون ماهده
وعنيسة قد كان أبرع صحبه
فقد قلدت جيد المعالي قلائده
ومازال هذا العلم تتميه سادة
جهابذة تبلى به وتعاضده
إلى أن أتى الدهر العقيم بواحد
من الأزد تتميه إليه فرايده
إمام الورى ذاك الخليل بن أحمد
أقر له بالسبق في العلم حاسده
وبالبصرة الغرا² قد لاح فجره
فنارت أدانيه وضاءت أباعده
يا ذكي³ الورى ذهنأ وأصدق لهجة
إذا ظن أمراً قلت ما هو شاهده

¹ كتبت هذا الشطر في الزيتونة هكذا: ((وتبادر غيظا نجله وابن حيدر)).

² أضاف د. طويل الهمزة؛ فغدت: ((الغراء))؛ من أجل الوزن.

³ حذف د. طويل ياء النداء؛ فأضحت: ((ذكي الورى))؛ من أجل الوزن.

وما أن يروى بل جميع علومه¹
بداية² أعيت كل حبرٍ تجالده
هو الواضع الثاني الذي فاق أولاً
ولا ثالث في الناس تصمى قواصده
فقد كان ربانيَّ أهل زمانه
صُومٌ قُومٌ³ راعع الليل ساجده
يقيم منه دهره⁴ في مثوبة
وثوقاً بأن الله حقاً مواعده
فعام إلى حج و عام لغزوة
فيعرفه البيت العتيق ووافده
ولم يثنه يوماً عن العلم والتقى
كواعب حسن تثني ونواهده
وأكثر سكناه بقفر بحيث لا
تتاغيه إلا عفره وأوابده

¹ كتب هذا الشطر في الزيتونة هكذا: ((أصل ذا الدين الذي أنت عبده)).
² جعلها د. طويل: ((بدانه))؛ من أجل الوزن والمعنى.
³ جعلها د. طويل: ((صُومٌ قُومٌ))؛ من أجل الوزن.
⁴ في الزيتونة: ((الدهر)).

وما قوته إلا شعير يسيغه
بماء قراح ليس تغشى موارد
عزوباً عن الدنيا وعن زهراتها
وشوقاً إلى المولى وما هو واعد
ولما رأى من سيبويه نجابة
وأيقن أن الحين أدناه بأعد
تخيرته إذ كان وارث علمه
ولا طفه حتى كأن هو والده
وعلمه شيئاً فشيئاً علومه
إلى أن بدت سيماه واشتد ساعده
فإذ ذاك وافاه من الله وعده
وراح وحيد العصر إذ جاء واحده
أتى سيبويه ناشراً لعلومه
فلولاه أضحى للنحو عطلاً¹ شواهد
وأبدي كتاباً كان فخراً وجوده
لقحطان إذ كعب بن عمرو محاتده

¹ جعلها د. طویل: ((النحو عطلاً))؛ من أجل الوزن.

وجمع فيه ما تفرق في الورى
فطارفه يعزى إليه وتالده
بعمرو بن عثمان بن قنبر الرضا
أطاعت عواصيه وتابت شوارده
عليك قرآن النحو نحو ابن قنبر¹
فآياته مشهودة وشواهده
كتاب [أبي بشر]² فلا تك قارياً
سواه فكل ذاهب الحسن فاقد
هم خلع بالعمل مدت فعندما
تتاءت غدت تزهى وليست تشاهده
ولا تعد عما حازه إنه³ الفرا
وفي جوفه كل الذي أنت صائده⁴

¹ هذا الصدر مختل الوزن.

² ما بين حاصرتين كنية لسيبويه؛ إذ هو أبو بشر عمرو بن عثمان ابن قنبر البصري؛ ولد سنة 140هـ/760م وتوفي سنة 180هـ/796م. هو إمام العربية وشيخ النحو؛ له كتاب في النحو يتصدر الكتب كلها في هذا الباب؛ وعنوانه: ((الكتاب)).

³ في الزيتونة: ((فهو)).

⁴ إشارة هنا إلى المثل الذي سبق شرحه؛ وهو: ((كل الصيد في جوف الفرا)).

إذا كنت يوماً محكماً في كتابه
فإنك فينا نابه القدر ماجده
ولست تبالي إن فككت رموزه
أعضك دهر أم عرتك ثرائده
هو العضب إن تلق الهياج شهرته
وإن لا تصب حرباً فإنك غامده
تلقاه كل بالقبول وبالرضى
فذوا الفهم من تبدو إليه مقاصده
ولم يعترض فيه سوى ابن طراوة
وكان طرياً لم تقادم معاهده
وجسَّره طعن الميرد¹ قبله
وإن الثمالي² بارد الذهن خامده
هما ما صاراً مدى³ الدهر ضحكة
يزيف ما قالاً وتبدو مفاصده

¹ هكذا رسمت في نسخة عنا؛ بينما رسمها د. طویل: ((المبرد)).

² في الزيتونة: ((النخالي)).

³ في الزيتونة: ((أمد)).

تكون صحيح العقل حتى إذا ترى
تباري أبا بشر، إذا أنت فاسده
يقول امرؤ قد خامر الكبر رأسه
وقد ظن أن النحو سهل مقاصده
ولم يشتغل إلا بنزر مسائل
من الفقه وفي¹ أوراقه هو راصده
وقد نال بين الناس جاهاً ورتبه
وأهالك عن نيل المعالي ولا بد
وما ذاق للأداب طعماً ولم يبيت
يعنى بمنظوم ونثر يجاوده
فينكح أبكار المعاني ويبتغي
لها الكفو من لفظ بها هو عاقده
رأى² سيبويه فيه بعض نكادة
وعجمة لفظ لا تحل معاقده

¹ حذف د. طويل واو العطف قبل ((في)). من أجل الوزن.
² في الإسكوريال: ((أرى)) وفي الزيتونة: ((روى)).

فقلت أتيت¹ ما أنت أهل لفهمه
وما أنت إلا غائض الفكر راكده
لعمرك ما ذو لحية وتسمت
وإطراق رأس والجهات تساعد²
فيمشي على الأرض الهوينا كأنما
إلى الملا الأعلى تناهت مراصده
وإيهامك الجهال أنك عالم
وأنك فرد في الوجود وزاهده
بأجلب للنحو الذي أنت هاجر
من الدرس بالليل الذي أنت هاجده
أصاح تجنب من غوي مخذل
وخذ في طريق النحو أنك راشده
لك الخير فادأب ساهراً في علومه
[فلم تُشيم³ إلا ساهر الطرف ساهده

¹ جعلها د. طويل: (((فقلت: أما أتى))).

² في الإسكوريال: ((تصاعده)).

³ في الزيتونة: ((فلا تسافر)).

ولا تـرج في الدنيا ثواباً فإنما
لدى الله حقاً أنت لأشك واجده
ذو النحو في الدنيا قليل حظوظهم
وذو الجهل فيها وافر الحظ زائده
لهم أسوة فيها على لغد¹ مضى
ولم يلق في الدنيا صديقاً يساعده
مضى بعده عنها الخليل فلم ينل
كفافاً ولم يعدم حسوداً يناكده
ولاقى أبا بشر² سفيها
غداة تمالت في ضلال³ يمادده
أتى نحو هارون⁴ يناظر شيخه
فنفحة⁵ حتى تبدت مناكده

¹ جعلها د. طويل: (((لاغد))).

² أضاف د. طويل كلمة: ((خليل)) بعد ((بشر))؛ دون أن يعين مصدره.

³ في الإسكوريال: ((بغادده)) وصوبت من الزيتونة.

⁴ هو هارون بن موسى؛ كان في البداية يهودياً من البصرة اعتنق الإسلام واشتغل بالأدب، واشتهر بضبط النحو والبراعة فيه.

⁵ جعلها د. طويل: (((فنفته))).

فأطرق شيئاً ثم أبدى دوابه
بحق ولا كن أنكر الحق جاحده¹
وكاد علي عمراً إذا صار حاكماً
وقد ما علي كان عمرو يكايده
سقاه بكأس لم يفق من خمارها
وأورده الأمر الذي هو وارده
ولابن زياد شركة في مراده
ولابن رُشيد بشرك للقلب² رايده
هما جرعا إلى علي وقنبر
أفويق³ سم لم تتجد أساوده
أبكي على عمرو ولا عمر مثله
إذا مشكل أعياء وأعوز ناقد
قضى نحبه شرخ الشبيبة لم يرع
بشيب ولم تعلق بذا م معاقده

¹ في الإسكوريال: ((جاهدة)) وصوبت من الزيتونة.

² جعلها د. طويل: (((شرك القلب))).

³ في الزيتونة: ((أباريق)).

لقد كان للناس اعتناء بعلمه
بشرقٍ و غربٍ تستتار فوائده
والآن فلا شخص على الأرض قارئ
كتاب أبي بشرٍ ولا هو رائده
سوى معشر بالغرب فيهم تلفت
إليه وشوق ليس يخبو مواقده
وما زال منا أهل أندلس له
جهاذ تبدي فضله وتتاجده
وإني في مصر على ضعف نصري
لناصره ما دمت حياً وعاضده
أثار أثير الغرب للنحو كامناً
وعالجه حتى تبدت قواعده
وأحيا أبو حيان ميت علومه
فأصبح علم النحو ينفق كاسده
إذا مغربي حط بالثغر رحله
تيقن أن النحو أخفاه لاحده

منينا بقوم صدروا في مجالس
لإقراء علم ضل عنهم مرأشده
لقد أآر التصدير عن مستحقه
وقدم غمر خامد الذهن جامده
وسوف يلاقي من سعى في جلوسهم
عقبى¹ ما أكنت عقائده
علا عقله فيهم هواه فما درى
بأن هوى الإنسان للنار قائده
أقمنا بمصر عشرين² حجة
يشاهدنا ذو أمرهم ونشاهده
فلما نلل منهم مدى الدهر طائلا
ولما نجد فيهم صديقاً نوادده
لنا سلوة³ فيمن سردنا حديثهم
وقد يتسلى بالذي قال سارده

¹ تصرف د. طويل؛ فأضاف كلمة: ((جزاء))؛ قبل ((عقبى))؛
² في الإسكوريال ((نحو))؛ وصوبت من الزيتونة. وكان المفروض بعنان
أن يعتمد على ما ورد في الإسكوريال؛ لأنه أسلم. إذ جاء الشطر فيه هكذا:
((أقمنا بمصر نحو عشرين حجة))
³ في الزيتونة: ((أسوة)).

أخي إن تصل يوماً وبلغت سالماً
لغرناطة فأنفذ لما أنا عاهده
وقبل ثرى أرض بها حل ملكنا
وسلطاننا الشهم الجميل عوايده
مبيد العدا قتلاً وقد عمّر¹ شرهم
ومحي النداء فضلاً وقد رم هامده
أفاض على الإسلام جوداً ونجدةً
فعرز مواليه وذل معانده
وعم بها إخواننا بتحية
وخص بها الأستاذ لاعاش كائده
جزى الله عنا شيخنا وإماننا
وأستاذنا² الحبر الذي عم فايده³
لقد أطلعت جيان أوحد عصره
فللغرب فخر أعجز الشرق خالده

¹ جعلها د. طویل: ((عم)).

² المقصود هو أبو جعفر أحمد بن الزبير الثقفي. تم الحديث عنه.

³ يشير الشاعر هنا إلى أستاذه أيام الدراسة في غرناطة؛ أبي جعفر بن الزبير المتوفى سنة 708هـ، وأصله من مدينة جيان.

مؤرخة نحوية وإمامة
محدثه جلت وصحت مسانده
جاه عظيم من ثقيف وإنما
به استوثقت منه العرى ومساعده
وما أنس لا أنسى سهادي بيابه
بسبق وغيري نائم الليل راقده
فيجلو بنور العلم ظلمة جهانا
ويفتح علماً مغلقاتٍ رصايد
وإني وإن شطت بنا غربة النوى
لشاكر له في كل وقت وحامده
بغرناطة روجي وفي مصر جثتي
تري هل يثني الفرد من هو فارده
أبا جعفر خذها قوافي من فتى
تتبه على غر القوافي قصائده
يسير بلا إذن إلى الأذن حسنهما
فيرتاح سماع لها ومناشده

غريبة شكل كم حوت من غرائب
مجيدة أصل أنتجتها أماجده
فلولاك يا مولاي ما فاه مقولي
بمصر ولا حبرت ما أنا قاصده
لهذبتي حتى أحوك¹ موقاً
من النظم لا يبلى مدى الدهر أبده
وأذكيت فكري بعد ما كان خامداً
وقيد شعري بعد ما ند شارده
جعلت ختاماً فيه ذكرك إنه
هو المسك بل أعلى وإن عز ناشده
ومما دَوَّن² المطولات قوله رحمه الله³:
تَقَرَّدْتُ لَمَّا أَنْ جُمِعْتُ بِذَاتِ⁴
وَأَسَكَنْتُ لَمَّا أَنْ بَدَتْ حَرَكَاتِ⁵

¹ في الزيتونة : ((أجود)).

² أضاف د. طويل كلمة: ((من)) بعد ((دَوَّن))؛ فأضحت: ((دَوَّن من المطولات)).

³ البحر الطويل.

⁴ في الكتيبة الكامنة: ((بذاتي)).

⁵ نفسه: ((حركاتي)).

فلم أر في الأكوام غيراً¹ لأنني
أزحت عن الأغيار روح حيات²
وقدستها عن رتبة لو تعينت
لها دائماً دامت لها حسرات³
فها أنا قد أصعدتها عن حضيضها
إلى رتبة تقضي لها بثبات
تشاهد معنى روضة أذهب العنا
وأيقظني للحق بعد سنات⁴
أقامت زماناً في حجاب فعندما
تزحزح عنها رامت الخلوات
لنقضي بها ما فات من طيب أنسنا
بها وننال الجمع بعد شتات

¹ في الكتبية: ((غيري)).
² نفسه: ((حياتي)).
³ نفسه: ((حسراتي)).
⁴ نفسه: ((سناتي)).

ومن النسيب قوله¹:

كتم اللسان ومدمعي قد باحا
وثوى الأسي عندي وأسى² راحا
إني أحب³ طي ما نشر الهوى
نشرأ وما زال الهوى إفصاحا⁴
ومهجتي من لا أصرح باسمه
ومن الإشارة ما يكون صراحا
ريم أروم حنوه وجنوحه
ويروم عني جفوة وجماحا
أبدى لنا من شعره وجبينه
ضدين ذا ليلاً وذاك صباحا⁵
عجباله يأسو الجسوم بطبه
ولكم بأرواح أثار جراحاً

¹ البحر الكامل.

² في الكتيبة: ((وأنسي))؛ وهو أسلم.

³ نفسه: ((إني لصب)).

⁴ نفسه: ((فضاحا)).

⁵ جاء هذا الشطر في الكتيبة الكامنة هكذا: ((خدين ذا ليلاً وذا إصباحا)).

وكلمة ((ضدين)) أوفق.

فباقطه¹ بُرءُ الأُخَيْذِ ولحظه
أخذ البريِّ فما يطيق براحاً
ناديته² في ليلة لا ثالث
إلا أخوه البدر عارفٌ لاحاً³
يا حسنها من ليلة لو أنها
دامت ومدت لتوصال⁴ جناحاً
وقال⁵:

نورٌ بخدِّك أم توقُّدُ نارٍ
وضنِّي بجفِّك أم فتور عِقارٍ⁶
وشذاً بريقك أم تأرج مسكة
وسنِّي بثغرك أم شعاع درارٍ⁷

¹ في الكتيبة: ((فبلفظه)).

² نفسه: ((ناديته)).

³ نفسه: ((غار فلاحا)).

⁴ نفسه: ((وللوصال)).

⁵ البحر الكامل.

⁶ نفسه: ((أم كؤوس عقار)).

⁷ جعلها د. طويل: ((دراري))؛ أي الكواكب العظام المجهولة الاسم.

جمعت معاني الحسن¹ فيك فقد غدت²
قيد القلوب وفتنة الأبصارِ
مُتَّصَاوِنٌ خَفِرٌ³ إذا ناطقته
أَغْضَى حَيًّا⁴ في سكون وقارِ
في وجهه زهرات لفظ⁵ تُجْتَلَى
من نرجس مع وردة وبهارِ
خاف اقتطاف الورد من جنباتها⁶
فأدار من أسر⁷ سياج عذارِ
وتسللت نمل العذار بخده
لِيَرِدْنَ شَهْدَةَ ريقه المعطارِ
وبخده وَرَدَّ حمتها⁸ وردها
فوقفن بين الوردِ والإصدارِ

¹ في الإسكوريال: ((المسك)).
² ورد هذا الشطر في الكتيبة الكامنة هكذا:
((جمعت معاني الحسن فيك فأصبحت)).
³ في النفع: ((خفراً)).
⁴ في الكتيبة، والنفع: ((حياة)).
⁵ نفسيهما: ((روض)).
⁶ نفسيهما: ((وجناته)).
⁷ نفسيهما: ((أس)).
⁸ في النفع: ((وبخذه نار حتمته...)).

كم ذا أوارى¹ في هواه محبتى
ولقد وشى بي فيه فرط أوار²
ومن نظمه من المقطوعات في شتى الأغراض قوله رحمه
الله³:

أزحت نفسي من الإيناس بالناس
لما غنيت عن الأكياس بالياس⁴
وصرت في البيت وحدي لا أرى أحداً
بنات فكري وكتبي هن جلاسي
وقال⁵:

وزهدني في جمعي المال أنه
إذا ما انتهى عند الفتى فارق العمرا
فلا روحه يوماً أراح من العنا
ولم يكتسب حمداً ولم يدخر أجراً

¹ في النفع: ((أداري)).
² في الكتيبة، والنفع: ((أوارى)).
³ البحر البسيط.
⁴ ورد هذا البيت في الكتيبة الكامنة هكذا:
((أرحت نفسي من الإيناس بالناس * كما غنيت عن الأكياس بالياس)).
⁵ البحر الطويل.

وقال¹:

سَعَتْ حَيَّةٌ مِنْ شَعْرِهِ نَحْوَ صَدْغِهِ
وَمَا انفصلتُ مِنْ خَدِّهِ إِنَّ ذَا عَجَبُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنْ سَلْسَالَ رِيقِهِ
بِرُودٍ وَلَكِنْ شَبَّ فِي قَلْبِي اللَّهَبُ

وقال²:

راض حبيبي³ عارضٌ قد بدا
يا حسنه من عارض رابض⁴
وظن⁵ قوم أن قلبي سلا
والأصل لا يعتد بالعارض

وقال⁶:

سال في الخد للحبيب عذار
وهو لا شك سائل مرحوم

¹ البحر الطويل.

² البحر السريع.

³ في بغية الوعاة: ((رائض حبي)).

⁴ جعلها د. طويل: ((رائض))؛ دون استناد إلى أي مصدر.

⁵ في بغية الوعاة: ((فظن)).

⁶ البحر الخفيف.

وسألت التثامه فتجنني
فأنا اليوم سائل محروم
وقال¹:

جننت بها سوداء لون وناظر
ويا طالما كان الجنون بسوداء
وجدت بها برد النعيم وإن
فؤادي منها في جحيم ولأواء
وقال في فتى يسمى مظلوم²:

وما كنت أدري أن مالك مهجتي
يتسمى³ بمظلوم وظلم جفاؤه
إلى أن دعاني للصبأ⁴ فأجبتنه
ومن يك مظلوماً أجيب دعاؤه

¹ البحر الطويل.

² البحر الطويل.

³ في الكتيبة الكامنة: ((يسمى))؛ وهذا أسلم.

⁴ في الزيتونة: ((الصلا)). وفي الكتيبة: ((لهوى)).

وقال¹:

جُنَّ غَيْرِي بَعَارِضَ فَتَرْجِي
أَهْلَهُ أَنْ يَفِيقَ عَمَّا قَرِيبُ
وَفَوَّادِي بَعَارِضِينَ مَصَابِ
فَهُوَ دَاءٌ أَعْيَا دَوَاءُ² الطَّيِّبِ

وقال³:

شَكَا الْخَصْرَ مِنْهُ مَا يَلَاقِي بَرْدْفَه
وَأَضْعَفُ⁴ غَصْنَ الْبَانِ جَرُّ كَثِيبِ
إِذَا كَانَ مِنْهُ الْبَعْضُ يَظْلَمُ بَعْضَهُ
فَمَا حَالُ [شَطِّ الْمَزَارِ]⁵ غَرِيبِ

¹ البحر الخفيف

² في الكتيبة: ((فواد)).

³ البحر الطويل.

⁴ في الكتيبة: ((ويضعف)).

⁵ في الكتيبة: ((مُشَنَّنُ الْمَزَارِ))؛ وهذا أسلم.

وقال¹:

وذو شفةٍ لميا زينت بشامة²
من المسك في رشافها³ يذهب النسكُ
ظميت إليها ريقةً كوثرية
بمثل لقايب⁴ ثغرها ينظم السلكُ
تعل بمعسول كأن رضابه
مدام من [الفرد وسر]⁵ خاتمه مسك

وقال⁶:

أجل شفيحٍ ليس يمكن رده
دراهم بيضٌ للجروح مراهمُ
تُصيرُ صعب الأمر⁷ أسهل ما ترى
ويقضي [لباناتٍ للفتى]⁸ وهو نائمُ

¹ البحر الطويل.

² ورد هذا الشطر في الكتيبة هكذا: ((وذى شفة لمياء زينت بشامة)).

³ في الكتيبة: ((ترشافها)).

⁴ نفسه: ((لآي))؛ وهو أصوب.

⁵ نفسه: ((الفردوس))؛ وهو أسلم وأصوب.

⁶ البحر الطويل.

⁷ في الزيتونة: ((الشيء)).

⁸ جعلها د. طويل: ((لبانات الفتى)).

وقال¹:

نعيذُ وُدَّ قَريبِ ضَلِّ
كَبيرَ عَتَبِ قَليلِ عَتَباً²
كالشمسِ ظرفاً كالمسكِ عرفاً
كالخشبِ طرفاً كالصخرِ قابلاً

وقال³:

عُداتي⁴ لهم فضل عليّ ومنّةٌ
فلا أذهب الرحمن عني الأعدايا
هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها⁵
وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

¹ مخرج البسيط.

² ورد هذا البيت في الكتيبة الكامنة هكذا:
(بعيد وُدَّ قَريبِ صَدِّ * كَثيرِ عَتَبِ قَليلِ عَتَبِي))

³ البحر الطويل.

⁴ في بغية الوعاة: ((عذاي)).

⁵ في الكتيبة الكامنة: ((فسترتها)).

مولده

ولد بغرناطة عام اثنين وخمسين وستماية¹.

وفاته

أخبرني الحاج الخطيب الفاضل أبو جعفر الشَّقُوري
رحمه الله. قال: توفي عام خمسة وأربعين وسبعماية²
بمصر ودفن بالقرافة. وكانت جنازته حافلة.

* * *

¹ الموافق لـ 1254م، وكتب في بغية الوعاة: ((ولد بمطخشارش مدينة من
حضرة غرناطة في آخر شوال سنة أربع وخمسين وستماية)). وفي فوات
الوفيات: ((موله بغرناطة في شهور سنة أربع وخمسين وستماية)).
² الموافق لـ 1344م.

ومن الطاريين عليها في هذا الحرف

محمد بن أحمد

ابن واو بن موسى بن مالك التلمسي (اليثي)؛¹ من أهل بلش²؛
يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بابن الكماو

حاله

من "عايد الصلة": كان من جلة صدور [الفقهاء]³
الفضلاء زهداً وقناعة وانقباضاً، إلى دماثة الخلق ولين
الجانب [وحسن اللقاء]⁴ والسذاجة الموهبة بالغفلة،
والعمل على التقشف والعزلة، قديم السماع والرحلة،
إماماً مشهوراً في القراءات، يرحل إليه، ويعول عليه،
إتقاناً ومعرفة منها بالأصول، كثير المحافظة والضبط، محدثاً
ثبتاً، بليغ التحرز، شديد الثقة، فقيهاً متصرفاً في

¹ في الزيتونة: ((البكي)).

² بلش أو بلش مالقة؛ وبالإسبانية Velez Malaga؛ هي بلدة تقع على بعد

30 كلم شرقي مالقة؛ وعلى بعد 5 كلم من شاطئ البحر الأبيض المتوسط.

³ سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.

⁴ سقطت هذه العبارة في الزيتونة.

المسائل، أعرف الناس بعقد الشروط، ذا حظ من العربية واللغة والأدب. رحل إلى العدو، وتجول في بلاد الأندلس، فأخذ عن كثير من الأعلام، وروى وقيد وصنف وأفاد، وتصدر للإقراء بغرناطة وبلش وغيرهما، وتخرج بين يديه جملة وافرة من العلماء والطلبة، وانتفعوا به.

مشيخته¹

قرأ ببلده مرسية على الأستاذ أبي الحسن علي بن محمد بن لب بن أحمد بن أبي بكر الرقوتي، والمقري أبي الحسن بن خلف الرشاطي، والمحدث الجليل أبي عمرو محمد بن علي بن عيشون اللخمي، وعلى الشيخ الفقيه الكاتب أبي محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي المرسى. وممن أجازاه الفقيه أبو عثمان سعيد بن عمرو

¹ وردت في مخطوط الزيتونة - لصاحب هذه الترجمة - مشيخة احتلت مساحة كبيرة؛ بحيث تراوح امتدادها إلى لوحتين تقريباً؛ وعلى هذا فقد رأى ناسخ مخطوط الإسكوريال إغفالها وإسقاطها؛ ثم قال: ((قلت له مشيخة في الأصل طويلة اختصرتها لطولها)). وقد سار على نهجه عنان؛ حيث قام بالدور نفسه؛ حين قال: ((وقد رأينا نحن أن نورد مشيخته مختصرة من الزيتونة؛ وأن نقتصر فيها على عدد من جلة الأساتذة الذين أخذ عنهم المترجم له)).

البَطْرَنِي، والقاضي أبو علي بن أبي الأحوص، لقيه ببلش مالقة وبسطة، فروى عنه الكثير، والأستاذ أبو القاسم بن الأصهر الحارثي لقيه بالمرية. ولقي بغرناطة الأستاذ أبا جعفر الطَّبَّاع، والوزير الراوية أبا القاسم محمد بن يحيى ابن عبد الرحمن بن جزيّ الكلبي، روى عنه وأجازه. وكتب له بالإجازة جماعة كبيرة من أهل المشرق والمغرب، حسبما تضمنه برنامجه.

توآلفه

اختصر كتاب " المقتع " في القراءات اختصاراً بديعاً وسماه كتاب " الممتع في تهذيب المقتع " وغير ذلك.

شعره

من ذلك وقد وقف على أبيات أبي القاسم بن الصَّقْر في فضل الحديث¹:

¹ البحر الطويل.

لقد حاز أصحاب الحديث وأهله
شأواً وتوتيراً¹ ومجداً مخلداً
وصحت لهم بين الأنام مزيةً
أبانت لهم عزاً ومجداً وسؤدداً
بدعوة خير الخلق أفضل مرسل
محمد المبعوث بالنور والهدى
فهم دَوَّنُوا علم الحديث وأتقنوا
ونصوا بتبيين صحيحاً ومسنداً
وجاءوا بأخبار الرسول وصحبه
على وجهها لفظاً ورسماً مقيداً
وهم نقلوا الآثار والسنن التي
من أصبح ذا أخذ بها فقد اهتدى
وما قصرُوا فيها بفقهِ ولا ونُوا
بل التزموا حداً وحزماً مؤكداً
وهم أوضحوا من بعدهم باجتهادهم
وتبَيَّنهم سُبُلَ الهدى لمن اقتدى

¹ جعلها د. طویل: ((وثيراً)).

جزاهم إله العرش عنا بنصحهم
بأحسن ما جازى نصيحاً ومرشداً
ونسله¹ سبحانه نهج هديهم
وسعياً إلى التقوى سبيلاً ومقصداً²

ومن شعره رحمه الله قوله³:

عليك بالصبر وكن راضياً
بما قضاه الله تلقى النجاح
واسلك طريق المجد والهَجْ به
فهو الذي يرضاه أهل الصلاح

وقد ألف شيخنا أبو البركات بن الحاج، جزءاً سماه
"شعر من لا شعر له"؛ فيه من شعر هذا الرجل الفاضل،
ومثله كثير.

¹ جعلها د. طویل: ((ونسأله)).

² سقطت هذه القصيدة في الزيتون.

³ البحر السريع.

مولده

قبل الأربعين وستماية¹.

وفاته

وتوفي ثاني شهر الله المحرم عام اثني عشر
وسبعماية².

* * *

((انتهى ما اختصر من السفر السابع من كتاب الإحاطة في
تاريخ غرناطة³؛ يتلوه السفر الثامن بعره إن شاء الله))

* * *

[يليه]

ومن السفر الثامن

¹ أي قبل 1242م.

² الموافق لـ 1313م.

³ وهذا هو أحد الأسماء المتعددة لكتاب الإحاطة.

من ترجمة المقرئين والعلماء

محمربن أحمرب

ابن محمربن علي (الغساني؛ من أهل مالقة؛ يكنى أبا القاسم؛
ويعرف بابن حفير الأمين).

حاله

كان من أهل العلم والفضل والدين المتين،
والدُّؤوب على تدريس كتب الفقه. استظهر كتاب
"الجواهر" لابن شاس، واضطلع بها، فكان مجلسه من
مجالس الحفاظ، حفاظ المذهب، وانتفع به الناس، وكان
معظماً فيهم، متبركاً به، على سنن الصالحين، من
الزهد، والانقباض، وعدم المبالاة بالملبس والمطعم. وقال
صاحبنا الفقيه أبو الحسن النباهي في تذييله لتاريخ مالقة:
كان رجلاً ساذجاً، مخشوشناً، سني المنازع، شديد الإنكار
على أهل البدع. جلس للتحليق العام بالمسجد الجامع،
وأقرأ به الفقه والعربية والفرائض.

مشيخته

قال: منهم أبو علي بن أبي الأحوص، وأبو جعفر
ابن الزيز، وأبو محمد بن أبي السداد، والقاضي أبو
القاسم بن السكوت. قال: وأنشد للزاهد أبي اسحاق بن
قشوم، قوله¹:

يروقك يوم العيد حسن ملابس
ونعمة أجسام ولين قدود
أجل لحظات الفكر منك فلا ترى
سوى خرق تبتلى وطعمة دود
وأنشد لأبي عمرو الزاهد²:

تختبر الدنير في ميذق
والدرهم الزائف إذ يبههم
والمرء إن رمت اختباراً له
ميذقه الدنير والدرهم

¹ البحر الطويل.

² البحر السريع.

من عفاً عن هذا وهذا معاً
فهو التقي الورع المسلم

توابعه

له تقييد حسن في الفرائض، وجزء في تفضيل التين على
التمر، وكلام على نوازل الفقه.

وفاته

وتوفي في الكائنة العظمى بطريف¹.

¹ سبق التعريف بهذه الموقعة؛ التي حدثت بين النصاري من جهة وبني
مريين ومسلمي الأندلس من جهة أخرى؛ وذلك سنة 741هـ/1340م.
وكان النصر فيها حليف النصاري.

محمد بن أحمد

ابن علي بن قاسم (الزحجي من أهل ملتماس)¹ يكنى أبا عبد الله

حاله

من العايد: كان رحمه الله من سراة بلده وأعيانهم، أستاذاً متفنناً مقرئاً لكتاب الله، كاتباً بليغاً، شديد العناية بالكتب، كثير المغالاة في قيمها وأثمانها، حتى صار له من أعلامها وذخائرها، ما عجز عن تحصيله كثير من أهل بلده. كتب بخطه، وقيد كثيراً من كتب العلم. وكان مقرئاً مجوداً، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالعربية، ثقة ضابطاً، مبرزاً في العدالة، حريصاً على العلم استفادة ثم إفادة، لا يأنف من حمله عن أقرانه، وانتفع به أهل بلده، والغرباء أكثر.

مشيخته

أخذ عن طائفة من أهل العلم. منهم الشيخان الرحلتان، أبو عبد الله بن الكماد، وأبو جعفر بن

¹ ذكر عنان بأنها وردت هكذا في الإسكوريال؛ ثم رجح أن تكون: ((منتاس)) Montemas الواقعة في نطاق قرى بلش. وهي تتناغم مع غيرها من قرى تلك المنطقة؛ ك: مونتييور، ومونتيي فريو، وهكذا.

الزيات عزيما بلده، والخطيب ولي الله أبو عبد الله
الطنجالي، والقاضي أبو عبد الله بن بكر. وروى عن
الشيخ الوزير أبي عبد الله بن ربيع، وابنه الراوية أبي
عامر، والخطيب الصالح أبي إسحاق بن أبي العاصي.
وروى عن الشيخ الراوية الرحال أبي عبد الله بن عامر
الوادي أشى وغيرهم. ودخل غرناطة.

مولده

ولد ببلش عام ثمانية وثمانين وستماية¹.

وفاته

توفي ببلش عاشر شهر شعبان من عام أربعة وثلاثين
وسبعماية².

¹ الموافق لـ 1289م.
² الموافق لـ 1333م

محمد بن أحمد

(ابن محمد بن علي (النسائي من أهل مالقة؛ يُكنى أبا الحليم؛
ويعرف بابن حفير الأمين).

حاله

من العايد¹: كان هذا الشيخ من أهل العلم والدين
المتين، والجري على سنن الفقهاء والمتقدمين، عقد
الشروط بمالقة مدة طويلة، في العدول المبرزين، وجلس
للتحليق في المسجد الأعظم من مالقة، بعد فقد أخيه أبي
القاسم، وخطب بمسجد مالقة الأعظم ثم أُخِرَّ عن الخطبة
لمشاحنة وقعت بينه وبين بعض الولاة، أثمرت في إحنته.
ولم يزل على ما كان عليه من الاجتهاد في العبادة،
والتقييد للعلم، والاشتغال به، والعناية بأهله، إلى أن
توفي على خير عمل.

¹ المقصود هنا هو كتاب ((عائد الصلة)).

مشيخته

قرأ على الأستاذ الخطيب أبي محمد الباهلي، وروى عن جلة من الشيوخ مثل صهره الخطيب الوالي أبي عبد الله الطنجالي، وشاركه في أكثر شيوخه، والأديب الحاج الصالح أبي القاسم القبتوري¹، وغيرهم.

مولده

ولد بمالقة عام ثلاثة وسبعين وستماية².

وفاته

توفي بمالقة يوم الأربعاء الثامن عشر لذي حجة من عام تسعة وأربعين وسبعماية³. ودخل غرناطة غير ما مرة مع الوفود من أهل بلده، وفي أغراضه الخاصة.

¹ نسبة إلى قبطور أو كبتور Captor؛ وهي بلدة صغيرة في جهات إشبيلية.

² الموافق لـ 1274م.

³ الموافق لـ 1348م.

محمد بن أحمد

الرقوطي¹ (الرسبي؛ يكنى أبا بكر.

حاله

كان طرفاً في المعرفة بالفنون القديمة: المنطق والهندسة والعدد والموسيقا والطب، فيلوسفاً، طبيباً ماهراً، آية الله في المعرفة بالألسن. يقرئ الأمم بألسنتهم، فنونهم التي يرغبون في تعلمها، شديد البأو، مترفعاً. متعاطياً. عرف طاغية الروم حقه؛ لما تغلب على مرسية؛ فبنى له مدرسة يقرئ فيها المسلمين والنصارى واليهود، ولم يزل معظماً عنده. ومما يحكى من ملحه معه؛ أنه قال له يوماً؛ وقد أدنى منزلته، وأشاد بفضله: لو تنصرت وحصّلت الكمال، كان عندي لك كذا وكذا، وكنت كذا، فأجابه بما أقنعه. ولما خرج من عنده؛ قال لأصحابه: أنا الآن أعبد واحداً، وقد عجزت عما يجب له. فيكف حالي لو كنت أعبد ثلاثة؛ كما أراد مني.

¹ نسبة إلى بلدة صغيرة تسمى رقوطة Ricate؛ تقع في شرقي الأندلس؛ على مقربة من مرسية؛ في اتجاه الشمال الغربي منها؛ وتستند إلى الضفة الغربية من نهر شقورة R. Segura.

وطلبه سلطان المسلمين؛ ثاني الملوك من بني نصر¹؛
واستقدمه، وتلمذ له، وأسكنه في أعدل البقع من
حضرتة. وكان الطلبة يغشون منزله المعروف له؛ وهو
بيدي الآن. فَتُعَلِّمَ عليه الطب والتعاليم وغيرها، إذ كان لا
يجارى في ذلك. وكان قويّ العارضة، مضطلعاً بالجدل،
وكان السلطان يجمع بينه وبين متابي حضرتة، ممن يقدم
منتحلاً صناعة أو علماً، فيظهر عليهم؛ لتمكنه ودالته؛
حسبما يأتي في اسم أبي الحسن الأبدى، وأبي القاسم بن
خلصون إن شاء الله. وكان يركب إلى باب السلطان،
عظيم التؤدة، مُعار البُعْلة، رايق البزة، رفيق المشي، إلى
أن توفي بها. سمح الله له.

¹ هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف؛ الملقب بالفقيه؛ الذي حكم
من سنة 671هـ/1272م إلى سنة 701هـ/1302م.

محمربن إبراهيم

ابن المفرج الأوسي؛ المعروف بابن الرباغ اللشبيلي.

حاله

كان واحد عصره في حفظ مذهب مالك، وفي عقد الوثائق، ومعرفة عللها، عارفاً بالنحو واللغة والأدب والكتابة والشعر والتاريخ. وكان كثير البشاشة عظيم الانقباض، طيب النفس، جميل المعاشرة، كثير المشاركة، شديد التواضع، صبوراً على المطالعة، سهل الألفاظ في تعليمه وإقراءه. أقرأ بجامع غرناطة لأكابر علمائها، الفقه وأصوله، وأقرأ به الفروع والعقائد للعامة مدة. وأقرأ بجامع باب الفخارين، وبمسجد ابن عزرة وغيره.

مشيخته

قرأ على والده الأستاذ أبي إسحاق إبراهيم، وعلى الأستاذ أبي الحسن الدباج، وعلى القاضي أبي الوليد

محمد بن الحاج التجيبي القرطبي، وعلى القاضي أبي عبد
الله بن عياض.

وفاته

توفي برندة يوم الجمعة أول يوم من شوال عند
انصراف الناس من صلاة الجمعة من عام ثمانية وستين
وستماية¹.

¹ الموافق لـ 1269م.

محمربن إبراهيم

ابن محمر الأوسي من أهل سرسية، نزيل غرناطة؛
يكنى أبا عبر الله؛ ويعرف بابن الرقام؛ الشيخ الأستاو المتفنن.

حاله

كان نسيج وحده، وفريد دهره، علماً بالحساب
والهندسة والطب والهيئة، وغير ذلك مديد الباع. أصيل
المعرفة. مضطلعاً متبحراً لا يشق غبارة¹. أقرأ التعاليم
والطب والأصول بغرناطة لما استقدمه السلطان ثاني الملوك
من بني نصر من مدينة بجاية، فانتفع الناس به، وأوضح
المشكلات، وسئل من الأقطار النازحة في الأوهام
العارضنة، ودون في هذه الفنون كلها، ولخص، ولم يفتر
من تقييد وشرح وتلخيص وتدوين.

¹ هكذا. والشائع: ((لا يشق غباره))، أو ((لا يشق له غبار)). وهذا مثل
قديم. ينجلي فيما قاله قصير لجذيمة - في قصة الزباء - ((اركب العصا
فإنه لا يشق غباره؛ والعصا فرس جذيمة التي لا يجارى في السرعة
والخفة. وفي هذا قال النابغة:
أعلمت يوم عكاظ حين لقيتني * تحت العجاج فما شققت غباري
أي لم تشق الغبار الذي يحوطني، ولم تساويني.

توآلفه

وتوآلفه كثره؁ منها كتابه الكبر على طرقة كتاب
"الشفا" والزج القوم الغرب المرصد؁ المبنة رسآله على
جداول ابن إسحق؁ وعدل مناخ الأهلة وعليه كان
العمل. وقيد أبكار الأفكار في الأصول؁ ولخص المباحث؁
كتاب الحيوان والخواص. ومقالاته كثره جداً؁ ودواوينه
عديده.

وفاته

توفي عن سن عالية بغرناطة في الحادي والعشرين لصفر
من عام خمسة عشر وسبع مائة¹.
* * *

¹ الموافق لـ 1315م.

محمد بن جعفر

(ابن أحمد بن خلف بن حمير¹ بن مأمون² الأنصاري³؛
ونسبه أبو محمد القرطبي؛ أمويًا من صريجهم؛ بلنسي الأصل؛
يكنى أبا عبد الله).

حاله

كان صدرًا في متقني القرآن العظيم، وأية تجويده
مبرزًا في النحو، إمامًا معتمدًا عليه، بارع الأدب، وافر
الحظ من البلاغة، والتصرف البديع في الكتابة طيب
الإمتاع بما يورده من الفنون كريم الأخلاق، حسن
السمت، كثير البشر، وقورًا، دينًا عارفًا، ورعًا، وافر
الحظ من رواية الحديث.

مشيخته

روى عن: أبي إسحاق بن صالح، وأبي بكر بن أبي
ركب، وأبي جعفر بن ثعبان، وأبي الحجاج القفال، وأبي
الحسن شريح، وأبي محمد عبد الحق بن عطية، وأبي

¹ كتب في مخطوط في الإسكوريال إلى جانب اسم (حميد) كلمة ((مكبرا)).
² في الإسكوريال: ((ابن مأمون))؛ ولكن عنان جعلها ((المأمون))؛ بغرض التصويب.
³ توجد ترجمة محمد بن المأمون الأنصاري أيضاً في: التكملة لكتاب
الصلة، والذيل والتكملة، وبغية الملتمس، وبغية الوعاة.

الحسن بن ثابت، وأبي الحسن بن هذيل؛ وتلا عليه بالسبع، وأبو¹ عبد الله بن عبد الرحمن المذحجي الغرناطي، وابن فرح² القيسي، وأبي القاسم خلف بن فرتون. ولم يذكر أنهم أجازوا له. وكتب له: أبو بكر³ عبد العزيز بن سدير⁴، وابن العزفي⁵، وابن قندلة⁶، فأبو⁷ الحسن طارق بن موسى، وابن موهب، ويونس بن مغيث، وأبو جعفر⁸ بن أيوب، وأبو الحكم عبد الرحمن ابن غشيان⁹، وأبو عبد الله الجياني المعروف بالبغدادي. وذكر أبو عبد الله بن يربوع أن له راوية عن أبي الحسن¹⁰ ابن الطراوة.

¹ في الذيل والتكملة: ((وأبوي)).

² نفسه: ((وابن فرح))؛ بالجيم المعجمة.

³ في الإسكوريال: ((أبا بكر))؛ فصوبها عنان

⁴ نفسه: ((مدير)).

⁵ نفسه: ((ابن العربي)).

⁶ نفسه: ((قندلة)).

⁷ في الذيل والتكملة: ((فأبا الحسن))؛ فصوبها عنان.

⁸ نفسه: ((وأبو حفص بن أيوب)).

⁹ نفسه: ((غشليان)).

¹⁰ نفسه: ((الحسين)).

من روى عنه

روى عنه أبو بحر صفوان بن إدريس، وأبو بكر بن عتيق الأزدي¹ وابن قترال²، وأبو جعفر الجيَّار، والذهبي، والذهبي، وابن عميرة الشهيد، وأبو الحسن بن عزمون³، عزمون³، وابن عبد الرزق⁴، وأبو الحسن⁵ عبيد الله بن بن عاصم الدَّاري⁶، وأبو الربيع بن سالم، وأبو زكريا الجعفري⁷، وأبو سليمان بن حوط الله، وأبو عبد الله الأندرشي، وابن الحسين بن محبر⁸، وابن إبراهيم الريسي⁹، وابن صلتان، وابن عبد الحق التلمسيني، وابن يربوع، وأبو العباس العزفي، وأبو عثمان سعد الحفَّار، وأبو علي عمر بن جميع¹⁰، وأبو عمران بن إسحق¹¹،

¹ في الذيل: (الاردي)).

² نفسه: ((وابن قترال)).

³ نفسه: ((عزمون)).

⁴ نفسه: ((وابن عبد الله الذوق)).

⁵ نفسه: ((وأبو الحسين)).

⁶ نفسه: ((الدائري)).

⁷ نفسه: ((الجعيدي)).

⁸ نفسه: ((مجبر التجيبي)).

⁹ نفسه: ((الوشقي)).

¹⁰ نفسه: ((صمع)).

¹¹ نفسه: ((السخان)).

وأبو القاسم الطيب بن هرقال¹، وعبد الرحيم بن إبراهيم
بن قريش الملاحي²، وأبو محمد ابن دُلف³ بن اليُسر، وأبو
وأبو الوليد بن الحجاج⁴.

تواليافه

له شرح على "إيضاح الفارسي، وآخر على "جمل
الزجاجي".

مولده

بيلنسية سنة ثلاث عشرة وخمسمائة⁵.

وفاته

توفي بمرسية؛ إثر صدوره عن غرناطة؛ عشي يوم
السبت لثلاث عشرة بقيت من جمادى الأولى⁶؛ سنة ست
ست وثمانين وخمسمائة⁷.

¹ نفسه: ((هرقل)).

² نفسه: ((ابن الفرس والملاحي)).

³ نفسه: ((وأبو محمد بن محمد بن خلف)).

⁴ نفسه: ((ابن الحاج)).

⁵ الموافق لـ 1119م.

⁶ في بغية الوعاة: ((جمادى الآخرة من في السنة السابعة والثمانين والخمسمائة)).

⁷ الموافق لـ 1190م.

* * *

محمربن حاتم

ابن محمربن أعمربن باق (الجزائري)¹ من أهل سرقسطة؛
سكن غرناطة ثم فاس؛ يكنى أبا جعفر

حاله

كان مقرئاً مجوداً محققاً بعلم الكلام وأصول الفقه،
محصلأ لهما، متقدماً في النحو، حافظاً للغة، حاضر
الذكر لأقوال تلك العلوم، جيد النظر، متوقد الذهن،
ذكي القلب. فصيح اللسان². ولي أحكام فاس وأفتى
فيها، ودرس بها العربية، كتاب سيويه وغير ذلك.

مشيخته

روى عن أبي الأصبغ بن سهل، وأبوي³ الحسن
الحضرمي، وابن سابق، وأبي جعفر بن جراح، وأبي
طالب السرقسطي الأديبين، وأبوي عبد الله بن نصر،
وابن يحيى بن هشام المحدث، وأبي العباس الدلائي، وأبي

¹ توجد ترجمة محمد بن حكم بن باق الجذامي أيضاً في: التكملة لكتاب
الصلة، والذيل والتكملة، وبغية الوعاة.

² في الذيل والتكملة: ((الكلام)).

³ نفسه: ((وأبوي بكر: ابن الحسين الحضرمي)).

عبيد الله البكري، وأبي عُمر أحمد بن مروان¹
القيرواني، وأبي محمد بن قورش²، وأبي مروان بن سراج.
وأجاز له أبو الوليد الباجي؛ رحمه الله.

من روى عنه

روى عنه أبو إسحاق بن قرقول، وأبو الحسن صالح
ابن خلف، وأبو عبد الله بن حسن السبتي، وأبو³ الحسن
الأبدي، وتوفي قبله، وابن خلف بن الأيسر⁴، والنميري،
وأبو العباس بن عبد الرحمن بن الصقر، وأبو علي حسن
ابن الجزار⁵، وأبو الفضل بن هرون الأزدي، وأبو⁶ محمد
عبد الحق ابن بونه، وقاسم بن دحمان، وأبو مروان بن
الصقيل الوقشي⁷.

¹ في الذيل: ((مروان التجيبي البلوطي الزاهد)).

² نفسه: ((فورتش)).

³ نفسه: ((وابن الحسن)).

⁴ نفسه: ((بن الإلبيري)).

⁵ نفسه: ((الخرزاز)).

⁶ نفسه: ((وأبوا)).

⁷ في جذوة الاقتباس، والذيل والتكملة: ((الوشقي)).

توالمفه

شرح "إيضاح الفارسي"، وكان قوماً على كتابه،
وصنف في الجدل مصنفين: كبيراً، وصغيراً. وله عقيدة
جيدة.

وفاته

توفي بفاس، وقيل بتلمسان سنة ثلاث وثلاثين
وخمسمائة¹.

¹ الموافق لـ 1138م. ذكر في جذوة الاقتباس أنه توفي بتلمسان. كما جاء في الذيل والتكملة: ((وقيل تلمسان؛ وهو أصح؛ سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة)). وهذا ما ذكر في بغية الوعاة.

محمد بن حسن

ابن محمد بن عبد الله بن خلف بن يوسف بن خلف الأنصاري¹؛
من أهل مالقة؛ يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بابن الحاج،
وبابن صاحب الصلاة.

حاله

كان مقرباً صدرأ في أئمة التجويد، محدثاً متقناً
ضابطاً، نبيل الخط والتقييد، ديناً، فاضلاً. وصنف في
الحديث، وخطب بجامع بلده. وأم في الفريضة زماناً،
واستمرت حاله كذلك، من نشر العلم وبثه إلى أن كرمه
الله بالشهادة في وقعة العقاب².

دخوله غرناطة

راوياً عن ابن الفرس، وابن عروس، وغيرهما.

¹ توجد ترجمة محمد بن حسن الأنصاري أيضاً في تاريخ قضاة الأندلس.
² موقعة العقاب تسمى بالإسبانية Las Navas de Tolosa؛ نشبت سنة
609هـ/1212م. بين النصاري والموحدين. هزم فيها المسلمون؛ ومن
يومها بدأ تراجع المسلمين في الأندلس. سبقت الإشارة إليها.

مشيخته

روى بالأندلس عن الحجاج بن الشيخ، وأبي الحسن ابن كوثر، وأبي خالد يزيد بن رفاعة؛ وأكثر عنه، وأبوي عبد الله بن عروس، وابن الفخار، وأبي محمد بن حوط الله، وعبد الحق بن بونه، وعبد الصمد بن يعيش، وعبد المنعم بن الفرس، وأجازوا له. وتلا القرآن على أبي عبد الله الإستجي. وروى الحديث عن أبي جعفر الحصار. وحج في نحو سنة ثمانين وخمسمائة¹. وأخذ عن جماعة من أهل المشرق، كأبي الطاهر الخشوعي، وغيره.

وفاته

توفي شهيداً محرّضاً صابراً يوم الاثنين منتصف صفر؛ عام تسعة وستماية².

¹ الموافق لـ 1184م.
² الموافق لـ 1212م.

محمد بن محمد

ابن أحمد بن علي (الأنصاري)؛ يثني أبا عبد الله؛
ويعرف بابن قران؛ من أهل مالقة.

حاله

طالب عفيف مجتهد خير. قرأ بغرناطة، وقام على فن
العربية قياماً بالغاً، وشارك في غيره، وانتسخ الكثير من
الدواوين بخط بالغ أقصى مبالغ الإجادة والحسن، وانتقل
إلى مالقة؛ فأقرأ بها العربية، واقتدى بصهره الصالح أبي
عبد الله القطان؛ فكان من أهل الصلاح والفضل. وتوفي
في محرم عام خمسين وسبعماية¹.

¹ الموافق لـ 1349م.

محمربن محمر

(بن إوريس بن مالك بن عبر (الواحد بن عبر (ملك بن محمر
(بن سعيبر بن عبر (الواحد بن أعمربن عبر (الله (القضاعي؛
من أهل إسطنبول¹؛ يكنى أبا بكر، ويعرف بالقللوسى.

حاله

كان رحمه الله إماماً في العربية والعروض والقوافي،
موصوفاً بذلك، منسوباً إليه، يحفظ الكثير من كتاب
سيبويه، ولا يفارقه بياض يومه، شديد التعصب له، مع
خفة وطيش يحمله على التوغل في ذلك. حدثني شيخنا
أبو الحسن بن الجياب رحمه الله؛ قال: وقف أبو بكر
القللوسى يوماً على القاضي أبي عمرو بن الرندون؛
وكان شديد الوقار، مهيباً، وتكلم في مسألة من العربية؛
نقلها عن سيبويه؛ فقال القاضي أبو عمرو: أخطأ سيبويه.
فأصاب أبا بكر القللوسى قلق؛ كاد يلبط به الأرض، ولم
يقدر على جوابه بما يشفي به صدره؛ لكان رتبته. قال:

¹ إسطنبول أو إشتبونة Estepona؛ ثغر صغير يقع على شاطئ البحر
المتوسط؛ في الجهة الجنوبية الغربية من مالقة؛ وإلى الشمال من جبل
طارق؛ وبالقرب من مربلة.

فكان يدور بالمسجد؛ والدموع تنحدر على وجهه؛ وهو يقول أخطأ من خطأه، يكررها؛ والقاضي أبو عمرو يتغافل عنه، ويزري عليه. وكان مع ذلك؛ مشاركاً في فنون؛ من: فقه، وقراءات، وفرائض؛ من أعلام الحفاظ للغة؛ حجة في العروض والقوافي؛ يخطط بالقافية عند ذكره في الكتب. وله في ذلك تواليف بديعة وولي الخطابة في بلده مدة؛ وقعد للتدريس به؛ واثال عليه الناس، وأخذوا عنه. ونسخ بيده الكثير وقيد؛ وكان بقطره علماً من أعلام الفضل والإيثار والمشاركة.

تواليفه

نظم رجزاً شهيراً في الفرائض علماً وعملاً، ونظم في العروض والقوافي، وألف كتاب "الدرة المكنونة في محاسن إسطنبول"، وألف تأليفاً حسناً في ترحيل الشمس، وسوسطات الفجر، ومعرفة الأوقات ونظم أرجوزة في شرح ملاحن ابن دريد، وأرجوزة في شرح كتاب

"الفصيح". ورفع للوزير ابن الحكيم كتاباً في الخواص
وصنعة الأمدّة والتطبع الشاب؛ غريباً في معناه.

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي الحسن بن أبي الربيع،
ولازمه، وأخذ عنه. وعن أبي القاسم بن الحصار الضرير
السبتي، وعلى الأستاذ أبي جعفر بن الزبير بغرناطة،
وغيرهم.

شعره

من شعره قوله من قصيدة يمدح ابن الحكيم¹:
علاه رياض أورقت بمحامد
تتور بالجدوى وتثمر بالأمل

¹ البحر الطويل.

تسح عليها من نداه غمامة
تروي ثرى المعروف بالعل والنيل
وهل هو إلا الشمس نفساً ورفعة
فيغرب بالجدوى ويبعد بالأمل
تعم أيديه البرية كلها
فدان وقاصٍ جود كفيه قد شمل
وهي طويلة. ونقلت من خط صاحبنا أبي الحسن النباهي؛
قال يمدح أبا عبد الله الرنداحي¹:
أطلع بأفق الراح كاس الراح
وصل الزمان مساءه بصباح
خذها على رغم العذول مدامة
تنفي الهموم وتأت بالأفراح
والأرض قد لبست برود أزاهر
وتمنطقت من نهرها بوشاح
والجو إذ ييكي بدمع غمامة
ضحك الربيع له بثغر أفاح

¹ البحر الكامل.

والروض مرقوم بوشي أزاهر
والطير يفصح أيما إفصاح
والغصن من طرب يميل كأنما
سقيت بكف الريح كأس الراح
والورد منتظم على أغصانه
بيدو فتحسبه خدود ملاح
وكأن عرف الريح من زهر الربى
عرف امتداح القائد الرنداح

وفاته

بلده عصر يوم الجمعة الثامن عشر لرجب الفرد سنة سبع
وسبعمائة¹.

¹ الموافق لـ 1307م.

محمد بن محمد

(بن محارب الصريحي؛ من أهل مالقة؛ يكنى أبا عبد الله؛
ويعرف بابن أبي الجيش).

حاله وأوليته

أصل سلفه من حصن يسر من عمل مرسية، من
بيت حسب وأصالة، ولخؤولته بالجهة التاكرونية ثورة.
وقلت فيه في عائد الصلة: كان من صدور
المقريين، وأعلام المتصدرين تفنناً واضطلاعاً، وإدراكاً،
ونظراً. إماماً في الفرائض والحساب قائماً على العربية،
مشاركاً في الفقه والأصول، وكثير من العلوم العقلية. قعد
للإقراء بمالقة، وخطب بجامع الربض.

مشيخته

قرأ على الأستاذ القاضي المتفنن أبي عبد الله بن
بكر، ولازمه ثم ساء ما بينهما في مسألة وقعت بمالقة،
وهي تجويز الخُلفِ في وعد الله؛ شنع فيها على شيخنا
المذكور، ونسبه إلى أن قال، وعدُّ الله ليس بلازم

الصدق؛ بل يجوز فيه الخُلف؛ إذ الأشياء في حقه
متساوية؛ وكتب في ذلك أسئلة¹ للعلماء بالمغرب؛
فقاطعته وهجره. ولما ولي القاضي أبو عبد الله بن بكر
القضاء؛ خافه؛ فوجّه عنه إثر ولايته؛ فلم يشك في
الشر؛ فلما دخل عليه؛ رحب به، وأظهر له القبول
عليه، والعفو عنه، واستأنف مودّته؛ فكانت تعدّ في مآثر
القاضي رحمه الله. ورحل المذكور إلى سبتة؛ فقرأ بها
على الأستاذ أبي إسحاق الغافقي، ومن عاصره، ثم عاد
إلى مالقة؛ فالتزم التدريس بها إلى حين وفاته.

دخوله غرناطة

دخل غرناطة مرات، متعلماً، وطالب حاج. ودعي
إلى الإقراء بمدارستها النصرية²، عام تسعة وأربعين
وسبعماية³؛ فقدم على الباب السلطاني، واعتذر بما قبل
فيه عذره. وكان قد شرع في تقييد مفيد على كتاب

¹ في الإسكواريال: ((أسولة)).

² سبق التعريف بها.

³ الموافق لـ 1348م.

التسهيل¹ لابن مالك؛ في غاية النبل والاستيفاء والحصر
والتوجيه؛ عاقته المنية عن إتمامه.

وفاته

توفي بمالقة؛ في كائنة الطاعون الأعظم²؛ في
أخريات ربيع الآخر من عام خمسين وسبعماية، بعد أن
تصدق بمال كثير وعهد بريع مجد لطلبة العلم، وحبس
عليهم كتبه.

¹ كتاب ((تسهيل الفوائد، وتكميل المقاصد))؛ يعالج مواضيع النحو؛ ألفه
العلامة اللغوي أبو عبد الله جمال الدين محمد بن مالك الطائي الجباني
الأندلسي؛ ولد بجيان في الأندلس سنة 600هـ/1203م؛ وتوفي بدمشق سنة
672هـ/1273م.

² انتشر هذا الوباء الجارف في هذه الفترة بأوروبا والأندلس والمشرق.

محمد بن محمد

(ابن لب الثناني؛ من أهل مالقة؛ يكنى أبا عبد الله،
ويعرف بابن لب).

حاله

كان ذاكراً للعلوم القديمة. معتنياً بها. عاكفاً عليها،
متقدماً في علمها على أهل وقته، لم يكن يشاركه أحد
في معرفتها، من الرياضيات والطبيعات والإلهيات،
ذاكراً لمذاهب القدماء، وما أخذهم في ذلك حافظاً جداً،
ذاكراً لمذاهب المتكلمين، من الأشعرية وغيرهم، إلا أنه
يوثر ما غلب عليه من مأخذ خصومهم، وكان نفوذه في
فهمه، دون نفوذه في حفظه، فكان معتمده على حفظه
في إيراده ومناظرته، وكان ذاكراً مع ذلك لأصول الفقه
وفروعه، عجباً في ذلك، إذا وردت مسألة، أورد ما
للناس فيها من المذاهب. وعزم عليه آخر عمره فقعد
بجامع مالقة، يتكلم على الموطأ، وما كان من قبل تهيأ
لذلك، إلا أنه ستر عليه حفظه، وتعظيم أهل بلده له.

قال ابن الزبير: وكانت فيه لوثة، واخشيشان، وكان له أرب في التطواف، وخصوصاً بأرض النصارى¹، يتكلم مع الأساقفة في الدين، فيظهر عليهم، وكانت أموره غريبة، من امتزاج اليقظة بالغفلة، وخلط السذاجة بالدعابة. يحكى عنه أنه كانت له شجرة تين بداره بمالقة، فباع ما عليها من أحد أهل السوق، فلما هم بجمعها، ذهب ليمهد للتين بالورق في الوعاء، فمنعه من ذلك، وقال له إنما اشتريت التين، ولم تدخل الورق في البيع، فتعب ذلك المشتري ما شاء الله، وجلب ورقاً من غيرها، حتى انقضى الأمر، وعزم على معاملته في السنة الثانية، فأول ما اشترط الورق، فلما فرغ من الغلة، دعاه فقال له احمل ورقك، فإنه يوذيني، فأصابه من المشقة في جمعه من أطراف الغصون ما لم يكن يحسب، ولم تأت السنة الثالثة، إلا والرجل فقيه، اشترط مقدار الكفاية من الورق، فسأحه ورفق به. دخل غرناطة وغيرها، وأخبره عجيبه. قال أبو جعفر بن الزبير: عرض لي بمالقة مسائل،

¹ في الإسكوريال: ((النصري))؛ وهذا شاذ.

يرجع بعضها إلى الطريقة البيانية، والمآخذ الأدبية، وضحت ضرورة إلى الأخذ معه فيها، وفي آيات من الكتاب العزيز، فاستدعيته إلى منزلي، وكان فيه تخلق، وحسن ملاقة. مع خفته الطبيعية وتشتت منازعه، فأجاب؛ وأخذت معه في ذلك؛ فألفيته صائماً عن ذلك جملة.

وصمته

قال: وكان القاضي الجليل أبو القاسم بن ربيع، وأخوه أبو الحسن ينافرانه على الإطلاق، ويحذران منه، وهو كان الظاهر من حاله. قال: واستدعاني في مرض اشتد به، قبل خروجي من مالقة على انفراد، فتنصل لي مما كان يُدُنُّ¹ به، وأكثر البكاء، حتى رثيت له.

¹ أي: يوصم ويتهم.

وفاته

توفي بمالقة، ووصى قبل موته بوصايا من ماله. في
صدقات وأشباهها، وحبس داره وطائفة من كتبه على
الجامع الكبير بمالقة.

* * *

محمد بن محمد

البدوي¹؛ (الطيب بالريض؛ سن بلش؛ يكنى أبا عبد الله).

حاله

من العائد: كان رحمه الله حسن التلاوة لكتاب الله، ذا قدم في الفقه، له معرفة بالأصلين، شاعراً مجيداً، بصيراً، بليغاً في خطبته، حسن الوعظ، سريع الدمعة. حج ولقي جلة. وأقرأ ببلش زماناً، وانتفع به، ولقي شداً، أصلها الحسد.

مشيخته

قرأ العلم على الشيخين المقرين، الحجتين، أبي جعفر بن الزيات، وأبي عبد الله بن الكماد، وقرأ العربية والأصلين على الأستاذ أبي عمرو بن منظور، ولازمه وانتفع به، وقرأ الفقه على الشيخ القاضي أبي عبد الله ابن عبد السلام بمدينة تونس.

¹ توجد ترجمة محمد بن محمد البدوي أيضاً في الكتيبة الكامنة.

شعره

من شعره قوله في غرض النسيب¹:

خال على خدك² أم عنبر

ولؤلؤ ثغرك أم جوهر

أوريت نار الوجد طي الحشا

فصارت النار به³ تسعر

لو جدت لي منك برشف اللما

لقلت خمر عسل سكر

دعني في الحب أذب حسرة

سفك دم العاشق لا ينكر

وقال⁴:

عيناى تفهم من عينيك أسراراً

وورد خدك يذكي في الحشا ناراً

¹ البحر السريع.

² في الكتيبة: ((خدك)).

³ نفسه: ((بها)).

⁴ البحر البسيط.

ملكـت قلب محب فيك مكنـتب
قد أـثر الدمع في خديه آثـارا
رضاب ثغرك يـروي حر غلته
يا ليت نفسي تقضي منه أوطارا¹
أنعم بطيف خيال منك ألمحه
ماذا عليك بطيف² منك لوزارا
نفسـي فدأؤك من ظبي به كلف³
يصبو له القلب مضطراً ومختاراً

وقال⁴:

أيها الظبي ترفق بكيب قد هلك
الذنب تتجنى أم لشيء⁵ يوصلك
إن روعي لك ملك⁶ وكذا قلبي لك

¹ أي حاجات.

² في الكتيبة: ((لطيف)).

³ نفسه: ((وطف)).

⁴ مجزوء الرمل.

⁵ في الكتيبة: ((الشيء)).

⁶ ورد صدر هذا البيت في الكتيبة هكذا: ((إنما روعي ملك)).

إنما أنت هلال فلك القلب فلك

ومن مجموع نظمه ونثره ما خاطبني به، وقد طلبت من أدبه لبعض ما صدر عني من المجموعات: يا سيدي أبقاك الله بهجة للأعيان الفضلاء، وحجة لأعلام العلاء، ولا زلت تسير فوق النسر، وتجري في الفضائل على كرم النجر. ذكر لي فلان أنكم أردتم أن يرد على كمالكم، بعض الهديان، الصادر عن معظم جلالكم، فأكبرت ذلك، ورأيتني لست هنالك، وعجبت أن ينظم مع الدرّ السبج، أو يضارع العمش الدعج، بيد أن لنظم الدرّ صنّاع، والحديث قد يذاع، ولا يضاع، وحين اعتذرت له فلم يعذرني، وانتظرته فلم ينظرني، بعد أن استعفيته فأبى، واستنهضت جواد الإجابة فكبى، وسلك غير طريقي، ولم يبلغني ربيقي، وفيت الغرض، وقضيت من إجابته الحق المفترض، ورددت عن تعذاله النصيح، وأثبت هنا ما معناه صحيح ولفظه غير فصيح¹:

¹ البحر السريع.

بريت من حولي ومن قوتي
بحول من لا حول إلا له
وثقت بالخالق فهو الذي
يدبر العبد وأفعاله
وقلت بالحرم عند الملتزم¹؛ من المنظوم في مثل ذلك²:
أمولاي بالباب ذو فاقة
وهذا يحط خطايا الأمم
فجدلي بعفوك عن زلتي
يجود الكريم بقدر الكرم
ومما أعددته للوفادة على خير من عقدت عليه أوليه
السيادة³:
حمدت إليك مع الصباح سراها
وأنتك تطلب من نذاك قراها

¹ عن ابن عباس؛ قال: الملتزم ما بين الركن والباب؛ (أي بين باب الكعبة والركن اليماني). سمي بذلك لوجوب وضع الداعي صدره ووجهه وذراعيه وكفيه عليه؛ ثم الدعاء إلى الله تعالى بما تيسر له. والملتزم هو المكان الذي لا يرد الله فيه دعوة أحد أبداً. وقد قال صلى الله عليه السلام: ((الملتزم موضع يُستجاب فيه الدعاء؛ ما دعا الله فيه عبد دعوة إلا استجابها)).
² البحر المتقارب.
³ البحر الكامل.

وسرت إليك مع النسيم يمينها
شوقاً يسابق في السرى يسراها
لولا العجر لوصلت، والعذر لأطلت، لاكن ثنيت
عناني لثنايك، لحسن اعتنايك، وقلت معذراً من الصورة
لمجدكم، وتالياً سورة حمدكم¹:
المجد يخبر عن صدق مآثره
وناظم المجد في العلياء نآثره
والجود إن جد جد المرء ينجده
وقلمائهم في الأيام ذاكره
من نال ما نلت من مجد ومن شرف
فليس في الناس² شخص يناظره
يا سيداً طاب في العلياء محتده
ماجداً³ رسخت فيه أوأصره

¹ البحر البسيط.

² أضاف د. طويل؛ كلمة: ((من))؛ بعد كلمة: ((الناس))؛ فأضحت: ((من شخص يناظره)).

³ أضاف د. طويل؛ كلمة: ((نم))؛ قبل كلم (ماجداً)؛ فأضحت: ((نم ماجداً)).

سَرَيْتَ فِي الْفَضْلِ مَسْتَنًّا عَلَيَّ
سَنَنْ فِي الْفَضْلِ مَآرِبَهُ حَقًّا وَسَامِرَهُ¹
وَرِثْتَهُ عَنْ كَبِيرٍ أَوْحَدَ عِلْمٍ
كَذَاكَ يَحْمِلُهُ أَيْضًا أَكْبَرَهُ
مُبَارَكِ الْوَجْهِ وَضَاحِ الْجَبِينِ لَهُ
نُورٌ يَنْبُرُ أَغْرَ النُّورِ بَاهِرَهُ
مَوْفِقٍ بِكَفَيْلٍ مِنْ عِنَايَتِهِ
مَرْفَعِ الْعِذْرِ سَامِيِ الذِّكْرِ طَاهِرِهِ
رَعَيْتَ فِي الْفَضْلِ حَقَّ الْفَضْلِ مَجْتَهِدًا
مَفْهُومِ مَجْدِكَ هَذَا الْحُكْمِ ظَاهِرِهِ
عُلُوتِ كَالشَّمْسِ إِشْرَاقًا وَمَنْزِلَةً
فَأَنْتَ كَالْغَيْثِ يَحْيِي الْأَرْضَ مَاطِرِهِ
يَنْمُ بِالْفَضْلِ مِنْكَ الْفَضْلُ مَشْتَهَرًا
كَمَا يَنْمُ بِزَهْرِ الرَّوْضِ عَاطِرِهِ

¹ جعل د. طویل هذا البيت هكذا:
(سَرَيْتَ فِي الْفَضْلِ مَسْتَنًّا عَلَيَّ سَنَنْ أَلْ * فَضْلُ مَآرِبِهِ حَقًّا وَسَامِرَهُ)).

دم وابق للمجد كهفاً والعلا وزراً¹
فإنما المجد شخص أنت ناظره
مؤملاً منك خيراً أنت صانعه
وصانع الخير عند الله شاكره
وما وليت وما أوليت من حسن
فلناس² والعالم العلوي ذاكره
بقيت تكسب من والاك مكرمة
وناصراً أبداً من قل ناصره
عذراً لك الفضل عما جيت من خطأ
أن يخط مثلي يوماً أنت عاذره
ثم السلام على عليك من رجل
تهدي الذي³ تخفي ضمائرهم

¹ أي الجبل المنيع أو الملجأ والمعتصم.
² جعلها د. طويل: ((للناس))؛ بعد حذف الفاء.
³ أضاف د. طويل كلمة: ((أبداً))؛ بعد كلمة: ((الذي))؛ فأضحت: ((الذي أبداً تخفي)).

دخوله غرناطة

دخلها غير ما مرة، ولقيته بها لتقضي بعض أغراض بباب السلطان، مما يليق بمثله.

مولده

1
.....

وفاته

توفي ببليش في أخريات عام خمسين وسبعماية².

¹ ترك في هذا الحيز بياض.
² الموافق لأواخر 1349م.

محمربن عبرالله

(بن تيمون بن إويس بن محمربن عبرالله العبري قرطبي؛
استوطن مدينة مرانش؛ يكنى أبا بكر.

حاله

كان عالماً بالقراءات، ذاكراً للتفسير، حافظاً للفقهِ
واللغات والأدب، شاعراً محسناً، كاتباً بليغاً، مبرزاً في
النحو، جميل العشرة، حسن الخلق، متواضعاً، فكه
المحاضرة، مليح المداعبة. وصنف في غير ما فن من العلم
وكلامه كثير مدون، نظماً ونثراً.

مشيخته

روى عن: أبي بكر بن العربي، وأبي الحسن شريح
وعبد الرحمن بن بقي، وابن الباذش، ويونس بن مغيث،
وأبي عبد الله بن الحاج، وأبي محمد بن عتاب، وأبي
الوليد بن رشد، ولازمه عشرين سنة. قرأ عليهم وسمع،
وأجازوا له، وسمع أبا بحر الأسدي، وأبوي بكر عياش

ابن عبد الملك، وابن أبي ركب، وأبا جعفر بن سانجة¹،
وأبا الحسن عبد الجليل، وأبا عبد الله بن خلف
الأيسرّي، وابن المناصف، وابن أخت غانم؛ ولم يذكر
أنهم أجازوا له، وروى أيضاً عن أبوي عبد الله مكّي،
وابن المعمر، وأبي الوليد بن طريف.

من روى عنه

روى عنه: أبو البقاء يعيش بن القديم، وأبو الحسن
ابن مؤمن، وأبو زكريا المرجعي، وأبو يحيى أبو بكر
الضريّر؛ واختص به.

توآلفه

من مصنفاته: ((مشاحذ الأفكار في مأخذ النظر))؛
و((شرحاه الكبير والصغير على جمل الزجاجي))،
و((شرح أبيات الإيضاح العضدي))، و((مقامات
الحريري))، و((شرح معشراته الغزلية))، و((مكفراته
الزهدية))، إلى غير ذلك؛ وهما مما أبان عن وفور

¹ يعتقد عنان أنها: ((شانجة))؛ بالشين المعجمة؛ وهو تعريب لاسم ملوك
إسبانيا؛ بينما الاسم المشهور هو ((سانشو)). كما يعتقد في احتمال كون
هذا العالم من طائفة المولدين الداخلين في الإسلام.

علمه، وغزارة مادته، واتساع معارفه، وحسن تصرفه.
دخل غرناطة راوياً عن الحسن بن الباذش ومثله.

محتته

كان يحضر مجلس عبد المؤمن¹ مع أكابر من يحضره
من العلماء، فيشف على أكثرهم بما كان لديه من التحقيق
بالمعارف، إلى أن أنشد أبا محمد عبد المؤمن أبياتاً كان
نظمها في أبي القاسم عبد المنعم بن محمد بن تست
وهي²:

أبا قاسم والهوى جنة³
وها أنا من مسها لم أفق
تقحمت جامح نار الضلوع
كما خضت بحر دموع الحق

¹ عبد المؤمن بن علي أول خلفاء الدولة الموحدية. سبقت الإشارة إليه.
² البحر المتقارب.
³ أي: جنون.

أكنت الخليل أكنت الكايم
أمنت الحريق أمنت الغرق
فهجره عبد المؤمن، ومنعه من الحضور بمجلسه،
وصرف بنيه عن القراءة عليه، وسرى ذلك في أكثر من
كان يقرأ عليه، ويتردد إليه. على أنه كان في الطبقة العليا
من الطهارة والعفاف.

شعره

قال في أبي القاسم المذكور، وكان أزرق؛ وقد دخل
عليه ومعه أبو عبد الله محمد بن أحمد الشاطبي، وأبو
عثمان سعيد بن قوسرة. فقال: ابن قوسرة¹:
عابوه بالزرق الذي يجفونه
والماء أزرق والعينان² كذلك
فقال أبو عبد الله الشاطبي³:

¹ البحر الكامل.

² جعلها د. طويل: ((العيون)).

³ البحر الكامل.

الماء يهدي للنفوس حياتها
والرمح يشرع للمنون مسالكا
فقال أبو بكر بن ميمون المترجم به¹:
وكذلك² في أجفائه سبب الردى
ولكن³ أرى طيب الحياة هنالك
ومما استفاض من شعره؛ قوله في زمن الصبا عفا الله
عنه⁴:

لا تكثرت بفراق أوطان الصبا
فعسى تنال بغيرهن سعودا
والدر ينظم عند فقد بحاره
بجميل أجياد الحسان عقودا
ومن مشهور شعره⁵:
توسلت يا ربي بأني مؤمن
وما قلت أني سامع ومطيع

¹ البحر الكامل.

² جعلها د. طويل: ((وكذاك)).

³ حذف د. طويل الواو؛ فكتبها: ((لكن)).

⁴ البحر الكامل.

⁵ البحر الطويل.

أصلى بحر النار عاص موحد
وأنت كريم والرسول شفيح
وقال في مرضه¹:

أيرتجي العيش من عليه
دلائل للردى جلية
أولها مخبر بثان
ذاك أمان وذا منية

وفاته

توفي بمراكش يوم الثلاثاء اثنتي عشرة ليلة بقيت من
جمادى الآخرة سنة سبع وستين وخمسمائة²، ودفن بمقبرة
تاغزوت داخل مراكش، وقد قارب السبعين سنة.

¹ مخرج البسيط.
² الموافق لـ 1171م.

محمد بن عبد الله

ابن عبد العظيم بن أرقم النميري¹؛ من أهل وادي آش²؛
يكنى أبا عامر.

حاله

كان أحد شيوخ بلده وطلبته³، مشاركاً في فنون من
فقه وأدب وعربية، وهي أغلب الفنون عليه، مطرح⁴
السمت، مخشوشن الزي، قليل المبالاة بنفسه مختصراً في
كافة شئونه، مليح الدعابة، شديد الحمل، كثير التواضع،
وبيته معمور بالعلماء أولي الأصالة والتعين؛ تصدر ببلده
للفتيا والتدريس والإسماع.

¹ له ترجمة أيضاً في: الكتيبة الكامنة، وبغية الوعاة.

² تابعة لمملكة غرناطة؛ سبق ذكرها.

³ لم ترد هذه الكلمة في بغية الوعاة.

⁴ في بغية الوعاة: ((مطرحاً، مخشوشناً، مليح الدعابة)).

مشيخته

قرأ على: الأستاذ القاضي أبي¹ خالد بن أرقم،
والأستاذ أبي العباس بن عبد النور. وروى عن أبيه مديح
رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن الوزير العالم أبي
عبد الله بن ربيع، والقاضي أبي جعفر بن مسعدة،
والأستاذ أبي جعفر ابن الزبير، وولي الله الحسن بن
فضيلة. ورحل إلى العدو، فأخذ بسبته عن الأستاذ أبي
بكر بن عبيدة²، والإمام الزاهد أبي عبد الله بن حريث،
وأبي عبد الله بن الخضار، وأبي القاسم بن الشاط،
وغيرهم.

شعره

وهو من الجزء المسمى بـ ((شعر من لا شعر له)).
والحمد لله. فمن ذلك قوله يمدح أبا زكريا العزفي بسبته،
ويذكر ظفره بالأسطول من قصيدة أولها:

¹ في بغية الوعاة: ((ابن)).

² في بغية الوعاة: ((بن عبيد)).

أما الوصال فإنه كالعيد
عذر المتيم واضح في الغيد

وفاته

توفي ببلده عام أربعين وسبعماية¹. ودخل غرناطة، راوياً
ومتعلماً، وغير ذلك.

* * *

¹ الموافق لـ 1339م.

محمد بن عبد الله

(ابن يحيى بن عبد الله بن فرج بن (جبر) الفهري؛ الحافظ (الجليل)؛ يكنى
أباً بكر؛ جليل (شبيبية)، وزعيم وقته في الحفظ. لبني¹ (الأصل،
إشبيلي). استرعاه السير أبو سعيد والي غرناطة،
فأقام بها عنده، في جملة من الفضلاء مثله سنين.
وذكر ذلك صاحب كتاب (ثورة المريرين).²

حاله

كان في حفظ الفقه بحراً يغرف من محيط. يقال إنه
ما طالع³ شيئاً من الكتب فَسِيَهُ⁴، إلى الجلالة
والأصالة، وبعد الصيت، واشتهار المحل. وكان مع هذا
يتكلم عند الملوك، ويخطب بين يديها، ويأتي بعجاب،
وفي كتاب "الإعلام" شيء من خبره، قال ابن الزبير.

¹ ينسب إلى المدينة الأندلسية: لبلبة Niebla؛ التي تتواجد غربى إشبيلية؛
وبالتحديد؛ على الضفة اليمنى للنهر الأحمر Rio Tinto؛ ما زالت إلى
الآن تحتفظ بأسوارها كاملة. وسقطت هذه المدينة في يد ألفونسو العاشر؛
ملك قشتالة سنة 655هـ/1257م.

² هذا الكتاب من تأليف ابن صاحب الصلاة؛ مؤرخ الدولة الموحدية.
سبقت الإشارة إليه؛ مع كتابه الآخر: ((المن بالإمامة على المستضعفين
بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين)).

³ في الإسكوريال: ((طلع))؛ وصوبت من الزيتونة.

⁴ في الإسكوريال: ((فانسية))؛ والتصحيح من الزيتونة.

مشيخته

روى عن: أبي الحسن بن الأخضر ، أخذ عنه كتاب سيويه وغيره ذلك، وعن أبي محمد بن عتاب، وسمع عليه بعض الموطأ، وعن أبي بحر الأسدي، وأبي الوليد ابن طريف، وأبي القاسم بن منظور القاضي، وسمع عليه صحيح البخاري كله، وشريح بن محمد، وأبي الوليد بن رشد، وناوله كتاب "البيان والتحصيل". وكتاب المقدمات . لقي هؤلاء كلهم، وأجازوا له عامة. وأخذ أيضاً عن مالك بن وهيب.

من حدث عنه

أبو الحسن بن زرقون، وأبو محمد القرطبي الحافظ، وإبنا حوط الله، وغيرهم. وعليه من ختمت به المائة السادسة ك: أبي محمد بن جمهور، وأبي العباس بن خليل وإخوته الثلاثة أبي محمد عبد الله، وأبي زيد عبد الرحمن، وأبي محمد عبد الحق. قال الأستاذ أبو جعفر بن

الزبير: حدثني عنه ابن خليل، وأبو القاسم الجياني، وأبو الحسن بن السراج.

مولده

[بلبله¹ في ربيع الأول سنة ست وتسعين وأربعمائة².

وفاته

وتوفي بإشبيلية في شوال سنة ست وثمانين وخمسماية³؛ ذكره: ابن الملجوم، وأبو الريح بن سالم، وابن فرتون.

* * *

¹ أضيفت هذه الكلمة من جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الإعلام مدينة فاس.
² الموافق لـ 1102م.
³ الموافق لـ 1190م.

محمربن عبر الرحمن

(ابن محمربن علي بن محمربن أعمربن الفخّار الجزلبي؛
يكنى أبا بكر؛ أركشي¹ (المولر المنشأ، مالقي اللاستيطان،
شريشي² الترب والقرارة).

حاله

من "عايد الصلة": كان رحمه الله خيراً صالحاً،
شديد الانقباض، مغرقاً في باب الورع، سليم الباطن،
كثير العكوف على العلم والملازمة، قليل الرياء والتصنع.
خرج من بلده أركش؛ عند استيلاء العدو على قصبته،
وكان يصفها، وينشد فيها من شعر أستاذه الأديب أبي
الحسن الكرمانى³:

أكرم بأركش دارا تاهت على البدر قدرا
يخاطب المجد عنها لقلب⁴ تدنى شكرا

¹ نسبة إلى مدينة أركش Arcos de la Frontera؛ وقد سبق الحديث عنها.
² نسبة إلى الدينة الأندلسية شريش Xerex أو Jerez؛ التي تتواجد على
ضفاف نهر وادي لكّة. وهي قريبة من ثغر قادس.
³ بحر المجتث.
⁴ جعلها د. طويل: ((للقلب)).

واستوطن مدينة شريش، وقرأ بها، وروى بها عن علمائها، وقرأ بها. ولما استولى العدو عليها لحق بالجزيرة الخضراء؛ فدرس بها، ثم عبر البحر إلى سبتة؛ فقرأ بها، وروى. ثم كَرَّ إلى الأندلس؛ فقصد غرناطة، وأخذ عن أهلها. ثم استوطن مالقة، وتصدر للإقراء بها، مفيد التعليم، متفننه، من: فقه وعربية وقراءات وأدب وحديث؛ عظيم الصبر، مستغرق الوقت، يدرس من لَدُن صلاة الصبح إلى الزوال. ثم يسند ظهره إلى طاق المسجد بعد ذلك، فيقرئ، وتأتيه النساء من خلفه للفتيا، فيفتيهن على حال سؤالاتهن إلى نصف ما بين العصر والعشاء الأولى. ثم يأتي المسجد الأعظم بعد الغروب، فيقعد للفتيا إلى العشاء الآخرة، من غير أن يقبل من أحد شيئاً. ومن أخذ منه بعد تحكيم الورع، أثابه بمثله. ما رأي في وقته أورع منه. وكان يتخذ رومية مملوكة، لا يشتمل منزله على سواها؛ فإذا أنس منها الضجر للحصر، وتمادى الحجاب، أعتقها¹، وأصحابها إلى أرضها. ونشأت بينه

¹ في الزيتوننة: ((أطلقها)).

وبين فقهاء بلده خصومة¹ في أمور عدّوها عليه، مما ارتكبها لاجتهاده في مناط الفتوى، وعقد لهم أمير المسلمين بالأندلس، مجلساً أجلى عن ظهوره فيه، وبقاء رسمه؛ فكانت محنة وخلصه الله منها. وبلغ من تعظيم الناس إياه، وانحياشهم إليه مبلغاً لم ينله مثله، وانتفع بتعليمه، واستفيد منه الأدب، على نسكه وسذاجته.

مشيخته

قرأ ببلده شريش على المکتب الحاج أبي محمد عبد الله بن أبي بكر بن داود القيسي، وعلى الأستاذ أبي بكر محمد بن الرباح، وعلى الأستاذ أبي الحسن علي بن إبراهيم بن حكيم السكوني الكرمانى. أخذ عنه العربية والأدب، وعلى: الحافظ أبي الحسن علي بن عيسى المعروف بابن متيوان، وعلى الأصولي الكاتب أبي الحسن هلال بن أبي سنان الأزدي المراكشي، وعلى الخطيب أبي العرب إسماعيل بن إبراهيم الأنصاري، وعلى الفقيه أبي عبد الله الجنيدى المعروف بالعراق، وعلى الفقيه العددي

¹ في الإسكوريال: (مشاحة، مشاحنة)).

أبي عبد الله محمد بن علي بن يوسف المعروف بابن
الكاتب المكناسي. وقرأ بالجزيرة الخضراء على الخطيب
الصالح أبي محمد الركبي، وروى عنه، وقرأ بها على:
الخطيب أبي عبيد الله بن خميس، وعلى الأصولي أبي
أمية. وقرأ بسبته على الأستاذ الفرضي إمام النحاة أبي
الحسن بن أبي الربيع، وعلى أبي يعقوب الحبساني،
وعلى المحدث أبي عمرو عثمان بن عبد الله العبدري،
وعلى الفقيه المالكي الحافظ أبي الحسن المتيوي،
والأصولي أبي الحسن البصري، والفقيه المعمر الراوية أبي
عبد الله محمد الأزدي، والمحدث الحافظ أبي محمد بن
الكماد، وعلى الأستاذ العروضي الكفيف أبي الحسن بن
الخضار التلمساني. ولقي بغرناطة قاضي الجماعة أبا
القاسم بن أبي عامر بن ربيع، والأستاذ أبا جعفر الطباع،
وأبا الوليد إسماعيل بن عيسى بن أبي الوليد الأزدي،
والأستاذ أبا الحسن بن الصايغ. ولقي بمالقة الخطيب
الصالح أبا محمد عبد العظيم بن الشيخ، والراوية أبا عبد
الله محمد بن علي بن الحسن الجذامي السهيلي. وسمع

على الراوية أبي عمرو بن حوط الله ، وعلى الأستاذ أبي
عبد الله بن عباس القرطبي.

توآلفه

كان رحمه الله مغرى بالتأليف ، فألف نحو الثلاثين
تأليفاً في فنون مختلفة ، منها : كتاب ((تأخير نظم الجمان
في تفسير أم القرآن)) ، و((انتفاع الطلبة النبهاء في اجتماع
السبعة القراء)) . و((الأحاديث الأربعون بما ينتفع به
القارئون والسامعون)) ، وكتاب ((منظوم الدرر في شرح
كتاب المختصر)) ، وكتاب ((نصح المقالة في شرح
الرسالة)) ، وكتاب ((الجواب المختصر المروم في تحريم
سكنى المسلمين ببلاد الروم)) ، وكتاب ((استواء النهج في
تحريم اللعب بالشطرنج)) ، وكتاب ((الفيصل المتضى
المهزوز في الرد على من أنكرو صيام يوم النيروز)) ، وكتاب
((جواب البيان على مصارمة أهل الزمان)) ، وكتاب
((تفضيل صلاة الصبح للجماعة في آخر الوقت المختار
على صلاة الصبح للمنفرء في أول وقتها بالابتدار)) ،
وكتاب ((إرشاد السالك في بيان إسناد زياد عن مالك)) ،

وكتاب ((الجوابات المجتمعة عن السؤالات المنوعة))،
وكتاب ((إملاء فوائد الدول في ابتداء مقاصد الجمل))،
وكتاب ((أجوبة الإقناع والإحساب في مشكلات مسائل
الكتاب))، وكتاب ((منهج الضوابط المقسمة في شرح
قوانين المقدمة))، وكتاب ((التوجيه الأوضح الأسمى في
حذف التنوين من حديث أسما))، وكتاب ((التكملة
والتبرية في إعراب البسمة والتصلية))، وكتاب ((سَحُّ
مزنة الانتخاب في شرح خطبة الكتاب)). ومنها ((اللايح
المعتمد عليه في الرد على من رفع الخبر بلا إلى
سيويه))، وغير ذلك من مجيد ومقصر.

شعره

وشعره كثير، غريب النزعة، دال على السداجة،
وعدم الاسترابة والشعور، والغفلة المعربة عن السلامة،
من ارتكاب الحوشي، واقتحام الضرار¹، واسعمال الألفاظ
المشتركة التي تشبث بها أطراف الملاحين والمعاريض، ولع

¹ في الزيتونة: ((الضراير)).

كثير من أهل زمانه بالرد عليه، والتملح بما يصدر عنه،
منهم القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك.
ومن منتخب شعره قوله¹:

أنظر إلى ورد الرياض كأنه
ديباج خد في بنان زبرجد
قد فتحته نضارة فبدا له
في القلب رونق صفرة كالعسجد²
حكّت الجوانب خد حبّ ناعم
والقلب يحكي خدّ صب مكمد

حدث الفقيه العدل أبو جعفر أحمد بن مفضل
المالقي، قال: قال لي يوماً الشيخ الأستاذ أبو بكر ابن
الفخار، خرجت ذات يوم وأنا شاب من حلقة الأستاذ
بشريش، أعادها الله للإسلام، في جملة من الطلبة،
وكان يقابل باب المسجد حانوت سراج، وإذا فتى وسيم
في الحانوت؛ يرقم جلدًا كان في يده، فقالوا لي: لا

¹ البحر الكامل.
² العسجد هنا: هو الذهب.

تجاوز هذا الباب حتى تصنع لنا شعراً في هذا الفتى.
فقلت¹:

ورب معذر للحب داع²
يروق بهاء منظره البهيج
وشى في وجنتيه وشياً
كوشي يديه في أدم السروج

مولده

بمصن أركش؛ بلده؛ وكان لا يخبر به، في ما بين
الثلاثين والأربعين وستمئة³.

وفاته

توفي بمالقة في عام ثلاثة وعشرين وسبعماية⁴ وكانت
جنازته بمالقة مشهورة.

* * *

¹ البحر الوافر.

² في الزيتونة: ((دارع)).

³ الموافق لما بين 1232م و 1242م.

⁴ الموافق لـ 1323م.

محمد بن علي

(ابن عمر بن يحيى بن العربي النساني؛ من أهل الحمّة¹
من عمل المربة؛ يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن العربي،
وينتمي في بني أسود من أعيانها).

حاله

من العايد: كان رحمه الله من أهل العلم والدين
والفضل، طلق الوجه، حسن السير، كثير الحياء، كأنك
إذا كلمته تخاطب البكر العذراء، لا تلقاه إلا مبتسماً، في
حسن سمت، وفضل هوى، وجميل وقار، كثير
الخشوع، وخصوصاً عند الدخول في الصلاة، تلوح عليه
بذلك، عند تلاوته سيما الحضور، وحلاوة الإقبال. وكان
له تحقق بضبط القراءات، والقيام عليها، وعناية بعلم
العربية، مع مشاركة في غير ذلك من الفنون السنية،
والعلوم الدينية. انتصب للإقراء والتدريس بالحمّة
المذكورة، فقرب النجعة على أهل الحصون والقري

¹ سبق التعريف بها.

الشرقية، فصار مجتمعاً لأرباب الطلب من أهل تلك الجهات ومرتفاتهم. وكان رجلاً صالحاً، مبارك النية، حسن التعليم، نفع الله به من هنالك، وتخرج على يديه جمع وافر من الطلبة، عمرت بهم ساير الحصون. وكان له منزل رحب للقاصدين، ومنتدى عذب للواردين. تجول في آخرة بالأندلس والعدوة، وأخذ عمن لقي بها من العلماء، وأقام مدة بسبته، مكباً على قراءة القرآن والعربية. وبعد عوده من تجواله لزم التصدر للإقراء بحيث ذكر، وقد كانت الحواضر فقيرة لمثله، غير أنه آثر الوطن، واختار الاقتصاد.

مشيخته

أخذ بالمرية عن شيخها أبي الحسن بن أبي العيش، وبغرناطة عن الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، والعدل أبي الحسن بن مستقور، وبلش عن الأستاذ أبي عبد الله بن الكماد، والخطيب أبي جعفر بن الزيات، وبمالقة عن الأستاذ أبي عبد الله بن الفخار، والشيخ أبي عبد الله

محمد بن يحيى بن ربيع الأشعري، وبالجزيرة عن خطيبها
أبي العباس بن خميس، وبسبته عن الأستاذ أبي إسحاق
الغافقي، والخطيب أبي عبد الله بن رشيد، والإمام
الصالح أبي عبد الله محمد بن محمد بن حريث، والقاضي
أبي عبد الله القرطبي، والزاهد أبي عبد الله بن معلى،
الشيخ الخطيب أبي عبد الله الغماري، وبمكناسة من
القاضي وارياش، وبفاس من الحاج الخطيب أبي الربيع
سليمان بن مفتاح اللجاي، والأستاذ أبي الحسن بن
سليمان، والأستاذ أبي عبد الله بن أجروم الصنهاجي،
والحاج أبي القاسم بن رجا بن محمد بن علي وغيرهم،
وكل من ذكر أجاز له عامة، إلا قاضيمكناسة أبي عبد
الله محمد بن علي الكلبي الشهير بوارياش.

مولده

في أول عام اثنين وثمانين وستمائة¹.

وفاته

توفي بالحمة؛ ليلة الإثنين الثامن عشر لشهر محرم عام
ثمانية وأربعين وسبعمائة².

* * *

¹ الموافق لـ 1283م.
² الموافق لـ 1347م.

محمد بن علي

(بن محمد العبري¹؛ من أهل مالقة؛ يكنى أبا عبد الله،
ويعرف باليتيم.

حاله

كان رحمه الله أحد الظرفاء من أهل بلده، مليح الشكل، حسن الشيبة، لودعياً في وقار، رشيق النظم والنثر، غزلاً مع الصون، كثير الدعابة من غير إفحاش، غزير الأدب، حسن الصوت، رائق الخط بديع الوراقة، معسول الألفاظ، ممتع المجالسة، طيب العشرة. أدب الصبيان مدة، وعقد الشروط أخرى، وكان يقرأ كتب الحديث والتفسير والرقائق للعامّة بالمسجد الأعظم، بأعذب نغمة، وأمثلة طريقة، مذ أزيد من ثلاثين سنة، لم يخل منها وقتاً إلا ليلتين، إحداهما بسبب امتساكنا به في نزهة برياض بعض الطلبة. لم يخلف مثله بعده. وخطب بقصبة مالقة، ومال أخيراً إلى نظر الطب، فكان الناس يميلون إليه،

¹ له ترجمة في: الكتبية الكامنة، ونفح الطيب.

ويبتغون به لسياغ مشاركته، وعموم انقياده، وبره وعمله على التودد والتجمل.

وجرى ذكره في "التاج المحلى" بما نصه: مجموع أدوات حسان، من خط ونعمة ولسان، أوراقه¹ روض تتضوع نسماته، وبشره صبح تتألق قسماته، ولا يخفى² سماته. يقرطس أغراض الدعابة ويصميتها، ويفوق سهام الفكاهة إلى مراميها، فكلما صدرت في عصره قصيدة هازلة، أو أبيات منحطة عن الإجابة نازلة، خمس أبياتها وذيلها، وصرف معانيها وسهلها³، وتركها سمر الندمان، وأضحوكة الزمان⁴. وهو الآن خطيب المسجد الأعلى من مالقة⁵، متحل بوقار وسكينة، حال من أهلها بمكانة مكيته، لسهولة جانبه، واتضح مقاصده في الخير ومذاهبه. واشتغل لأول أمره بالتعليم⁶ والتكثير، وبلغ

¹ في الكتيبة، والنفح: ((أخلاقه)).

² نفسيهما: ((تخفى)).

³ في النفح: ((وسيلها)).

⁴ نفسه: ((الأزمان)).

⁵ نفسه: ((بمالقة)).

⁶ نفسه: ((أمره بالتكثير)).

الغاية في الوقار¹ والترتيب، وللشباب² لم ينصل
خضابه، ولا شلت للمشيب عضابه، ونفسه بالمحسن
كلفة³؛ وشأنه كله هوى ومحبة، ولذلك ما خاطبه به
بعض أوداياه⁴، وكلاهما رمى أهله بدايه، حسبما يأتي
خلال هذا المقول⁵ وفي أثناؤه بحول الله.

شعره

كتبت إليه أسأل منه ما أثبت في كتاب "التاج" من
شعره؛ فكتب إلي⁶:

أما الغرام فلم أخلل بمذهبه
فلم حرمت فؤادي نيل مطالبه
يا معرضاً عن فؤادٍ لم يزل كلفاً
بحبه ذا حذار من تجنبه

¹ في النفع: ((في التعليم والترتيب)).

² نفسه: ((والشباب))؛ وهو أصوب.

³ في النفع: ((كلفة صبة)).

⁴ أي بعض محبيه الذين ودونه.

⁵ في النفع: ((هذا القول)).

⁶ البحر البسيط.

قطعت عنه الذي عودته فغدا
وحظه من رضاه برق خلبه¹
أيام وصلك مبذول وبرك بي
مجدد قد صفا لي عذب مشربه
وسمع ودك عن إفك العواذل في
شغل وبدر الدجى ناس لمغربه
ألأنت² تمنعني نيل الرضا كرمأ
ولا فؤادي بوان في تطلبه
لله عرفك ما أذكى تتسمه
لو كنت تمنحني استشاق طيبه
أنت الحبيب الذي لم أتخذ بدلاً
منه وحاش لقلبي من تقلبه
يا ابن الخطيب الذي قد فقت كل سناً
أزال عن ناظري إظلام غيبه

¹ أي البرق الذي لا مطر تليه.
² في النفع: ((لا أنت)).

محمد الحسن في خلق وفي خلق
كَمَلْتُ¹ باسمك معنى الحسن فازه به
نأيت² أو غبت مالي عن هواك غنى
لا ينقص البدر حسناً في تغيبه
سيان حال التداني والبعد وهل
لمبصر البدر نيل في ترقبه
يا من أحسن ظني في رضاه وما
ينفك ييذى قبيحاً من تغضبه
إن كان ذنبي الهوى فالقلب مني لا
يصغي لسمع ملامٍ من مؤنبه
فأجبت به هذه الرسالة، وهي ظريفة في معناها: ((يا
سيدي، الذي إذا رفعت راية ثنائه تلقيتها باليدين³، وإذا
قسمت سهام وداده على ذوي اعتقاده، كنت صاحب
الفريضة⁴ والدين، دام بقاؤك لِطُرْفَةٍ⁵ تبديها، وغريبة

¹ في النفع: ((أكملت))؛ وهو أسلم.

² نفسه: ((حضرت)).

³ سبق لشمخ بن ضرار تناول هذا المعنى حين قال في عرابة الأوسي:
(البحر الوافر) ((إذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين)).

⁴ أي صاحب الحصاة من الإرث.

⁵ أي لكل غريب مستحسن.

تردّفها، بأخرى تليها، وعقيلة بيان تجليها ونفس أخذ
الحزن بكظمها، وكلف الدهر بشت نظمها، تؤنسها
وتسليها، لم أزل أعزك الله، أشد على بدائعها¹ يد
الضنين²، وأقتني درر كلامك، ونفثات أقلامك، اقتناء
الدر الثمين، والأيام بليقياك تعد ولا تسعد، وفي هذه
الأيام انثالت علي سماوك بعد قحط، وتوالت³ علي
آلوك على شحط⁴، وزارتني من عقائل بيانك كل فاتنة
الطرف، عاطرة العرف، رافلة في حلل البيان والظرف،
لو ضربت بيوتها بالحجاز، لأقرت لنا العرب العاربة⁵
بالإعجاز، ماشيت من رصف المبني، ومطاوعة اللفظ
لغرض المعنى، وطيب الأسلوب، والتشبيث بالقلوب. غير
أن سيدي أفرط في التنزل، وخلط المخاطبة بالتغزل،

¹ في النفح: ((بدائعك)).

² أي يد البخيل.

³ في النفح: ((وتواترت لدي)).

⁴ إي على بعد.

⁵ هم الطبقة الأولى من العرب؛ وعددهم ابن خلدون بقوله: ((وهم: عاد،
وثضمود، وطسّم، وجديس، وأمّيم، وعبيل، وعبد ضخم، وجرهم،
وحضرموت، وحضورا، والسلف)). العبر: مج: 2، ص: 34. وسموهم
أيضاً العرب البائدة؛ أي الهالكة؛ لأنهم اندثروا.

وراجع الالتفات، ورام استدراك ما فات. يرحم الله¹
شاعر المعرة²، فلقد أجاد في قوله، وأنكر [مناجاةً
للشوق]³، بعد انصرام حوله فقال⁴:

أبعد حول تناجي للشوق⁵ ناجية⁶

هلا ونحن على عشر من العشر⁷

وقد⁸ تجاوزت في الأمل⁹، وأنسيت أخبار صاحبك
صاحبك عبد الصمد، فأقسم بألفات القدود، وهمزات
الجفون السود، وحاملي¹⁰ الأرواح مع الألواح، بالغدو
والرواح، لولا بعد مزارك، ما أمنت غايلة ما تحت إزارك
ثم إنني حققت الغرض، وبحث عن المشكل الذي
عرض، فقلت للخواطر انتقال، ولكل مقام مقال،

¹ في النفع: ((ويرحم الله تعالى)).
² هو الشاعر أبو العلاء المعري. (أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي
التنوخي المعري)؛ ولد في معرة النعمان بسوريا سنة 363هـ/973م
وتوفي بها سنة 449هـ/1057م.
³ في النفع: ((مناجاة الشوق)).
⁴ هذا البيت لأبي العلاء المعري؛ وهو من البحر البسيط.
⁵ في النفع: ((الشوق))؛ وهو أسلم.
⁶ الناجية: هي الناقة السريعة.
⁷ العشر: ضرب من الشجر.
⁸ في النفع: ((ولقد)).
⁹ نفسه: ((الأمم)).
¹⁰ نفسه: ((حامل)).

وتختلف الحوائج باختلاف الأوقات، ثم رفع اللبس خبر الثقات.

ومنها: وتعرفت ما كان من مراجعة سيدي لحرفة التكتيب والتعليم، والحنين إلى العهد القديم، فسرت باستقامة حاله، وفضل ماله، وإن لاحظ الملاحظ¹ ما قال الجاحظ²، فاعتراض لا يرد، وقياس لا يضطرد³، حبذا والله عيش [أهل]⁴ التأديب، فلا بالضنك ولا بالجديب⁵، بالجديب⁵، معاهدة الإحسان، ومشاهدة الصور الحسان، يميناً إن المعلمين لسادة المسلمين، وإني لأنظر منهم، كلما خطرت على المكاتب، أمراً⁶ فوق المراتب، من كل

¹ في النفح: (اللاحظ).

² يشير إلى قصة عمرو بن بحر الجاحظ مع نواذر المعلمين؛ حين قال: ((كنت ألفت كتاباً في نواذر المعلمين وما هم عليه من الغفلة، ثم رجعت عن ذلك وعزمت على تقطيع الكتاب؛ فدخلت يوماً قرية؛ فوجدت فيها معلماً في هيئة حسنة، فسلمت عليه فرد عليّ أحسن رد، ورحب بي؛ فجلست عنده، وباحثته في القرآن فإذا هو ماهر، ثم فاتحته في الفقه والنحو وعلم المعقول وأشعار العرب؛ فإذا هو كامل الأدوات؛ فقلت: هذا والله مما يقوي عزمي على تقطيع الكتاب)). ولكنه أود قصة أخرى عن معلم آخر؛ وجده في منتهى الحمق؛ فتراجع وأبقى على الكتاب. ومع هذا فالجاحظ هو القائل: ((وقالوا اسم المؤدب من الأدب)).

³ في النفح: ((لا يضطرد)).

⁴ سقطت هذه الكلمة في النفح.

⁵ أي: ولا بالضيق ولا وبالقفر والجذب.

⁶ في النفح: ((أمراء))؛ وهو أصوب.

مسيطر الدرّة، متقطّب الأسرة، متنمر للوارد تنمر الهرة،
يغدو إلى مكتبه والأمير¹ في موكبه، حتى إذا استقل في
فرشه، واستولى على عرشه، وترنم بتلاوة قانونه²
وورشه، أظهر للخلق احتقاراً، وأندى³ بالجبّال وقاراً،
ورفعت إليه الخصوم، ووقف بين يديه الظالم والظلم،
فتقول: كسرى في إيوانه، والرشيد في زمانه، والحجاج
بين أعوانه. وإذا استولى على البدر السرار، وتبين للشهر
الغرار⁴، تحرك⁵ إلى الحرج، تحرك⁶ القرد⁶ إلى الفرج.
أستغفر الله مما يشق على سيدي سماعه، وتشمئز من
ذكره⁷ طباعه، شيم اللسان، خلط الإساءة بالإحسان،
والغفلة من صفات الإنسان. فأبي عيش هذا⁸ العيش،
وكيف حال أمير هذا الجيش، طاعة معروفة، ووجوه إليه

¹ في النّفح: ((كالأمير)).

² نفسه: ((قالونه)). وقالون: هو أحد المقرنين - مثل ورش - له قراءة أسندت إليه.

³ في النّفح: ((وأزرى)).

⁴ في الإسكوريال: ((العرار)).

⁵ في النّفح: ((تحرك)).

⁶ نفسه: ((العود)).

⁷ نفسه: ((ذكره)).

⁸ نفسه: ((كهذا)).

مصروفة، فإن أشار بالإنصات، تتحقق الغُصَّات¹، فكأنما طمس الأفواه²، ولأم بين الشفاه. وإن أمر بالإفصاح، وتلاوة الألواح، علا الضجيج والعجيج، وحف به كما حف بالبيت الحجيج. وكم بين ذلك من رشوة تدس، وغمزة لا تحس، ووعد يستنجز، وحاجة تستعجل وتحفز. هنا الله سيدي ما خوله، وأنساه بطيب آخره أوله. وقد بعثت بدعابتي هذه مع إجلال قدره، والثقة بسعة صدره، فليتلقها يمينه، ويفسح لها في المرتبة بينه وبين خدينه³، ويفرغ لمراجعتها وقتاً من أوقاته⁴ بمقتضى دينه، وفضل يقينه، والسلام)).

ومن شعره ما كتب به إلى⁵:

آيات حسنك حجة للقال⁶

في الحب قائمة على العذال

¹ في النفح: ((لتحقق الغُصَّات)).

² نفسه: ((على الأفواه)).

³ أي بينه وبين صديقه.

⁴ في النفح: ((أوقاته عملاً بمقتضى...)).

⁵ البحر الكامل.

⁶ في الكتيبة الكامنة: ((للتالي)).

يا من سبا طوعاً عقول ذوي النهي
ببلاغةٍ قد أيدت بجمال
يستعبد الأبصار والأسماع ما
يجلو ويتلو من سنيّ مقال
وعليك أهواء النفوس بأسرها
وقفت فطيرك¹ لا يمر ببال
رفعت لرئيه² في البلاغة راية
لما احتالت بها وحيد كمال
وغدت تباهي منك بالبدر الذي
تعنو البدور لنوره المتلالي
ماذا ترى يا ابن الخطيب لخطب³
وداً ينافس فيك كل مقال⁴
جذبتّه نحو هواك غر محاسن
مشفوعة أفرادها بمعال

¹ في الكتيبة الكامنة: ((فغيرك)).
² رية Rejio: اسم ولاية أندلسية؛ يقع بها ثغر مالقة. بينما كتب في
الكتيبة الكامنة: ((رفعت لديك)).
³ في الكتيبة: ((يخاطب)).
⁴ نفسه: ((مغال)).

وشمايل رقت لرقعة طبعها
فزلالها يزري بكل زلال
وحلي آداب بمثل نفيسها
تزهو الحلا ويحل قدر الحال
يستخدم¹ الياقوت عند نظامها
فمقصر من قاسها بلال
سبق الأخير الأولين بفضلها
فغدا المقدم تابعاً للتالي
شغفي بذكر² من عقايلها إذا
تبدو تصان من الحجا بحجال
فابعث بها نلت³ المنا ممهورة
طيب التناء لنقدها والكال
لا زلت شمساً في الفضائل يهتدى
بسناك في الأفعال والأقوال⁴

¹ في الكتيبة الكامنة: ((تستخدم)).

² نفسه: ((بيكر)).

³ نفسه: ((بنت)).

⁴ نفسه: ((في الأقوال والأفعال)).

ثم السلام عليك يترى ما تلت
بكر الزمان روادف الأصال
ومن الدعابة، وقد وقعت إليها الإشارة من قبل، ما
كتب به إليه صديقه الملائف أبو علي ابن عبد السلام¹:
أبا عبد الله نداء خل
وفي جاء يمنحك النصيحة
إلى كم تألف الشبان غياً
وخذلانا أما تخشى الفضيحة
فأجابه رحمه الله²:

فديتك صاحب السمة المليحة
ومن طابت أرومته الصريحه
ومن قلبي وضعت له محلاً
فما عنه يحل بأن أزيحه
نأيت فدمع عيني في انسكاب
وأكباده³ لفرقتكم قريحه

¹ البحر الوافر.

² البحر الوافر.

³ في النفع: ((وأكبادي)).

وطرفي لا يتاح له رقاد
وهل نوم لأجفان جريحه
وزاد تشوقي أبيات شعر
أتت منكم بألفاظ فصيحه
ولم تقصد بها جداً ولكن
قصدت بها مداعبة قبيحه¹
فقلت أتألف الشبان غيا
وخذلانا أما تخشى الفضيحه
وفيهم² حرفتي وقوام عيشي
وأحوالي بخلطتهم نجيحه
وأمرى فيهم أمر مطاع
وأوجههم مصابيح صبيحه

¹ في النفع: ((وقيحة)).
² نفسه: ((ففيهم)).

وتعلم أنني رجل حصور¹

وتعرف ذلك معرفة صحيحة

قال في "التاج"²: ولما اشتهر المشيب بعارضه ولته،
وخفر الدهر لعمود صباه وأذمته، ألقع واسترجع، وتألم
لما فرط وتوجع، وهو الآن من جلة الخطباء، طاهر العرض
والثوب، خالص من الشوب، باد عليه قبول قابل التوب.

وفاته رحمه الله

في آخر صفر من عام خمسين وسبعماية³ في وقعة
الطاعون العام⁴، ودخل غرناطة.

¹ أي: إنني رجل منقطع عن النساء، ومتفرغ للعبادة. وفي هذا المعنى؛
جاء في الذكر الحكيم: (فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ
اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ
الصَّالِحِينَ). سورة آل عمران؛ الآية: 39.

² عنوانه بالكامل: التاج المحلى في مساجلة المعلى. وهو كتاب صغير
لابن الخطيب؛ سبق ذكره.

³ الموافق لـ 1349م.

⁴ سبقت الإشارة إلى هذا الوباء الجارف.

من الغرباء في هذا الباب

محمد بن أحمد

(ابن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي¹؛
من أهل تلمسان؛ يكنى أبا عبد الله، ويلقب من الألقاب المشرقية
بشمس الدين).

حاله

هذا الرجل من طُرفِ دَهرِه ظرفاً وخصوصية
ولطافة، مليح التوسل² حسن اللقاء، مبذول البشر، كثير
التودد، نظيف البزة، لطيف التأتّي³، خير البيت، طلق
الوجه، خلوب اللسان، طيب الحديث، مقدر الألفاظ،
عارف بالأبواب، درب على صحبة الملوك والأشراف،
متفاض لإيثار السلاطين والأمراء يسحرهم بخلافة لفظه،
ويفتلهم⁴ في الذروة والغارب بتنزله، ويهتدي إلى

¹ توجد ترجمة محمد بن أحمد بن مرزوق العجيسي التلمساني أيضاً في:
التعريف بابن خلدون، وبغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبدالواد،
ونيل الابتهاج، والدرر الكامنة، والديباج المذهب، ونفح الطيب، والبستان
في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان.

² في جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الإعلام مدينة فاس: ((الترسل)).

³ في النفح: ((التأتّي)).

⁴ أي يداورهم.

أغراضهم الكمينية بحذقه، ويصنع¹ غاشيتهم بتلطفه، ممزوج الدعابة بالوقار، والفكاهة بالنسك، والحشمة بالبسط، عظيم المشاركة لأهل وده، والتعصب لإخوانه، إلف مألوف، كثير الأتباع والعُلق²، مسخر الرقاع في سبيل الوساطة، مجدي الجاه، غاص المنزل بالطلبة، منقاد الدعوة، بارع الخط، أنيقه، عذب التلاوة، متسع الرواية، مشارك في فنون، من أصول وفروع وتفسير، يكتب ويشعر ويقيد ويؤلف، فلا يعدو السداد في ذلك، فارس منبر غير جزوع ولا هيابة³. رحل إلى المشرق في كنف حشمة نم جناب والده رحمه الله، فحج وجاور، ولقي الجلة، ثم فارقة، وقد عرف بالمشرق حقه، وصرف وجهه إلى المغرب، فاشتمل عليه السلطان أبو الحسن أميره، اشتمالاً خلطه بنفسه، وجعله مفضى سره، وإمام جمعته وخطيب منبره، وأمين رسالته، فقدم في غرضها على الأندلس في أواخر عام ثمانية وأربعين

¹ في النفع: ((ويصطنع)).

² أي الذين يتعلقون ويلتصقون به.

³ في النفع: ((هيا)).

وسبعماية¹، واجذبه² سلطانها رحمه الله، وأجراه على تلك الوتيرة، فقلده الخطبة بمسجده في السادس لصفر عام ثلاثة وخمسين وسبعماية³، وأقعه للإقراء بالمدرسة من حضرته. وفي أخريات عام أربعة وخمسين بعده أطرف عنه حفن بره⁴، في أسلوب طماح⁵ ودالة، وسبيل هوى وقحة، فاغتنم العبرة⁶، وانتهم الفرصة، وأنفذ في الرحيل العزمة، وانصرف عزيز الرحلة، مغبوط المنقلب، في أوادثل شعبان عام أربعة وخمسين وسبعماية⁷، فاستقر فاستقر بباب ملك المغرب، أمير المؤمنين أبي عنان فارس في محل تجلة، وبساط قرب، مشترك الجاه، مجدي التوسط، ناجع الشفاعة، والله يتولاه ويزيده من فضله.

¹ الموافق لـ 1347م

² في النفع: ((فاجتذبه)).

³ الموافق لـ 1352م

⁴ في النفع: ((وخمسين صرف عنه حفن بره)).

⁵ في الزيتونة: ((طمع)).

⁶ في النفع: ((الفترة)).

⁷ الموافق لـ 1353م.

مشيخته

[من كتابه المسمى ((عجالة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز، من أئمة المغرب والشام والحجاز)). فممن لقيه بالمدينة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام، الإمام العلامة عز الدين محمد أبو الحسن ابن علي بن إسماعيل الواسطي صاحب خطتي الإمامة والخطابة بالمسجد النبوي الكريم¹، وأفرد جزءاً في مناقبه. ومنهم الشيخ الإمام جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى الخزرجي السعدي العبادي، تحمل عن عفيف الدين أبي محمد عبد السلام بن مزروع، وأبي اليمن، وغيره. والشيخ الإمام خادم الوقت بالمسجد الكريم ونائب الإمامة والخطابة به، ومنشد الأمداح النبوية هنالك². وبمكة شرفها الله، الشيخ المعمر الثقة شرف

¹ في النفح: ((بالمسجد الكريم النبوي)).

² هذا ما ورد في الزيتونة؛ أما الإسكوريال؛ فقد جاء في مخطوطه: ((منقولة من خطه وكتابه المسمى عجالة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز؛ اختصرتها لطولها إذ هي نحو من ثلاثة (هكذا) أوراق)).

الدين أبو عبد الله عيسى بن عبد الله الحجي¹ المكي. والشيخ الصالح شرف الدين خضر بن عبد الرحمن العجمي. والشيخ مقري الحرم برهان الدين إبراهيم بن مسعود بن إبراهيم الأبلي² المصري. والشيخ الإمام الصالح أبو محمد عبد الله بن أسعد الشافعي الحجة، انتهت إليه الرياسة العلمية والخطط الشرعية بالحرم. والشيخ قاضي القضاة وخطيب الخطباء عز الدين أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن جماعة الكناني قاضي القضاة بمصر³. وبمصر الشيخ علاء الدين القونوي. والتقي السعدي، وقاضي القضاة القزويني، والشرف أفضى القضاة الإخميمي، وكثيرون غيرهم. وسمع من عدد عديد آخر من أعلام القضاة والحفاظ والعلماء بتونس، وبجابه، والزاب، وتلمسان.

¹ في النفع: الحجي).

² نفسه: (الأيلي).

³ نفسه: (قاضي القضاة بالديار المصرية).

محتته

اقتضى الخوض الواقع بين يدي تاميل الأمير أبي الحسن رحمه الله، وتوقع عودة الأمر إليه، وقد ألقاه اليم بالساحل بمدينة الجزائر، أن قبض عليه بتلمسان، أمراؤها المتوثبون عليها في هذه الفترة، من بني زيان، إرضاء لقبيلهم، المتهم بمداخلته، وقد رحل عنهم دسيساً من أميرهم عثمان بن يحيى بن عبد الرحمن بن يغمراسن؛ فصرف مأخوذاً عليه طريقه، منتهباً رحله، منتهكة حرمة، وأسكن قرارة مطبق عميق القعر، مقفل المسلك، حريز القفل، ثاني اثنين. ولأيام قتل ثانيه ذبحاً بمقربة من شفى تلك الركبة، وانقطع لشدة الثقاف أثره، وأيقن الناس بفوات الأمر فيه.

ولزمان من¹ محتته ظهرت عله بركة سلفه، في خبر ينظر بطرقه² إلى الكرامة، فنجوا ولا تسل كيف، وخلصه

¹ كلمة ((من))؛ سقطت في الإسكريال.
² في الإسكوريال: ((بطرف)).

الله خلاصاً جميلاً، وقدم على الأندلس، والله ينفعه
بمحتته¹.

شعره

وما وقع من المكاتبة بيني وبينه
ركب مع السلطان خارج² الحمراء، أيام ضربت
اللوز قبابها البيض، وزينت الفحص العريض، والروض
الأريض³، فارتجل في ذلك⁴:
[أنظر إلى النوار في أغصانه
يحكي النجوم إذا تبدت في الحلك⁵
حيا أمير المسلمين وقال قد
عميت بصيرة من بغيرك متأك⁶

¹ في النفع: ((بنيته)).

² نفسه: ((بخارج)).

³ أي كثير العشب.

⁴ البحر الكامل.

⁵ سقط هذا البيت في الإسكوريال.

⁶ أي عميت بصيرة من زعم أن لك مثيلاً.

يا يوسفاً حزت الجمال بأسره
فمحاسن الأيام تومي هيت لك¹
أنت الذي صعدت به أوصافه
فيقال فيه ذا مليك أو ملك²
ولما قدمت على مدينة فاس في غرض الرسالة،
خاطبني بمنزل الشاطبي على مرحلة منها بما نصه³:
يا قادمًا وافي بكل نجاح
أبشر بما تلقاه من أفراح
هذي ذرى ملك الملوك فلذ بها
تتل المنى وتفز بكل سماح
معنى الإمام أبي عنان يمين
تظفر ببحر في العلى⁴ طفاح

¹ أي: هلم تعالى. وجاء هذا القول في الذكر الحكيم: [وَعَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ]؛ سورة يوسف؛ من الآية: 23. وقد أوردنا الآية كاملة من قبل.
² اقتبس هذا من قوله تعالى: [وَقُلْنَا حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ]. سورة يوسف؛ من الآية: 31. وقد سبق إثبات الآية كاملة.
³ البحر الكامل.
⁴ في الاستقصا: ((بالندا)).

من قاس جود أبي عنان ذي الندى¹
بسواه قاس البحر بالضحاح²
ملك يفيض على العفاة نواله
قبل السؤال وقبل بسطة راح
فلجود كعب وابن سعدى³ في الندى
ذكر محاه من نداءه ماح
ما أن رأيت ولا سمعت بمثله⁴
من أريحي للندي مرتاح
بسط الأمان على الأنام فأصبحوا
قد ألحفوا منه بظل جناح
وهمى على العافين سيب نواله
حتى حكى سح الغمام الساح

¹ في النفع: ((في الندى)).

² الضحاح: الماء القليل.

³ يقصد بكعب: كعب بن مامة بن عمرو الإيادي الذي يضرب المثل بجوده؛ أما ابن سعدى؛ فهو: أوس بن خالد ابن حارثة بن لام الطائي. يضرب به المثل في الجود والفضل.

⁴ في النفع: ((ما إن سمعت ولا رأيت بمثله)).

فنواله وجلاله وفعاله
فاقت وأعيت ألسن المداح
وبه الدنا أضحت تروق وأصبحت
كل المنى تتقاد بعد جماح
من كان ذا طرح فرؤية وجهه
متلافة الأحزان والأتراح
فانهض أبا عبد الإله تفز بما
تبغيه من أمل ونيل نجاح
لا زلت ترتشف الأمانى راحة
من راحة المولى بكل صباح

والحمد لله يا سيدي وأخي على نعمه التي لا تحصى
حمداً يؤم به جميعنا المقصد الأسنى، فيبلغ الأمد
الأقصى، فطالما كان معظم سيدي للأسى في خبال،
وللأسف بين اشتغال بال، واشتغال بلبال¹، ولقدومكم
على هذا المقام² العلي في ارتقاب، ولمواعيدكم³ بذلك في

¹ البلبال: الوسواس.

² في النفع: ((هذا المحل المولوي)).

³ نفسه: ((ولمواعيدكم)).

تحقق وقوعه من غير شك ولا ارتياب، فها أنت تجتلي،
من هذا المقام العلي، لِتُشَيِّعَكَ¹ وجوه المسرات صباحاً،
وتتلقى أحاديث مكارمه ومواهبه مسندة صحاحاً بحول
الله. ولسيدي الفضل في قبول مركوبه الواصل إليه
بسرجه ولجامه، فهو من بعض ما لدى المحب² من إحسان
مولاي³ وإنعامه. ولعمري لقد كان وافداً على سيدي في
مستقره مع غيره. فالحمد لله الذي يسر في إيصاله على
أفضل أحواله. فراجعتة بقولي⁴:

راحت تذكرني كؤوس الراح
والقرب يخفض للجنوح جناح
وسرت تدل على القبول كأنما
دل النسيم على انبلاج صباح
حسنا قد غنيت بحسن صفاتها
عن دملج وقلادة ووشاح

¹ في النفع: ((بِشَيِّعَكَ)).

² نفسه: ((المعظم)).

³ نفسه: ((مولاه)).

⁴ نفسه: ((فراجعتة بمانصه)). والقصيدة من البحر الكامل.

أُمتت تحض على اللياذ بمن جرت
بسعوده الأعلام في الأفراح¹
بخايفة الله المؤيد فارس
شمس المعالي الأزهر الوضاح
ما شيت من همم² ومن شيم غدت
كالزهر أو كالزهر في الأدواح
فضل الملوك فليس يدرك شأوه
أنى يقاس الغمر بالضحاح
أسنى بني عباسهم بلوائه الـ
منصور أو بحسامه السفاح
وغدت مغاني الملك لما حلها
تزهى ببدر هدى وبحر سماح
وحياة من أهداك تحفة قادم
في العرف منها راحة الأرواح

¹ في النفع: ((في الألواح)).

² نفسه: ((من شيم ومن هم)).

ما زلت أجعل ذكره وثناءه
روحي وريحاني الأريج وراح
ولقد تمازج حبه بجوارحي
كتمازج الأجسام بالأرواح
ولو أنني أبصرت يوماً في يدي
أمري لطرت إليه دون جناح
فالآن ساعدني الزمان وأيقنت
من قربه نفسي بفوز قداح
إيه أبا عبد الإله وإنه
لنداء ود في علاك صراح
أما إذا استجدتني من بعد ما
ركدت لما خبت الخطوب رياح
فأليكمها مهزولة وأنا امرؤ
قررت عجزني وأطرحت سلاح

سيدي: أبقاك الله لعهد تحفظه، وولى بعين الولاء
تلحظه. وصلتني رقعتك التي ابتدعت¹، وبالحق من مدح²
المولى الخليفة صدعت، وألفتني وقد سطت بي الأوجال³،
حتى كادت تتلف الرحال، والحاجة إلى الغذاء، قد
شمرت كشح البطين، وثانية العجاوين⁴ قد توقع فوات
وقتها، وإن كانت صلاتها صلاة الطين⁵، والفكر قد غاض
معينه، وضعف وعلى الله جزاء المولى الذي يعينه،
فغزتني بكتيبة بيان أسدها هصور، وعلمها منصور،
وألفاظها ليس فيها قصور، ومعانيها عليها الحسن
مقصور، واعتراف مثلي بالعجز في المضايق حول ومنة،
وقول لا أدري للعالم فكيف لغيره جنة. لآكنها بشرتني بما
يقل لمهديه⁶ بذل النفوس وإن جلت، وأطلعتني من السراء

¹ في النفع: ((أبدعت)).

² نفسه: ((من مولى)).

³ نفسه: ((الأوجال)).

⁴ يقصد بالعجاوين: صلاتي الظهر والعصر؛ لأن الصلاة لا يجهر بالقراءة
فيهما. أما ثانية العجاوين؛ فهي صلاة العصر.

⁵ هي صلاة الشيعة؛ الذين يسجدون على نماذج وقطع صغيرة من الطين
الحسيني المجفف، وهي مصنوعة من تربة مقام سيدنا الحسين رضي الله عنه.

⁶ في النفع، والاستقصا: ((لمؤديه)).

على وجه تحسده الشمس إذا تجلت، بما أعلمت¹ به من جميل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أيده الله، في عبده، وصدق المخيلة في كرم مجده. وهذا هو الجود المحض، والفضل الذي شكره هو الفرض. تلك الخلافة المولوية تتصف بصفة² من يبدأ بالنوال، من قبل الضراعة والسؤال من غير اعتبار للأسباب، ولا مجازاة للأعمال. نسأل الله أن يبقي منها على الإسلام أوفى الظلال، ويبلغها من فضله أقصى الآمال. ووصل ما بعثه سيدي صحبتها من الهدية، والتحفة الودية، [وقبلتها امثالاً³، واستجليت منها عتقاً وجمالاً. وسيدي في الوقت أنسب إلى اتخاذ⁴ ذلك الجنس، وأقدر على الاستكثار من إناث البهم والإنس. وأنا ضعيف القدرة، غير مستطيع لذلك إلا في الندر، فلو رأى سيدي، ورأيه سداد، وقصده فضل ووداد، أن ينقل القضية [إلى باب العارية من باب الهبة⁵]

¹ في النفع، والاستقصا: ((أعلمتني)).

² نفسيهما: ((بصفات)).

³ سقطت هذه العبارة في الإسكوريال.

⁴ في النفع: ((لاتخاذ)).

⁵ في الإسكوريال: ((من باب الهدية إلى باب العارية))؛ وصححت من الاستقصا والنفع.

مع وجوب¹ الحقوق المترتبة، لبسط خاطري وجمعه،
وعمل في رفع المؤنة على شاكلة حالي معه؛ وقد
استصحبت مركوباً يشق علي هجره، ويناسب مقامي
شكله ونجره²، وسيدي في الإسعاف على الله أجره وهذا
أمر عرض، وفرض فرض، وعلى نظره المعول، واعتماد
إغضائه هو المعقول الأول. والسلام على سيدي من معظم
قدره، وملتزم بره، ابن الخطيب، في ليلة الأحد السابع
والعشرين لذي قعدة سنة خمسة³ وخمسين وسبعماية⁴،
والسماء قد جادت بمطر سهرت منه الأجفان، وظن أنه
طوفان، واللحاق في غد بالباب المولوي، مؤمل بحول الله.
ومن الشعر المنسوب إلى محاسنه، ما أنشد عنه،
وبين يديه، في ليلة الميلاد المعظم، من عام ثلاثة وستين
وسبعماية بمدينة فاس المحروسة⁵:

¹ في النفتح: ((وجود)).

² أي أصله ولونه.

³ جعلها د. طويل: ((خمس)). وهذا أصوب.

⁴ الموافق لـ 1354م.

⁵ مجزوء الرجز.

[أيا نسيم]¹ السحر
 إن أنت يوماً بالحمى
 ثم حثت الخطو من
 مستقرياً في عشبته
 تروي عن الضحاك في الر
 مخلق الأذيال بال
 وصف لجيران الحمى
 وحقهم ما غيرت
 لله عهد فيه قَضَّ
 أيامه هي التي
 وبالليل فيه ما
 العمر فينان ووجـ
 والشمل بالأحباب منـ
 صفو من العيش بلا
 ما بين أهل تقطف الـ
 وبين آمال تبيـ
 يا شجرات الحي حيـ

بالله² بلغ خبر
 جررت فضل المئزر
 فوق الكثيب الأعفر
 خفي³ وطء المطر
 وض حديث الزهر
 عبير أو بالعنبر
 وجدي بهم وسهري
 ودي صروف الغير
 يت حميد الأثر
 أحسبها من عمري
 عيب بغير القصر
 ه الدهر طلق الغرر
 ظوم كنظم الدرر
 شائبة من كدر
 أنس جني الثمر
 ح القرب صافي الغدر⁴
 ك الحيا من شجر

¹ في النفع: ((قل لنسيم)).

² نفسه: ((الله)).

³ نفسه: ((مخفي وطء)).

⁴ مفردا غدير: وهو النهر، أو بقية من الماء يتركها السيل.

إذا أجال الشوق في تلك المغاني فكري
 خرجت من خدي حديد ث الدمع فوق الطرر
 وقلت يا خدُّ أرو من دمعي صحاح الجوهري
 عهدي بحادي الركب¹ كالـ ورقاء عند السحر
 والعيس تجتاب الفلا واليَعَمَلات² تتبيري³
 تخبط بالأخفاف مظـ لوم البرى⁴ وهو بري⁵
 قد عطفت عن مِيدِ والتفت⁶ عن حور
 قسيِّ سَيْرٍ ما سوى الـ عزم لها من وتر
 حتى إذا الأعلام حلـ لَت لحفي البشر
 واسبتشر النازح بالـ قرب ونيل الوطر
 وعين الميقات للـ فر⁷ نجاح السفر
 والناس⁸ بين محرم بالحج أو معتمر
 لبيك لبيك إلـ ه الخلق باري الصور
 ولاحت الكعبة بيـ ت الله ذات الأثر

¹ أي الذي يتغنى بالحداء لتنشيط حرطة الإبل في سيرها.
² مفردها يَعْمَلَة: وهي الناقة النجيبة المطبوعة على العمل.
³ أي تباري بقية الإبل في السرعة.
⁴ البرى هنا: التراب.
⁵ أي بريء؛ وقد خففت الهمزة واكتفي بالياء.
⁶ في النفح: ((والتفتت))؛ وهو أسلم.
⁷ أي للمسافرين.
⁸ في النفح: ((فالناس)).

مقام إبراهيم¹ والم
 واغتتم القوم طوا
 ف القادم المبتدر²
 وأعقبوا ركعتي السّ
 عي استلام الحجر³
 وعرفوا في عرفا
 ت كل عرف أذفر⁴
 ثم أفاض الناس سعي
 أفي غد للمشعر⁵
 فوقفوا وكبروا
 قبل الصباح المسفر
 وفي منى نالوا المنى
 وأيقنوا بالظفر
 وبعد رمي الجمرات
 ت كان حلق الشعر

¹ مقام إبراهيم: هو الحجر الذي وقف عليه سيدنا إبراهيم عليه السلام. وضعه له ابنه إسماعيل؛ ليقف عليه؛ وهو يرفع الحجارة على الكعبة؛ فأنطبع أثر قدميه عليه بشكل غائر. وبقي هذا الحجر ملتصقاً بحائط الكعبة؛ إلى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز؛ الذي فصله عن البيت، وأخره بضعة أمتار؛ لئلا يشغل المصلين والطائفين. وما تزال أثر قدمي إبراهيم الخليل ظاهرة على الحجر إلى الآن. وقد أحيط بغطاء زجاجي ماطر بدعائم مذهبة لحمايته من التأثيرات المناخية.

² أي المبادرة بسرعة والشروع في طواف القدوم.

³ أي استلام الحجر الأسود؛ سواء بالمسح عليه أو بتقبيله.

⁴ أي: كل ذي رائحة طيبة.

⁵ هو المشعر الحرام؛ بين عرفات ومنى؛ يسمى مزدلفة. وفيه قال سبحانه وتعالى: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ). سورة البقرة؛ الآية: 198. وقد اختلف في تحديد مكان المشعر بالضبط؛ فمن قائل في جبل قزح الرابض في آخر مزدلفة؛ وقائل ما بين، الجبلين. ولكنهم أجمعوا على المزدلفة كلها. وجاء في الأثر عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم ((صلى الفجر بالمزدلفة، ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام؛ فدعى وكبر وهلل؛ ولم يزل واقفاً حتى أسفر)).

أكرم بذاك الصحب¹ والـ
يا فوزه من موقف
حتى إذا كان الودا
فأي صبر لم يخن
وأي وجد لم يصل
ما أفجع البين لقلـ
ثم ثوانحو رسو
فعاينوا في طيبة⁵
زاروا رسول الله واسـ
نالوا به ما أملوا
على الضجيعين أباي
زيارة الهادي الشفيـ
فأحسن الله عزا
ربع ترى مستنزل الـ
وملتقى جبريل بالـ

له وذاك النَّفَر²
ياربحة من متجر
ع وطواف الصدر³
أو جلد لم يغدر
وسلوة لم تهجر
ب الواله المستغفر⁴
لِ الله سير الضمر
لألاء نور نير
تشفعوا بلثم الجدر
وعرجوا في الأثر
بكر الرضا وعمر
ع جنة⁶ في المحشر
ء قاصد لم يزر
آي به والسور
هادي الزكي العنصر

¹ في النّفح: ((السّفْر)).

² نفسه: ((السّفْر)).

³ طواف الصدر: هو طواف الوداع؛ (الطواف الأخير)؛ ومنه يتجهز الناس للعودة إلى بلدانهم.

⁴ في النّفح: ((المُسْتَعْبِر)).

⁵ طيبة: أحد أسماء المدينة المنورة.

⁶ أي وقاية.

وروضة الجنة بـ
منتخب الله ومخـ
والمنتقى والكون من
إذ لم يكن في أفق
ذو المعجزات⁴ الغرّ أمـ
يشهد بالصدق له
والضربّ والطبي إلى
من أطمع الألف بصا
والجيش رواه بما
يانكتة الكون التي
يا حجة الله على الـ
يا أكرم الرسل على الـ
يا من له التقدم الـ

ين روضة ومنبر¹
تار الوري من مضر²
ملابس الخلق عري
من زحل أو مُشْتَرٍ³
ثال النجوم الزهر
منها انشقاق القمر
نطق الحصى والشجر
ع في صحيح الخبر
ء الراحة المنهمر
فاتت منال الفكر
رائح والمبتكر
له وخير البشر
حق على التأخر

¹ الروضة الشريفة: تقع وسط، وفي مقدمة المسجد النبوي؛ وملاصقة لبیت رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضع قبره. قال فيها عليه الصلاة والسلام: ((ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة؛ ومنبري على حوضي))؛ وفي رواية: ((ومنبري على ترعة من ترع الجنة)).
² مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان. أبو عرب الشمال.
³ في النفح: ((ومشترى)).
⁴ سيذكر - فيما يلي - بعض معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومنها: انشقاق القمر، وكلام: الضب والطبي والحصى والشجر، وإطعام الجيش بصاع، واتجاج إيوان كسرى، وانطفاء نار المجوس...إلخ.

يا من لدى مولده المقـدس المطهر
 إيوان كسرى ارتج إذ ضاقت¹ قصور قيصر
 وموقد النار طفا كأنها لم تسعر²
 يا عمدتي يا ملجئي يا مفزعي يا وزري
 يا من له اللواء والـ حوض وورد الكوثر
 يا منقذ الغرقى وهم رهن العذاب الأكبر
 إن لم تحقق أملي بُوتُ بسعي المخسر
 صلى عليك الله يا نور الدجا المعتكر
 يا ويح نفسي كم أرى من غفلتي في غمر³
 واحسرو⁴ من قلتي الـ زَادَ وبعد السفر
 يحجني والله بالـ برهان وعظ المنبر
 يا حسنها من خطب لو حركت من نظـر⁵
 يا حسنها من شجر لو أورقت من ثمر
 أو مل الأوبة والـ أمر بكف القدر

¹ في النفح: ((ضاعت)).

² جاء هذا البيت في نفح الطيب هكذا:

((وموقد النار طفى * كأنه لم يسعر)).

³ ورد هذا الشطر في النفح هكذا: ((في غفلة من عُمرى)).

⁴ في النفح: ((واحسرتي))؛ وهو أصوب.

⁵ نفسه: ((نظري)).

أسوَّفُ العزمُ بها¹ من شهر لشهر
من صفر لرجب من رجب لصفري
ضيعت في الكبرة ما أعدته في صفري
وليس ما مرَّ من الـ أيام بالمنتظر
وقلَّ ما أن حمدت سلامة في غرر
ولي غريم لا يني عن² طلب المنكسر
يا نفس جدي قد بدا الـ صباح ألا فاعتبري
واتعظي بمن مضى وارثدي وازدجري
ما بعد شيب الفود من مرتقب فشمري
أنت وإن طال المدى في قلعة³ أو سفر⁴
وليس من عذر يقيـم حجة المعتذر
يا ليت شعري والمني تسرق طيب العمر
هل ارتجي من عودة أو رجعة أو صدر
فأبرد الغلة من ذلك الزلال الخصر⁵
مقتدياً بمن مضى من سلف ومعشر
نالوا جوار الله وهـ — أو الفخر للمفتخر

¹ في النفع: ((به)).

² نفسه: ((في)).

³ أي في انتقال.

⁴ في النفع: ((وسفر)).

⁵ أي العذب البارد.

أرجو بإبراهيم مو لانا بلوغ الوطر
فوعده لا يمتري في الصدق منه الممتر¹
فهو² الإمام المرتضى والخير ابن الخير
أكرم من نال المنى³ بالمرهفات البتر
مهد الملك وسي ف الحق والليث الجري
خليفة الله الذي فاق بحسن السير
وكان منه الخبر في الـ علياء وفق الخبر
فصدق التصديق من مرآه للتصور
ومستعين الله في ورد له و صدر
فاق الملوك الصيد⁴ بالـ مجد الرفيع الخطر
فأصبحت ألقابهم منسية لم تذكر
وحاز منهم⁵ أوحد وصف العديد الأكثر
برأيه المأمون أو عسكره المظفر⁶
بسيفه السفاح أو بعزمه المقتدر
بالعلم المنصور أو بالذابل المستنصر⁷

¹ في النفع: ((ممتري)). والممتر: هو الذي يشك في شيء ما.

² نفسه: ((وهو)).

³ نفسه: ((الغلا)).

⁴ نفسه: ((الصيد)).

⁵ في النفع: ((منه)).

⁶ سيشير فيما يلي بتورية إلى بعض الخلفاء العباسيين.

⁷ في النفع: ((المنتصر)).

بابن¹ الإمام الطاهر البر الزكي السير
مدحك قد علم نظم الشعر من لم يشعر²
جهد المقل اليوم من مثلي كوسع المكثّر
فإن يقصر ظاهري فلم يقصر مُضمّري

ووردت على باب السلطان الكبير العالم أبي عنان،
فبلوت من مشاركته. وحميد سعيه، ما يليق بمثله. ولما
نكبه لم أقصر عن ممكن حيلة في أمره ولما³ هلك
السلطان أبو عنان رحمه الله، وصار الأمر لأخيه
[المتلاحق من الأندلس أبي سالم بعد الولد المسمى
بالسعيد⁴] كان ممن دمث⁵ له الطاعة، وأناخ راحلة الملك،
الملك، وحلب ضرع الدعوة⁶، وخطب عروس⁷ الموهبة،

¹ في النفع: ((يا ابن)).

² نظم ابن مرزوق هذه الأبيات الأخيرة؛ بغرض إقناعها في المولد النبوي؛
أمام السلطان المريني أبي سالم إبراهيم بن علي؛ ولكن هذا الأخير لقي
مصرعه قبل المولد النبوي في سنة 762هـ/1360م.

³ في النفع: ((فلما)).

⁴ ما جاء بين حاصرتين؛ أضيف من النفع. بينما وردت في موضعها من
المخطوط هذه العبارة: ((بعد ولده)).

⁵ في النفع: ((داننت)).

⁶ نفسه: ((الدولة)).

⁷ كلمة ((عروس)) أضيفت من النفع.

الموهبة، فأنشبت ظفره في متات معقود من لدن الأب،
مشدود من لدن القربة¹، فاستحكم عن قرب، واستغلظ
عن كذب، فاستولى على أمره، وخلطه بنفسه، ولم
يستأثر عنه بثبة، ولا انفرد بما سوى بضع أهله. بحيث لا
يقطع في شيء إلا عن رأيه، ولا يمحو ويثبت إلا واقفاً
عند حده، فغشيت بابه الوفود، وصرفت إليه الوجوه،
ووقفت عليه الآمال، وخدمته الأشراف، وجلبت إلى
سدته بضايح العقول والأموال، وهادته الملوك فلا تحدو
الحداة إلا إليه ولا تحط الرحال إلا لديه. إن حضر أجرى
الرسم، وأنفذ الأمر والنهي لحظاً أو سراراً أو مكاتبة، وإن
غاب، ترددت الرقاع، واختلفت الرسل. ثم انفرد أخيراً
ببيت الخلو، ومنتبذ المناجاة، من دونه مصطفى الوزراء،
وغايات الحجاب²، فإذا انصرف تبعته الدنيا، وسارت بين
يديه الوزراء، ووقفت ببابه الأمراء، قد وسع الكل لحظه،
وشملهم بحسب الرتب والأموال رعيه، ووسم أفذادهم
تسويده وعقدت بينان عليتهم بنانه. لكن رضى الناس

¹ في النفع: ((التقرب)).

² نفسه: ((الحجاية)).

غاية¹ لا تدرك، والحق² بين بني آدم قديم، وقبيل الملك
مباين لمثله، فطويت الجوانح منه على سَل، وحنيت
الضلوع على بث، [وأغمضت الجفون على قذى³] إلى
أن كان من نكبته⁴ ما هو معروف جعلها الله له طهوراً.
ولما جرت الحادثة على السلطان⁵ [بالأندلس⁶]،
وكان لحاق جميعنا بالمغرب، جنيت ثمرة ما أسلفته في
وده، فوفى كَيْل⁷ الوفا، وأشرك في الجاه، وأدر الرزق،
ورفع المجلس [بعد التسبيب⁸ في الخلاص⁹] والسعي في
الجبر، جبره الله [تعالى وكان له¹⁰] أحوج ما يكون إلى
ذلك: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ
بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾¹¹.

¹ في النفع: ((الغاية)).

² نفسه: ((والحسد)).

³ ما بين، حاصرتين أضيف من النفع.

⁴ في النفع: ((نكبته الثالثة)).

⁵ نفسه: ((الدولة)).

⁶ كلمة بالأندلس أضيفت من النفع.

⁷ في النفع: ((فوفى الكيل)).

⁸ نفسه: ((التسبيب)).

⁹ في الإسكوريال: ((تسبيب الخلاص)).

¹⁰ ما بين الحاصرتين أضيف من النفع.

¹¹ سورة الشعراء؛ الآيتان: 88 - 89.

ولما انقضى أمر سلطانه رحمه الله، وقذف به
بحر التمحيص إلى شطه، وأضحى جو النكبة بعد انطباقه،
آثر التشريق بأهله وجملته، واستقر بتونس، خطيب
الخلافة، مقيماً على رسمه من التجلة، ذابح الفضل
هنالك والمشاركة، وهو بحاله الموصوفة إلى الآن كان الله
له.

وكنت أحسست منه في بعض الكتب الواردة،
صاغية إلى الدنيا، وحيناً لما فارق¹ من غرورها، فحملني
فحملني الطور الذي ارتكبه في هذه الأيام بتوفيق الله،
على أن خاطبه² بهذه الرسالة وحقها أن يجعلها خدمة
الملوك ممن ينسب إلى نبل، أو يُلم³ بمعرفة، مصحفاً
يدرسه، وشعاراً يلتزمه، وهي: سيدي، الذي يده البيضاء
لم تذهب بشهرتها المكافاة⁴، ولم تختلف في مدحها
الأفعال، ولا تغايرت في حمدها الصفات، ولا تزال

¹ في النفع: ((بلاه)).

² نفسه: ((أخاطبه)).

³ نفسه: ((ويلم)).

⁴ نفسه: ((المكافآت)).

تعترف بها العظام الرفات أطلقك الله من أسر الكون¹،
كما أطلقك من أسر بعضه، ورشّدك² في سمايه العالية
وأرضه، وحقر الحظ في عين بصيرتك بما يملك على
رفضه. اتصل بي الخبر السار من تركك لشانك، وإجناء
الله إياك ثمرة إحسانك، وإنجياب ظلام الشدة الحالك،
عن أفق حالك. فكبرت لانتشاق عفو الله العاطر³،
واستعبرت لتضاؤل الشدة بين يدي الفرج، لا بسوى ذلك
من رضى مخلوق يومر فيأتمر، ويدعوه القضاء فيبتدر⁴، إنما
هو فيء⁵ وظل ليس له من الأمر شيء، ونسأله⁶ جل
وتعالى أن يجعلها آخر عهدك بالدنيا وبنيتها، وأول معارج
نفسك، التي تقربها من الحق وتدنيها، وكأنني⁷ والله
أحس بثقل هذه الدعوة على سمعك، ومضادتها ولا حول
ولا قوة إلا بالله لطبعك، وأنا أنافرك إلى العقل الذي هو

¹ في النفح: ((كل الكون)).

² نفسه: ((وزهدك في سماته الفانية وفي أرضه)).

³ تصرف د. طويل؛ فجعلها: ((العطر)). لكي تستقيم السجعة؛ كما قال.

⁴ أي يسرع.

⁵ أي: إنما هو ظلّ.

⁶ في النفح: ((ونسأل الله جل وعلا أن يجعلها...)).

⁷ نفسه: ((وكانني)).

قسطاس الله في عالم الإنسان، والآلة لبث العدل والإحسان، والملك الذي يبين عنه ترجمان اللسان.
فأقول: ليت شعري ما الذي غبط سيدي بالدنيا. وإن بلغ من زبرجها¹ الرتبة العليا، وأفرض² المثال لحالة³ إقبالها، ووصل حبالها، وضراعة سبالها، وخشوع وخشوع جبالها. التوقع المكروه صباح⁴ مسا⁴، وارتقاب الحوالة التي تدل من النعيم البأسا⁵، ولزوم المنافسة التي تعادي الأشراف والرؤسا⁶. ألترتب العتب، حتى على التقصير في الكتب، وظعينة جار الجنب، وولوع الصديق بإحصاء الذنب. النسبة وقائع الدولة إليك وأنت بري، وتطويقك الموبقات وأنت منها عري. ألاستهدافك للمضار التي تنتجها غيرة الفروج، والأحقاد التي تضطربها⁷ ركة السروج وسرحة المروج، ونجوم السماء ذات البروج.

¹ أي: من وشيها وزينتها.

² في النفح: ((ونفرض)).

³ نفسه: ((بحال)).

⁴ نفسه: ((صباحاً ومساءً)).

⁵ نفسه: ((البأساء)).

⁶ نفسه: ((والرؤساء)).

⁷ نفسه: ((تضطربها)).

ألتقليدك التقصير فيما ضاقت عنه طاقتك، وصحت إليه
فاقتك، من حاجة لا يقتضي قضاها¹ الوجود، ولا يُكَيِّفُهَا²
الرُّكُوع للملك والسجود. ألقطع الزمان بين سلطان يعبد،
وسهام للغيوب تكبد، وعجاجة³ شر تلبد، وأقبوحة تخلد
تخلد وتوبد ألوزير يصانع ويدارى، وذى حجة صحيحة
يجادل في مرضاة السلطان ويمارى، وعورة لا توارى.
ألمباكرة كل عائب⁴ حاسد، وعدو ومستأسد، وسوق
للإنصاف والشفقة كاسد، وحال فاسد، أَللُّوفُود⁵ تتزاحم
بسدتك، مكلفة لك غير ما في طوقك، فإن لم تنل
أغراضها⁶، قلبت عليك السماء من فوقك. أجلساء ببابك،
ببابك، لا يقطعون زمن⁷ رجوعك وإيابك، إلا بقبيح
اغتيابك فالتصرفات تمقت والقواطع النجوميات توقت،
والألاقي⁸ تبث، والسعايات تحث، والسماجد يُشْتَكَى

¹ في النفع: (قضاءها)).

² نفسه: ((ولا يكيفها)).

³ أي غبار.

⁴ في النفع: ((قرن)).

⁵ نفسه: ((ألوفود)).

⁶ نفسه: ((فإن لم يقع الإسعاف قلبت عليك السماء)).

⁷ نفسه: ((زمان)).

⁸ وهي الألغاز والأحاجي؛ ومفردتها ألقية.

فيها¹ البث، يعتقدون أن السلطان في يدك، بمنزلة الحمار المدبور، واليتيم المحجور، والأسير المأمور، ليس له شهوة ولا غضب. ولا أمل في الملك ولا أرب، ولا موجدة² لأحد كامنة وللشر ضامنة، وليس في نفسه عن رأي نفرة، ولا بإزاء ما لا يقبله نزوة وطفرة، إنما هو جارحة لصيدك، وعان في قيدك، وآلة لتصرف كيدك، وأنك علة حيفه، ومسلط سيفه الشرار يسملون عيون الناس باسمك، ثم يمزقون بالغيبة مزق جسمك، قد تنخلهم الوجود أخبث ما فيه، واختارهم السفية فالسفيه، إذا الخير يُسرّه³ الله عن الدول ويخفيه، ويُقنعه بالقليل فيكفيه؛ فهم يمتاحون بك، ويولونك الملامة، ويقتحمون⁴ عليك أبواب القول، ويسدون طرق السلامة، وليس لك في أثناء هذه إلا ما يعوزك مع ارتفاعه، ولا يفوتك مع انقشاعه، وذهاب صداعه، من غذاء يشبع، وثوب يقنع، وفراش ينيم، وخدم يقعد وقيم. وما الفائدة في فرش

¹ في النفع: ((في حلقها)).

² أي ولا غضب.

³ نفسه: ((يستره)).

⁴ نفسه: ((ويفتحون)).

تحتها جمر الغضا، ومال من ورايه سوء القضا، وجاه
يخلق عليه سيف منتضا، وإذا بلغت النفس إلى الالتذاذ بما
لا تملك، واللجاج حول المسقط الذي تعلم أنها فيه
تَمَلِّك¹، فكيف يُنْسَب² إلى نبل أو يُسَرَّ مع³ السعادة في
سبل، وإن وجدت في القعود⁴ بمجلس التحية بعض
الأريحية، فليت شعري أي شيء زادها، أو معنى أفادها،
إلا مباكرة وجه الحاسد، وذو القلب الفاسد، ومواجهة
العدو المستأسد. أو شعرت ببعض الإيناس في الركوب بين
الناس، هل⁵ التَدَّتْ إلا بحلم كاذب، أو جذبها غير الغرور
مجاذب⁶. إنما الحلية⁷ وافتك من يحدق إلى البزّة، ويستطيل
ويستطيل مدة العزّة، ويرتاب إذا حُدَّت⁸ بخبرك، ويتبع
بالنقد والتجسس مواقع نظرك ويمنعك من شارة أنيسك⁹،

¹ في النفع: ((تهلك)).

² نفسه: ((نُسِب)).

³ نفسه: ((تسير من)).

⁴ نفسه: ((الجلوس)).

⁵ نفسه: ((ما)).

⁶ نفسه: ((جاذب)).

⁷ نفسه: ((إنما راكبك من يُحدِّق إلى الحلية والبزّة)).

⁸ نفسه: ((حدثت)).

⁹ في النفع: ((من مسايرة انيسك)).

ويحتال على فراغ كيسك، ويضمّر الشّرّ لك ولرّسك¹
وأبي راحة لمن لا يباشر قصده، ويسير² متى شاء وحده،
ولو صح في هذه الحال لله حظ، وهبه زهيداً، أو عين³
للرشد عملاً حميداً، لساغ الصاب⁴، وخفت الأوصاب⁵،
الأوصاب⁵، وسهل المصاب. لاكن الوقت أشغل والفكر
أوغل، والزمن قد غمرته الحصص الوهمية، واستنفدت
منه الكمية؛ أما ليله ففكر أو نوم، وعتب يجر⁶ الضراس
ولوم، وأما يومه فتديير، وقيل وديير، وأمور يعيا بها
ثبير⁷، وبلاء مبير، ولغط لا يدخل فيه حكيم كبير، وأنا
بمثل ذلك خبير. ووالله يا سيدي، ومن فلق الحب وأخرج
الأب⁸، وذراً من مَشى وما⁹ دبّ، وسمى نفسه الربّ، لو

¹ نفسه: ((ولرئيسك)).

² نفسه: ((ويمشي إذا شاء)).

³ نفسه: ((وعين)).

⁴ الصاب مفرداً صاباً: وهي عصارة تستخرج من شجر مرّ. وقد ورد
هذا الشرح في هامش المخطوط.

⁵ أي الأمراض.

⁶ في النفج: ((بجراة الضرائر ولوم)).

⁷ ثبير: جبل في مكة. وهو أعلى وأعظم جبل فيها.

⁸ أي وأخرج الكلاً والمرعى.

⁹ في النفج: ((من)).

لو تعلق المال الذي يجده هذا الكدح¹ ويورى سقيطه هذا
القدح، بأذيال الكواكب، وزاحمت البدر بدره بالماكب،
لا² ورثه عقب، ولا خلص به محتقب³، ولا فاز به سافر
ولا منتقب. والشاهد الدول والمشاييم⁴ الأول. فأين الرباع
المقتناة، وأين الديار المبتدأة⁵، وأين الحدايق⁶ المغترسات،
وأين الذخائر المختلسات، وأين الودائع المؤملة، وأين
الأمانات المحملة، تأذن الله بتبويرها، [وإدناء وتار التيار⁷
من دنانيرها، فقفلما تلقى أعقابهم] إلاً أعرباً للطمور⁸،
مترمقين بجرايات⁹ الشهور، متعللين بالهباء المنثور،
يطردون من الأبواب التي حجب عندها¹⁰ آباؤهم وعرف
منها إباؤهم، وشم من مقاصيرها عنبرهم وكباؤهم، لم¹¹

¹ نفسه: ((الذي يجره هذا القدح)).

² نفسه: ((لما)).

³ أي محتمل.

⁴ هكذا؛ بتخفيف الهمزة. وكتبها د. طويل: ((المشائيم)).

⁵ في النفح: ((المبتناة)).

⁶ نفسه: ((الحوائط)).

⁷ نفسه: ((وإدناء نار التبار)).

⁸ نفسه: ((إلا أعراء الظهور)).

⁹ نفسه: ((لجرايات)).

¹⁰ نفسه: ((عنها)).

¹¹ في النفح: ((ولم)).

تسامحهم الأيام إلا في إرث محررٍ، أو حلال مقرر، وربما محقة الحرام، وتعذر منه المرام.

هذه أعزك الله حال قبولها مالها مع الترفيه¹، وعلى وعلى فرض أن يستوفي العمر في العز مستوفيه. وأما ضده من عدو يتحكم وينتقم، وحوث بغي يبتلع ويلتقم، وطبق² يحجب الهواء ويطيل في التراب الثوا، وثعبان قמיד³ يعض الساق، وشوبوب عذاب يمزق الأبخار الرقاق، وغيلة يهديها الواقب⁴ الغاسق، ويجرعها العدو العدو الفاسق، [فصرف السوق، وسلعته المعتادة الطروق]⁵ مع الأفول والشروق، فهل في شيء من هذا مغتبط لنفس حرة، أو ما يساوى جرعة حال مرة. واحسرتاه للأحلام ضلت، وللأقدام زلت، ويالها مصيبة جلت، ولسيدي أن يقول حكمت علي باستئصال الموعظة واستجفائها، ومراودة الدنيا بين خلانها وأكفائها وتناسي

¹ نفسه: ((قبولها مع الترفيه، وما لها المرغوب فيه)).

² نفسه: ((ومطبق)).

³ أي طويل الجسم. وفي النفع: ((وثعبان قيد)).

⁴ أي الداخل عند غياب الشمس.

⁵ ما جاء بين حاصرتين أضيف من النفع.

عدم وفائها، فأقول الطيب بالعلل أدري والشفيق بسوء
الظن مغرى. وكيف لا وأنا أقف على السحآت، بخط يد¹
سيدي، من مطارح الاعتقال، ومثاقف النوب الثقال،
وخلوات² الاستعداد للقاء الخطوب الشداد، ونوش³
الأسنة الحداد، وحيث يجمل بمثله إلا يصرف في غير
الخضوع لله بنانا، ولا يثني لمخلوق عنانا. وأتعرّف أنها قد
ملأت الجوِّ الدو⁴، وقصدت الجماد والبو⁵، تقتحم أكف
أولى الشمات، وحفظة المذمات، وأعوان النوب الملمات،
زيادة في الشقاء، وقصد برياً من الاختيار والانتقاء،
مشملة من التجاوز على إغرب من العنقاء، ومن النفاق
على أشهر من البلقاء. فهذا يوصف بالإمامة، [وهذا
ينسب في الجود إلى كعب بن مامة⁶، وهذا يجعل من
أهل الكرامة، هذا يكلف الدعاء وليس من أهله، وهذا

¹ كلمة يد أضيفت من النفع.

² في النفع: ((وخطوات)).

³ نفسه: ((ونوش)).

⁴ أي والمفازة.

⁵ البو هو: جلد الحوار (ولد الناقة قبل فصاله)؛ يحشى تبناً ويقرب إليها؛ لكي تتوهم أنه ولدها؛ فتعطف عليه؛ فتدر بلبنها.

⁶ ما بين حاصرتين لم يرد في النفع.

يطلب منه لقاء الصالحين وليسوا من شكله، إلى ما أحفظني والله من البحث عن السموم، وكتب النجوم، والمذموم من المعلوم، هلا كان من ينظر في ذلك قد قوطع بتاتاً، وأعتقد أن الله جعل لزمان الخير والشر ميقاتاً، وأنا لا نملك موتاً ولا نشوراً ولا حياتاً، وأن اللوح قد حصر الأشياء محوراً وإثباتاً، فكيف نرجو لما منع منالاً أو نستطيع مما قدر إفلاتاً. أفيدونا ما يرجح العقيدة المقررة¹، نتحول إليه، وبينوا لنا الحق، نعول عليه. الله الله ياسيدي في النفس المرشحة، وللذات² المحلات بالفضائل الموشحة، والسلف الشهير الخير، والعمر المشرف على الرحلة بعد حث السير، ودع الدنيا لأهلها³، فما أوكس حطوظهم، وأخس لحوظهم، وأقل متاعهم، وأعجل إسرعهم، وأكثر عناءهم، وأقصر آناءهم⁴:

¹ في النفع: (المتقررة فتتحول إليه)).

² هكذا. وفي النفع: ((والذات)).

³ نفسه: ((لبنيتها)).

⁴ مجزوء الكامل.

ما ثمَّ إلا ما رأيـت وربما تُعيي السلامة
والناس إما جائر أو حائر يشكو ظلامه¹
والله ما احتقب الحريد صُ سوى الذنوب أو الملامه
هل ثم شك في المعاد الحق أو يوم القيامة
قولوا لنا ما عندكم أهل الخطابة والإمامه

وإن رميت بأحجارى، وأوحر² المر من أشجارى،
فو الله ما تلبست منها لليوم بشيء³ قديم ولا حديث ولا
استأثرت بطيب فضلاً عن خبيث. وما أنا إلا عابر سبيل،
وهاجر مرعى وبيل، ومرتقب وعد قدر فيه الإنجاز،
وعاكف على حقيقة لا تعرف المجاز قد فررت من الدنيا
كما يفر من الأسد، وحاولت المقاطعة، حتى بين روى
والجسد، وغسل الله قلبى، وله⁴ الحمد، من الطمع
والحسد، فلم أبق عادة إلا قطعها، ولا جنة للصبر إلا

¹ جاء في النفح بعد هذا البيت مباشرة البيت التالي:

وإذا أردت العز لا * ترزأ بني الدنيا فلامه

² هكذا. وفي النفح: ((أوجرت المر))؛ أي صببته في الفم كرهاً.

³ في النفح: ((اليوم منها)).

⁴ نفسه: ((ولله)).

أدرعتها. أما اللباس فالصوف، وأما الزهد فيما في أيدي¹
الناس فمعروف، وأما المال الغبيط فعلى الصدقة مصروف.
ووالله لو علمت أن حالي هذه تتصل، وعُراها² لا
تفصل، وأن ترتيبي هذا يدوم، ولا يجيزني³ الوعد
المحتوم، والوقت المعلوم، لمت أسفاً وحسبي الله وكفا
ومع هذا يا سيدي، فالموعظة تتلقى من لسان الوجود،
(والحكمة ضالة المؤمن)⁴ يطلبها ببذل الجهود، ويأخذها
من غير اعتبار بمحلها المذموم أو⁵ المحمود. ولقد أعملت
نظري فيما يكافئ عني بعض يدك، أو ينتمي⁶ في الفضل
الفضل إلى أمدك، فلم أر لك الدنيا كفاء. هذا لو كنت
صاحب دنيا، وألفيت بذل النفس قليلاً لك من غير شرطٍ
ولا تُنيا⁷، فلما ألهمني الله لمخاطبتك بهذه النصيحة المفرغة

¹ في النفع: ((بأيدي الخلق فمعروف)).

² نفسه: ((وأن عراها)).

³ نفسه: ((يحيرني)).

⁴ هذا الحديث الشريف رواه الترميذي وابن ماجه؛ وإسناده ضعيف عن
أبي هريرة؛ جاء فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((الحكمة
ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها)).

⁵ في النفع: ((ولا)).

⁶ هكذا. وفي النفع: ((ينتهي)).

⁷ أي ولا استثناء.

المفرغة في قالب الجفا، لمن لا يثبت عين الصفا، ولا يشيم بارقة الوفا، ولا يعرف قاذورة الدنيا معرفة مثلي من المتدنيين بها المنهمكين، وينظر عُوراها الفادح¹ بعين اليقين، يعلم أنها المومسة التي حسنها زور، وعاشقها مغرور، وسرورها شرور.

تبين لي أنني² قد كافيْتُ³ صنيعتك المتقدمة، وخرجت عن عهدتك الملتزمة، ومحضت لله⁴ النصح الذي الذي يُقرُّ⁵ يعزُّ الله ذاتك، ويطيب حياتك، ويحي مواتك، ويريح جوارحك من الوصب⁶ وقلبك من النَّصَب⁷، ويحقر الدنيا وأهلها في عينك إذا اعتبرت، ويلاشي عظامها لديك إذا اختبرت، [كل من تقع عليه عينك حقيراً⁸ قليل وفقير ذليل، لا يفضلك بشي إلا باقتفاء رشد أو ترك غي، أثوابه النبيهة يجردها الغاسل،

¹ في النفع: ((القادح)).

² نفسه: ((أنني)).

³ نفسه: ((كافأت)).

⁴ نفسه: ((وأمحضت لك)).

⁵ نفسه: ((يُعزُّ)).

⁶ أي من المرض.

⁷ أي من التعب.

⁸ في النفع: ((كل من تقع عينك عليه فهو حقير)).

وعروة غيره¹ يفصلها الفاصل² وماله الحاضر الحاصل،
يعيث فيه الحسام الفاصل ، والله ما تعين للخلف إلا ما
تعين للسلف، ولا مصير المجموع إلا إلى التلف، ولا صح
من الهياط والمياط³ والصياح والعياط، وجمع القيراط
إلى القيراط، والاستظهار بالوزعة والأشراط، والخبط
والخباط، والاستكثار والاعتباط، الغلو والاشتطاط، وبنا
الصرح وعمل الساباط، ورفع العماد⁴ وإدارة الفسطاط إلا
إلا ألم⁵ يذهب القوة، وينسي الآمال المرجوة، ثم نفس
يصعد، وسكرات تتردد، وحسرات لفراق الدنيا تتجدد،
ولسان يتقل، عين تبصر الفراق الحق وتمقل. ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ
عَظِيمٌ * أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾⁶. ثم القبر وما بعده،
والله منجز وعيده ووعدده. فالإضراب الإضراب، والتراب
التراب، وإن اعتذر سيدي بقلة الجلد، لكثرة الولد، فهو

¹ في النفع: ((عزّه)).

² نفسه: ((يقلصها القاصل)).

³ أي من المد والجزر، والدنو والابتعاد.

⁴ في النفع: ((العُمد)).

⁵ نفسه: ((أمل)).

⁶ سورة: ص؛ الآيتان: 67 - 68.

ابن مرزوق، لا ابن رزاق، وييده من التسبب، ما يتكفل
بإمساك أرماق.

أين النسخ الذي يتبلغ الإنسان بأجرته، في كِنِّ
حجرته، لا بل السؤال الذي لا عار عند الحاجة بمعرته،
السؤال والله أقوم طريقاً، وأكرم فريقاً، من يد تمتد إلى
حرام، لا يقوم بمرام، ولا يومن من ضرام أحرقت فيه
الحلل، وقلبت الأديان والملل، وضربت الأبخار، ونحرت
العشار، ولم يصل منه على يدي واسطة السوء المعشار.
ثم طلب عند الشدة ففضح، وبان سومه¹ ووضح، اللهم
طهر منا² أيدينا وقلوبنا، وبلغنا من الانصراف إليك
مطلوبنا، وعرفنا بمن لا يعرف غيرك، ولا يسترفد إلا
خبرك يا الله. وحقيق على الفضلاء إن جنح سيدي منها
إلى إشارة، أو أعمل في احتلابها إضبارة. أو لبس منها
شارة، أو تشوف إلى خدمة إماره، ألا يحسنوا ظنونهم

¹ في النفع: ((شومه)).

² نفسه: ((منها)).

بعدها بابن ناس، ولا يغتروا بسمت¹ ولا خلقٍ ولا لباس،
فما عدا عما بدأ².

تَقْضَى العُمر في سجن وقيد، وعمرو وزيد، وضر
وكيد، وطراد صيد، وسعد وسعيد، وعبد وعبيد، فمتى
تظهر الأفكار، ويقر القرار، وتلازم الأذكار³، وتشام
الأنوار، وتتجلى الأسرار، ثم يقع الشهود الذي تذهب
معه الأفكار، ثم يحق الوصول الذي إليه من كل ما سواه
الفرار، وعليه المدار. وحق الحق، الذي ما سواه فباطل،
والفيض الرحماني، الذي ربأه⁴ [لا بدأ⁵ هاطل ما
شاب⁶ مخاطبتي لك شايبة يريب⁷، ولقد محضت
لك ما يحضه الحبيب إلى الحبيب⁸،

¹ في النفع: ((بسمة)).

² اقتبس هذا من قول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لطلحة حيث قال
لطلحة يوم الجمل: عَرَفْتَنِي بالحجاز وأُنْكِرْتَنِي بالعِراق؛ (فما عدا مما
بدأ)؟ لأنه بايعه بالمدينة المنورة، وجاء يُقاتله بالبصرة؛ ومعناه: ما
ألذي حولك وصرفك على التَّخَلُّفِ بَعْدَ ما ظَهَرَ مِنْكَ مِنَ الطَّاعَةِ؛ والمعنى
بوضوح أكثر: ما بدأ لك مِنِّي فَصَرَفَكَ عَنِّي؟

³ في النفع: ((الأذكار)).

⁴ أي صحابه.

⁵ في النفع: ((الأبد)).

⁶ نفسه: ((ما شاببت)).

⁷ نفسه: ((تريب)).

⁸ في الإسكوريال: ((الجيب)). وفي النفع: ((الحبيب)).

فيحمل جفاء¹ في الذي حملت عليه الغيرة، ولا
تظن بي غيره. وإن² أقدر قدرتي في مكاشفة سيادتك بهذا
بهذا البث، في الأسلوب الرث، فالحق أقدم، وبنائه لا
يهدم، وشأني معروف في مواجهة الجبابة، على حين
يادي إلى رفدهم ممدودة، ونفس في النفوس المتهافئة
عليهم معدودة، وشبابي فاحم، وعلى الشهوات مزاحم،
فكيف بي اليوم مع الشيب، ونصح الجيب، واستكشاف
العيب، إنما أنا اليوم على كل من عرفني كل ثقل،
وسيف العدل³ في كفي صقيل، أعذل أهل الهوى،
وليست النفوس في القبول سوا، لا لكل من ضر⁴ دوا،
وقد شفيت صدري، وإن جهلت قدرتي، فاحملي حملك
الله على الجادة الواضحة، وسحب عليك ستر الأبوة
الصالحة، والسلام)).

¹ في النفع: ((فتحمل جفائي الذي حملت عليه الغيرة)).
² نفسه: ((وإن لم تعذرني مكاشفة سيادتك بهذا الثب في الأسلوب الرث)).
³ نفسه: ((العدل))؛ بالبدال المهملة أي غير المعجمة.
⁴ نفسه ((ولا لكل مرض)).

ولما شرح كتاب الشفا¹ للقاضي² أبي الفضل عياض
ابن موسى بن عياض رحمه الله، واستبحر فيه، طلب
أهل العدوتين بنظم³ مقطوعات تتضمن الثناء على الكتاب
المذكور، وإطراء مؤلفه؛ فانثال عليه من ذلك الطم
والرم، بما تعددت منه الأوراق، واختلفت في الإجابة
وغيرها الأرزاق، إيثاراً لغرضه، ومبادرة من أهل⁴ الجهات
لإسعاف أربه، وطلب مني أن ألم في ذلك بشيء،
فكتبت في⁵ ذلك⁶:

شفا⁷ عياض للصدور⁸ شفاء
وليس⁹ بفض قد حواه خفاء

¹ يعتبر كتاب ((الشفا بتعريف حقوق المصطفى)) أهم ما كتب الإمام
عياض بن موسى اليحصبي السبتي.
² في النفع: للقاضي عياض رحمه الله تعالى.
³ نفسه: ((نظم)).
⁴ نفسه: ((كل)).
⁵ نفسه: ((له في ذلك)).
⁶ البحر الطويل.
⁷ في النفع: ((شفاء))؛ وهذا أسلم.
⁸ في نفاضة الجراب: ((للقلوب)).
⁹ نفسه: ((فليس)).

هدية بر لم يكن لجزيها¹
سوى الأجر والذكر الجميل كفاء
وفى لنبي الله حق وفائه
وأكرم أوصاف الكرام وفاء
وجاء به بحراً يقول بفضل
على البحر طعم طيب وصفاء
وحق رسول الله بعد وفاته
رعاه وإغفال الحقوق جفاء
هو الذخر يغني في الحياة عتاده
ويترك منه اليقين² رفاء
هو الأثر المحمود ليس يناله
دثور ولا يخشى³ عليه عفاء⁴

¹ في نفاضة الجراب: ((لمديها)).
² هكذا. وفي نفاضة الجراب، ونفح الطيب: ((البنين)).
³ في نفاضة الجراب: ((ولا يخفى)).
⁴ أي زوال.

حرصت على الإطناب في نشر فضله
وتمجيده لو ساعدتني فاء

واستزاد من هذا الغرض، الذي لم يقنع منه¹
بالقليل، فبعثت إليه من محل انتقالي بمدينة² سلا حرسها
الله³:

أزاهير رياض	أم شفاء لعياض
جدل الباطل للحق	بأسياف مواض
وجلا الأنوار برها	نا بحق ⁴ وافتراض
وشفى ⁵ من يشكي الغلّ	ة في زُرُق الحياض
أيُّ بنيان معار ⁶	آمن فوق ⁷ انقضاض
أيُّ عهد ليس يرمى	بانتكاث وانتقاض
ومعان في سطور	كأسود في غياض

¹ في النفح: ((فيه)).

² نفسه: ((من مدينة..)).

³ مجزوء الرمل.

⁴ في الإسكوريال، ونفاضة الجراب: ((بخلف)).

⁵ في نفاضة الجراب: ((وسقى)).

⁶ في النفح: ((مقال))، وفي نفاضة الجراب: ((معال)).

⁷ في النفاضة، والنفح: ((خوف)).

وشفاء لصدور¹ من ضنى الجهل مراض
 حرر القصد فما شيد بين بنقد واعتراض
 يا أبا الفضل أدر بأن² الله عن سعيك راض
 فاز عبد أقرض اللـ به برجحان القراض³
 وجبت عز⁴ المزايـا من طوال وعراض⁵
 لك يا أصدق راو⁶ لك يا أعدل قاض
 لرسول الله وفيـت بجد⁷ وانتهاض
 خير خلق الله في حاـل وفي آت وماض
 سدد الله ابن مرزو قـ إلى تلك المراضـي
 زبدة العرفان معنـى كل نسك وارتياض
 فتولى بسط ما أجـملت من غير انقباض

¹ في النفاضة: ((لنفوس)).
² هكذا. وفي النفع: ((أدر أن))؛ وهذا أسلم.
³ إحالة إلى قوله تعالى: [مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ]. سورة البقرة؛ الآية: 245.
⁴ في النفاضة، والنفع: ((غر)).
⁵ نفسيهما: ((أو عراض)).
⁶ في النفاضة: ((دا)).
⁷ نفسه: ((بجهد)).

ساهر¹ لم يدر في استخـ لاصه طعم اغتماض
إن يكن دنيا على الأيبـ سام قد حان التقاض
دام في علو ومن عاـ داه يهوي في انخفاض
ما وشى الصبح الدياجي في سواد ببياض²

ثم نظمت له أيضا في الغرض المذكور، والإكثار من هذا النمط فهذا الموضوع، ليس على سبيل التبجح بغرابته وإجاداته³، ولاكن على سبيل الإشادة بالشرح المشار إليه، إليه، فهو بالغ غاية الاستبحار⁴:

حييت يا مخط سبت بن نوح⁵
بكل مزن يغتدي أو يروح

¹ في النفاضة، والنفح: ((ساهرًا)).

² في النفح: ((يسواد في بياض)).

³ نفسه: ((بإجاداته وغرابته)).

⁴ البحر السريح.

⁵ ذكر الرواة والأخباريون أن الذي اختط سبتة هو سبت بن سام بن نوح؛ وأوردوا حديثا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه: ((أنها على مجمع بحري المغرب؛ وهذه المدينة بناها سبت بن سام بن نوح عليه السلام، واشتق لها اسماً من اسمه؛ فهي سبتة))؛ ودعا لها بالبركة والنصر..

وحمل الريحان ريح الصبا
[أمانة فيك إلى كل روح]¹
دار أبي الفضل عياض الذي
أضحت برياه رياضات تفوح
يا ناقل الآثار يعنى بها
وواصل في العلم جري الجموح
طرفك في الفخر² بعيد المدى
طرفك للمجد شديد الطموح
كفأك إعجازا كتاب الشفا
والصبح لا ينكر عند الوضوح
لله ما أجزلت فينا به من
منحة تقصر عنها المنوح
روض من العلم همى فوقه
من صيب الفكر الغمام السفوح

¹ جاء هذا الشطر في نفاضة الجراب ونفح الطيب هكذا: ((أمانة فيك إلى كل روح)).
² في النفح: ((في الفضل)).

فمن بيان الحق زهرُ ند
ومن لسان الصدق طير صدوح
تأرج العرف وطاب الجنى
وكيف لا يثمر¹ أو لا يفوح
وحلة من طيب خير الورى
في الجيب والأعطاف منها نضوح
ومعلم للدين² شيدته
فهذه الأعلام منه³ تلوح
فقل لهامان كذا أو فلا
يا من أضل الرشد تبني الصروح
في أحسن التقويم أنشأته
خلقاً جديداً بين جسم وروح
فعمره المكتوب لا ينقضي
إذا تقضى عمر سام ونوح

¹ في النفاضة: ((لا يطعم)).

² نفسه: ((في الدين)).

³ في النفاضة، والنفح: ((منها)).

كأنه في الحفل ريح الصبا
وكل عطف فهو غض¹ مروح
ما عذر مشغوف بخير الورى
إن هاج منه الذكر أن لا يبوح
عجبت من أكباد أهل الهوى
وقد سطا البعد وطال النزوح
إن ذكر المحبوب سالت دما
ما هن أكباد ولكن جروح
يا سيد الأوضاع يا من له
بسيد الإرسال فضل الرجوع
يا من له الفخر على غيره
والشهب² تخفى عند إشراق يوح³
ياخير مشروح وفى واكتفى
منه ابن⁴ مرزوق بخر الشروح

¹ في النفاضة، والنفح: ((غصن)).

² في النفح: ((الشمس)).

³ نفسه: ((بوح)).

⁴ في النفاضة: ((ومن ابن)).

فتح من الله حباه به
ومن جناب الله تأتي الفتوح

مولده

بتلمسان عام أحد عشر وسبعماية¹.

* * *

¹ ذكر في: ((جذوة الاقتباس)): أنه توفي بعد الثمانين وسبعماية. كما جاء في هامش المخطوط: ((قال الشيخ جلال الدين السيوطي في تاريخ النحاة: مات في ربيع الأول سنة إحدى وثمانين وسبعماية)) . وعدم ذكر ابن الخطيب تاريخ سببها أنه توفي قبله بخمسة أعوام.

محمد بن عبد الرحمن

(بن سعد التميمي) التسلي¹ الكرسوطي²؛ من أهل فاس؛
نزىل مائة؛ يكنى أبا عبد الله.

حاله

الشيخ الفقيه المتكلم أبو عبد الله، غزير الحفظ،
متبحر الذكر، عديم القرين، عظيم الاطلاع، عارف
بأسماء الأوضاع، ينال منه على المسائل كتيب مهيل،
ينقل الفقه منسوباً إلى أمانة، ومنوطاً برجاله، والحديث
بأسانيده ومتونه، حوار العنان³، وساع الخطو، بعيد
الشأو، يفيض من حديث إلى فقه، ومن أدب إلى
حكاية، ويتعدى ذلك إلى غرائب المنظومات، مما يختص
بنظمه أولو الشطارة والحرفة من المغاربة، ويستظهر
مطولات القصاص، وطواوير الوعاظ، ومساطير أهل

¹ التسلي: نسبة إلى القبيلة الأمازيغية ((تسولة))؛ المتواجدة بالشمال
الغربي من بلاد المغرب.
² توجد ترجمة محمد بن عبد الرحمن الكرسوطي أيضاً في نفح الطيب.
³ أي سهل المعطف ولين.

الكديّة، في أسلوب وقاح يفضحه الإعراب، حسن الخلق
جم الاحتمال. مطرح الوقار، رافض التصنع، متبذل¹
اللبسة، رحيب أكناف المرارة لأهل الولايات يلقي
بمعاطنهم البرك، وينوط بهم الوسائل، كثير المشاركة
لوصلايه، مخصب على أهل بيته، حذب على بنيه. قدم
على الأندلس عام اثنين وعشرين وسبعمائة، فأقام
بالجزيرة مقرباً بمسجد الصواع منها ومسجد الرايات. ثم
قدم على مالقة وأقرأ بها، ثم قدم على غرناطة عام خمسة
وعشرين وسبعمائة فتعرف على أرباب الأمر، بما نجحت
حيلته، وخف به موقعه، فلم يعدم صلة، ولا فقد مرفقة،
حتى ارتاش وتأثّل بمحل سكناه من مالقة، مدرة مغلّة، وعقارا
مفيدا. وطال قعوده لسرد الفقه بمسجدها الجامع، ثمير في
الركب، مهجور الحلقة حملا من الخاصة والعامة، لتلبسه
بالعرض الأدنى. وهو الآن خطيب مسجد القصبّة بها، ومحلّه
من الشهرة، بالحفظ والاستظهار لفروع الفقه كبير.

¹ أي غير معتن بهندامه وبملايسه.

مشيخته

قرأ القرآن على الجماعة بالمغرب والأندلس، منهم أبوه، والأستاذ أبو الحسن القيحاوي البلوي، وأبو إسحاق الحريري، وأبو الحسن بن سليمان، وأبو عبد الله بن أجروم. وقرأ الفقه على أبي زيد الجزولي، وعبد الرحمن ابن عفان، وأبي الحسن الصغير، وعبد المؤمن الجاناتي¹، وقرأ الكتاب بين يديه مدة، ثم عزله، ولذلك حكاية. حدثني الشيخ أبو عبد الله الكرسوطي، المترجم به، قال قرأت بين يديه، في قول أبي سعيد في التهذيب، والدجاج والأوز المخلات، فقال أنظر هل يقال الدجاج أو الجدّاد، لغة القرآن أفصح، قال الله تعالى: {جَرَوْ بِيضٌ [وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا]² وَغَرَابِيبُ سُودٍ}³. فأرزي به، ونقل إليه إزاره⁴، فعزله وقعد بعد ذلك للاقتراء بفاس،

¹ في الجدوة: ((الجناتي)).

² ما بين سقط في الإسكوريال.

³ الآية كاملة هكذا: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا، وَغَرَابِيبُ سُودٍ). سورة فاطر؛ الآية: 27.

⁴ في الإسكوريال: ((إزاره)). ويبدو أن هذا أصح؛ بعد تخفيف الهمزة فوق الواو.

كذا حدث. وأخذ عن أبي إسحق الزناتي¹، وعن خلف الله المجاصي، وأبي عبد الله بن عبد الرحمن الجزولي، وأبي الحسين المزدغي، وأبي الفضل ابنه وأبي العباس بن راشد العمراني، وأبي عبد الله بن رشيد. وروى الحديث بسبته عن أبي عبد الله الغماري، وأبي عبد الله بن هاني، وذاكر أبا الحسن بن وشاش، وبمألقة عن الخطيب الصالح الطنجالي، وأبي عمرو بن منظور. وبغرناطة عن أبي الحسن القيجاطي، وأبي إسحاق بن أبي العاص. وبلش عن أبي جعفر الزيات.

توالمفه

منها ((الغرر في تكمل الطرر))، طرر أبي إبراهيم الأعرج. ثم² ((الدرر في اختصار الطرر)) المذكور. وتقييدان على الرسالة؛ كبير وصغير، ولخص التهذيب لابن بشير، وحذف أسانيد المصنفات الثلاثة [البخاري، والترمذي، ومسلم]³، والتزم إسقاط التكرار،

¹ في الزيتونة ((البرناسي)).

² في النفح: ((ثم كتاب الدرر في اختصار الطرر)).

³ سقط ما بين حاصرتين في الإسكوريال ونفح الطيب.

واستدراك¹ الصحاح² الواقعة³ في التهذيب⁴ على مسلم
والبخاري. وقيد على مختصر الطليطلي، وشرع في تقييد
على قواعد الإمام أبي الفضل عياض بن موسى⁵ بن
عياض؛ برسم ولدي أسعده الله.

شعره

أنشدني، وأنا أحاول بمالقة لوثَ العمامة⁶، وأستعين
بالغير على إصلاح العمل، وإحكام اللياسة⁷:
أمعمما قمرا تكامل حسنه
أربي على الشمس المنيرة في البها
لا تلتمس ممن لديك زيادة
فالبدر لا يمتار من نور السها
ويصدر منه الشعر مصدراً، لا تكفه العناية.

¹ في النفع: ((واستدرك)).

² في الإسكوريال: ((الصحاح)). وصححت من النفع.

³ في الإسكوريال، والزيتونة: ((المرافقة)).

⁴ في النفع: ((في الترميذي على البخاري ومسلم)).

⁵ نفسه: ((موسى برسم ولدي)).

⁶ أي لفَّ العمامة.

⁷ البحر الكامل.

محتته

أسر ببحر الزقاق¹، قادماً على الأندلس، في جملة من الفضلاء، منهم والده. واستقر بطريف² عام ستة وعشرين وسبعماية³، لقي بها شدة ونكالا، ثم سرح والده، لمحاولة فكك نفسه، وفك ابنه، ويسر الله عليه، فتخلصا من تلك المحنة في سبيل كدية، وأفلت من بين أنياب مشقة.

بعض أخباره

قال: لقيت الشيخ ولي الله أبا يعقوب بساحل بادس⁴، قاصداً الأخذ عنه، والتبرك به، ولم يكن رأني قط، وألفيت بين يديه عند دخولي عليه، رجلاً يقرأ عليه

¹ بحر الزقاق هو الجزء البحري الفاصل بين الأندلس وبلاد المغرب؛ والموصل بين المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط؛ وتطل عليه طنجة سبتة ومليلة في الجهة الجنوبية وجبل طارق والجزيرة الخضراء في الجهة الشمالية.

² تسمى جزيرة طريف؛ وتطل على بحر الزقاق في الجانب الأندلسي؛ سميت بذلك نسبة إلى أحد الفاتحين الأول؛ الذي دخلها في غزوة استطلاعية سبقت الفتح الأكبر.

³ الموافق لـ 1325م.

⁴ المقصود هنا هي بلدة بادس المتواجدة بالمغرب الأقصى؛ وبالأحرى في بلاد الريف المغربية؛ وهي تطل على بحر الزقاق. وتعتبر هذه المدينة إحدى نقاط الصلة بين الضفتين: المغربية والأندلسية.

القرآن. فلما فرغ، أراد أن يقرأ عليه أسطراً من الرسالة، فقال له، اقرأها على هذا الفقيه، وأشار إلي ورأيت في عرصه له أصول خص، فتمنيت الأكل منها، وكان رباعها غير حاضر، فقام عن سرعة، واقتلع منها أصولاً ثلاثة، ودفعتها إلي، وقال كل. فقلت في نفسي، تصرف في الخضرة قبل حضور رباعها، فقال لي إذا أردت الأكل من هذه الخضرة، فكل من هذا القسم فإنه لي. قلت، وخبرت من اضطلاع هذا المترجم به بعبارة الرؤيا، ما قضيت منه العجب في غير ما شيء تجربته. وهو الآن بحاله الموصوفة. وأصابه لهذا العهد جلاء عن وطنه، لتوفر الحمل عليه من الخاص والعام، بما طال به نكده. ثم آلت حاله إلى بعض صلاح والله يتولاه.

مولده

بمدينة فاس عام تسعين وستماية¹.

¹ الموافق لـ 1291م.

محمد بن عبد المنعم

(الصنهاجي الحميري؛ يثني أبا عبد الله؛ ويعرف بابن عبد المنعم¹؛
من أهل سبتة؛ الأستاذ الحافظ.

حاله

من العايد: كان رحمه الله رجل صدق، طيب
اللهجة، سليم الصدر تام الرجولة، صالحاً، عابداً، كثير
القرب والأوراد في آخر حاله، صادق اللسان. قرأ كثيراً،
وسنه تنيف على سبع وعشرين، ففات² أهل الدؤب
والسابقة، وكان من صدور الحفاظ، لم يستظهر أحد في
زمانه من اللغة ما استظهره فكاد يستظهر كتاب التاج
للجوهرى وغيره، آية تتلى، ومثلاً يضرب، قائماً على
كتاب سيويه، يسرده بلفظه. اختبره الفاسيون في ذلك
غير ما مرة. طبقة في الشطرنج، يلعبها محجوباً، مشاركاً

¹ له ترجمة في كتابه المسمى روض المعطار في أخبار الأقطار، وفي
الدرر الكامنة، وبغية الوعاة.

² في الإسكوريال: ((فساي)). وصوبت من الزيتون.

في الأصول آخذاً في العلوم العقلية. مع الملازمة للسنة،
يعرب أبداً كلامه ويزينه.

مشيخته

أخذ ببلده عن الأستاذ أبي إسحاق الغافقي، ولازم أبا
القاسم بن الشاط، وانتفع به وبغيره من العلماء.

دخوله غرناطة

قدم غرناطة مع الوفد من أهل بلده، عندما صارت
إلى إيالة الملوك من بني نصر لما وصلوا بالبيعة.

وفاته

كان من الوفد الذين استأصلهم الموتان عند¹
منصرفهم عن باب السلطان؛ ملك المغرب، بأحواز
تيزي²، حسبما وقع التنبيه على بعضهم.

¹ أضاف عنان كلمة: ((عند)).

² تقع شمال شرقي فاس؛ وهي بلدة تازة المغربية.

محمربن عمر

(بن محمربن عمر بن محمربن إوريس بن سعير بن مسعود بن
حسن بن محمربن عمر بن رشير (الفهري)¹؛ من أهل سبتة؛
يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن رشير.

حاله

من عايد الصلة: الخطيب المحدث، المتبحر في علوم
الرواية والإسناد. كان رحمه الله فريد دهره عدالة
وجلالة، وحفظاً وأدباً، وسمتاً وهدياً، واسع الأسمعة،
عالي الإسناد، صحيح النقل، أصيل الضبط، تام العناية
بصناعة الحديث، قيماً عليها بصيراً بها، محققاً فيها، ذاكراً
فيها الرجال، جماعة للكتب، محافظاً على الطريقة،
مضطلعاً بغيرها، من العربية واللغة والعروض، فقيهاً
أصيل النظر، ذاكراً للتفسير، ريان من الأدب، حافظاً
للأخبار والتواريخ، مشاركاً في الأصلين، عارفاً
بالقراءات، عظيم الوقار والسكينة، بارع الخط، حسن
الخلق، كثير التواضع، رقيق الوجه، متجملاً كلف

¹ له ترجمة في نفح الطيب.

الخاصة والعامة، مبدول الجاه والشفاعة. كهفناً لأصناف الطلبة. قدم على غرناطة في وزارة صديقه، ورفيق طريقه في حجه وتشريقه، أبى عبد الله بن الحكيم فلقى براً، وتقدم للخطابة بالمسجد الأعظم، ونفع الله لديه بشفاعته المبدولة، طائفة من خلقه، وانصرف إثر مقتله إلى العدو، فاستقر بمدينة فاس، معظماً عند الملوك والخاصة، معروف القدر عندهم.

مشيخته

1 قرأ ببلده سبته على الأستاذ إمام النحاة أبى الحسن ابن أبى الربيع كتاب سيويه، وقيد على ذلك تقييداً مفيداً، وأخذ عنه القراءات. وأخذ أيضاً عن الأستاذ أبى الحسن بن الخطار. ورحل من بلده سبته؛ لأداء الفريضة. حج ولقي المشائخ عام ثمانية وثمانين وستماية¹، فوافى في طريقه الحاج المحدث الراوية، ذا الوزارتين بعد، أباً عبد الله الحكيم، وأخذ عن الجلة الذين يشق إحصاؤهم. فممن لقي يافريقية الراوية العدل أباً محمد عبد الله بن

¹ الموافق لـ 1289م.

هارون؛ يروي عن ابن بقي، والأديب المتبحر أبا الحسن حازم بن محمد القرطاجني. وروى بالمشرق عن العدد الكثير كالإمام جار الله أبي اليمن بن عساكر، لقيه بباب الصفا تجاه الكعبة المعظمة، وهو موضع جلوسه للسمع، غرة شوال عام أربعة وثمانين وستماية¹، وعن غيره، كأبي العز عبد الرحمن بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن منظور بن هبة الله، وغيرهم ممن ثبت في اسم مرافقة في السماع والرحلة أبي عبد الله بالحكيم رحمه الله، فليُنظر هنالك.²

توالمفه

ألف فوائء رحلته في كتاب سماه ((ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين³ الكريمتين إلى مكة وطية))⁴. قال شيخنا أبو بكر بن شبرين، وقفت على

¹ الموافق لـ 1285م.

² سقطت في الإسكوريال. وقد كتب الناسخ هذه العبارة: ((قلت: اختصرتها لطولها؛ ولكونها تأتي في اسم مرافقه في السماع والرحلة أبي عبد الله بن الحكيم رحمه الله)).

³ في الزيتونة: ((الجهتين)).

⁴ في نفع الطيب: ((ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطية)).

مسودته، ورأيت فيه فنوناً وضروباً من الفوائد العلمية والتاريخ، وطرفاً من الأخبار الحسان. والمسندات العوالي والأناشيد. وهو ديوان كبير¹، ولم يسبق إلى مثله. قلت ورأيت شيئاً من مختصره بسبته.

دخوله غرناطة

ورد على الأندلس في عام اثنين وتسعين وستماية². فعقد مجالس للخاص والعام، يقري بها فنوناً من العلم. وتقدم خطيباً وإماماً بالمسجد الأعظم منها. حدثني بعض شيوخنا، قال، قعد يوماً على المنبر، وظن أن المؤذن الثالث قد فرغ؛ فقام يخطب والمؤذن قد رفع صوته بأذانه، فاستعظم ذلك بعض الحاضرين، وهم آخر بإشعاره وتنبهه. وكلمه آخر، فلم يثنه ذلك عما شرع فيه، وقال بديهية، أيها الناس، رحمكم الله، إن الواجب لا يبطله المندوب، وأن الأذان الذي بعد الأول غير مشروع الوجوب، فتأهبوا لطلب العلم، وانتبهوا، وتذكروا قوله

¹ في الإسكوريال: ((كثير)) وصوبت من الزيتونة.
² الموافق لـ 1292م.

عز وجل: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾¹، وقد روينا عنه صلى الله عليه وسلم، أنه قال: ((من قال لأخيه والإمام يخطب، أصمت، فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له)). جعلنا الله وإياكم ممن علم فعمل وعمل فقبل، وأخلص فتخلص. وكان ذلك مما استدل به على قوة جنانه، وانقياد لسانه لبيانه.

شعره

وله شعر يتكلفه إذ كان لا يزن أعاريضه إلاّ بميزان العروض فمن ذلك ما حدث به؛ قال: لما حللت بدمشق، ودخلت دار الحديث الأشرفية، برسم رؤية النعل الكريمة، نعل المصطفى صلوات الله عليه، ولثمتها، حضرتني هذه الأبيات²:

¹ الآية كاملة هكذا: (مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةَ بَيْنِ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ). سورة الحشر؛ الآية: 7.

² البحر الطويل.

هنيئاً لعيني أن رأت نعل أحمد
فيا سعد جدي قد ظفرت بأسعد¹
وقبلتها أشفي الغليل فزادني
فيا عجباً زاد الظما عند مورد
فله ذاك اللثم فهو أذمن
لما شفة لميا وخذ مورد
ولله ذاك اليوم عيداً ومعلماً
بتاريخه أرخت مولد أسعد
عليه صلاة نشرها طيب كما
يحب ويرضى ربنا لمحمد

وقال: وقلت في موسم عام ستة وثمانين وستماية²، بثغر
سبته حرسها الله تعالى³:

أقول إذا هب النسيم المعطر
لعل بشيراً باللقاء يبشر

¹ في الجذوة: ((بمقصدي)).

² الموافق لـ 1287م.

³ البحر الطويل.

وعالي الصبا مرت على ربع جيرتي
فعن طيبهم عرف النسيم يعبر
وأذكر أوقاتي بسلمى وبالحمى
فتذكو لظى في أضلعي حين أذكر
ربوع يود المسك طيب ترابها
ويهوى حصى فيها عقيق وجوهر
بها جيرة لا يخفرون بذمة
هم لمواليهم جمال ومفخر
إذا ما اجتلت زهر النجوم جمالهم
تغار لباهي نورهم فتغور
ومن جود جدواهم يرى الليث يعمر
ومن خوف عدواهم يذعر¹
ومن سيب يمتناهم يرى الروض يزهر
ومن فيض نعماهم يرى البحر يزخر

¹ تصرف د. طويل فجعل هذا البيت هكذا:
(ومن جود جدواهم يرى الليث يعمر * ومن خوف عدواهم يرى الليث يذعر)).

رعى الله عهداً بالمصلى عهدته
وروض المنى غض يرق وينضر
زماناً نعمنا فيه والظل وارف
بجنات عدن تحتها العذب يخضر
ولله أيام المصلى وطيبها
وأنفسنا بالقرب والأنس تجبر
بحيث يرى بدر الكمال وشمسه
وروضته فردوس وحوض¹ ومنبر
أروم دنواً من بهاء جمالها
ولثماً فتأبى هيبه وتوقر
خضعت وذلي للحبیب تعزز
فطرفي مغضوض وخدي معفر
ووجه سروري سافر متهلل
وحالي بهم حُلَّ² وعيشي أخضر

¹ حذف د. طویل واو العطف في كلمة وحوض).

² جعلها د. طویل: ((حل)).

فطوبى لمن أضحى بطيبة ثاويًا
يجر أنيال¹ الفخار وينشر
وإذ فات عيني أن تراهم فرددوا
على مسمعي ذكر المصلى وكرروا
وردت فيا طيب الورود بطيبة
صدرت فوا حزني فلا كان مصدر
رمانى زمانى بالفراق فغرني
على مثل من فارقت عز التصبر
وأضمرت أشجاني ودمعي مظهر
وأسررت هجراني وحالي تخبر
فمن أدمعي ماء يفيض ويهمر
ومن أضلعي نار تفور وتسعر
فجسمي مصفر وفودي أبيض
وعيشي مغبر ودمعي أحمر

¹ جعلها د. طويل: ((بأنيال)).

وحين دن التوديع ممن أحبه
وحن الذي ما زلت منه أحذر
ونادى صحابي بالرحيل وأزمعوا
وسارت مطاياهم وظلت أفهقر
وأوى إليه الجيد حتى وجعته
وظل فؤادي لوعة يتفطر
وقفت لأقضي زفرة وصبابة
ولا أنثني فالموت أجدى وأجدر
ولو أنني بعث الحياة بنظرة
لأبت وحظي فيه أوفى وأوفر
وما باختياري إنما قدر جرى
رضيت بما يقضي الإله ويقدر
حنيني إلى مغنى الجمال مواصل
وشوقي إلى معنى الجمال موفر
وغير جميل أن يرى عن جمالها
فؤادي صبوراً والمسير ميسر

أصبِرَ ظمآن يغال بغلّة
وفي روضة الرضوان شهد وكوثر
فيا عينها الزرقاء إن عيونها
من الحزن فيض بالنجيع تفجر
سأقطع ليلي بالسرى أو أزورها
وأحمي الكرى عيناً لبعذك يظهر
وأنضي المطايا أو أوافي ربعها
فتتجدي طوراً وطوراً تغور
حظرت على نفسي الحذار من الردى
أتحذر نفس الحبيب تسيّر
أينكر تغرير المشوق بنفسه
وقد علموا أن المحب مغرر
وقفت على فتوى المحبين كلهم
فلم أجد التغرير في الوصل ينكر
وإني إذا ما خطرت خطرت قضت
بهمي وعزمي همة لا توطر

أقيم فألفي بين عيني همتي
وسيري في سبل العلا ليس ينكر
إذا ما بدت للعين أعلام طيبة
ولاحت قباب كالكواكب تزهر
وللقبة الزهراء سمك سما علا
وراق سنى كالشمس بل هو أزهر
لها منظر قيد النواظر والنهى
لها ساكن من نوره البدر يبدر
فخرجوا¹ على كمل² الكمال وسلموا
سلمتم وبلغتم مناكم فأبشرو
بنفسي لا بالمال أرضى بشارة
إذا لاح نور في سناها مبشر
وما قدر نفسي أن تكون كفا³
ولكنها جهد⁴ المقل فأعذر

¹ جعلها د. طويل: ((فأخرجوا)).

² جعلها د. طويل: ((أهل)).

³ جعلها د. طويل: ((كفاء)).

⁴ في الإسكوريال: ((جهل)).

أقول إذا أوفيت أكرم مرسل
قراي عليكم أن ذنبي يغفر
وأحظى بتقريب الجوار مكرماً
وأصفح عن جور البعاد وأعذر
وأرتع في ظل الجنان منعماً
وأمني بقرب من حماك وأجبر
هناك هناك القرب فأنعم بنيله
بحيث ثوى جسم كريم مطهر
ودع عنك تطواف البلاد وخيّم¹
بطيبة طابت فهي مسك وعنبر
فخرت بمدحي للنبي محمد
ومن مدحه المداح يزهي ويفخر
أطلت وإني في المديح مقصر
فكل طويل في معاليك يقصر
ما بلغت كف أمري متناول
بها المجد إلا والذي نلت أكبر

¹ جعلها د. طويل: ((وخيم)).

وما بلغ المهدون في القول مدحة
وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفسر
عليك صلاة الله ما مر سبق
إليك وما هب النسيم المعطر

وقال يرثي ابنا نجيباً ثكله بغرناطة¹:
شباب ثوى شابت عليه المفارق
وغصن ذوى تاقت إليه الحدايق
على حين راق الناظرين بسوقه
رمته سهام للعيون رواشق
فما أخطأت منه الفؤاد بعمدها
فلا أبصرت تلك العيون الروانق
وحين تدانى للكمال هلاله
ألم به نقص وجدت مواحق
إلى الله أشكو فهو يشكى نوازعاً
عظاماً سطاها للعظام عوارق

¹ البحر الطويل.

ولا مثل فقدان البني فجيعة
وإن طال ما لجت وجالت بوايق
محمد إن الصبر صبر وعلقم
على أنه حلو المثوبة سابق
فإن جزعاً فالله للعبد عاذر
وإن جلدًا فالوعد لله صادق
وتالله ما لي بعد عيشك لذة
ولا راقني مرأى لعيني رايق
فأني به والمذكرات عديدة
فنبيل وهم للعوايد خارق
فأين التفت¹ فالشخص للعين مائل
وإن أستمع فالصوت للأذن طارق
وإن أدع شخصاً باسمه لضرورة
فإن اسمك المحبوب للنطق سابق

¹ جعلها د. طویل: ((فإن ألتفت)).

وإن تفرع الأبواب راحة قارع
يطير¹ عندها قلب لذكرك خافق
وكل كتاب قد حويت فمذكر
وآثاره كل إليك توايق
سبقت كهولة² في الطفولة لا تني
وأرهقت أشياخاً وأنت مراهق
فلو لم يغلك الموت دمت مجلياً
وأقبل سكيناً وجيئة³ ولاحق
على مهل أحرزت ما شيت ثانياً
عنانك لا تجهد وأنت مسابق
رأتك المنايا سابقاً فأغررتها
فجد طلاباً إنهن لواحق
لين سلبت مني نفيس ذخائر
فإني بمذخور الأجور لوائح

¹ صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((يطر)).

² جعلها د. طويل: ((كهولاً)).

³ جعلها د. طويل: ((وجيناً)).

وقد كان ظني أنني لك سابق
فقد صار علمي أنني بك لاحق
غريبين كنا فرق البين بيننا
فأبرح ما يلقي الغريب المفارق
فبين وبعد بالغريب توكلاً
قد رعى بما حملت واللّه ضايق¹
عسى وطن يدنو فتدنو منى²
وأبي الأمانى والخطوب عوايق
فلولا الأسى ذاب الفؤاد من الأسى
ولولا البكا لم يحمل الحزن طائق
فخط الأسى خطا تروق سطوره
وتمحو البكا فالدمع ماح وساحق
فيا واحداً قد كان للعين نورها
اتلُ ضياً³ بعد بعدك غاسق

¹ هذا الشطر مختل ومضطرب.

² تصرف د. طويل؛ فجعل هذا الشطر هكذا: ((عسى وطن يدنو فتدنو له منى)).

³ جعلها د. طويل: ((عليك ضياء)).

عليك سلام الله ما جن ساجع
وما طلعت شمس وما ذر شارق
وما همعت سحب غواد روايح
وما لمعت تحدو الرعود بوارق
وجاد على مثواك غيث مروض
عباد لرضوان الإله موافق¹

محتته

تعرض إليه قوم، يوم قتل صديقه أبي عبد الله
الحكيم بإذاعة قبيحة، وأسمع كل شارق من القول على
أسنة زعانفة فجر وترهم القتيل، فتخلص؛ ولا تسل
كيف، وأزمع الرحيل فلم يلبث بعد ذلك.

وفاته

كانت وفاته بمدينة فاس، في اليوم الثامن من شهر
المحرم مفتح عام أحد وعشرين وسبعماية². ودفن في

¹ سقطت هذه القصيدة في الزيتونة.

² الموافق لـ 1321م.

الجبانة التي بخارج باب الفتوح بالروضة المعروفة بمطرح
الجنة، التي اشتملت على العلماء والصلحاء والفضلاء،
من الغرباء الواردين مدينة فاس.

مولده

وكان مولده بسبته عام سبع¹ وخمسين وستماية².

¹ صوبها د. طويل: فكتبها: ((سبعة وخمسين وستماية)).
² الموافق لـ 1258م.

محمد بن علي

(ابن هاني¹ [اللخمي]² السبتي؛ يكنى أبا عبد الله،
ويعرف باسم جده؛ أصلهم من إشبيلية.

حاله

كان رحمه الله فريد دهره في سمو الهمة، وإيثار
الاقتصاد والتحلي بالقناعة، وشموخ الأنف على أهل
الرياسة، مقتصراً على فائدة³ ربع له ببلده، يتبلغ مع
الاستقامة، مع الصبر والعمل على حفظ المروءة، وصون
ماء الوجه، إماماً في علم العربية، مبرزاً متقدماً فيه،
حافظاً للأقوال، مستوعباً لطريق الخلاف، مستحضراً
لحجج التوجيه، لا يشق في ذلك غباره، ريان من الأدب،
بارع الخط، سهل مقادة الكلام، مشاركاً في الأصليين،
قائماً على القراءات، حسن المجلس، رائق البزة، بارع
المحاضرة، فائق الترسل، متوسط النظم، كثير الاجتهاد

¹ له ترجمة أيضاً في نفح الطيب.

² هذه الإضافة من الزيتونة.

³ في الزيتونة: (فايد).

والعكوف، مליح الخلق، ظاهر الخشوع، قريب الدمعة،
بيته شهير الحسب والجلالة.

وجرى ذكره في [الإكليل الزاهر]¹ بما نصه: علم
تشير إليه الأكف² ويعمل إلى لقائة الحافر والخف³، رفع
للعربية ببلده راية لا تتأخر، ومرج منها لجة تزخر،
فانفسخ مجال درسه، وأثمرت أدواح غرسه، فركض بما⁴
شاء وبرح، ودون وشرح، إلى شمائل تملك⁵ الظرف
زمامها، ودعابة راشت الحلاوة سهامها. ولما أخذ المسلمون
في منازل الجبل⁶ وحصاره، وأصابوا الكفر منه بجارحة
أبصاره، ورموا بالثكل فيه نازح أمصاره، كان ممن انتدب
وتطوع، وسمع النداء، فأهطع⁷، فلأزمه إلى أن نفذ لأهله
لأهله القوت، وبلغ من فسحة الأجل الموقوت، فأقام

¹ وهو كتاب صغير لابن الخطيب. وقد سبق التعريف به.

² أي مشهور.

³ أي يقصده الناس بمختلف فناتهم؛ أصحاب الحافر؛ وهم الراكبون على
الجياد، وأصحاب الخف؛ الممتطين النوق والجمال.

⁴ في النفع: ((ما)).

⁵ نفسه: ((يملك)).

⁶ المقصود هنا هو جبل طارق أو جبل النفع.

⁷ أي فأسرع.

الصلاة بمحرابه، وقد¹ غير محياه طول اغترابه، وبادره الطاغية قبل أن يستقر نصل الإسلام في قرابه²، أو يعلق أصل الدين في ترابه. وانتدب إلى الحصار به وتبرع، ودعاه أجله فلبى وأسرع. ولما هدر عليه الفنيق، [وركعت إلى قبلته المجانيق³، أصيب بججر دوم عليه كالجراح الملق، وانقض إليه انقضاض البارق المتألق، فاقتنصه، واختطفه، وعمد إلى زهره فقطفه⁴ فمضى إلى الله طوع نيته، وصحبته غرابة المنازع حتى في منيته⁵.

مشيخته

قرأ على الأستاذ العلامة أبي إسحق الغافقي، وعلى الأستاذ النحوي أبي بكر بن عبيدة، واعتمد عليه، وقرأ على الإمام الصالح أبي عبد الله بن حريث.

¹ في النفع: ((وحياه وقد غير محياه)).

² أي في غمد السيف وجفنه.

³ في النفع: ((وركع إلى قبله المنجنيق)).

⁴ نفسه: ((فاقتطفه)).

⁵ نفسه: ((في أمنيته)).

توالمفه

ألف كتبا، منها: ¹ ((كتاب شرح التسهيل لابن مالك))؛ وهو أجل كتبه، أبداع فيه، وتنافس [الناس] ² فيه. ومنها ³ ((الغرة الطالعة في شعراء المائة السابعة))، ومنها ((إنشاد الضوأل وإرشاد السوأل في لحن العامة))؛ وهو كتاب مفيد، و((قوت المقيم)). ودوّن ترسل ⁴ ريس الكتاب أبي المطرف بن عميرة وضمه في سفرين. وله رجز ⁵ في الفرائض مفيد.

شعره

حدثنا ⁶ شيخنا القاضي الشريف، نسيج وحده، أبو القاسم الحسني، قال: خاطبت الأستاذ أبا عبد الله بن هاني رحمه الله بقصيدة من نظمي أولها: ⁷

¹ في النفع: ((منها شرح "تسهيل الفوائد" لابن مالك؛ مبدع؛ تنفس الناس فيه)).

² كلمة ((الناس)) أضيفت من النفع.

³ في النفع: ((وكتاب)). وهذا ينطبق على العنوانين التاليين.

⁴ نفسه: ((ودون ترسيل أبي المطرف بن عميرة)).

⁵ نفسه: ((جزء)).

⁶ نفسه: ((وحدثني شيخنا الشريف القاضي أبو القاسم؛ قال: خاطبت ابن

هاني بقصيدة من نظمي أولها:)).

⁷ البحر البسيط.

(هَلَّتْ¹ الحديث عن الكُرب² الذي شخصاً).
فأجابني عن ذلك بقصيدة في رويها³:
لولا مشيب بَفُودِي للفؤاد عصى
نَضَيْتُ⁴ في مهمه التشبيب لي قلصا
واستوقفت عبراتي وهي جارية
وكفاء توهم⁵ ربعاً للحبیب قصا
مسايلاً عن لياليه التي انتهزت
أيدي⁶ الأمانی بها ما شيته فرصا
وكنت جاريت فيها من جرى طلقا
من الإجادة لم يحجم⁷ ولا نكصا
أصاب شاکلة المرمي حين رمى
من الشوارد ما لولاه ما اقتنصا

¹ في النفح: ((هات))؛ وهو أفضل.

² نفسه: ((الركب)).

³ نفسه: ((فأجابني بقصيدة لى رويها أولها)). وهي أياً على البحر نفسه.

⁴ نفسه: ((أنضيت)).

⁵ في الإسكوريال: ((يومم))؛ وصوبت من النفح.

⁶ نفسه: ((فيها)). وصححت من النفح.

⁷ نفسه: ((لم يجمع)).

ومن أعد مكان النبل نبل حجاباً
لم يرض إلا بأبكار النهي قنصا
ثم انتنى ثانياً عطف النسب إلى
مدح به قد غلاما كان قد رخصا
فظلت أرفل فيها لبسة شرفت
ذاتاً ومنتسباً أعزز به قمصا
يقول فيها وقد خولت منحتها
وجرع الكاشح المغرى بها غصصا
هذي عقايل وافت منك ذا شرف
لولا أياديه بيع الحمد مرتخصا
فقلت هلا عكست القول منك له
ولم يكن قابلاً من¹ مدحه الرخصا
وقلت ذي بكر فكر من أخي شرف
يردي ويرضي بها الحساد والخلصا
لها حلّى حسنيات على حل
حسنية تستبي من حل أو شخصا

¹ في النفع: ((في)).

خولتها وقد اعتزت ملبسها
بالبخت ينقاد للإنسان ما عوصا¹
خذها أبا قاسم مني نتيجة ذي
وُدِّ إذا شيت ودال لورى خلاصا
جاءت تجاوب عما قد بعثت به
إن كنت تأخذ من² دُرِّ النحور حصا

وهي طويلة. ومما ينسب إليه، وهو مليح في معناه³:
ما للنوى مدت لغير ضرورة
ولقبل ما عهدي بها مقصوره
إن الخليل وإن دعته ضرورة
لم يرض [ذاك]⁴ فكيف دون ضروره

¹ أي ما صعباً.

² في الإسكوريال: ((عن))؛ وصوبت من النفح.

³ البحر الكامل.

⁴ هذه الإضافة من الزيتون والنفح.

وقال: مضمناً¹:

لا يلمني عاذلي حتى يرى²
وجه من أهوى فلومي مستحيل
لو رأى وجه حبيبي عاذلي
لتفارقنا على وجه جميل

وقال في الفخر³:

قل للموالي عش بغبطة حامد
وللمعادي بت بضغنة حاسد
المزن كفي والثريا همتي
وذكاً⁴ ذكري والسعود مقاصد⁵

وقال في غير ذلك⁶:

غنيت بي دون غيري الدهر عن مثل
بعضي لبعضي أضحي يضرب المثلا

¹ بحر الرمل.

² جاء هذا الشطر في النسخ هكذا: ((لا تلمني عاذلي حين ترى)).

³ البحر الكامل.

⁴ جعلها د. طويل: ((وذكاء)).

⁵ أضاف د. طويل الياء؛ فأضحت: ((مقاصدي)).

⁶ البحر البسيط.

ظهري انحنى لمشيبي لاح واعجبا
غض إذا أينعت أزهاره ذبلا
أذلك¹ أم زهر لاحت تخبر أن
يوم الصبا والتصابي أنس الطفلا
ومما جمع فيه بين نظمه ونثره، ما راجع به شيخنا
القاضي الشريف أبا القاسم الحسنی، عن القصيدة الهمزية
التي ثبتت في اسمه²:
يا أوحـد الأدياء أو يا أوحـد الـ
فضلا أو يا أوحـد الشرفاء
من ذا تراه أحق منك إذا التوت
طرق الحجاج بأن يجيب نداء³
أدب أرق من الهواء وإن تشا
فمن الهوى والماء والصهباء

¹ جعلها د. طویل: ((أذاك)).

² البحر الكامل.

³ في النفع: ((ندائي))؛ وهو أصوب.

وأذ من ظَلَمَ¹ الحبيب وظلمه
بالظاء مفتوحاً وضم الظاء
ما السحر إلا ما تصوغ بنانه
ولسانه من حلية الإنشاء
[والفضل ما حلته وحببته
وحبوتني منه بخير حباء
أبكار فكرك قد زففت² بمدحتي
تمشي روايعها على استحياء
لا من قصور بل لتقصيها
من حيث لم يظفرن بالإرفاء
لكن جبرن³ وقد جبلن على الرضا
فالجبر للأبكار للأبءاء
هذا إلى الشرف الذي قد فزت
من⁴ عليائه بالعزة القعساء

¹ الظلم هنا (بفتح الطاء وسكون اللام) هو: الرقيق.

² جعلها د. طويل: ((زُقَّتْ)).

³ في الإسكوريال: ((جبلن)).

⁴ حذف د. طويل: كلمة ((من))؛ فعدت: ((علياءه)).

شرف السيل من الرسول وسيلة
قامت بابن¹ سنأً وابن سنأء
حسن وأبو² حسن وفاطمة ابنة الـ
هادي البرية خاتم النبلاء
شرف على شرف إلى شرفين
[من ذا حاز]³ ما حزت من علياء
هذي ثلاث أنت واحد فخرها
فاشمخ لها شرفاً بأنف علاء
من رام رتبتك السنية فليقف
دون المرام مواقف الإقصاء
هذي مآثر قد شأوت بصيتها
من كان من أب لها أو شاء
والليث يرهب زأره في موطن
ما كان من نقد به أو شاء

¹ ((بابن)) الأولى والثانية جعلهما د. طويل بهمزة قطع: ((بابن)).

² حذف د. طويل ((واو العطف))؛ فأضحت: ((أبو)).

³ جعلها د. طويل: ((من حاز)).

يكفيك من نكد المعاند أن يرى
متقلد الأعضاء بالبغضاء
السن يفنى بالأنامل قرعه
أو عضه متوقد الأحشاء
أتحفتني بقصيدة همزية
مقصورة ممدودة الآراء
كم بين تلك وهذه لكنها
غطى على هذي ذهاب فتاء¹
ذو الشيب يعذره الشباب فما لهم
بذكا² نيل أو بنيل ذكاء
من قارب الخمسين خطواً سنه
فمحاله مستوجب الإبطاء
أبني إنك أنت أسدى من به
يتعاضم الآباء بالأبناء³

¹ أضاف د. طويل ((الياء))؛ فغدت: ((فتاني)).

² جعلها د. طويل: ((بذكاء)).

³ كل هذه الأبيات الواردة بين حاصرتين؛ لم تذكر في نفع الطيب.

لله نفثة سحر ما قد شددت لي
من نفت سحرك في مشاد ثناء
عارضت صفواناً بها فأريت ما
يستعظم الراوي له والراء¹
لو راء لؤلؤك المنظم لم يفز
في² نظم لؤلؤه بغير عناء
بوأتني منها أجل مـبـوـا
فلأخمصى مستوطن³ الجوزاء
وسمى بها أسمى ساير⁴ فأنا بما
أسديت ذو الأسماء في الأسماء
وأشدت ذكري في البلاد فلي بها
طول الثناء وإن أطلت ثواء⁵

¹ في النفع: ((والرأني))؛ بالياء؛ وهو أصوب.

² نفسه: ((من)).

³ نفسه: ((مستوطئ)).

⁴ نفسه: ((سانراً)).

⁵ في الاسكوريال: ((ثناء)). وفي النفع: ((ثواني))؛ بالياء.

ولقومي الفخر المشيد بنيته
بأحسن¹ تشييد وحسن وبناء
فليهن هانيهم يد بيضاء ما
أن مثهالك من يد بيضاء
حليت أبياتا² لهم³ لخمية
بحلا علا⁴ مضرية غراء
فليشمخوا أنفا بما أوليتهم
يا محرزا لآلاء بالإيلاء

هذا، بُنيّ، وصل الله⁵ لك ولي بك علو المقدار،
وأجرى وفق أو فوق إرادتك أو إرادتي⁶ لك جاريات
الأقدار، ما سمح⁷ به الذهن الكليل واللسان الفليل في
مراجعة قصيدتك الغراء، الجالية للسرّاء⁸، الآخذة بمجامع

¹ في النفع: ((يا حسن))؛ وهو أسلم.
² في الإسكوريال: ((أبا)). وصححت من النفع.
³ في النفع: ((له)).
⁴ نفسه: ((تجلى على)).
⁵ نفسه: ((وصل الله سبحانه)).
⁶ نفسه: ((وإرادتي)).
⁷ نفسه: ((ما سنح)).
⁸ نفسه: ((الجالية السرّاء)).

القلوب، الآتية¹ بجوامع المطلوب، الحسنة المهيع²
والأسلوب، المتحلية بالحللى الحسنية³، العريقة المنتسب في
العللى الحسنية، الجالية صدأ قلوب⁴ ران عليها الكسل،
وخانها المسعدان، السؤل والأمل، فمتى حامت المعاني
حولها، ولو أقامت حولها، شكت ويلها وعولها،
وحرمت من فريضة الفضيلة عولها، وعهدي بها، والزمان
زمان، وأحكامه⁵ الماضية أمانى مقضية وأمان، تتوارد
ألفها، ويجمع إجماعها وخلافها، ويساعدها من الألفاظ
كل سهل ممتع، مفترق مُجمع⁶، مستأنس غريب، بعيد
الغور قريب، فاضح الحلا، واضح العلا، وضاح الغرة
والجبين، رافع عمود الصبح الميين، أيد من الفصاحة
بإياد، فلم يحفل بصاحبي **طي** وإياد، وكسي بضاعة⁷

¹ في النفع: ((الموفية)).

² أي حسنة الطريقة.

³ في النفع: ((السنية)).

⁴ نفسه: ((لصدأ القلوب)).

⁵ نفسه: ((وأحكامها)).

⁶ نفسه: ((مجتمع)).

⁷ نفسه: ((نصاعة)).

البلاغة، فلم يعباً بهمام¹ وابن المراغة². شفاء المحزون،
وعلم السر³ الخزون، ما بين منشوره والموزون. والآن لا
ملهج ولا مبهج [ولا مرشد ولا منهج⁴] عكست القضايا
فلم تنتج، فتبلد القلب الذكي، [ولم يرشح القلب
البكي⁵] وعم الإفحام وغم الإحجام، وتمكن الإكداء
والإجبال، (وكورت الشمس، وسيرت الجبال)⁶، وعلت
سامة وغلبت ندامة، وارتفعت ملامة، وقامت لنوعي
الأدب قيامة. حتى إذا ورد ذلك المهرق، وفرع غصنه
المورق، تغنى⁷ به الحمام الأورق، وأحاط بعداد عاداته
الغصص والشرق، وأمن من الغصب والسرقة وأقبل
الأمن، وزهد بإقباله الفرق نفخ في صور أهل المنظوم

¹ وهو الشاعر أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي؛
ولد بالبصرة سنة 38هـ/658م، وتوفي ببادية البصرة سنة 110هـ/728م.
لقب بالفرزدق؛ بسبب ضخامة وتجهم في وجهه؛ ومعنى الفرزدق:
الرعيف؛ إذ يشبهونه بالرعيف المحروق.

² هو الشاعر أبو حرزة جرير بن عطية اليربوعي التميمي (ت. 110هـ).
ولد في بادية نجد؛ وتوفي سنة 110هـ/728م. بعد الفردق بأشهر قلائل.

³ في النسخ: ((سر)).

⁴ هذه الإضافة من النسخ.

⁵ في النسخ: ((ولم يرشح القلم الذكي)).

⁶ إحالة إلى قوله تعالى: (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا

الْجِبَالُ سُيِّرَتْ). سورة التكوير؛ الآيات: 1 - 2 - 3.

⁷ في النسخ: ((وتغنى)).

والمنثور: ﴿بُعِثَرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّرُورِ﴾¹، وتراءت للأدب صور، وعمرت للبلاغة كور، وهمت للبراعة درر، ونظمت للبراعة درر، وعندها يَتَبَيَّنُ² أنك واحد حلبة البيان، والسابق في ذلك الميدان، يوم الرهان، فكان لك القدم، وأقر لك مع التأخر السابق الأقدم فوحق نصاعة³ ألفاظ أجدتها، حين أوردتها، وأسلتها حين أرسلتها، وأزنتها حين وزنتها، وبراعة معان سلكتها حين ملكتها، وأرويتها حين رواتها وأرويتها⁴ وأصلتها حين فصلتها ووصلتها⁵، ونظام جعلته لجسد⁶ البيان قلبا، والمعصمة قلماً⁷، وهصرت حدايقه غلبا، وارتكبت روية⁸ صعباً، ونثارا⁹ أتبعته له خديماً، وصيرته

¹ الآية الأولى كاملة هكذا: (أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَرَ مَا فِي الْقُبُورِ). سورة العاديات؛ الآية: 9. وتليها الآية المذكورة أعلاه؛ ورقمها: 10.

² في النفع: ((تبيين)).

³ نفسه: ((فصاحة)).

⁴ نفسه: ((رَوَيْتَهَا أَوْ رَوَيْتَهَا)).

⁵ نفسه: ((أَوْ وَصَلْتَهَا)).

⁶ نفسه: ((بجسد)).

⁷ نفسه: ((ولمعصمه قُلباً)).

⁸ نفسه: ((رويته)).

⁹ نفسه: ((نثار)).

وصيرته لمدير كأسه نديماً، ولحفظ¹ ذمامه المدامي، أو
مدامه الذمامي مديماً، لقد فتنني حين أتتني، وسبتني
حين نصبتني²، فذهبت خفتها بوقاري، ولم يرعها بعد
شيب عذاري، بل دعت للتصابي فقلت مرحباً، وحللت
لفتنتها الحبا، ولم أحفل بشيب، وألفيت مارد نصابي
نصيب³، وإن كنا فرسي رهان، وسابقي حلبة ميدان، غير
غير أن الجلدة⁴ بيضاء، والمرجو الإغضاء، بل الإرضاء.
بني كيف رأيت للبيان هذا الطوع، والخروج فيه من نوع
إلى نوع. أين صفوان بن إدريس⁵، ومحل دعواه بين رحلة
رحلة وتعريس⁶، كم بين ثغاء بقر⁷ هذا الفلا، وبين زئير⁸
زئير⁸ ليث العريس، كما أنني أقطع⁹ علماً، وأعلم قطعاً،

¹ في النفع: ((ولحفظه)).

² نفسه: ((أطبتني)).

³ يشير هنا إلى قول الشاعر نصيب بن رباح (ت: 108هـ/726م):

ولولا أن يقال صبا نصيب * لقلت بنفسي النشأ الصغار

بنفسي كل مهضوم حشاها * إذا ظلمت فليس لها انتصار

⁴ في الإسكوريال: ((الجادة)). وصوبت من النفع.

⁵ هو أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي الأندلسي. توفي سنة

1201هـ/598م. مؤلف كتاب زاد المسافر.

⁶ أي ونزول بالليل للراحة.

⁷ سقطت في الإسكوريال. وفي النفع: ((بقر الفلاة وبين ليث الفريس)).

⁸ سقطت كلمة ((زئير)) في النفع.

⁹ في النفع: ((أعلم قطعاً وأقطع علماً)).

قطعاً، وأحكم مضاء، وأمضى حكماً، أنه لو نظر إلى
قصيدتك الرائقة، وفريدتك الحالية الفايقة، المعارضة بها
قصيدته، المنتسخة بها فريدته لذهب عرضاً وطولاً، ثم
اعتقد لك اليد الطولى، وأقرّ بارتفاع¹ النزاع، وذهبت له
تلك العلالات² والأطماع، ونسي كلمته اللؤلؤية، ورجع
عن دعواه الأدبية، واستغفر الله ربه من تلك الإليية³.
بني وهذا من ذلك، من الجري في تلك المسالك،
والتبسط في تلك المآخذ والمتارك، أينزع غيرى هذا المنزع،
أم المرء بشعره⁴ وابنه مولع. حياً الله الأدب وبنيه، وأعاد
علينا من أيامه وسنيه، ما أعلى منازعه، وأكبا منازعه،
وأجل مآخذه، وأجهل تاركه، وأعلم آخذه، وأرق
طباعه، وأحق أشياعه وأتباعه، وأبعد طريقه، وأسعد
فريقه، وأقوم نهجه، وأوثق نسجه، وأسمح الفاظه،
وأفصح عكاظه، وأصدق معانيه وألفاظه، وأحمد نظامه

¹ في النفع: (فارتفع)).

² نفسه: ((العلاقات)).

³ نفسه: ((الآلية)).

⁴ نفسه: ((بنفسه)).

ونثاره، وأغنى [شعاره ودثاره]¹. فعابيه مطرود، وعاتبه مصفود، وجاهله محصود، وعالمه محسود. غير أن الإحسان فيه قليل، ولطريق الإصابة فيه علم ودليل، من ظفر بهما وصل، وعلى الغاية القصوى منهما² حصل، ومن نكب عن الطريق، لم يعد من ذلك الفريق، فليهنك أيها الإبن الذكي، البر الزكي، الحبيب الحفي³، الصفي الوفي، أنك حامل رايته، وواصل غايته، ليس أولوه وآخروه لذلك بمنكرين، ولا تجد أكثرهم شاكرين. ولولا أن يطول الكتاب، وينحرف الشعراء والكتاب، لفاضت ينابيع هذا الفصل⁴ أيضاً، وخرجت إلى نوع آخر من البلاغة أيضاً، قرت عيون أودايك⁵، وملئت غيظاً صدور أعدايك، ورقيت درج الآمال، ووقيت عين الكمال، وحفظ منصبك العالي، بفضل ربك الكبير المتعال. والسلام الأتم الأكمل الأعم⁶ يخصك به، من طال في مدحه إرقالك

¹ في الإسكوريال: (دثاره وشعاره)). والتصويب من النفح.

² في النفح: ((منه)).

³ أي الحبيب الذي يبالغ في السؤال عن الشيء.

⁴ في النفح: (الفضل)).

⁵ الأوداء؛ مفرداها ودود: أي مُحب. وأودايك؛ خففت همزتها.

⁶ في النفح: ((الأتم الأتم الأكمل)).

وإغذاذك¹، وراذ روض حمده طلك ورذاذك² ووذت
مصالح سعيه في سعي مصالحك، وسينفعك بحول الله
وقوته، وفضله ومنتته معاذك ووسمت نفسك بتلميذه،
فسمت نفسه بأنه أستاذك، ابن هاني ورحمة الله وبركاته.

دخوله غرناطة

دحل غرناطة مع الوفد من أهل بلده عند تصيرها إلى
الإيالة النصرية؛ حسبما ثبت في موضعه.

وفاته.

توفي بجبل الفتح - والعدو يحاصره. أصابه حجر المنجنيق في
رأسه؛ فذهب به، تقبل الله شهادته ونفعه - في أواخر ذي
قعدة من عام ثلاثة وثلاثين وسبعماية³.

¹ الإرقال والإغذاذ: ضربان من ضروب السير.

² في النفح: ((حمدك وابلك وطلبك ورذاذك)).

³ تغلب النصارى القشتاليون على جبل الفتح (جبل طارق) سنة
(709هـ/1310م) وبقي المسلمون يترصبون لاسترداده؛ حيث حاصرت
جيوش غرناطة والمغرب جيوش النصارى في ذلك الجبل؛ أين تمكنوا من
نتزاعه منهم سنة (733هـ/1333م). وجاء في نفح الطيب: ((وكانت وفاته
شهادة في أواخر ذي القعدة عام ثلاثة وسبعماية)).

وممن رثاه قاضي الجماعة شيخنا القاضي أبو القاسم
الحسني ، وهي القصيدة التي أولها¹ :
سقى الله بالخضراء أشلاء سوّدد
تضمنهن الترب صوب الغمام
وقد ثبت في ((جهد المقل)) في اسم الذكور فليُنظر
هنالك.

وممن رثاه شيخنا القاضي أبو بكر بن شبرين رحمه
الله بقوله² :

قد كان ما قال اليزيد³
فاصبر فحزنك لا يفيد
أودى ابن هانيء الوضا
فاعتادني للتكل عيد
بحر العلوم وصدرها
وعميدها إذ لا عميد

¹ البحر الطويل.

² مجزوء الكامل.

³ في النفع: ((البريد)).

قد كان زيناً للوجو
دِ ففيه قد فجع الوجود
العلم والتحقيق والتـ
وفيق والحسب التليد
تدى خلائقه فقل
فيها هي الروض المجد
مغض عن الإخوان لا
جهم اللقاء ولا كنود
أودى شهيداً باذلاً
مجهوده نعم الشهيد
لم أنسه حين المعـ
رف باسمه فينا تشيد
وله صبوب في طلا
ب العلم يتلوه صعود
لله وقت كان ينـ
ظمننا كما نظم الفريد

أيام نغدو أو نرو
ح وسعينا السعي الحميد
وإذا المشيخة جثم
هضبات حلم لا تبيد¹
ومرادنا جم النبا
ت وعيشنا خضر² البرود
لهفي على الإخوان والـ
أتراب كلهم فقيـد
لو جيت أوطاني لأنـ
كرني التهايم والنجود
ولراع نفسي شيب من
غادرتـه وهو الوليد
ولطفت ما بين اللحو
د وقد تكاثرت اللحو

¹ في النفع: ((لا تميد)).
² نفسه: ((خضر² برود)).

سرعان ما عاث الحما
م ونحن إيقاظ هجود
كم رمت إعمال المسـ
ير فقيدت عزمي قيود
والآن أخلفت الوعو
د وأخلفت تلك البرود
ما للفتى ما بيتغي
والله¹ يفعل ما يريد
أعلى القديم الملك يا
ويلاه يعترض العبيد
يا بَيْنُ قد طال المدى
أرعد وأبرق يا يزيد²
ولكل شيء غاية
ولربما لان الحديد

¹ في النسخ: ((فأله)).

² نفسه: ((أبرق وأرعد يا يزيد))؛ وهذا مقتبس من قول الكميت:
((أرعد وأبرق يا يزيد * ذُفما وعيدك ضائر))

إيه أبا عبد الإلـ
هـ ودوننا مرمى بعيد
أين الرسايل منك تأ
تينا كما نُظِم¹ العقود
أين الرسوم الصالحا
ت تصرمت أين العهد
أنعم مساء لا تخطتـ
ك² البشاير والسعود
وأقدم على دار الرضا
حيث الإقامة والخلود
والق الأجابة حيث دا
رُ الملك والقصر المشيد
حتى الشهادة لم تفتـ
ك فنجمك النجم السعيد

¹ في النسخ: ((نسق)).
² نفسه: ((تخطيك)).

لا تبعدن وعد¹ لَوَ أَنْ
الميت² في الدنيا يعود
ولئن³ بليت فإن ذكر
ك في الدنا غض جديد
تالله لا تتسأك أن
دية العلى ما اخضر عود
وإذا تسومح في الحقو
ق فحقك الحق الأكيد
جادت صداك غمامة
يُرَوَى⁴ بها ذاك الصّعيد
وتعهدتك من المهيب
من رحمة أبدأ وجود

¹ في النفع: ((وعداً)).
² نفسه: ((البدء)).
³ نفسه: ((فلن)).
⁴ نفسه: ((يرمي)).

محمد بن يحيى

(العبري؛ من أهل فاس؛ يثنى أبا عبد الله؛ ويعرف بالصرني.

حاله

قال الأستاذ في صلته¹: إمام في العربية، ذاكراً للغات والآداب، متكلم، أصولي مفيد، متفنن، حافظ، ماهر، عالم، زاهد، ورع، فاضل. أخذ علم العربية والآداب عن النحوي أبي الحسن بن خروف، وعن النحوي الأديب الضابط أبي ذر الخشني، وأكثر عنهما، وأكمل الكتاب على ابن خروف، تفقهاً وتقييداً وضبطاً. وكان حسن الإقراء، جيد العبارة، متين المعارف والدين، شديد الورع، متواضعاً جليلاً، عالماً عاملاً، من أجل من لقيته، وأجمعهم لفنون المعارف، وضروب الأعمال، وكان الحفظ أغلب عليه، وكان سريع القلم إذا كتب أو قيد، وسمعه يقول، ما سمعت شيئاً من أحد من أشياخي، من نكت العلم، وتفسير مشكل، وما يرجع

¹ أي كتاب ((صلة الصلة))؛ لأستاذ أبي جعفر بن الزبير.

إلى ذلك، إلا وقيدته، ولا قيدت بخطي شيئاً إلا حفظته،
ولا حفظت شيئاً فنسيته. هذا ما سمعت منه.

مشيخته

أخذ العربية عن الأستاذ أبي الحسن بن خروف،
وعن النحوي الأديب الضابط أبي ذر الحشني. وأكثر عنه،
وأخذ معهما عن أبي محمد بن زيدان، ولازم ثلاثتهم،
وسمع وقرأ على الفقيه الصالح أبي محمد صالح¹، وأخذ¹
عن غير من ذكر.

دخوله غرناطة

قال: دخل الأندلس مراراً بيسير بضاعة كانت لديه
يتجر فيها، ودخل إشبيلية. وتردد آخر عمره إلى غرناطة
ومالقة؛ إلى حين وفاته.

¹ في الزيتونة: ((وأكثر)).

وفاته

توفي رحمه الله شهيداً بمرسى جبل الفتح. دخل عليهم العدو فيه. فقاتل حين قتل؛ وذلك سنة أحد¹ وخمسين وستماية²؛ وسمعه يتوسل إلى الله، ويسأله الشهادة.

* * *

¹ صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((إحدى)).
² الموافق لـ 1253م.

المجربون والفقهاء والطلبة النجباء وأولاد الأصيلين

محمد بن أحمد

ابن إبراهيم بن الزبير¹ من أهل غرناطة؛ ولد للأستاذ الكبير
أبي جعفر بن الزبير؛ يكنى أبا عمرو.

حاله

هذا الشيخ سكيت حلبي، ولد أبيه في علو النباهة
إلا أنه لوذعي فكه، حسن الحديث، رافض للتصنع ركض
طرف الشيبية في ميدان الراحة، منكباً عن سنن أبيه
وقومه، مع شغوف² إدراك، وجودة حفظ، كانا يطمعان
والده في نجابته، فلم يعدم قادحاً. ورحل إلى العدو،
وشرق³ ونال حظوة، وجرت عليه خطوب. ثم عاد إلى
الأندلس على معروف رسمه يتكور بها، وهو الآن قد نال

¹ له ترجمة أيضاً في نفح الطيب.

² في النفح: (شفوف).

³ أي رحل إلى المشرق.

منه الكبر. يزجي الوقت¹ بمالقة، متعللاً بوقف من بعض
الخدم المخزنية²، لطف الله به.

مشيخته

استجاز له والده الطّم والرّم، من أهل المغرب
والمشرق، ووقف عليه منهم في الصّغر وقفاً لم يغتبط به
عمره، وأذكره الآن بعد أمة، عندما نقر عنه لديه، فأثرت
به يده من علو رواية، وتوفر سبب مبرة، وداعية إلى
إقالة عثرة، وستر هيبة شيبة. فمن ذلك الشيخ الإمام أبو
علي ناصر الدين منصور بن أحمد المشدالي، إجازة ثم
لقاء وسماعاً، والشيخ الخطيب الراوية أبو عبد الله بن
غريون. وأجازه الأستاذ أبو إسحق الغافقي، وأبو القاسم
ابن الشاط، والشريف أبو العباس أحمد الحسني،
والأستاذ الإمام أبو الحسين عبد الله بن أبي الربيع
القرشي نزيل سبتة. ومحمد بن صالح بن أحمد بن محمد

¹ في النسخ: ((لوقته)).
² أي الإدارية.

الكتاني الشاطبي ببجاية، والإمام أبو اليمن بن عساكر
بالمسجد الحرام، وابن دقيق العيد وغيرهم. ومن أهل
الأندلس أبو محمد بن أبي السداد، وأبو جعفر بن الزيات،
وأبو عبد الله بن الكماد، وأبو عبد الله بن ربيع
الأشعري، وأبو عبد الله بن برطال، وأبو محمد عبد
المنعم بن سماك، والعدل أبو الحسن بن مستقور. وأجازه
من أهل المشرق والمغرب، عالم كبير.

شعره

وبضاعته فيه مزجاة، فمن ذلك ما خاطبني به عند
إيابي من العدو في غرض الرسالة عن السلطان¹:
نوالي الشكر للرحمن فرضاً
علم نعم كست طولاً وعرضاً

¹ البحر الوافر.

وكم لله من لطيف خفي
لنا منه الذي يشاء¹....² وأمضى
بمقدمك السعيد أتت سعود
تعال³ بهانعيم الدهر محضاً
فيا بشرى لأندلس بما قد
به والاك بارينا وأرضي
ويا لله من سفر سعيد
قد أقرضت⁴ المهيمن فيه قرضاً
نهضت⁵ بنية أخلصت فيها
فأتت⁶ بكل ما يبغي ويرضى
وثبت لنصرة الإسلام لما
علمت بأن الأمر إليك أفضى

¹ في النفع: ((قد شا))؛ حيث حذفت الهمزة للضرورة الشعرية.

² هذا البياض ورد في الإسكوريال.

³ في النفع: ((ننال)).

⁴ نفسه: ((قد أقرضك)).

⁵ نفسه: ((ورحت)).

⁶ نفسه: ((فأبت)). وهذا أسلم.

لقد أحييت بالتقوى رسوماً
كما أرضيت بالتمهيد أرضاً
وقمت بسنة المختار فينا
تمهد سنة وتقيم فرضاً
ورضت من العلوم الصعب حتى
جنيت ثمارها رطباً وعضاً
فرأيتك ناجح¹ فيما تراه
وعزمك من مواضي الهند أمضى
تدبر أمر مولانا فيلقى
المسيء لديك إشفاقاً وإغضاً
فأعقبنا شفاً² وانبساطاً
وقد كانت قلوب الناس مرضى
ومن أضحى على ظمياً وأمسى
يرد إن شاء من نعماك خوضاً³

¹ في النفع: ((راجح)).
² نفسه: ((شفاء))؛ وهو أسلم.
³ نفسه: ((حوضاً)).

أبا عبد الآله إليك أشكو
حين نابُ الفقرِ عضاً¹
ومن نعماك استجدي لباساً
يفيض² به على الجاه فيضا
بقيت مؤملاً ترجى وتخشى
ومثلك من إذا ما جاد أرضاً

وفاته

توفي في التاسع لمحرّم من عام خمسة وستين وسبعماية³.

¹ ورد هذا الشطر في النسخ هكذا: ((زمني حين ناب الفقر عضاً))؛ وهذا أسلم.
² في النسخ: ((تفيض)).
³ الموافق لـ 1363م.

محمد بن أحمد

(بن خلف بن عبد الملك بن غالب الغساني¹؛
من أهل غرناطة؛ يكنى أبا أبلر؛ ويعرف بالقلبي).

أوليته

قد جرى من ذكره، وذكر بيته في الطبقات ما فيه كفاية².

حاله

كان نبيه البيت، رفيع الدين، وأجمع على استقضائه
أهل بلده بعد أبي محمد بن سمحون؛ سنة ثمان وخمسمائة³.

وفاته

توفي بغرناطة، أوائل صفر عشرة وخمسمائة⁴. ودفن في
روضة أبيه ذكره ابن الصيرفي وأطنب.

* * *

¹ له ترجمة أيضاً في: التكملة لكتاب الصلة، والذيل والتكملة.
² أورد ابن الخطيب - في الإحاطة قبل هذا - ترجمة وافية لأبيه.
³ الموافق لـ 1114م.
⁴ الموافق لـ 1116م.

محمد بن أحمد

(ابن محمد الروسي¹؛ من أهل غرناطة؛ يكنى أبا عبد الله؛
ويعرف بابن قطبة.

حاله

من عايد الصلاة: كان رحمه الله شيخ الفقهاء
والموثقين، صدر أرباب الشورى، نسيج وحده في
الفضل، والتخلق والعدالة، طرفاً في الخير، محبباً إلى
الكافة، مجبولاً على المشاركة، مطبوعاً على الفضيلة،
كهنفاً للغرباء والقادمين، مألفاً للمتعلمين، ثمالاً للأسرى
والعائنين، تخلص منهم على يديه أمم، لقصد الناس إياه
بالصدقة، مقصوداً في الشفاعات، معتمداً بالأمانات، لا
يسدل دونه ستر، ولا تحجب عنه حرمة، فقيها حافظاً،
إخبارياً محدثاً ممتعاً، متقدماً في صناعة التوثيق، حسن
المشاركة في غيرها، كثير الحض على الصدقة في المحول
والأزمات، يقوم في ذلك مقامات حميدة، ينفع الله بها

¹ سمي في تاريخ قضاة الأندلس: ((أبو عبد الله محمد بن أحمد بن
أحمد بن محمد بن قطبة الدوسي)).

الضعفاء، وينقاد الناس لموعظته، ويؤثر في القلوب بصدقه. فقد بفقدانه رسم من رسوم البر والصدقة.

مشيخته

قرأ على الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير، والخطيب ولي الله أبي الحسن بن فضيلة، وروى عن الشيخ الوزير المسن المحدث أبي محمد عبد المنعم بن سماك، وأبي القاسم بن السكوت المالقي، والخطيب أبي عبد الله بن رُشيد، والقاضي أبي يحيى بن مسعود، والعدل أبي علي البجلي، وأبي محمد عبد المؤمن الخولاني، وأجازته جماعة من أهل المشرق والمغرب، وناب عن بعض القضاة بغرناطة. ولد عام تسعة وستين وستماية¹، وتوفي في الثالث لربيع الأول من عام ثمانية وثلاثين وسبعماية². وكانت جنازته مشهودة.

¹ الموافق لـ 1270م.
² الموافق لـ 1337م.

محمربن إبراهيم

(بن عببرالله بن أعمربن محمربن يوسف بن روييل الأنصاري؛
من أهل غرناطة؛ ويكنى أبا عببرالله، ويعرف بابن السراج؛
طليطلي الأصل؛ طبيب الدرر السلطانية.

حاله

من العايد: كان رحمه الله من أهل التفنن والمعرفة
متناهي الأبهة والحظوة، جميل الصورة، مليح المجالسة،
كثير الدعابة والمؤانسة، ذاكراً للأخبار والطرف، صاحب
حظ من العربية والأدب والتفسير، قارضاً للشعر، حسن
الخط، ظريف الوراق، طرفاً في المعرفة بالعشب، وتميز
أعيان النبات، سنياً، محافظاً، محبا في الصالحين، ملازماً
لهم، معتنياً بأخبارهم، متلمذاً لهم. انحاش إلى الولي أبي
عبد الله التونسي، وانقطع إليه مدة حياته، ودون أحواله
وكراماته. وعين ريع ما يستفيدة في الطب صدقة على
يديه، أجرى ذلك بعد موته لنيه. ونال حظاً عريضاً من
جاه السلطان، فاطرح حظ نفسه مع المساكين والمحتاجين،
فكان على بأوه على أهل الدنيا، يوتر ذوي الحاجة،

ويخف إلى زيارتهم، ويرفدهم، ويعينهم على معالجة
عللهم.

مشيخته

قرأ الطب على الشيخ الطبيب نسيج وحده أبي
جعفر الكزني، ريس الصناعة في وقته، ولقي فيه
الأستاذ إمام التعاليم والمعارف أبا عبد الله الرقوتي
المرسى وغيره؛ وقرأ القرآن على المقري الشهير أبي جعفر
الطباع بالروايات السبع، والعربية على الأستاذ أبي الحسن
ابن الصايغ الإشبيلي، وأكثر القراءة على شيخ الجماعة
العلامة أبي جعفر بن الزبير.

توالياه

ألف كتباً كثيرة؛ منها في النبات والرؤيا، ومنها
كتاب سماه ((السُّرُّ المذاع في تفضيل غرناطة على كثير
من البقاع)).

شعره

من ذلك قوله ملغزاً في المطر¹:
وما زائر مهما أتى ابتهجت به
نفوس وعم الخلق جوداً وإحساناً
يقيم فيشكو الخلق منه مقامه
ويكربهم طرا إذا عنهم بانا
يسر إذا وافى ويكرب إن نأى
ويكره منه الوصل إن زار أحياناً
وأعجب شيء هجر حب موصل
به حين يطل هواه إن لم يطل خاناً

محتته

ذكر أنه لما توفي السلطان ثاني الملوك من بني نصر²
فجأة، وهو يصلي المغرب، وباكر الطبيب بابه غداة ليلة
موته. سأل عن الطعام القريب عهد موته بتناوله، فأخبر

¹ البحر الطويل.

² هو محمد بن محمد بن يوسف؛ الملقب بالفقيه؛ ثاني ملوك بني نصر
بمملكة غرناطة. تولى الملك بعد وفاة أبيه محمد بن يوسف (ابن الأحمر
الكبير) في سنة (1272م/671هـ)؛ وبقي في الحكم حتى وفاته سنة
1301م/701هـ. وله ترجمة في الإحاطة.

أنه تناول كعكاً وصلته من ولي عهده، فقال كلاماً أوجب نكبته، فامتحن بالسجن الطويل، والتمست الأسباب الموصلة إلى هلاكه، ثم أجلي إلى **العدوة**. ثم دالت الأيام، فعاد إلى وطنه؛ مستأنفاً ما عهده من البر وفقده من التجلة.

ميلاده

بغرناطة عام أربعة وخمسين وستماية¹.

وفاته

ليلة الخميس التاسع من شهر ربيع الأول من عام ثلاثين وسبعماية².

* * *

¹ الموافق لـ 1256م.
² الموافق لـ 1329م.

محمد بن إبراهيم

ابن عبد الله بن أبي زمنين المري¹؛ يكنى أبا عبد الله²؛
وبيته معلوم.

حاله

كان من أهل المعرفة والنبيل والذكاء

مشيخته

قرأ القرآن على أبي بكر بن النفيس، وأبي عبد الله
ابن شهيد المري المقرئ بطخشارش من غرناطة. ودرس
الفقه عند المشاور أبي عبد الله بن ملك³ المقرئ، وأبي
الحسن علي بن عمر بن أضحى، وعلى غيرهما من
شيوخ غرناطة.

¹ له ترجمة في كتاب الذيل والتكملة؛ وسمي فيه: ((محمد بن إبراهيم
ابن محمد بن عبد الله بن أبي زمنين)).
² في الذيل والتكملة: ((أبو بكر)).
³ في الذيل: ((مالك)).

وفاته

توفي سنة أربعين وخمسمائة¹.

قلت: وإنما ذكرت هذا المترجم به مع كوني
اشتطت صدر خطبته، ألا أذكر هذا النمط لمكان
مصاهرتي في هذا البيت. ولعل حافد هذا المترجم به من
ولدي، يطلع على تعدادهم وذكرهم في هذا التأليف
وتردادهم؛ فيكون ذلك محرضاً له على النجابة. محرضاً
للإجابة، جعلنا الله ممن انتمى للعلم وأهله، واقتفى من
سننه واضح سبله.

¹ الموافق لـ 1145م.

محمد بن جابر

(بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم بن حسان القيسي)¹
(الولاء أشي الأصل والمعرفة؛ التونسي الاستيطان؛
يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بابن جابر.

حاله

من عايد الصلاة: نشأ بتونس، وجال في البلاد
المشرقية والمغربية، واستكثر من الرواية ونقب عن
المشايع، وقيد الكثير، حتى أصبح جماعة المغرب، وراوية
الوقت. ثم قدم الأندلس ظريف النزعة، عظيم الوقار،
قويم السمات، يأوي في فضل التعيش إلى فضل ما كان
بيده، يصرفه في مصارف التجارة. وقعد للإسماع
والرواية، وانتقل إلى بلش، فقرأ بها القرآن العظيم
والروايات السبع، على الخطيب أبي جعفر بن الزيات. ثم
رحل إلى المغرب، ثم أعاد الرحلة الحجازية، وأغرق،

¹ له ترجمة في: التعريف بابن خلدون، والديباج المذهب، ونفح الطيب.

فلقي أمة من العلماء والمحدثين ، وأصبح بهم شيخ وحده ،
انفساح رواية ، وعلو إسناد.

مشيخته

من شيوخه: قاضي الجماعة بتونس أبو العباس بن
الغماز الخزرجي البلنسي ، وقاضي الجماعة بها أبو إسحق
ابن عبد الرفيح ، وقاضي قضاة الديار المصرية بدر الدين
ابن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة
ابن صخر الكناني. وقاضي الجماعة ببجاية أبو العباس
الغبريني ، وسراج الدين أبو جعفر عمر بن الخضر بن
طاهر بن طراد بن إبراهيم بن محمد بن منصور الأصبحي ،
وأبو محمد عبد الغفار بن محمد السعدي المصري ، ورضي
الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الخليلي الجعفري.
وشرف الدين أبو عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن
الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي. وأبو
الفضل أبو القاسم بن حماد بن أبي بكر بن عبد الواحد
الحضرمي اللبيد. وعبد الله بن يوسف بن موسى الخلاسي.
وعبد الله بن محمد بن هرون ، وإبراهيم بن محمد بن

أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحاج التجيبي، وأحمد ابن يوسف بن يعقوب بن علي الفهري اللبلي¹، وولده جابر بن محمد بن قاسم معين الدين، وعز الدين أبو القاسم بن محمد بن الخطيب، وجمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن الصفار، وأبو بكر بن عبد الكريم ابن صدقة العزفي، ومحمد بن إبراهيم بن أحمد التجيبي، وأبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن عقاب الجذامي الشاطبي، وعبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسدي القيرواني، وأبو القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري²، وعلي بن محمد بن أبي القاسم بن رزين التجيبي، وأحمد بن موسى ابن عيسى البطرني³، وغير القضاة فخر الدين أبو محمد عبد الواحد بن منصور بن محمد بن المنير، وتقي الدين محمد بن أحمد بن عبد الخالق المصري، وصدر النحاة أبو حيان، وظهير الدين أبو محمد بن عبد الخالق المخزومي

¹ نسبة إلى مدينة لبلة المتواجدة غرب الأندلس.

² نسبة إلى بلدة قبتور أو كبتور؛ نواحي إشبيلية.

³ نسبة إلى بلدة بطرنة؛ التي تقع في شمال غربي بلنسية.

المقدسي الدلاصي ، ورضي الدين بن إبراهيم بن أبي بكر
الطبري ، والمعر بهاء الدين أبو محمد القاسم بن مظفر بن
محمود بن هبة الله بن عساكر الدمشقي. وأما من كتب
إليه فنحو مائة وثمانين من أهل المشرق والمغرب.
قدم غرناطة في أول عام ستة وعشرين وسبعماية¹،
فهو باعتبار أصله أصلي، وباعتبار قدومه طارئ وغريب.

توآلفه

له توآلف حدِيثة جملة، منها ((أربعون حدِيثاً))؛
أغرب فيها بما دل على سعة خطوه وانفساح رحله.

وفاته

كان حيا سنة أربعين وسبعماية²، وبلغنى أنه توفي عام
سبعة بعدها.

* * *

¹ الموافق لـ 1325م.
² الموافق لـ 1339م.

محمد بن خلف

(ابن موسى الأنصاري الأوسي¹؛ من أهل البيرة؛
يكنى أبا عبد الله).

حاله

كان متكلماً، واقفاً على مذاهب المتكلمين، متحققاً
برأي الأشعرية، ذاكراً لكتب الأصول والاعتقادات،
مشاركاً في الأدب، مقدماً في الطب.

مشيخته

روى عن: أبي جعفر بن محمد بن حكيم بن باق،
وأبي جعفر بن خلف بن الهيثم، وأبوي الحسن بن خلف
العنسي، وابن محمد بن عبد العزيز بن أحمد بن حمدين،
وأبوي عبد الله بن عبد العزيز الموري، وابن فرج مولى
الطلاع، وأبي العباس بن محمد الجذامي، وأبي علي
الغساني، وأبي عمرو زياد بن الصفار، وأبي القاسم
أحمد بن عمر. وأخذ علم الكلام عن أبي بكر بن الحسن
المرادي، وأبي جعفر بن محمد بن باق، وأبي الحجاج بن

¹ له ترجمة في: التكملة لكتاب الصلة، والذيل والتكملة، ونفح الطيب.

موسى الكلبي. وتآدب في بعض مسائل النحو بأبي القاسم
ابن خلف بن يوسف بن فرتون بن الأبرش.

من روى عنه

روى عنه: أبو إسحق بن قرقول، وأبو خالد المرواني،
وأبو زيد بن نزار، وأبو عبد الله بن الصيقل المرسي،
وأبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن سمعان، وأبو
الوليد بن خيرة.

توآلفه

من توآلفه: ((النكت والأمالى فى الرد¹ على
الغزالى))، و((الإيضاح² والبيان فى الكلام على
القرآن))، و((الوصول³ إلى معرفة الله ونبوة الرسول))،
و((رسالة الاقتصار⁴ على مذاهب الأئمة الأخيار))،
و((رسالة البيان فى حقيقة الإيمان))، و((الرد على أبى
الوليد بن رشد فى مسألة الاستواء)) الواقعة له فى الجزء

¹ فى التكملة لكتاب الصلة: ((فى النقض)).

² سقطت كلمة ((الإيضاح)) فى الذيل والتكملة.

³ فى التكملة لكتاب الصلة، والذيل والتكملة: ((الأصول)).

⁴ نفسهما: ((الانتصار)).

⁵ نفسهما: ((عن)).

الأول من مقدماته، و((شرح مشكل ما وقع في الموطأ وصحيح¹ البخاري))، وقد كان شرع في تصنيفه عام ثمانية عشر وستماية² في شوال منه، وبلغ في الكلام فيه إلى النكتة الرابعة والخمسين، وقطعت به قواطع المرض، وشرع في معالجة العين لرؤيا رآها، يقال له: ((ألفت في نور البصيرة، فألف في نور البصر تنفع وتنتفع))، فأقبل على تأليفه في مداواة العين، وهو كتاب جم الإفادة، ثم أكمل النكت.

شعره

وكان له حظ من قرض الشعر، فمن ذلك ما مدح به إمام الحرمين أبا المعالي الجويني³:
حب حبر يكنى أبا المعالي⁴
هو ديني ففيه لا تعذلوني

¹ في التكملة: ((وكتاب)).

² الموافق لـ 1221م. وفي الزيتونة، والتكملة، والذيل: ((عام ثمانية عشر وخمسمائة)) الموافق لـ 1124م. وهو صحيح.

³ البحر الخفيف. وهذا الإمام هو يوسف بن عبد الله بن عبد الملك الجويني.

⁴ في الذيل، ونفح الطيب: ((أباً للمعالي)).

أنأو الله مغرم في هواه¹
عللوني بذكره عللوني

مولده

ولد يوم الثلاثاء لإثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع
الآخر سنة سبع وخمسين وخمسمائة².

* * *

¹ في الذيل، ونفح الطيب: ((بهواه)).
² الموافق لـ 1161م، وذكر في الذيل والتكملة: ((وتوفي في جمادى الآخرة
سنة سبع وثلاثين وخمسمائة)).

محمربن محمر

ابن إبراهيم بن محمر بن عبر الله (الحوالاني)¹؛ غرناطي؛
يلتني أبا عبر الله؛ ويعرف بالشريشي.

حاله

من أهل التصاون والحشمة والوقار، معرق في بيت
الخيرية والعفة، وكان والده صاحبنا رحمه الله آية في
الدؤوب والصبر على انتساخ الدواوين العلمية والأجزاء،
بحيث لا مظنة معرفة أو حجرة طلب تخلو عن شيء من
خطه إلا ما يقل، على سكون وعدالة وانقباض وصبر
وقناعة. وأكتب للصبيان في بعض أطواره. ونشأ ابنه
المذكور، ظاهر النبل والخصوصية مشاركاً في فنون، من
عربية وأدب وحساب وفريضة، وتصرف في الشهادة
المخزنية برهة، ثم نزع عنها انقيادا لداعي النزاهة، وهو
الآن بحاله الموصوفة.

¹ له ترجمة في: الكتبية الكامنة، ونفح الطيب.

شعره

وشعره من نمط الإجازة، فمن ذلك قوله¹ :
بي شادن أهيف مهمى انثنى
يحكي تننيه القضيب الرطيب
نو غرة كالبدر قد أطلعت
فوق قضيب نابت في كثيب
خضت حشا الظلماء من حبه
أختلس الوصل حذار الرقيب
فبت وللوصل² لنا ثالث
يضمننا ثوب عفاف قشيب
حتى إذا ما الليل ولى وقد
مالت نجوم الأفق نحو الغروب
ودعته والقلب نو لوعة
أسيل³ من ماء جفوني غروب

¹ البحر السريع.

² في الكتيبة الكامنة: ((والوصل))؛ وهذا أسلم وأصوب.

³ نفسه: ((أسيل)).

فلسـت أدري حين أودعته¹
قلب بأضلاعي غدا أم قليب

ومن ذلك في النسيب²:
يا أجمل الناس ويا من غدت
غرته تمحو سنا الشمس
أنعم على عبدك يا مالكي
دون اشتراء ومنى نفسي
بأن ترى وسطى لعقدي وأن
تعيد ربعي كامل الأانس
فإن تفضلت بما ارتجي
ابقيتني في عالم الإنس
وإن تكن ترجعني خائباً
فإنني أدرج في رمس³

¹ في الكتيبة الكامنة: ((ودعته)).

² البحر السريع.

³ في الكتيبة: ((رمسي)).

وقال في فضل العلم¹:

يا طالب العلم اجتهد إنه

خير من التالد والطارف

فالعلم يذكو² قدر إنفاقه

والمال إذا³ أنفقته تالف

وتراقى إلى هذا العهد بإشارتي إلى التي لا فوقها من

تعليم ولد السلطان، والرياسة القرآنية باب الإمارة،

والإمامة بالمسجد الجامع من القلعة⁴ حميد الطريقة في

ذلك كله، معروف الحق، تولاه الله.

مولده

عام ثمانية عشر وسبعماية⁵.

¹ البحر السريع.

² في الكتيبة: ((يزكو)).

³ نفسه: ((إن))؛ وهو أسلم.

⁴ هي القلعة أو القصبية الحمراء؛ الملاصقة للقصر السلطاني بغرناطة.

⁵ الموافق لـ 1318م.

محمد بن محمد

(بن علي بن سورة الأندلسي؛ يكنى أبا القاسم)

أوليته

من نبهاء بيوتات الأندلس وأعيانها، سكن سلفه
البشارة¹، بشارة بني حسان، وولى جده الأشغال، حميد
السيرة، معروف الإدانة.

حاله

هذا الفتى من أهل الخصوصية والسكون والحياء،
المانع عن كثير من الأغراض. مال إلى العلوم العقلية،
فاستظهر على المماسّة في بعض أغراضها بالدُّؤوب
والعكوف، والمورّين تأثير جبل الرّكيّة في جحرها،
فتصدر للعلاج، وعانى الشعر، وأرسم في الكتابة، وعد

¹ البشارة أو البشاريات Alpujarras: هي المنطقة الجبلية الواقعة جنوب
سفوح جبل شلير (سييرا نيفادا Sierra Nevada). وهي مشهور
بخصوبة أرضها، وحدائقها المثمرة.

من الفضلاء، وظهرت على عباراته اصطلاحات الحكماء،
وتشوف إلى العهد للرحلة الحجازية، والله يبسر قصده.

مشيخته

قرأ الطب والتعديل على الخبر طيب الدار
السلطانية، فارس ذينك الفنين، إبراهيم بن زرار
اليهودي؛ ورحل إلى العدو، فقرأ على الشريف العالم
الشهير، رحلة الوقت في المغرب أبي عبد الله العلوي،
وبلغيايه نجاح.

شعره

أنشد السلطان قوله¹:

جاد الحمى صوب الغمام هتونه
تزجي البروق سحابه فتعينه
وسقى ديار العامرية بعدما
وافى الجرعا² الكثيب معينه

¹ البحر الكامل.

² جعلها د. طويل: ((بجرعاء)).

يندى بأفنان الأراك كأنه
عقد تتأثر بالعقيق ثمينه
ومحى الكثيب سكوبه فكأنه
خط تطلس ميمه أو نونه
حتى إذا الأرواح هبت بالضحى
مسحت عليه بالجناح تبينه
وكأنه والرعد يحدو خلفه
صب يطول إلى اللقاء حنينه
أو سح دمعي فوق أكناف اللوى
جادت بلؤلؤة النفيس عيونه
والبرق في حلل السحاب كأنه
مكتون سر قد أذيع¹ مضمونه
أو ثوب ضافية الملابس كاعب
عمدت بحاشية النضار تزينه
هن الديار برامة لا دهرها
سلس القياد ولا العتاب يلينه

¹ جعلها د. طويل: ((يذع)).

ولقد وقفت برسمها فكأنني
من ناحل الأطلال فيه أكونه
قلبي بذاك اللوى خلفته
ألوى بمزلف الرفاق ظعينه
لا تسل¹ العذال عني فالهوى
ذا يخامر بالضلوع دفينه
إن يخف عن شرحي حديث زميرتي
فعلى الفنون فريضة تبينيه
عجباً لدمعي لا يكف كأنما
جدوى أبي عبد الاله هتونه
محي المكارم بعد ما أودى بها
زمن تقلب بالكرام خوونه
مولى الملوك عميد كل فضيلة
علق الزمان ثمينه ومكينه

¹ جعلها د. طويل: ((لا تسأل)).

يضفي إلى داعي الندى فيهزه
وبملتقى الجمعين طال سكونه
من ذا يسابق فضله لوجوده
ويلج فيض البحر فاض يمينه
إن تلقه تلق الجمال وقاره
والحلم طبع والسماحة دينه
غمر الأنام نواله ومحا الضلا
ل رشاده وجلا الظلام جبينه
أحيا رسوم الدين وهي دوارس
ولطالما صدع الشكوك يقينه
شمس الهدى حثف العدا محي النداء
بحر الجدا طول المدى تمكينه
ليث الشرى غوث الورى قمر السرى
سن القرى عم القرى تأمينه
فلبأسه يوم الوغى ولعزمه
جاش الهزبر إذا الهزبر يخونه

لا تسئل¹ الهيجاء عنه إنه
يصل المراد كما تحب ظنونه
لو كان يشغله المنام عن العلا
هجر المنام وباعدته جفونه
وإذا تطاولت الملوك بماجد
بمحمد دون الأنعام يكونه
يا ابن الألى نصروا الرسول ومن بهم
نطق الكتاب فصيحاً ومبينه
خصوا ببيعته وحاموا دونه
نهج الرضا حتى تقاوم دينه
أمعاضد الإسلام أنت عميده
وخليفة الرحمن أنت أمينه
لم يبق إلا من بسيفك طابع
وألفنش² في أقصى البلاد رهينه

¹ جعلها د. طويل: ((لا تسأل)).

² حذف د. طويل ((الواو)). واسم ألفنش يطلقه مسلمو الأندلس على ملوك النصارى؛ والمقصود هنا هو ملك قشتالة بالذات.

وبجيشك المنصور لو لاقيته
أدرى بمشجر الرماح طعينه
ولو اصطنعت إلى العدو إدالة
طاعت إليك بلاده وحصونه
خذها إليك قصيدة من شاعر
حلو الكلام مهذب تبيينه
جعل القوافي للمعالي سلماً
فجنى القريض كما اقتضته فنونه
غطى هواه عقله واقتاده
يحصي النجوم جهالة تزيينه

ولو أخذته أيدي التحرير والنقد، لرجي أن يكون
شاعراً، وبالجملة فالرجل معدود من السراة بيتاً وتخصصاً.

محمد بن عبد العزيز

(بن سالم بن خلف القيسي؛ منكبى¹ الأصل؛ يكنى أبا عبد الله،
طبيب الدرار السلطانية.

حاله

من عايد الصلة: كان رحمه الله فذا في الانطباع
واللوعية، حين المشاركة في الطب، مليح المحاضرة،
حفظة، طلعة، مستحضراً للأدب، ذاكراً لصناعة الطب،
أخذها عن إمام وقته، أبي جعفر الكزني، وانتصب
للعلاج، ثم انتقل إلى الخدمة بصناعته بالباب السلطاني،
وولي الحسبة، ومن شعره يخاطب السلطان على السنة
أصحابنا الأطباء الذين جمعتهم الخدمة بيابه يومئذ، وهم:
أبو الأصبغ بن سعادة، وأبو تمام غالب الشقوري²:

¹ أي من سكان ثغر المنكب Almunecar؛ المتواجد شرقي مالقة؛ على
ساحل البحر الأبيض المتوسط
² البحر الخفيف.

قد جمعنا بآبكم سطر علم
لبلوغ المنى ونيل الإرادة
ومن أسمائنا لكم حسن قال
غالب ثم سالم وسعادة

وفاته

توفي في شهر رجب من عام سبعة عشر وسبعماية¹.

¹ الموافق لـ 1317م.

محمد بن عبد الله

(ابن أبي زنين)¹؛ من أهل البيرة؛ يكنى أبا عبد الله.

حاله

من الملاحى²: قال ولي الأحكام، وكان فقيها نبيا.

وفاته

توفي بغرناطة في عشر الستين وأربعمائة³. قلت: قد تقدم اعتذاري عن إثبات مثله في هذا المختصر؛ فليظن هناك إن شاء الله.

* * *

¹ له ترجمة في: مطمح الأنفس، ونفح الطيب.
² هو أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي؛ المعروف باسم الملاحى.
الملاحى صاحب كتاب تاريخ علماء البيرة. وله ترجمة في الإحاطة.
³ الموافق لـ 1067م.

محمد بن عبد الله

(ابن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي زمنين عرنان بن بشير بن كثير المري).

حاله

كان من كبار المحدثين والعلماء الراسخين، وأجل وقته قدراً في العلم والرواية والحفظ للرأي والتميز للحديث، والمعرفة باختلاف العلماء متفنناً في العلم، مضطرباً بالأدب، قارضاً للشعر، متصرفاً في حفظ المعاني والأخبار، مع النسك والزهد، والأخذ بسنن الصالحين، والتخلق بأخلاقهم. لم يزل أمة في الخير، قانتاً لله، منياً له، عالماً زاهداً صالحاً خيراً متقشفاً، كثير التبتل والتزلف بالخيرات، مسارعاً إلى الصالحات، دائم الصلاة والبكاء، واعظاً، مذكراً بالله، داعياً إليه، ورعاً ملبي الصدقة، معيناً على النايبة، مواسياً بجاهه وماله، ذا لسان وبيان، تصغي إليه الافئدة، فصيحاً، بهياً، عربياً شريفاً، أبي النفس، عالي الهمة، طيب المجالسة، أنيس المشاهدة،

ذكياً، راسخاً في كل جم من العلوم، صيرفياً جهبذاً، ما
رؤي¹ قبله ولا بعده، مثله.

مشيخته

سكن قرطبة، وسمع بها من: أحمد بن مطرف،
ووهب بن مسرة الحجاري، وعن أبان بن عيسى بن محمد
ابن دنير، وعن والده عبيد الله بن عيسى.

من روى عنه

روى عنه الزاهد أبو اسحق إبراهيم بن مسعود
الإلبيري، وغيره.

توآلفه

ألف ((كتاب المغرب في اختصار المدونة))؛ ثلاثين
جزءاً؛ ليس في المختصرات مثله بإجماع، و((المهذب في

¹ في الإسكوريال: ((رى٤)).

تفسير الموطأ))، و((المشتل في أصول الوثائق))، و((حياة القلوب))، و((أنس الفريد))، و((منتخب الأحكام))، و((النصائح المنظومة))، و((تفسير القرآن)).

مولده

في المحرم سنة أربع وعشرين وثلاثمائة¹.

وفاته

توفي في شهر ربيع الثاني عام ثمانية وتسعين وثلاثمائة²؛
بجاضرة البيرة، رحمه الله ونفع به.

* * *

¹ الموافق لـ 935م.
² الموافق لـ 1007م.

محمد بن عبد الرحمن

(بن الحسن بن قاسم بن مشرف بن قاسم بن محمد بن هاني اللخمي القايصي¹؛ يكنى أبا الحسن).

حاله

كان وزيراً جليلاً، فقيهاً رفيعاً، جواداً، أديباً، جيد الشعر، عارفاً بصناعة النحو والعروض، واللغة والأدب والطب، من أهل الرواية والدراية.

مشيخته

روى عن الحافظ أبي بكر بن عطية، وأبي محمد بن عتاب، وأبي الوليد بن رشد القاضي الإمام، والقاضي أبي محمد عبد الله بن علي بن سمجون.

¹ له ترجمة في: التكملة لكتاب الصلة، والذيل والتكملة.

شعره

من شعره قوله¹:

يا حرقة البين كويت الحشا
حتى أذبت القلب في أضلعه
أذكيت فيه النار حتى غدا
ينساب ذاك الذوب من مدمعه
يا سؤل هذا القلب حتى متى
يوسى برشف الريق من منبعه
فإن في الشهد شفا للورى²
لا سيما إن يصر من مكرعه
والله يدني منكم عاجلاً
ويبلغ القلب إلى مطمعه

¹ البحر السريع.

² في النفع: (شفاء الورى).

مولده

ولد في الثلث الأخير من ليلة الجمعة لثلاث بقين
لذي حجة سنة ثمان وتسعين وأربعمائة¹.

وفاته

توفي في آخر جمادى الأخرى سنة ست وتسعين
وخمسمائة².

¹ الموافق لـ 1104م.
² الموافق لـ 1199م.

محمد بن عبد الرحمن

(بن عبد السلام بن أحمد بن يوسف بن أحمد النساني)¹؛
من أهل غرناطة؛ يكنى (أبا عبد الله).

حاله

كان محدثاً نبيلاً حاذقاً ذكياً، وله شرح جليل على
كتاب الشهاب²، واختصار حسن في اقتباس الأنوار
للرشاطي. وكان كاتباً وافر الحظ من الأدب، يقرض شعراً
لا بأس به.

من شعره في ذكر أنساب طبقات العرب³:

الشعب ثم قبيلة وعمارة

بطن وفخذ والفصيحة تابعة

فالشعب يجمع⁴ للقبائل كلها

ثم القبيلة للعمارة جامعة

¹ له ترجمة في: التكملة لكتاب الصلة، والذيل والتكملة، ونفح الطيب.

² سماه الغساني - كما ورد في التكملة - ((مستفاد الرحلة والاعتراب))

³ البحر الكامل.

⁴ في النفح: ((مجتمع القبيلة)).

والبطن تجمعه العمار¹ فاعلمن
والفخذ بجمعه² البطون الواسعة
والفخذ يجمع³ للفصائل كلها⁴
جاءت على نسق لها متتابعة
فخزيمة شعب وإن كنانة
لقبيلة عنها الفصائل شاسعة⁵
وقريشها تسمو العبارة⁶ يا فتى
وقصي بطن الأعادي⁷ قامعة
ذا ما ثم⁸ فخذ وذا⁹ عباسها
الأ¹⁰ الفصيلة لا تتاط بسايعة

¹ في الذيل، والنفح: ((تجمعه العمائر)).

² نفسهما: ((تجمعه)).

³ في الذيل: ((تجمع)).

⁴ في النفح، والذيل: ((هاكها)).

⁵ نفسهما: ((شائعة)).

⁶ نفسهما: ((تسمي العمارة)).

⁷ نفسهما: ((بطن للأعادي)).

⁸ في النفح: ((ذا هاشم))؛ وهذا أسلم وأصوب.

⁹ في الذيل: ((وما)).

¹⁰ في النفح: ((أثر)).

مولده

ولد بغرناطة سنة ثمان وستين وخمسمائة¹.

وفاته

بمرسية في رمضان تسع عشرة وستماية².

¹ الموافق لـ 1172م.
² الموافق لـ 1222م. جاء في التكملة: ((وتوفي بمرسية في العشرة الأواخر من رمضان سنة تسع عشرة وستماية.

محمد بن عبد الواحر

ابن إبراهيم بن مفرج بن أحمد بن عبد الواحر بن حريش بن جعفر
ابن سعيد بن محمد بن حقل الغافقي¹؛ من ولد مروان بن حقل
النازل بقريّة الملاحه من قنب قيس²؛ من عمل البيرة؛
يلكنى أبا القاسم؛ ويعرف بالملاحى؛ وقد نقلنا عنه الكثير؛
وهو من الفاضل الغرناطية.

حاله

كان محدثاً راوية معتنياً، أديباً، مؤرخاً، فاضلاً
جليلاً. قال الأستاذ في الصلة³: كان من أفضل الناس،
وأحسنهم عشرة، وألينهم كلمة، وأكثرهم مروءة،
وأحسنهم خلقاً وخلقاً. ما رأيت مثله؛ قدس الله تربته.
وذكره صاحب الذيل⁴، الأستاذ أبو عبد الله بن عبد
الملك، وأطنب فيه، وذكره المحدث أبو عبد الله
الطنجالي، وذكره ابن عساكر في تاريخه.

¹ له ترجمة في: التكملة لكتاب الصلة، والذيل والتكملة، والوافي
بالوفيات، والمغرب في حلى المغرب.

² الملاحه La Mala: بلدة تابعة لمملكة غرناطة، وقنب قيس
Cambea: وقد سبق التعريف بهذين الموضعين.

³ هو كتاب صلة الصلة للأستاذ أبي جعفر أحمد بن الزبير.

⁴ هو كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة؛ لأبي عبد الله محمد
ابن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي.

مشيخته

روى عن أبيه أبي محمد، وأبي القاسم بن بشكوال،
وأبي العباس بن اليتيم، وعالم كثير من غير بلده، ومن
أهل بلده سوى أبيه، وعن أبي سليمان داود بن يزيد بن
عبد الله السعدي القلعي، لازمه مدة، وعن أبي خالد بن
رفاعة اللخمي، وأبي محمد عبد الحق بن يزيد العبدري،
وأبي جعفر عبد الرحمن بن الحسن بن القصير، وأبي بكر
ابن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي،
وأبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم، وأبي جعفر بن
حكم الحصار، وأبي عبد الله بن عروس، وأبي الحسن
ابن كوثر، وأبي بكر الكتندي، وأبي إسحق بن الجلا،
وأبي بكر ابن زنين، وأبي القاسم بن سمجون، وأبي
محمد بن عبد الصمد بن محمد بن يعيش الغساني. وكان
من المكثرين في باب الرواية، أهل الضبط والتقيد
والإتقان، بارع الخط، حسن الوراق، أديباً بارعاً ذاكراً
للتاريخ والرجال، عارفاً بالأنساب، نقاداً حافظاً
للأسانيد، ثقة عدلاً، مشاركاً في فنون، سياسياً. وروى

عنه الأستاذ¹، واعتنى بالرواية عنه وقال الأستاذ، حدثني عنه من شيوخي جماعة، منهم القاضي العدل أبو بكر بن المرابط.

توآلفه

ألف كتابه في تاريخ علماء إلبيرة، واحتفل فيه. وألف ((كتاب الشجرة في الأنساب))، وكتاب ((الأربعين حديثاً))، و((كتاب فضائل القرآن))، وبرنامج روايته، وغير ذلك.

مولده

سنة تسع وأربعين وخمسمائة².

وفاته

توفي في شعبان سنة تسع عشرة وستماية³ ببلده.

¹ ابن الزبير.
² الموافق لـ 1145م.
³ الموافق لـ 1232م.

محمد بن علي

(ابن عبد الله اللخمي؛ يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بالشقوري؛
منسوباً إلى مدينة شقورة¹ ومنها أهلها؛ صاحبنا طبيب ودار الإلمار؛
حفظه الله.

حاله

هذا الرجل طرف في الخير والأمانة، فذ في حسن المشاركة، نقي في حب الصالحين، كثير الهوى إلى أهل التقوى، حذر من التفريط، حريص على التعلق بجناب الله. نشأ سابغ رداء العفة، كثيف جلباب الصيانة، متصدراً للعلاج في زمن المراهقة، معماً، مخولاً في الصناعة بادي الوقار في سن الحشمة. ثم نظر واجتهد، فأحرز الشهرة بدينه، ويمن نقيته، وكثرة حيطته، ولطيف علاجه، ونجح تجربته. ثم كلف بصحبة الصالحين، وخاض في السلوك، وأخذ نفسه بالارتياض والمجاهدة، حتى ظهرت عليه آثار ذلك. واستدعاه السلطان لعلاج نفسه، فاغتنب به، وشد اليد عليه، وظهر له فضله، وهو لهذا العهد ببابه، حميد

¹ شقورة Segura de la Sierra؛ بلدة تابعة لجيان؛ وتقع شمال شرقي أبدة، وشمال غربي مرسية؛ وبالقرب من نهر شقورة.

السيرة، قويم الطريقة، صحيح العقد، حسن التدبير،
عظيم المشاركة للناس، أشد الخلق حرصاً على سعادة من
صحابه، وأكثرهم ثناء عليه، وأصرحهم نصيحة له، نبيل
الأغراض، فطن المقاصد، قايم على الصنعة، مبين
العبارة، معتدل في البحث والمذاكرة، متكلم في طريقة
الصوفية، عديم النظير في الفضل، وكرم النفس.

شيوخه

قرأ على جده للأب، وعلى الحكيم الوزير خالد بن
خالد من شيوخ غرناطة، وعلى شيخنا الحكيم الفاضل
أبي زكريا بن هذيل ولازمه، وانتفع به، وسلك بالشيخ
الصوفي أبي مذهب عيسى الزيات، ثم بأخيه الصالح الفاضل
أبي جعفر الزيات، والتزم طريقته، وظهرت عليه بركته.

تأليفه

ألف كتاباً نبيلة، منها: ((تحفة المتوسل في صنعة
الطب))، وكتاباً أسماه ((الجهاد الأكبر))، وآخر سماه
((قمع اليهودي عن تعدي الحدود))؛ أحسن فيه ما شاء.

شعره

أنشدني بعد ممانعة واعتذار، إذ هذا الغرض ليس من شأنه:

سألت ركاب العز أين ركابي
فابدي عنادا ثم رد جوابي
ركابك مع سيرى يسير بسيره
بغير حول مذ حلت جنابي
فلا تلتفت سيرا لذاتك إنما
تسير بها سيرا لغير ذهاب
وهي متعددة.

مولده

ولد في عام سبعة وعشرين وسبعماية¹.

¹ الموافق لـ 1326م.

1 محمد بن علي

(ابن فرج القربلياني²؛ يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بالشفرة³)

حاله

كان رجلاً ساذجاً، مشتغلاً بصناعة الطب، عاكفا عليها عمره محققاً لكثير من أعيان النبات، كلفاً به، متعيشاً من عشبه أول أمره، وارتاد المنابت، وسرح بالجبال، ثم تصدر للعلاج، ورأس به، وحفظ الكثير من أقوال أهله، ونسخ جملة من كنانيشه على ركافة خطه، وعالج السلطان نصر؛ المستقر بوادي آش؛ وقد طرقت من بها مرض وافد [حمل علاجه المشاقحة لأجله، وعظم الهلاك فيمن اختص بتدييره، فطوف القلب المبارك بمبراه. ثم رحل إلى العدو، وأقام بمراكش سنين عدة، ثم كرّ إلى غرناطة في عام أحد وستين⁴، وبها هلك على أثر وصوله.

¹ تعتبر هذه الترجمة منطلق الجزء الثالث من كتاب الإحاطة؛ ضمن مخطوط الزيتونة؛ المحفوظ بدار الكتب التونسية، ومخطوط المتحف البريطاني، ومخطوط مكتبة الرباط العامة (الكتانية).

² نسبة إلى قرية قربليان Grevillente؛ المتواجدة في مقاطعة لفتت. وتشتهر بكثرة الزيتون.

³ في الزيتونة: ((الشفرة)).

⁴ أي 761هـ.

مشيخته

زعم أنه قرأ على أبيه ببلده من قربليان بلد الدجن¹؛
وأخذ الجراحة عن فوج من محسني صناعة عمل اليد من
الرُّوح. وقرأ على الطبيب عبد الله بن سراج وغيره.

توآلفه

ألف كتاباً في النبات.

وفاته

في السابع عشر لربيع الأول عام أحد وستين وسبعماية².

¹ المقصود ببلد الدجن هنا؛ هو البلد الذي يسكنه المسلمون تحت حكم النصارى.
² الموافق لـ 1359م. ما كتب بين حاصرتين؛ ساقط في الإسكوريال.

محمد بن علي

(بن يوسف بن محمد السكوني¹؛ يكنى أبا عبد الله
ويعرف بابن اللؤلؤة؛ أصله من جهة قمارش²).

حاله

رحل في فتايه، بعد أن شدا شيئاً من الطلب،
وكلف بالرواية والتقيد؛ فلقي مشيخة، وأخذ عن جلة،
وقدم على بلده حسن الحالة، مستقيم الطريقة، ظاهر
الانقباض والعفة، وأدخل الأندلس فوايد وقصايد، وكان
ممن ينتفع به؛ لو أمهلت المنية.

شعره

مما نسبته إلى نفسه من الشعر قوله³:
يا من عليه اعتمادي في قل أمري وكثره

¹ له ترجمة أيضاً في الكتيبة الكامنة.

² قمارش Comares؛ بلدة تقع شمال شرقي مالقة؛ في سفح جبال سييرا
نفادا؛ أي (جبل الثلج).

³ بحر المجتث.

سهل علي ارتحالي إلى النبي وقبره
فذاك أقصى مرادي من الوجود بأسره
وليس ذا بعزیز عليك فامنن ببسره
ومن ذلك¹:

أمن بعد ما لاح المشيب بمفرقي
أميل لزور بالغرور مصاغ²
وأرتاح للذات والشيب منذر
بما ليس عنه للأنام مراغ
ومن³ يمت قبل المشيب فإنه
يراع بهول بعده ويراع
فيا رب وفقني إلى ما يكون لي
به للذي أرجوه منك بلاغ

¹ البحر الطويل.

² في الكتيبة: ((بصاغ)).

³ نفسه: ((ومن لم)).

وفاته

توفي معتبطاً في وقية الطاعون¹ عام خمسين وسبعماية²،
خطيباً بحصن قمارش.

¹ وقية الطاعون المشار إليها هنا؛ معروفة أيضاً باسم الطاعون الأعظم. وهي كارثة الوباء الجارف الذي اجتاح أمم الشرق والغرب؛ فيما بين سنتي: 1348/هـ و 1349/هـ و 1349/هـ م.
² الموافق لـ 1349م.

محمد بن سووة

(ابن إبراهيم بن سووة المري؛ أصله من بشرة غرناطة؛
يكنى أبا عبد الله).

حاله

من بعض التواريخ المتأخرة: كان شيخاً جليلاً، كاتباً
مجيداً، بارع الأدب، رايق الشعر، سيال القريحة، سريع
البدية، عارفاً بالنحو واللغة والتاريخ، ذاكراً لأيام
السلف، طيب المحاضرة، مليح الشببة، حسن الهيئة، مع
الدين والفضل، والطهارة والوقار والصمت.

مشيخته

قرأ بقرناطة على الحافظ أبي محمد عبد المنعم بن
عبد الرحيم بن الفرس، وغيره من شيوخ قرناطة؛
وبماتة على الأستاذ أبي القاسم السهيلي؛ وبجيان على
ابن يربوع؛ وبإشبيلية على الحسن بن زرقون، وغيره من
نظرائه.

أدبه

قال الغافقي: كانت بينه وبين الشيخ الفقيه واحد عصره أبي الحسن سهل بن مالك مكاتبات ومراجعات، ظهرت فيها براعته، وشهدت له بالتقدم يراعته.

محنه

أصابته في آخر عمره نكبة ثقيلة؛ أسر هو وأولاده، فكانت وفاته أسفاً لما جرى عليهم نفعه الله.

وفاته

توفي في حدود سبعة وثلاثين وستماية¹.

* * *

¹ الموافق لـ 1239م.

محمدر [بن يزير] ¹

(ابن رفاعة الأسي ² البيري ³؛ أصله من قرية طرش ⁴)

حاله

طلب العلم وعننى بسمعه ⁵، ونسخ أكثر كتبه بخطه، وكان لغوياً شاعراً، من الفقهاء المشاورين الموثقين، وولي الصلاة بالحاضرة، وعزل وسرد الصوم عن نذر لزمه عمره.

مشيخته

سمع من شيوخ البيرة: محمد بن فطيس، وابن عمري، وهاشم بن خالد، وعثمان بن جهير، وحفص ابن نجيح؛ وبقرطبة من عبيد الله بن يحيى بن يحيى، وغيره.

¹ هذه الإضافة من الزيتونة.

² في الزيتونة: ((الأسدي)).

³ نفسه: ((الإبيري)).

⁴ وهي بلدة صغيرة تقع بين المنكب وبلش مألقة؛ على مقربة من البحر الأبيض المتوسط.

⁵ في الإسكوريال: ((بجمعه)).

من حكاياته

قال المؤرخ: من غريب ما جرى لأبي علي
البغدادي، في مقدمه إلى قرطبة، أن الخليفة الحكم؛ أمر
ابن الرماحس عامله على كورتي: البيرة وبجانة؛ أن يجيء
مع أبي علي في وفد من وجوه رعيته؛ وكانوا يتذكرون
الأدب في طريقهم؛ إلى أن تجاروا يوماً وهم سايرون؛
أدب عبد الملك بن مروان، ومساءلته جلساءه عن أفضل
المناديل، وإنشاده بيت عبدة بن الطيب¹:

ثمت قمنا إلى جرد مسومة
أعرقهن² لأيدينا مناديل

وكان الذاكر للحكاية أبو علي؛ فأنشد الكلمة في
البيت أعراقها، فلوى ابن رفاعه عنانه منصرفاً، وقال:
مع هذا يوفد على أمير المؤمنين، وتتجشم الرحلة

¹ من البحر البسيط. وهو عبدة بن الطيب (يزيد) بن عمرو بن وعلة بن
أنس بن عبدالله؛ من تميم؛ وهو شاعر مخضرم؛ عاش في الجاهلية
ودخل في الإسلام. وله بيت شعر يعتبر أرثى بيت قلته العرب؛ وهو:
فما كان قيس هللكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما
² في الشعر والشعراء، والأغاني: ((أعراقهن)).

العظيمة، وهو لا يقيم وزن بيت مشهور في الناس، لا يغلط فيه الصبيان، والله لا تبعته خطوة، وانصرف عن الجماعة، وندبه أميره ابن الرماحس، ورامه بأن لا يفعل؛ فلم يجد فيه حيلة؛ فكتب إلى الخليفة يعرفه بابن رفاعه، ويصف ما جرى معه؛ فأجابه الحكم على ظهر كتابه: الحمد لله الذي جعل في بادية من بوادينا من يخطئ وفد أهل العراق؛ وابن رفاعه بالرضا أولى منه بالسخط؛ فدعه لشأنه؛ وأقدم بالرجل غير منتقص من تكريمه؛ فسوف يعليه الاختبار أو يحطه.

وفاته

توفي سنة ثلاث أو أربع وأربعمائة¹.

¹ الموافق لـ 1012 أو 1013م. في الإسكوريال والزيثونة: ((وثلاثمائة)).
والصحيح كما تبين هو ((أربعمائة)).

محمد بن أحمد

(بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي بكر بن خميس
الأنصاري؛ من أهل الجزيرة الخضراء).

حاله

كان فاضلاً وقوراً، مشاركاً، خطيباً، فقيهاً، مجوداً
للقرآن، قديم الطلب، شهير البيت، معروف التعين، نبيه
السلف في القضاء، والخطابة والإقراء، مضى عمره خطيباً
بمسجد بلده الجزيرة الخضراء، إلى أن تغلب العدو عليها،
وباشر الحصار بها عشرين شهراً، نفعه الله ثم انتقل إلى
مدينة سبتة، فاستقر خطيباً بها إلى حين وفاته.

مشيخته

قرأ على والده رحمه الله، وعلى شيخه، وشيخ
أبيه أبي عمر، وعباس بن الطفيل؛ الشهير بابن عزيمة،
وعلى الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، والخطيب أبي عبد
الله بن رشيد بغرناطة عند قدومه عليها، والقاضي أبي
المجد بن أبي الأحوص قاضي بلده؛ وكتب له بالإجازة

الوزير أبو عبد الله بن أبي عامر بن ربيع ، وأجازته الخطباء الثلاثة : أبو عبد الله الطنجالي ، وأبو محمد الباهلي ، وأبو عثمان بن سعيد ؛ وأخذ عن القاضي بسبته أبي عبد الله الحضرمي ، والإمام الصالح أبي عبد الله بن حريث ، والمحدث أبي القاسم التجيبي ، والأستاذ أبي عبد الله بن عبد المنعم ، والأخوين أبي عبد الله وأبي إبراهيم ؛ ابني يربوع. قال : وكلهم لقيته وسمعت منه. وأجاز لي إجازة عامة ؛ ما عدا الإمام ابن حريث فإنه أجاز لي ، ولقيته ولم أسمع عليه شيئاً ؛ وأجاز لي غيرهم كناصر الدين الشدالي ، والخطيب ابن عزمون ، وغيرهما ؛ ممن تضمنه برنامجي.

توالياه

قال : وكان أحد بلغاء عصره ، وله مصنفات منها : ((النفحة الأرجية في الغزوة المرجية)). ودخل غرناطة مع مثله من مشيخته بلده في البيعات ؛ أظن ذلك.

وفاته

توفي في الطاعون بسبته؛ أفر جمادى الآخرة من
عام خمسين وسبعماية¹.

¹ الموافق لـ 1349م.

محمربن أعر

(بن عبدة الله العطار من أهل ألبيرة. حاله من بعض التقديرات، كان فتي وسيمًا وقورًا، صبيًا، متعففًا، نجيبًا، ذكيًا. كتب عن شيخنا أبي البركات (بن الحاج، وناب عنه في القضاء، وانتقل بانتقاله إلى غرناطة؛ فكتب بها. وكان ينظم نظمًا مترفعًا عن الوسط. وجرى ذكره في الإكليل بما نصه: ممن نبغ ونجب، وخلق له البر بزلته ووجب، تحلى بوقار، وشعشع للأوب كأس عقار، إلا أنه اخترع في اقتبال وأصيب للأجل بنبال.

من شعره

قوله من قصيدة¹:

دعاني على طول البعاد هواها
وقد سد أبواب اللقاء² نواها
وقد شمت برقا للقاء³ مبشرا
وقد نفحت ريح الصبا بشذاها
وجن دجى ليل بخيل بصبغه
كما بخلت ليلى بطيف سراها

¹ البحر الطويل.

² جعلها د. طويل: ((اللقاء)).

³ جعلها د. طويل: ((اللقاء)).

وقاد زمان قايد الحب قاصدا
ربوعا ثوت ليلي بطول قناها
وناديت والأشواق بالوجد برحت
ودمعي أجرى سابغاً للقاهها
أبا كعبة الحسن التي للنفس¹ ترتجي
رضاها وحاشي أن يخيب رجاها
أحبك يا ليلي على البعد والنوى
وبي منك أشوقا تشب لظاها
لين حجت ليلي عن العين إنني
بعين فؤادي لا أزال أراها
إلى أن بدا الصبح المشتت شملنا
وما بلغت نفسي المشوق مناها
فمدت يميناً للوداع ودمعها
يكفكفه خوف الرقيب سراها
وقالت وداعاً لا وداع تفرق
لعل الليالي أن تديل نواها

¹ جعلها د. طويل: ((النفس)).

تذكرنا ليلي معاهد باللوى
رعى الله ليالات اللوى ورعاها

وفاته

توفي في الطاعون الأعظم؛ عام خمسين وسبعمائة¹.

¹ الموافق لـ 1349م.

محمد بن أحمد

ابن المرثشي؛ من أهل ألمرية؛ يكنى أبا عبد الله؛
ويعرف بالمرثشي

حاله

كان فتي جميل الرؤيا¹، سكوتاً، مطبوعاً على
المغافصة² والغمز، مهتدياً إلى خفي الحيلة، قادراً على
المباحثة، ذكياً، متسوراً³ على الكلام في الصنایع
والألقاب، من غير تدرب ولا حنكة، دمث الأخلاق،
لين العريكة، انتحل الطب، وتصدر للعلاج والمداواة،
واضطبن أغلوطه صارت له بها شهرة، وهي رق يشتمل
على أعداد وخطوط وزايرجة، وجداول غريبة الأشكال،
تحتها علامات فيها اصطلاحات الصنایع والعلوم، ويتصل

¹ في الإسكوريال: ((الرواية)).

² أي المفجأة.

³ في الزيتونة: ((مستوراً)). وفي الإسكوريال ((ستسورا)).

بها قصيدة رويها لأم الألف أولها، وهي منسوبة لأبي
العباس السبتي¹.

يقول سبتي² ويحمد ربه

مصل على هاد إلى الناس أرسلا

وأنها مدخل للزيرجة؛ ذكر أنه عثر عليها في مظنة
غريبة، وظفر برسالة العمل بها، وتحرى بالإعلام
بالكنايات، [والإخبار بالخفي]³ وتقدمة المعرفة، والإنذار
بالوقائع، حتى استهوى بذلك جماعة من المشيخة، ممن
كان يركن إلى رجحان نظره، وسلامة فطرته، واستغلت
الشهادة له بالإصابة، سجية النفوس في حرصها على
إثبات دعاوى المتحرفين، أخبرني بعهم أنه خبأ له عظماً
صغيراً، يكون في أطراف أجنحة الطير، أخذه من جناح

¹ البحر الطويل. والسبتي هو أحد الأولياء السبعة في مراکش؛ ويسمى:
أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي السبتي (ولد بسبته سنة
524هـ/1129م وتوفي بمراكش سنة سنة 601هـ/1204م. نسبت إليه -
والله أعلم - زايرجية (زيرجة)؛ وهي تصميم لجداول حسابية؛ مقابلة
لحروف الهجاء؛ الغرض منها التنجيم، ومحاولة اكتشاف خبايا الغيب. غفر
الله لنا وله.

² جعلها د. طويل: ((لسبتي)).

³ في الإسكوريال: ((وإخراج الخبء)).

ديك، وزعم أرباب الخواص أنه يزبل الإعياء إذا علق، فتصرف على عاداته [من الدخول]¹ في تلك الجداول، وأخذ الأعداد الكثير، يضربها آونة، ويقسمها أخرى، ويستخرج من تلك الجداول جيوباً وسهاماً، ويأخذ جذوراً، وينتج له العمل آخراً حروفاً مقطعة، يبقياها الطرح، يولف منها كلاماً، تقتنص منه الفائدة؛ فكان في ذلك بيت شعر²:

وفي يدكم عظم صغير مدور
يزيل به الإعياء³ من كان في السفر

وأخبرني آخرون أنه سؤل في نازلة فقهية لم يلق فيها نص، فأخبر أن النص فيها موجود بمالقة، فكان كذلك. وعارض ذلك كله جلة من أشياخنا، فذكرني الشيخ نسيج وحده، أبو الحسن بن الجياب: أن سامره يخرج خبيثته سواد ليلة، فتأمل ما يصنعه؛ فلم يأت

¹ هذه الإضافة من الزيتونة.

² البحر الطويل.

³ جعلها د. طويل: ((الإعياء))،

بشيء، ولا ذهب إلى عمل يتعقل، وظاهر الأمر أن تلك الحال كانت مبنية على تخيل وتخمين، وتختلف فيه الإصابة وضدها؛ بحسب الحالة والقايل؛ لتصرف الحيلة فيه؛ فافتضى ذلك تأميل طائفة من أهل الدول إياه، وانتسخوا نظائر من تلك الزيرجة المموهة، ممطولين منه بطريق التصرف فيها إلى اليوم، واتصل بالسلطان؛ فأرسم ببابه، وتعدى الإنس إلى طب الجن، فافتضح أمره، وهم به، فنجا مفلتاً. ولم تزل حاله مضطربة؛ إلى أن دعي من العدو وسلطانها، منازل مدينة تلمسان، ووصلت الكتب عنه؛ فتوجه في جفن هيئ له، ولم ينشب أن توفي بالمحلة في أوائل عام سبعة وثلاثين وسبعماية¹.

¹ الموافق لـ 1336م.

محمد بن بقرن

(بن حزب الله؛ من أهل مالقة؛ يكنى أبا عبد الله).

حاله

من أهل الخصوصية والفضل، ظاهر الاقتصاد، كثير التخلق، حسن اللقاء، دائم الطريقة، مختصر الملبس والمأكل، على سنن الفضلاء وأخلاق الجلة. انتظم لهذا العهد في نمط من يستجاز ويميز. وكان غفلاً فأقام رسماً محموداً، ولم يقصر عن غاية الاستعداد.

مشيخته

منهم الأستاذ مولى النعمة على أهل بلده؛ أبو محمد عبد الواحد بن أبي السداد الباهلي؛ قرأ عليه القرآن العظيم أربعة عشر¹ ختمة قراءة تجويد وإتقان بالأحرف السبعة، وسمع عليه كتباً كثيرة، وقال عند ذكره في

¹ صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((أربع عشرة)).

بعض الاستدعاءات: ولازمته رضي الله عنه وأرضاه إلى حين وفاته ونلت من عظيم بركاته، وخالص دعواته، ما هو عندي من أجل الوسائل، وأعظم الذخيرة، وأفضل ما أعدته لهذه الدار والدار الآخرة. وكان في صدر هذا الشيخ الفاضل كثير من علم اليقين. وهو علم يجعله الله في قلب العبد إذا أحبه، لأنه يؤول بأهله إلى احتمال المكروه، والتزام الصبر، ومجاهدة الهوى، ومحاسبة النفس، ومراعاة خواطر القلب، والمراقبة لله، والحياء من الله، وصحة المعاملة له، ودوام الإقبال عليه، وصحة النية، واستشعار الخشية. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾¹. فكفى بخشية الله علماً، وبالإقبال عليه عزاً. قلت: وإنما نقلت هذا؛ لأن مثله لا يصدر إلا عن ذي حركة، ومضطرب بركة، ومنهم الشيخ الخطيب الفاضل ولي الله، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الطنجالي.

¹ الآية كاملة هكذا: (وَمِنَ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ). سورة فاطر؛ الآية: 28.

دخل غرناطة راوياً، وفي غير ذلك في شئونه. وهو
الآن ببلده مالقة؛ يخطب ببعض المساجد الجامعة بها على
الحال الموصوفة.

* * *

محمد بن الحسن

ابن أعمربن يحيى الأنصاري الخزرجي الميبرقي¹ (الأصل؛
سكن غرناطة.

حاله

كان محدثاً عالي الرواية، عارفاً بالحديث وعلله،
وأسماء رجاله، مشهوراً بالإتقان والضبط؛ ثقة فيما نقل
وروى، ديناً، زكياً، متحاملاً، فاضلاً، خيراً، متقللاً من
الدنيا، ظاهري المذهب داوديه²، يغلب عليه الزهد
والفضل.

مشيخته

روى بالأندلس عن: أبي بكر بن عبد الباقي بن
محمد بن الحجاري، وأبي علي الصدي الغساني، وأبي
مروان الباجي؛ ورحل إلى المشرق وحج؛ وأخذ بمكة
كرمها الله عن: أبي ثابت، وأبي الفتح عبد الله بن محمد

¹ نسبة إلى مدينة ميورقة Mallorca؛ عاصمة جزيرة ميورقة، كبرى
الجزائر الشرقية (البليار).
² نسبة إلى خلف بن داود الإصفهاني. مؤسس المذهب الظاهري؛ المتوفى
سنة 270 هـ/883م.

البيضاوي، وأبي نصر عبد الملك بن أبي مسلم العمراني.
قلت: وغيرهم؛ اختصرتهم لطولهم. وقفل إلى الأندلس؛
فحدث بغير بلده منها، لتجواله فيها.

ومن روى عنه

روى عنه: أبو بكر بن رزق، وأبو جعفر بن
الغاسل، وغيرهم¹.

محتته

امتحن من قبل علي بن يوسف بن تاشفين؛ فحمل
إليه صحبة أبي الحكم بن يوجان، وأبي العباس بن
العريف؛، وضرب بالسوط عن أمره، وسجنه وقتاً، ثم
سرحه وعاد إلى الأندلس، وأقام بها يسيراً، ثم انصرف
إلى المشرق، فتوقف بالجزائر؛ وتوفي بها في شهر رمضان
سنة سبع وثلاثين وخمسمائة².

¹ جعلها د. طويل: ((وغيرهما)).
² الموافق لـ 1142م.

محمد بن محمد

(بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري الساحلي؛
يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف ببلده مألقة بالمعمم

حاله

كان طبقة من طبقات الكفاة، ظرفاً ورواءً وعارضةً
وترتيباً، تجل بفضله شهرة أبيه، وجعل بعض المترفين من
وزراء الدول بالمغرب أيام وجهته إليه، وصحبه الشيخ
الصالح أبيه في غرض السفارة، مالا عريضاً لينفقه في
سبيل البر؛ فبنى المدرسة غربي المسجد الأعظم، ووقف
عليها الرباع، وابتنى غيرها من المساجد؛ فحصلت
الشهرة، ونبه الذكر، وتطور، ورام العروج في مدارج
السلوك، وانقطع إلى الخلوة، فنصت الصبغة، وغلبت
الطبيعة، وتأثله له مال جم، اختلف في سبب
اقتنايه، [وأظهر¹ التجر المرهف الجوانب بالجاء العريض،
والحرص الشديد، والمساحة في باب الورع، فتبنك به
نعيماً من ملبس ومطعم وطيب وترفه، وطارده به اللذة ما

¹ سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.

شاء في باب النكاح استمتاعاً وذواقاً يتبع رايد الطرف،
ويقلد شاهد السمع، حتى نعي عليه. وولي الخطابة
بالمسجد الأعظم بعد أبيه، فأقام الرسم، وأوسع المنبر ما
شاء من جهورية وعارضة، وتسور على أعراض¹، وألفاظ
في أسلوب ناب عن الحشوع، عريق في نسب القحة. ثم
رحل إلى المشرق مرة ثانية، وكر إلى بلده، مليح الشيبة
بادي الوقار، نبيه الرتبة، فتولى الخطابة إلى حين وفاته.

مشيخته

حسبما قيده من خط ولده أبي الحسن، وارثه في
كثير من خلاله، وأغلبها الكفاية. فمنهم والده رحمه الله.
قرأ عليه وتأدب به، ودون في طريقه، حسبما يتقرر
ذلك، ومنهم الأستاذ أبو محمد بن أبي السداد الباهلي،
ومنهم الشيخ الراوية أبو عبد الله بن عياش، والخطيب
الصالح أبو عبد الله الطنجالي، والخطيب الصالح أبو
جعفر بن الزيات، والأستاذ ابن الفخار الأركشي،
والقاضي أبو عمرو بن منظور، والأستاذ ابن الزبير

¹ في المخطوطين: ((أغراض)).

وغيرهم، كابن رشيد، وابن خميس، وابن برطال، وابن مسعدة، وابن ربيع، وبالمشرق جماعة اختصرتهم لطولهم.

توآلفه

وتسور على التأليف، بفرط كفايته، فمما ينسب إليه: ((كتاب التجر الربيح في شرح الجامع الصحيح))؛ قال: منه ما جرده من المبيضة؛ ومنه ما لم يسمح الدهر بإتمامه، و((كتاب بهجة الأنوار))، و((كتاب الأسرار))، و((كتاب إرشاد السائل لنهج الوسائل))¹، و((كتاب بغية السالك في أشرف المسالك))؛ في التصوف، و((كتاب أشعة الأنوار في الكشف عن ثمرات الأذكار))، و((كتاب النفحة القدسية))، و((كتاب غنية الخطيب بالاختصار والتقريب في خطب الجمع والأعياد))، و((كتاب غرايب النجب في رغايب الشعب))؛ شعب الإيمان، و((كتاب في مناسك الحج))، و((كتاب نظم سلك الجواهر في جيد المعارف الصدور والأكابري))؛ فهرسة تحتوي على فوايد من العلم وما يتعلق بالرواية، وتسوية الشيوخ وتحرير الأسانيد.

¹ في الزيتونة ((المسائل)).

دخوله غرناطة

دخلها مرات تشذ عن الإحصاء.

مولده

ولد عام ثمانية وسبعين وستماية¹.

وفاته

وتوفي بمالقة في صبيحة ليلة النصف من شعبان عام
أربعة وخمسين وسبعماية².

¹ الموافق لـ 1279م.
² الموافق لـ 1353م.

محمد بن محمد

(بن يوسف بن عمر الهاشمي؛ يكنى أبا بكر؛ ويعرف بالطنجالي؛ ولد
للشيخ الولي أبي عبد الله).

حاله

من ذيل تاريخ مالقة للقاضي أبي الحسن بن الحسن.
قال: كان هذا العالم الفاضل ممن جمع بين الدراية
والرواية، والتراث¹ والاكْتساب. وعلو الانتساب، وهو من
القوم الذين وصلوا الأصالة بالوصول، وطول الألسنة
بالطول، وهدوا إلى الطيب من القول، أثر الشموخ يبرق
من أنفه، ونسيم الرسوخ يعبق من عرفه. وزاجر الصلاح
يومي بطرفه، فتخاله من خوف الله ذا لم، وفي خلقه
دمائة، وفي عرينه شمم. ووصفه بكثير من هذا النمط.
ومن العايد: كان من أهل العلم والتفنن في المعارف
والتهمم بطلبها، جمع بين الرواية والدراية الصلاح.
وكانت فيه خفة، لفرط صحة وسداجة وفضل رجولة²
به، بارع الخط، حسن التقييد، مهيباً جزلاً، مع ما كان

¹ في الزيتونة: ((والثراة)).

² نفسه ((وجولة)).

عليه من التواضع، يحبه الناس ويعظمونه، خطب بالمسجد
الأعظم من مالقة، وأقرأ به العلم.

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي محمد الباهلي، وأبيه الولي
الخطيب رحمه الله. وروى عن جده أبي جعفر، وعن
الراويّة الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير، والراويّة أبي
عبد الله بن عياش، والقاضي أبي القاسم بن السكوت،
وغيرهم ممن يطول ذكره؛ من أهل المشرق والمغرب.

وفاته

توفي بمالقة في أول صفر من عام ثلاثة وثلاثين
وسبعمائة¹؛ [وكان عمره² نحواً من تسع وخمسين سنة.

¹ الموافق لـ 1332م.
² هذه العبارة أضافها عنان.

محمربن محمر

(ابن ميمون) (الخرجي؛ يثني أبا عبد الله؛ ويعرف بلا أسلم؛
لكثرة صرور هزه (اللفظة عنه؛ مرسى (الأصل،
وسكن غرناطة وولوي آش وألمرية).

حاله

من كتاب المؤتمن¹: كان دمث الأخلاق، قبل أن
يخرجه شيء من [مضيقات الصدور]² يشارك في العربية،
والشعر نازل عن الدرجة الوسطى، لا يخلو بعضه عن
لحن. وكان يتعيش من صناعة الطب. وجرت له شهرة
بالمعرفة [نرفع به بتلك الصناعة على حد شهرة ترك
النصيحة فيها، فكانت شهرته بالمعرفة ترفع به]³. وشهرته
بترك النصيحة تنزله، فيمر بين الحالتين بشظف العيش،
ومقت الكافة إياه.

¹ عنوانه بالكامل هو: المؤتمن على أنباء أبناء الزمن؛ ألفه أبو البركات
ابن الحاج البلقيني؛ وهو من شيوخ ابن الخطيب الأثريين؛ وقد خصه
بترجمة في الإحاطة.

² في الزيتونة: (ضيق الصدر).

³ ما بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة.

قلت: كان لا أسلم، طرفاً في المعرفة بطرق العلاج، فسيح التجربة، يشارك في فنون، على حال غريبة من قلة الظرف، وجفاء الآلات، وخشن الظاهر، والإزراء بنفسه وبالناس، متقدم في المعرفة بالخصوم، يقصد في ذلك. وله في الحرب والحيل حكايات، قال صاحبنا أبو الحسن ابن الحسن: كانت للحكيم لا أسلم خمر مخبأ، في كرم كان له بالمرية عثر عليها بعض الدعة، فسرقها له. قال: فعمد إلى جرة وملاها بخمر أخرى، ودفنها بالجهة، وجعل فيها شيئاً من العقاقير المسهلات¹، وأشاع أن الخمر العتيقة التي كانت له لم تسرف، وإنما باقية، بموضع كذا، فعمد إليها أولئك الدعة، وأخذوا في استعمالها، فعادت عليهم بالاستطلاق القبيح المهلك، فقصدوا الحكيم المذكور، وعرضوا عليه ما أصابهم، فقال لهم إيه، أدوا إلى ثمن الشريية؛ وحينئذ أشرع لكم في الدواء، ويقع الشفا بحول الله؛ فجمعوا له أضعاف ما كان يساويه خمره، وعالجهم حتى شفوا بعد مشقة. وأخباره كثيرة.

¹ في الزيتون: ((المسهلة)).

وفاته

توفي عقب إقلاع الطاغية ملك برجلونة عن ألمرية
عام تسعة¹ وسبعماية². وخلفه ابن كان له يسمى
إبراهيم، ويعرف بالحكيم، وجرى له من الشهرة ما جرى
لأبيه. مرت عليه بيخت وقبول، وتوفي بعد عام خمسين
وسبعماية³.

¹ ورد مكان هذا الرقم بياض.
² ربما تكون سنة 739هـ؛ لأن ابنة توفي بعد 750هـ؛ ويستبعد أن يحصل
على الشهرة المذكورة خلال عام واحد. والله أعلم.
³ الموافق لـ 1349.

محمد بن قاسم

ابن (محمد بن إبراهيم الأنصاري¹؛ جيباني الأصل مالقيه؛
يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالشرير على ينية التصغير؛
وهو كثير التروو والمقام بحضرة غرناطة.

حاله

من أهل الطلب والذكاء والظرف والخصوصية،
مجموع خلال من خط حسن واضطلاع بحمل كتاب الله.
بلبل دوح السبع المثاني، وماشطة عروس أبي الفرج
الجوزي، وآية صقعه في بالصوت، وطيب النعمة،
اقتحم لذلك دسوت الملوك وتوصل إلى صحبة الأشراف،
وجر أذيال الشهرة. قرأ القرآن والعشر بين يدي السلطان،
أمير المسلمين بالعدوة، ودنا منه محله، لولا إيثار مسقط
رأسه. وتقرب بمثل ذلك إلى ملوك وطنه، وصلى التراويح
بمسجد قصر الحمراء، غريب المنزع، عذب الفكاهة،
ظريف المجالسة، قادر على الحكايات، مستور حمى الوقار
، ملب داعي الانبساط، على استرجاع واستقامة، مبرور

¹ له ترجمة أيضاً في نفح الطيب.

الوفادة، منوه الإنزال، قلد شهادة الديوان **بمالقة**، معولاً
عليه في ذلك، فكان مغار جبل¹ الأمانة، صليب العود،
شامخاً، صادق النزاهة، لوحاً للألقاب، محرزاً للعمل.
وولي الحسبة **بمالقة** حرسها الله تعالى، فخاطبته في ذلك
أداعبه، وأشير إلى قوم من أجداده، وأولي الحمل عليه
بما نصه²:

يا أيها المحتسب الجزل
ومن لديه الجد والهزل
تهنيك³ والشكر لمولى الورى
ولاية ليس لها عزل

كتبت أيها المحتسب، المنتمى إلى النزاهة المتسب،
وأهنيك ببلوغ تمنيك، و أحذرك من طمع نفس بالغرور
تمنيك، فكأنني وقد طافت بركابك الساعة، ولزم لأمرك
السمع والطاعة، وارتفعت في مصانعتك الطماعة،

¹ في الإسكوريال والنفح: ((حبل))؛ وصححت من الزيتونة.

² البحر السريع.

³ في النفح: ((يهنيك)).

وأخذت أهل الريب بغتة كما تقوم الساعة، ونهضت تقعد
وتقيم، وسكوتك الريح العقيم، وبين يديك القسطاس
المستقيم¹، ولا بد من شرك ينصب، وجماعة على ذي
جاه تتعصب، وحالة كيت بها الجناب الأخصب، فإن
غضضت طرفك، أمنت عن الولاية صرفك، وإن ملأت
ظرفك²، رحلت عنها حرفك، وإن كفت فيها كفك،
حفك العز فيمن حفك. فكن لقالى المجبنة قالياً³، ولحوت
السلة سالياً؛ وأبد لدقيق الحواري⁴ زهد حوارى⁵، وازهد
فيما بأيدي الناس من العواري. وسر في اجتناب الحلو⁶
على السبيل السوا، وارفص في الشوا⁷ دواعي الأهوا⁸،
وكن على الهراس⁹، وصاحب فريد¹⁰ الرأس، شديد

¹ أي الميزان المستقيم.

² في هذا القول كناية عن قبول الهدايا والرشا.

³ أي مبعأ.

⁴ أي خالص الدقيق ولبابه.

⁵ الحوارى؛ جمعه؛ حواريون؛ وهم أنصار الأنبياء.

⁶ في الزيتون والنفح: ((الخلوى)).

⁷ في الزيتون: ((الشوى)).

⁸ نفسه: ((الأهوى)).

⁹ أي الذي يصنع الهريسة؛ وهي ضرب من الحلواء.

¹⁰ في النفح: ثريد. وهو ضرب من الطعام؛ يُصَبُّ فيه المَرَقُ المطبوخ
باللحم على قطع من كسرة الخبز.

المراس، وثب على بايع طبيخ الأعراس، ليثاً مرهوب
الافتراس، وأدب أطفال السوق¹ في السوق، سيما من
كان قبل البلوغ والسبوق، وصمم في استخراج الحقوق،
والناس أصناف؛ فمنهم خسيس يطمع منك في أكلة،
ومستعد عليك بوكزة أو ركلة؛ وحاسد في مطية تركب،
وعطية تسكب، فاخفض للحاسد جناحك، وسدد إلى
حربه رماحك، وأشبع الخسيس منهم مرقة دسمة فإنه
حنق، ودس له فيها عظماً لعله يخنق، واحفر لشريرهم
حفرة عميقة، فإنه العدو حقيقة؛ حتى إذا حصل،
وعلمت أن وقت الانتصار قد وصل، فأوقع وأوجع، ولا
ترجع، وأولياه من [حزب]² الشيطان فأفجع، والحق
أقوى، ﴿وَإِنْ تَعَفَوْا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾³. سددك الله تعالى
إلى غرض التوفيق وأعلقنا من الحق بالسبب الوثيق،

¹ في النفع: ((الفسوق)).

² هذه الإضافة من الزيتونة.

³ الآية كاملة هكذا: (وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُمْ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُمْ فَرِيضَةً فَتِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ). سورة البقرة؛ الآية: 237.

وجعل قدومك مقروناً برخص اللحم والزيت والدقيق. بمنه
وفضله.

مشيخته

قرأ القرآن على والده المكتب النصوح رحمه الله،
وحفظ كتباً: كرسالة أبي محمد بن زيد، وشهاب
القضاعي، وفصيح ثعلب، وعرض الرسالة على ولي الله
أبي عبد الله الطنجالي، وأجازته. ثم على ولده الخطيب
أبي بكر، وقرأ عليه من القرآن، وجود بحرف نافع على
شيخنا أبي البركات. وتلا على شيخنا أبي القاسم بن
جزري. ثم رحل إلى المغرب، فلقي الشيخ الأستاذ الأوحى
في التلاوة، أبا جعفر الدراج، وأخذ عن الشريف المقرئ
أبي العباس الحسني بسبته، وأدرك أبا القاسم التجيبي،
وتلا على الأستاذ أبي عبد الله بن عبد المنعم ولازمه،
واختص بالأستاذ ابن هاني السبتي، ولقي بفاس جماعة:
كالفقيه أبي زيد الجزولي، وخلف الله المجاصي، والشيخ
أبا العباس المكناسي، والشيخ البقية أبا عبد الله بن عبد
الرازق، وقرأ على المقرئ الفذ الشهير في الترجم بألحان

القرآن أبي العباس الزواوي سبع ختمات، وجمع عليه
السبع، والمقري أبي العباس بن حزب الله، واختص
بالشيخ الرئيس أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي.

شعره

من شعره ما كتب به إلى وزير الدولة المغربية في
غرض الاستلطاف¹:

يا من به أبدا عرفت ومن أنا
لولاه لي دامت علاه وداما
لا تأخذنك في الشديد لومة
فشخيص نشأته بفضاك قاماً
ربيته علمته أدبته
قدمته للفرض منك إماماً
فجزاك رب الخلق خير جزاية
عني وبوأك الجنان مقاماً

¹ البحر الكامل.

وهو الآن بالحالة الموصوفة، مستوطناً حضرة
غرناطة، وتالياً الأعشار القرآنية، بين يدي السلطان أعزه
الله، مرفع الجانب، معزز الجراية بولايته أحباس المدرسة،
أطروفة عصره، لولا طرش نقص الأنس به، نفعه الله.
ولد بمالقة في عاشر ربيع الأول من عام عشرة
وسبعماية¹.

* * *

¹ الموافق لـ 1310م.

ومن الغُرباء في هذا الاسم

محمد بن أحمد

ابن إبراهيم بن محمد التلمساني الأنصاري السبتي الدراري
الغرناطي الاستيطان؛ يكنى أبا الحسين؛
ويعرف بالتلمساني

حاله

طرف في الخير والسلامة، معرق في بيت الصون
والفضيلة، معمم¹ تخول في العدالة، قديم الطلب
والاستعمال، معروف الحق، مليح البسط، حلو الفكاهة،
خفيف إلى هيعة الدعابة، على سمت ووقار، غزل،
لودعي، مع استرجاع وامتسك، مترف، عريق في
الحضارة، مؤثر للراحة، قليل التجلد، نافر عن الكد،
متصل الاستعمال، عريض السعادة في باب الولاية،
محمول على كتد المبرة، جار على سنن شيوخ الطلبة
والمقتاتين من الأرزاق المقدره، أولي الخصوصية والضبط،
من التظاهر بالجاء على الكفاية. قدم على الأندلس ثمانية

¹ أي الذي يعم بخيره وعطاياه على الناس.

عشر وسبعماية¹؛ فمهد كنف القبول والاستعمال، فولي الحسبة بغرناطة، ثم قلد تنفيذ الأرزاق، وهي الخطة الشرعية، والولاية المجدية، فاتصلت بها ولايته. وناب عني في العرض والجواب بمجلس السلطان حميد المنأى في ذلك كله؛ يقوم على كتاب الله حفظاً وتجويداً، طيب النعمة، راوياً محدثاً، إخبارياً، مرتاحاً للأدب، ضارباً فيه بسهم، يقوم على كتب السيرة النبوية، فذاً في ذلك. قرأه بالمسجد الجامع للجمهور، عند لحاقه بغرناطة؛ معرباً به عن نفسه، منبهاً على مكانه، فزعموا أن رجلاً فاضت نفسه وجداً لشجو نغمته، وحسن إلقائه. وقرأ التراويح بمسجد قصر السلطان إماماً به، واتسم بمجلسه بالسلامة والخير، فلم تؤثر عنه في أحد وقية، ولا بدرت له في الحمل على أحد بنت شفه.

¹ الموافق لـ 1318م.

مشيخته

منهم الشريف أبو علي الحسن بن الشريف أبي التقا
طاهر بن أبي الشرف ربيع بن علي بن أحمد بن علي بن
أبي طاهر بن حسن بن موهوب بن أحمد بن محمد بن
طاهر بن أبي الشرف الحسن بن علي بن محمد بن علي
ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي
ابن الحسن بن علي بن أبي طالب. ومنهم والده المترجم
به، ومنهم أبوه وجدته، ومنهم الأمير الصالح أبو حاتم
أحمد بن الأمير أبي القاسم محمد بن أبي العباس أحمد
ابن محمد العزفي، والمقري أبو القاسم بن الطيب، وإمام
الفريضة أبو عبد الله محمد بن محمد بن حريث، والأستاذ
ملحق الأبناء بالآباء أبو إسحق الغافقي، والكاتب الناسك
أبو القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري، والأستاذ
المعمر أبو عبد الله بن الخضار، والخطيب المحدث أبو عبد
الله بن رشيد، والخطيب الأديب أبو عبد الله الغماري،
والأستاذ أبو البركات الفضل بن أحمد القنطري، والوزير
العابد أبو القاسم محمد بن محمد بن سهل بن مالك،

والولي الصالح أبو عبد الله الطنجالي، والخطيب الصالح أبو جعفر بن الزيات، والقاضي الأعدل أبو عبد الله بن برطال، والشيخ الوزير المعمر أبو عبد الله بن ربيع، والصوفي الفاضل أبو عبد الله بن قطرال، والأستاذ الحسائي أبو إسحق البرغواطي. هؤلاء لقيهم وقرأ وسمع عليهم. ومن كتب له بالإجازة؛ وهم خلق كثير؛ كخال أبيه، الشيخ الأديب أبي الحكم مالك بن المرحل، والخطيب أبي الحسن فضل بن فضيلة، والأستاذ الخاتمة أبي جعفر بن الزبير، والعدل أبي الحسن بن مستقور، والوزير المعمر أبي محمد بن سماك، والخطيب أبي محمد مولى الرئيس أبي عثمان بن حكم، والشيخ الصالح أبي محمد الحلاسي، والقاضي أبي العباس بن الغماز، والشيخ أبي القاسم الحضرمي الليدي، والعدل المعمر الراوية أبي عبد الله بن هرون، والمحدث الراوية أبي الحسن القرافي، وأبي إسحق إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن بن هبة الله ابن أبي المنصور، والإمام شرف الدين أبي محمد الدمياطي، وبهاء الدين بن النحاس، وقاضي القضاة تقي

الدين بن دقيق العيد، وضيء الدين أبي مهدي عيسى بن
يحيى بن أحمد، وكتب في الإجازة له¹ :
ولدت لعام من ثلاث وعشرة
وست مئین هجرة لمحمد
تطوفت قدماً بالحجاز وإنني
بمصر هو المريلي وسبئة مولد²

إلى عالم كثير من أهل المشرق؛ يشق إحصاؤهم. قد
ثبت معظمهم في اسم صاحبه أبي محمد عبد المهيمن
الحضرمي رحمه الله.

محنته

نالتة محنة بجرى الأمور الاشتغالية وتبعاتها قال الله
فيها لعثرته لغاً؛ فاستقل من النكبة، وعاد إلى الرتبة. ثم
عفت عليه بأخرة، فهلك تحت بركها بعد مناهزة التسعين
سنة، نفعه الله.

¹ البحر الطويل.

² كتب د. طویل هذا الشطر هكذا:
(بمصر هو المريلي وسبئة مولدي).

مولده

ولد عام ستة وسبعين وستماية¹.

وفاته

وتوفي في شهر محرم من أربعة وستين وسبعماية².

¹ الموافق لـ 1277م.
² الموافق لـ 1362م.

محمد بن علي

ابن محمد بن علي بن محمد بن يوسف بن قطران الأنصاري؛
من أهل مرانش؛ يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن قطران.

حاله

من العايد: كان رحمه الله فاضلاً صوفياً، عارفاً،
متحدثاً، فقيهاً، زاهداً، تجرد عن ثروة معروفة، واقتصر
على الزهد والتخلي، وملازمة العبادة، والغروب عن
الدنيا. وله نظم رايق، وخط بارع، ونثر بليغ، وكلام
على طريقة القوم، رفيع الدرجة، عالي القدر. شرح
قصيدة الإسرائيلي؛ بما يشهد برسوخ قدمه، وتجول في
لقاء الأكابر على حال جميلة من إثارة الصمت والانقباض
والحشمة. ثم رحل إلى المشرق حاجاً صدر سنة ثلاث
وسبعماية¹.

¹ الموافق لـ 1303م.

مشيخته

من شيوخه: القاضي العالم أبو عبد الله محمد بن علي، والحافظ أبو بكر بن محمد المرادي، والفقيه أبو فارس الجروي، والعلامة أبو الحسين بن أبي الربيع، والعدل أبو محمد بن عبيد الله، والحاج أبو عبد الله بن الخضار، وأبو إسحق التلمساني، وأبو عبد الله بن خميس، وأبو القاسم بن السكوت. وأبو عبد الله بن عياش. وأبو الحسن بن فضيلة، وأبو جعفر بن الزبير، وأبو القاسم بن خير. هؤلاء كلهم لقيهم؛ وأخذ عنهم؛ وكتب له بالإجازة جملة: كالقاضي أبي علي بن الأحوص، وأبي القاسم العزفي، وأبي جعفر الطنجالي، وصالح بن شريف، وأبي عمرو الداري، وأبي محمد بن الحجام، وأبي بكر بن حبيش، وأبي يعقوب بن عقاب، وعز الدين الجدائي، وفخر الدين بن البخاري، وابن طرخان، وابن البواب، وأمين الدين بن عساكر، وقطب الدين بن القسطلاني؛ وغيرهم.

شعره

وأما شعره فكثير بديع. قال شيخنا القاضي أبو بكر
ابن شبرين: كتبت إليه¹:

يا معمل السير أي أعمال
سلم على الفاضل ابن قطرال

من أبيات راجعني عنها بأبيات؛ منها²:
زارت فأزرت بمسك دارين
تقتن للحسن في أفانين
ومثلها في شتى محاسنها
ليست ببدع من ابن شبرين

¹ بحر المنسرح.
² بحر المنسرح.

وفاته

توفي بجرم الله عاكفاً على الخير وصالح الأعمال،
معرضاً عن زهرة الحياة الدنيا، إلى أن اتصل خبر وفاته؛
وفيه حكاية؛ عام تسعة وسبعماية¹. ودخل **غرناطة** برسم
لقاء الخطيب الصالح **أبي الحسن بن فضيلة**، وغير ذلك.

* * *

¹ الموافق لـ 1309م.

العمال في هذا الاسم وأول الأصيلين

محمد بن أحمد

ابن محمد بن الأكل¹؛ يكنى أبا يحيى.

حاله

شيخ حسن الشيبة، شامل البياض، بعيد مدى الذقن، خدوع الظاهر، خلوب اللفظ، شديد الهوى إلى الصوفية، والكلف بإطراء الخيرية، سيما عند فقدان شكر الولاية، وجماح الخطوة، من بيت صون وحشمة، ميين عن نفسه في الأغراض، متقدم في معرفة الأمور العملية، خايض مع الخايضين في غمار طريق التصوف، وانتحال كيمياء السعادة، راكب متن دعوى عريضة في مقام التوحيد، تكذبها أحواله الراهنة جملة، ولا تسلم له منها نبذة، لمعاصرة خلقه على الرياضة واستيلاء الشره، وغلب سلطان الشهوة، فلم يجن من جعجاعه المبرم فيها إلا استغرق الوقت في القواطع عن الحق، والأسف على ما

¹ له ترجمة أيضاً في نفع الطيب.

رزته الأيام من متاع الزور، وقنية الغرور، والمشاحة أيام
الولاية، والشباب الشاهد بالشره، والحلف المتصل بياض
اليوم، في ثمن الخردلة باليمين التي تجر فساد الأنكحة،
والغضب الذي يقلب العين، والبذا الذي يصاحب
الشين، مغلوب عليه في ذلك، ناله بسببه ضيق واعتقال،
وتفويت جدة، وإطباق روع، وقيد للعذاب، فألقيت عليه
ردايي، ونفس الله عنه بسببي، محوًا للسيئة بالحسنة،
وتوسلاً إلى الله بترك الحظوظ، والمنة لله جل جلاله على
ذلك.

شعره

خاطبني بين يدي نكبته أو خلفها بما نصه ؛ ولم أكن
أظن الشعر مما تلوكه جحفلته¹، ولكن الرجل من أهل
الكفاية²:

¹ الجحفلة للدابة: بمنزلة الشفة للإنسان.

² البحر الطويل.

راجوتك¹ بعد الله يا خير منجد
وأكرم مأمول وأعظم مرفد²
وأفضل من أملت للحادث الذي
فقدت به صبري وما ملكت يد³
وحاشا وكلا أن يخيب مأملي⁴
وقد علقت بابن الخطيب محمد
وما أنا إلا عبد أنعمه التي⁵
عهدت بها يميني وإنجاح مقصد⁶
وأشرف من حض الملوك على التقى
وأبدي لهم نصحاً وصية⁷ مرشد
وساس الرعايا الآن خير سياسة
مباركة في كل غيب ومشهد⁸

¹ في النفع: ((رجوتك))؛ وهو أسلم.
² أي يا أعظم معط ومانح.
³ في النفع: ((يدي)).
⁴ نفسه: ((مؤملي))؛ وهذا أسلم.
⁵ نفسه: ((نعمته التي)).
⁶ نفسه: ((مقصدي)).
⁷ نفسه: ((نصيحة)).
⁸ أي في كل غيب وحضور.

وأعرض عن دنياه زهداً وإنها
لمظهرة طوعاً له عن تودد
وما هو إلا الليث والغيث إن أتى
له خائف أو جاء مغناه مجتد¹
وبحر علوم دره كلماته
إذا رددت في الحفل أي تردد
صقيل مرأى² الفكر رب لطايف
محاسنها تجلى بحسن تعبد
بديع عروج النفس للملأ الذي
تجلت به الأسرار في كل مصعد
شفيق رقيق دايم الحلم راحم
وأي جميل للجميل معبود
صفوح عن الجاني على حين قدرة
يواصل³ تقوى الله في اليوم والغد

¹ في النفع: ((مجتدي))؛ وهو الذي يطلب العطاء.

² نفسه: ((مراني))؛ وهو أسلم.

³ نفسه: ((مواصل)).

أيا سيدي يا عمدتي عند شدتي
ويا شربي¹ متى ظميت وموردي
حنانيك والطف بي وكن لي راحماً
ورفقاً على شيخ ضعيف منك
رجاك رجاً² الذي أنت أهله
ووافقك يهدي الثنا³ المجدد
وأمك مضطراً لرحماك شاكياً
بحال كحر الجمر حين توقد⁴
وعندي افتقار لأنوال⁵ مواصلاً
لأكرم مولى حاز أجراً وسيد
ترفق بأولاد صغار بكاؤهم
يزيد لوقع الحادث المتزيد
وليس لهم إلا إليك تطلع
إذا مسهم ضر أليم التعهد

¹ في النفع: ((ويا مشربي))؛ وهو أسلم.

² نفسه: ((رجاء))؛ وهو أسلم.

³ نفسه: ((لثناء))؛ وهو أسلم.

⁴ جاء هذا الشطر في النفع هكذا: ((بحال كجر الشمس حال توقد)).

⁵ في النفع: ((افتقار لا يزال))؛ وهذا أسلم.

أنلهم أيا مولاي نظرة مشفق
وجد بالرضا وانظر لشملى مبدد
وقابل أفا الكره¹ الشدود برحمة
وأسعف بففران الذنوب وأبعد²
ولا تنظرن إلا لفضلك لا إلى
جرومة شىخ عن ملك مبعد
وإن كنت قد أذنبت إنى تائب
فعاود³ لى الفعل الجميل وجدد
بقيت بخير لأنوال⁴ وعزة
وعىش هنىء كىف شىت وأسعد
وسخرك الرحمن للعبء إنه
لمتن⁵ وداع للمحل المجدد
وقد ولى خطأ نبهة، منها خطة الاشغال على
عهد الغادر المكايء للدولة؛ إذ كان من أولىاء شىطانه
وممديه فى غىه، وسماسىر شعوذته، فلم ىزل من

¹ فى النفج: ((الكرب)).

² نفسه: ((وأسعد)).

³ نفسه: ((فعود)).

⁴ نفسه: لا ىزال))؛ وهو أسلم.

⁵ نفسه: ((لمتن)).

مسيطري ديوان الأعمال، على تهور واقتحام كبرة، وخط
لا غاية وراءه في الركافة، كما قال المعري¹:

تمشت فوقه حمر المنايا

ولكن بعد ما مسخت نمالا

استحضرته يوماً بين يدي السلطان، وهو غفل لفك
ما أشكل من معمياته في الأعمال عند المطالعة؛ فوصل
بحال سيئة، ولما أعتب بسببه، ونعيت عليه هجته، أحسن
الصدر عن ذلك الورد، ونذر في نفسه، وقال حيا الله
رداءة الخط، إذا كانت ذريعة إلى دخول هذا المجلس
الكريم؛ فاستحسن ذلك، لطف الله بنا أجمعين.

وفاته

توفي عام سبعة وستين وسبعماية².

¹ البحر الوافر.
² الموافق لـ 1365م.

محمربن الحسن

ابن زيربن أيوب بن حاسر الغافقي؛ يكنى أبا الوليد.

أوليته

أصله من طليطلة، انتقل منها جد أبيه، وسكنوا
غرناطة، وعدوا في أهلها.

حاله

كان أبو الوليد طالباً نبيلاً، نبهاً، سرياً، ذكياً، ذا
خط بارع، ومعرفة بالأدب والحساب، ونزع إلى العمل
فكان محمود السيرة، مشكور الفعل. وولي الإشراف في
غير ما موضع. قلت: وآثاره في الأملاك المنسوبة إليه،
التي من جملة المستخلص السلطاني بغرناطة وغيرها؛ مما
يدل على قدم، وتعمّة أصيلة.

وفاته

توفي بمدينة إشبيلية سنة ثمان وثمانين وخمسمائة¹؛
وسنة دون الخمسين.

¹ الموافق لـ 1192م.

محمد بن محمد

(ابن حسان الغانقي؛ إشبيلي الأصل؛ غرناطي المنشأ؛
يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن حسان).

حاله

من العايد: كان من أهل السرو والظرف والمروعة،
وحسن الخلق. تولى الإشراف بقرنطة، وخطة الأشغال،
فحسن الثناء عليه. وله أدب ومشاركة. حدثني بعض
أشياخنا؛ قال: كنت على مائدة الوزير ابن الحكيم؛ وقد
تحدث بصرف ابن حسان عن عمل كان بيده؛ وإذا رقعة
قد انتهت إليه أحفظ منها¹:

لكم أياد لكم أياد

كررتها إنها كثيرة

فإن عزمتم على انتقالي

ريّة أبغي أو الجزيرة

¹ البحر البسيط.

وإن أبيتم إلا مقامي
فنعمة منكم كبيرة

وقال لي بعضهم: جرى بين ابن حسان هذا، وبين أحد بني علاق¹، وهم أعيان كلام وملاحه² فقال ابن حسان، إنما كان جدكم مولى بني أضحى، وجد بني مشرف؛ فاستعدى عليه، ورفعته إلى الوزير ابن الحكيم؛ فيما أظن. فلما استفهمه عن قوله؛ قال: أعزك الله؛ كنت بالكتبيين، وعُرض عليّ كتاب قديم؛ في ظهره أبيات حفظتها وهي³:

أضحى الزمان بأضحى وهو مبتسم
لنوره في سماء⁴ المجد إشراق
فلم يزل ينتمي للمجد كل فتى
تطيب منه مواليد وأعراق

¹ في الزيتونة ((بني غبلان)).

² في الإسكوريال ((ملاحه))؛ وصوبت من الزيتونة.

³ البحر البسيط.

⁴ في الزيتونة: ((سناء)).

فإن ترد شرفاً يمم مشرفه¹
وإن ترد علق مجد فهو علق

فعلم الوزير أن ذلك من نظمه، ونتيجة بديهته؛
فعجب من كفايته، وترضى خصمه؛ وصرفهما بخير.

وفاته

وتوفي في شهر رجب ثلاثة عشر وسبعماية².

¹ في الزيتونة: (مشرفهم).
² الموافق لـ 1313م.

محمد بن عبد الله

(ابن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن إبراهيم
ابن عبد العزيز بن إسحق بن أحمد بن أسد بن قاسم النميري؛
المردو بابن الحاج؛ يثني أبا عمرو؛ وقد مر ذكر أخيه).

حاله

تولى خطة الإشراف بلوشة وأندرش¹ ومالقة وولي
النظر في مختص ألمرية، والأعشار الرومية بغرناطة. وكان
له خط حسن، وجودة كاملة، وحسن خلق، ووطأة
أكناف، تشهد له بجلالة قدره، ورفيع خطره. وصاهر في
أعيان كالوزير أبي عبد الله بن أبي الحسن؛² فاضل،
سرى، مخلق، حسن الضريبة، متميز بخصال متعددة، من
خط بديع، ونظم، ومشاركة في فنون، من طب
وتعديل، وارتياض سماع، وذكر التاريخ. حج وجال في
البلاد؛ ولقي جلة، وتولى بالمغرب خططاً نبيهة³ عليّة.

¹ سبق التعريف بها.

² في الإسكوريال: ((عملية)).

³ ما بين الحاصرتين ورد في الزيتونة.

ثم كر إلى الأندلس عام ستين وسبعماية¹؛ فأجرى من الاستعمال على رسمه. ثم اقتضت له العناية السلطانية - بإشارتي - أن يوجه في غرض الرسالة إلى تونس وصاحب مصر؛ لما تقدم من مرانه على تلك البلاد، وجولاته في أقطارها، وتعرفه بملوكها والجللة من أهلها؛ فأب بعد أعوام، مشكور التصرفات جارياً على سنن الفضلاء، مضطلعاً بالأحوال التي أسندت إليه من ذلك. فلم يزل معتنى به، مرشحاً إلى الخطط التي تطمح إليها نفس مثله، مسندا النظر في زمام العسكر الغربي إلى ولده؛ الذي يخلفه عند رحلته نايباً عنه، معزراً ذلك بالمرتبات والإحسان، تولاه الله وأعانه.

¹ الموافق لـ 1358م.

شعره

مدح السلطان، وأنشد له في المواليد النبوية؛ ورفع
إلى السلطان - بحضرتي - هذه الأبيات¹:
مولاي يا خير أعلام السلاطين
ومن له الفضل في الدنيا وفي الدين
ومن له سير ناهيك من سير
وافت بأكرم تحسين وتحسين
شرفت عبدك تشريفاً له رتب
فوق النجوم التي فوق الأفق² تعلين
وكان لي موعد مولاي أنجزه
وزاد في العز بعد الرتبة الدون
والله ما الشكر مني قاضياً وطري
ولو أتيت به حيناً على حين

¹ البحر البسيط.

² تصرف د. طويل؛ فجعل هذا الشطر هكذا:
(فوق النجوم التي للأفق تعليني)).

ولا التثاء موف حق أنعمه
ولو ملأت به كل الدواوين
لكن دعايي وحي قد رضيتهما
كفا¹ أفعاله الغر الميامين
وعند عبدك إخلاص يواصله
في خدمة لم يزل للخير تدنين²
وسوف أنصح كل النصح مغتتما
رضى إمام له فضل يرجين³
جوزيت عني أمير المسلمين بما
ترضاه للملك من نصر وتمكين
وأنت أكرم من ساس الأنام ومن
عمّ البلاد بتسكين وتهدين
ومن كمثل أبي عبد الآله إذا
أضحى الفخار لنا رحب الميادين

¹ أضاف د. طويل الهمزة؛ فغدت: ((كفاء)).
² أضاف د. طويل الياء؛ فأضحت: ((تدنين)).
³ أضاف د. طويل الياء؛ فأضحت: ((يرجين)).

محمد بن أبي الحجاج خيرة من
أهدي إليه¹ مدحاً بالسعد يحظين²
وجه جميل وأفعال تناسبه
ودولة دولة المأمون تتسين
لا زال في السعد والإسعاد ما سجت
ورق الحمام على قضب البساتين³

* * *

¹ جعلها د. طويل: ((له)).
² أضاف د. طويل الياء؛ فأضحت: ((يحظيني)).
³ هذه القصيدة ساقطة في الزيتونة.

محمد بن عبد الرحمن

(الكاتب؛ يكنى أبا عبد الله؛ من أهل غرناطة؛ أصله من وادي آش).

حاله

كان طالباً نبهها كاتباً¹ جليلاً، جيد الكتابة. كتب عن بعض أبناء الخليفة أبي يعقوب، واختص بالسيد أبي زيد بقرناطة، وبشرق الأندلس، وكان أثيراً عنده مكرماً. وكان رحمه الله شاعراً، مطبوعاً، ذا معرفة جيدة بالعدد والمساحة، ثم نزع عن الكتابة، واشتغل بالعمل، فراش فيه، وولي إشراف بنيات قرناطة. ثم ولي إشراف قرناطة، فكف يده، وظهرت نصيحته. ثم نقل إلى حضرة مراكش، فولي إشرافها مدة، ثم صرف عنها إلى قرناطة، وقدم على النظر في المستخلص إلى أن توفي.

¹ سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.

مناقبه

أشهد لما قربت وفاته، أنه كان قد أخرج في صحته وجوازه، أربعة آلاف دينار من صميم ماله؛ لتتميم القنطرة التي بنيت على وادي شنجيل¹ بخارج غرناطة². وكان قبل ذلك قد بنى مسجد دار القضاء من ماله، وتأنق في بنائه، وأصلح مساجد عدة، وفعل خيراً، نفعه الله.

شعره

من شعره ما كتب به إلى الشيخ أبي يحيى ابن أبي عمران وزير الخلافة، وهو بحال شكاية أصابته³:
[شكوت فأضنى المجد برح شكاته
وفارق وجه الشمس حسن آياته
وعادت بعديك⁴ الزمان زمانة
تعدت إلى عواد⁵ وأساته

¹ أو نهر شنيل؛ سبق التعريف به.
² وردت بعد هذه الكلمة في الزيتونة عبارة: ((وشرق الأندلس)).
³ البحر الطويل.
⁴ جعلها د. طويل: ((ببعديك)).
⁵ جعلها د. طويل: ((عواده)).

وغيض ما للبشر لما تبسطت
يد للسقم¹ في ساحات كافي كفاتيه
فكيف بمقصوص وصلت جناحه
وأدهم قد سربلته بشاتيه
وممتحن لولاك أذعن خبرة
وهان على الأيام غمز قناتيه
أمعلق آمالي ومطمح همتي
وواهب نفسي في عداد مباتيه
سأستقبل النعمى ببرك غضة
ويصغر ذنب الدهر في حسناته
وتسطو عين الحق منك بمرهف
تراع الخطوب الجور من فتكاته
وتطلع في أفق الخلافة نيراً
تطالعنا الأقمار من قسماته

¹ جعلها د. طويل: ((السقم)).

حرام على الشكوى اعتياد مطهر
حياة الدنيا والدين طي حياته
فما عرضت في قصده بمساءة
ولكن ترجت أن ترى في عفاته¹

مشيخته

قال الغافقي: قرأ بمالقة على الأستاذ أبي زيد
السهيلي رحمه الله.

وفاته

وتوفي بغرناطة سنة سبع وستماية²؛ ودفن بداره بجهة
قنطرة القاضي منها على ضفة الوادي.

* * *

¹ هذه القصيدة ساقطة في الزيتونة.

² المواتفق لـ 1210م.

محمد بن عبد الملك

(بن سعيد بن خلف بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن
عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر¹).

أوليته

قد وقع التنبيه عليها ويقع بحول الله.

حاله

كان وزيراً جليلاً بعيد الصيت عالي الذكر رفيع
الهمة، كثير الأمل².

نباهته

ذكره ابن صاحب الصلاة؛ في تاريخه في
الموحدين³، فنبه على مكانة محمد بن عبد الملك منهم في

¹ له ترجمة في المغرب إذ يكنى فيه أبا عبد الله. ثم نفع الطيب.

² في الزيتونة: ((الأمال)).

³ وهو عبد الملك بن محمد بن صاحب الصلاة الباجي المتوفى حوالي
605هـ/1208م؛ وكتابه المشار إليه هو كتاب تاريخ المن بالإمامة على
المستضعفين بأن جعلهم الله أنمة وجعلهم الوارثين.

الرأي والحظوة، والأخذ عنه¹ في أمور الأندلس²، وأثنى عليه. وذكره أبو زيد السهيلي في شرح السيرة الكريمة³؛ حتى انتهى إلى حديث كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الموجه إلى هرقل، وأن محمد بن عبد الملك عاينه عند أذفونش، مكرماً، مفتخراً به. والقضية مشهورة. وأما محله من أمداح الشعراء، فهو الذي مدحه الأديب أبو عبد الله الرصافي بقوله⁴:

أبدأ⁵ تقيض وخاطراً متوقداً

دعها تبت قبساً على علم النداء

وفيه يقول أبو عبد الله بن شرف؛ من قصيدة⁶:

¹ في الإسكوريال: ((معه))؛ وصححت من الزيتونة.

² في النفح: ((أمور الناس)).

³ في النفح: ((الشريفة)). لأن ((شرح السيرة الكريمة)) هو كتاب روض الأنف؛ في السيرة النبوية؛ وهو شرح لسيرة ابن هشام.

⁴ البحر الكامل.

⁵ في ديوان الرصافي: ((أيداً)).

⁶ البحر البسيط.

يا رحمة الله للراجي ونقمته
لكل باغ طغى عن خيرة الرسل
لم تبق منهم كفوراً دون مراقبة
مطالعاً منك حتفاً غير منفصل
كما بزاتك لم تترك بأرضهم
وحشايفر ولا طيرا بلا وجل
وكان كثير الصيد، ومرتدد الغارات.

مناقبه في الدين

قالوا: لما أنشده أبو عبد الله الرصافي في القصيدة
التي مطلعها¹:
لِمَحَلِّكَ التَّرْفِيْعُ وَالتَّعْظِيْمُ
وَلِوَجْهِكَ التَّقْدِيْسُ وَالتَّكْرِيْمُ

¹ البحر الكامل.

حلف ألا يسمعها؛ وقال: عليّ جازيتك؛ لكن طباعي لا تحتمل مثل هذا. فقال الرّصافي: ومن مثلك، ومن يستحق ذلك في الوقت غيرك. فقال له: دعني من خداعك. أنا وما أعلمه عن نفسي.

شعره

أنشده صاحب الطالع¹، ولا يذكر له غيره²:

فلا تظهرن ما كان في الصدر كامناً

ولا تركبن بالغيط في مركب وعر

ولا تبحثن في عذر من جاء تايماً

فليس كريماً من يباحث في عذر³

¹ هو كتاب الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد؛ لأبي الحسن علي بن سعيد الأندلسي؛ وهو بدوره صاحب كتاب المغرب في حلي المغرب.
² في الإسكوريال: ((قوله))؛ وصوبت من الزيتونة. وهذان البيتان من البحر الطويل.
³ في المغرب، والنفح: ((في العذر)).

وولي من الأعمال للموحدين كثيراً، كمختص
حضرة مراکش، ودار السلاح، وسلا، وإشبيلية،
وغرناطة. واتصلت ولايته على أعمال غرناطة؛ وكان من
شيوخها وأعيانها.

محتته

وعمل فيه عقد بأن بداره من أصناف الحلوى، ما لا
يكون إلا عند الملوك، وأنه إذا ركب في صلاة الصبح،
من دار الرخام التي يجري الماء فيها، في اثني عشر مكاناً،
شوش الناس في الصلاة، دوي الجلاجل بالبزاة، ومناداة
الصيادين، ونباح الكلاب؛ فأمر المنصور بالقبض عليه،
وعلى ابن عمه صاحب أعمال إفريقية أبي الحسين؛ في
سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة¹. ثم رضي عنهما، وأمر
محمد بن عبد الملك أن يكتب بخطه كل ما أخذ له،
فصرفه عليه، ولم ينقصه منه شيء، وغرم ما فات له.

¹ الموافق لـ 1177م.

مولده

ولد سنة أربع عشر¹ وخمسمائة².

وفاته

وتوفي بغرناطة سنة تسع وثمانين وخمسمائة³.

* * *

¹ صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((أربع عشرة)).

² الموافق لـ 1120م.

³ الموافق لـ 1193م.

محمد بن سعيد

(بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن عثمان
(بن محمد بن عبد الله بن عمار بن ياسر العنسي¹؛ يكنى أبا بكر؛
وقد تقرر التعريف بأوليته).

حاله

قال في الطالع ساد في دولة المثلثين²، وولوه
بغرناطة الأعمال، وكانت له دار الرخام المشهورة بإزاء
الجامع الأعظم بغرناطة. قال الغافقي فيه: شيخ جليل،
فقيه نبيه من أهل قلعة يحصب³. كان في عداد الفقهاء،
ثم نزع إلى العمل، وولي إشراف غرناطة في إمارة أبي
سعيد الميمون بن بدر اللمتوني. وقال صاحب المسهب:
وحسبُ القلعة كون هذا الفضل الكامل منها، وقد رَقَمَ
بُرْدَ مَجْدِهِ بالأدب، ونال منه بالاجتهاد والسجية القابلة،
أعلى سبب، وله من المكارم ما يغير في وجه كعب

¹ له ترجمة أيضاً في: المغرب في حلى المغرب، ورايات المبرزين، ونفح
الطيب، وتاريخ قضاة الأندلس.
² أي دولة المرابطين اللمتونيين.
³ تسم أيضاً قلعة بني سعيد؛ تقع شمال غرناطة؛ وقد سبقت الإشارة إليها.

وحاتم¹، لذلك ما قصده الأديب، وتهافتت في مدحه
الشعراء، وفيه أقول²:

وكان أبو بكر من الكفر عصمة
ورد به الله الغواة إلى الحق
وقام بأمر الله حافظ أهله
بليغ وسبط في الميرة والخلق
وهذا أبو بكر سليل ابن ياسر
بغرناطة ناغاه في الرأي والصدق
فهذا لنا بالغرب يجنى معالماً
تباهى الذي أحيا الديانة بالشرق

وقد جرى من ذكره عند ذكر أبي بكر بن قزمان،
ويجري عند ذكر نزهون بنت القلاعي ما فيه كفاية، إذ
كان مفتوناً بها، ومحمدة وزينب بنتي زياد المؤدب؛ من
أهل وادي آش، وفيهما يقول³:

¹ هما: كعب بن مامة الإيادي وحاتم الطائي. سبقت الإشارة إليهما.
² البحر الطويل.
³ بحر المجتث.

ما بين زينب عمري
أحث كأسى وحمده
وكل نظم ونثر
وحكمة مستجده
وليس إلا عفاف
يبليغ المرء قصده

ولذلك ما سعى به المخزومي الأعمى، وقد سها عن
رسم تفقده، فكتب إلى علي بن يوسف¹ في شأنه بما
كان سبب عزله ونكته²:

إليك أمير المؤمنين نصيحة
يجوز بها البحر المجمع شاعر
بخرناطة وليت في الناس عاملاً
ولكن بما تحويه منه المآزر

¹ أمير المسلمين المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين؛ الذي حكم من
1106/هـ 1142م إلى 537/هـ 1142م.
² البحر الطويل.

وأنت ما¹ تخفي عليك خفية
فسل أهلها فالأمر للناس ظاهر
وما لإلاه العرش تفنيه حمدة
وزينب والكأس الذي هو داير

شعره

من ذلك قوله²:

يا هذه لا ترومي
خداع من ضاق ذرعه
تبكي وقد قتلتني
كالسيف يقطر دمه
وقال عفى الله عنه³:

لقد صدعت قلبي حمامة أيكاة⁴
أثارت غراماً ما أجل وأكرما

¹ جعلها د. طويل: ((أما)).

² البحر المجتث.

³ البحر الطويل.

⁴ في المغرب: ((بانة)).

ورق نسيم الريح من نحو أرضكم
ولطف حتى كاد أن يتكلما
وقال في مذهب الفخر¹:
فخرنا بالحديث بعد القديم
من معال توارثت² كالنجوم
نحن في الحرب أجبل راسيات
ولنا في الندي لطف النسيم

مولده

ولد في سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة³.

وفاته

وتوفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة⁴.

¹ البحر الخفيف.

² في المغرب: ((تواترت)).

³ الموافق لـ 1090م.

⁴ الموافق لـ 1142م.

ومن الطائرين في هذا الاسم من العمال

محمد بن أحمد

ابن المتأهل العبري¹؛ من أهل وادي آش؛ يكنى أبا عبد الله.

حاله

كان رجلاً شديداً الأدمة، أعين، كث اللحية طرفاً في الأمانة، شديد الاسترابة بجليسه، مخيناً لرفيقه، سيئ الظن بصديقه، قليل المداخلة، كثير الانقباض، مختصر الملبس والمطعم، عظيم المحافظة على النفير والقطمير، مستوعب للحصر والتقييد، أسير محبي وعابد زمام، وجنوب أمانة وحلس سقيفة، ورفيق مشرف، لا يقبل هواده، ولا يلبس رشوة، كثير الالتفات، متفقداً للآلة، متمماً للعمل.

جرى ذكره في بعض الموضوعات الأدبية بسبب شعر خامل نسب إليه بما نصه: رجل غليظ الحاشية معدود في جنس السائمة والماشية، تليت على العمال به سورة

¹ له ترجمة أيضاً في نفع الطيب؛ حيث سمي ((العذري))؛ بدل ((العبري)).

الغاشية، ولي الأشغال السلطانية، فذعرت الجباة لولايته، وأيقنوا بقيام قيامتهم لطلوع آيته، وقنطوا كل القنوط، وقالوا جاءت الدابة تكلمنا، وهي إحدى الشروط، من رجل صايم الحسوة، بعيد عن المصانعة والرشوة، يتجنب الناس، ويقول عند المخالطة لهم لا مساس، عهدي به في الأعمال يخبط ويتبر، وهو يهمل ويكبر، ويحسن ويقبح، وهو يسبح، انتهى. قلت: وولي الأشغال السلطانية، فضم النشر، وأوصد باب الحيلة، وبث أسباب الضياع، وترصد ليلاً وأصيب بجراحة أخطأته، ثم عاجلته الوفاة، فنفس عن أقتاله المخنق.

شعره

قال يخاطب بعض أثراء الدولة قبل نهاته¹:

عمادي ملاذي مويلي ومؤملي

ألا أنعم بما ترضاه للمتأهل

¹ البحر الطويل.

وحقق بنيل القصد منك رجاءه
على نحو ما يرضيك يا ذا التفضل
فأنت الذي في العلم يعرف قدره
بخير زمان منه لا زلت فيه تعتل¹
فهزيت يا مَعْنَى² الكمال برتبة
تقر لكم بالسبق في كل محفل

وفاته

توفي عام ثلاثة وأربعين³؛ بغرناطة أو قبل ذلك
بيسير، وله خط حسن، وممارسة في الطلب، وقد توسط
المعترك.

¹ جاء هذا الشطر في النسخ هكذا: ((بخير زمان فيه لا زلت تعتلي)).

² في النسخ: ((معنى)).

³ يقصد 1342/هـ743م. إذ جاء في النسخ: ((توفي عام ثلاثة وأربعين
وسبعائة)).

محمربن محمر

ابن محمر بن عبد الواحد البلوي¹؛ من أهل ألمرية؛ يكنى أبا بكر.

أوليته

من كتاب المؤتمن² قال: يشهر بنسبه وأصل سلفه من جهة³ إما من بجانة⁴، وإما من البريج⁵، واستوعب بيرة سبب انتقالهم.

حاله

من عايد الصلة، كان أحد الشيوخ من طبقتة، وصدر الوزراء من نمطه ببلده، سراوة وسماحة، ومبرة⁶ وأدباً ولوذعية ودعابة، رافع راية الانطباع، وحايز قصب⁷

¹ نسبة إلى دار بلي بقرطبة؛ وهم من بني بلي بن عمرو بن قضاة. وكان هذا الحي العربي يسكن في الجهات الشمالية من قرطبة.
² وهذا الكتاب يسمى: المؤتمن في أنباء أبناء الزمن. ألفه أبو البركات محمد بن محمد البلفيقي. سبق التعريف بالكتاب وبصاحبه.
³ تقع هذه البلدة جنوب المنصورة المتواجدة على نهر المنصورة؛ شمال شرقي ألمرية.
⁴ بجانة Pechina؛ وهي مدينة اشتهرت بحمتها ومياها الطيبة؛ وتقع غربي نهر أندرش؛ وإلى الشمال الغربي من ألمرية؛ بحدود خمسة أميال.
⁵ بلدة في مقاطعة ألمرية؛ وتقع على مقربة من بجانة.
⁶ في الزيتون: ((مبارة)).

قصب¹ السبق في ميدان التخلق، مبدول البر، شايح المشاركة.

وقال في **المؤمن**: كان رجلاً عاقلاً، عارفاً بأقوال الناس، حافظاً لمراتبهم، منزلاً لهم منازلهم، ساعياً في حوائجهم، لا يصدرون عنه إلا عن رضى بجميل مداراته. التفت إلى نفسه، فلم ينس نصيبه من الذل، ولا أغفل من كان يألفه في المنزل الخشن، واصلاً لرحمه، حاملاً لوطأة من يجفوه منهم، في ماله حظ للمساكين وفي جاهه رفق للمضطرين، شيخاً ذكي المجالسة تستطيب معاملته، على يقين أنه يخفي خلاف ما يظهر، من الرجال الذين يصلحون الدنيا، ولا يعلق بهم أهل الآخرة، لعروه عن النخوة والبطر، رحمه الله. تكررت له الولاية بالديوان غير ما مرة، وورد على **غرناطة**، وافداً ومادحاً ومعزياً.

¹ في الزيتون: (قصة).

مشيخته [وما صدر منه]¹

قرأ على ابن عبد النور، وتأدب به، وتلا على القاضي أبي علي بن أبي الأحوص أيام قضائه ببسطة، ونظم رجزاً في الفرائض.

شعره

قال الشيخ² في المؤمن: كانت له مشاركة في نظم الشعر الوسط، وكان شعر تلك الحلقة الآخذة عن ابن عبد النور، كأنه مصوغ من شعره شيخهم المذكور، ومحدو عليه، في ضعف المعاني، ومهنة الألفاظ. تنظر إلى شعره، وشعر عبد الله بن الصايغ، وشعر ابن شعبة، وابن رشيد، وابن عبيد؛ فتقول ذرية بعضها من بعض.

¹ هذه الإضافة من الزيتونة.

² الشيخ هنا هو أبو البركات؛ شيخ ابن الخطيب.

فمن ذلك ما نظمه في ليلة سماع واجتماع بسبب
قدوم أخيه أبي الحسن من الحجاز¹:
إلهي أجرني إنني لك تائب
وإنني من ذنبي إليك لهارب
عصيتك جهلاً ثم جنيتك نادماً
مقراً وقد سدت علي المذاهب
مضى زمن بي في البطالة لاهياً
شبابي قد ولى وعمري ذاهب
فخذ بيدي واقبل بفضلك توبتي
وحقق رجائي في الذي أنا راغب
أخاف على نفسي ذنوباً جنيتها
وحاشاك أن أشقى وأنت المحاسب
وإنني لأخشى في القيامة موقفاً
ويوماً عظيماً أنت فيه المطالب
وقد وضع الميزان بالقسط حاكماً
وجاء شهيد عند ذاك وكاتب

¹ البحر الطويل.

وطاشت عقول الخلق واشتد خوفهم
وفرّ عن الإنسان خل وصاحب
فما ثم من يرجى سواك تفضلاً
وإن الذي يرجو سواك لخايب
ومن ذا الذي يعطي إذا أنت لم تجد
ومن هو ذو منع إذا أنت واهب
عبيدك يا مولاي يدعوك رغبة
وما زلت غفاراً لمن هو تائب
دعوتك مضطراً وعفوك واسع
فأنت المجازي لي وأنت المعاقب
فهب لي من رحماك ما قد رجوته
وبالجود يا مولاي ترجى المواهب
توسلت بالمختار من آل هاشم
ومن نحوه قصداً تحت الركائب
شفيع الورى يوم القيامة جاهه
ومنقذ من في النار والحق واجب

ومما بلغ فيه أقصى مبالغ الإجابة، قوله من قصيدة
هنا فيها سلطاننا أبا الحجاج بن نصر¹، لما وفد وهو
وجملة أعيان البلاد أولها²:

يهني الخلافة فتحت لك بابها
فادخل على اسم الله يمنا غابها

منها وهو بديع ، استظرف يومئذ:
يا يوسفياً باسمه وبوجهه
اصعد لمنبرها وصن محرابها
في الأرض مكنك الإله كيوسف
ولتلكن بربها أربابها
بلغت بكم أربابها من بعد ما
قالت لذلك نسوة ما رابها

¹ سابع سلاطين بني نصر وهو أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل؛ حكم
من سنة 733هـ/1332م إلى سنة 755هـ/1354م.
² البحر الكامل.

كانت تراود كفوها حتى إذا
ظفرت بيوسف غلقت أبوابها

[قلت: ما ذكره المؤلف ابن الخطيب رحمه الله، في هذا المترجم به، من أنه ينظم الشعر الوسط، ظهر خلافه، إذا أثبت له هذه المقطوعة الأخيرة. ولقد أبدع فيها وأتى بأقصى مبالغ الإجادة كما قال: وحاز بها نمطاً أعلى مما وصفه به. وأما القصيدة الأولى فلا خفاء أنها سهل المأخذ، قريبة المنزع، بعيدة من الجزالة، ولعل ذلك كان مقصوداً من ناظمها رحمه الله¹.

وفاته

توفي ببلده عن سن عالية؛ في شهر ربيع الآخر عام
ثمانية وثلاثين وسبعماية².

¹ هذا التعليق الحصور بين حاصرتين - الذي كما هو ظاهر من إنشاء الناسخ - وهذه الفقرة لم ترد إلا في مخطوط الإسكوريال.
² الموافق لـ 1337م.

ورثاه شيخنا أبو بكر بن شبرين رحمه الله بقوله¹:
يا عين سحي بدمع واكف سرب
لحامل الفضل والأخلاق والأدب
بكيت إذ زكرت الموتى على رجل
إلى بلي من الأحياء منتسب
على الفقيه أبي بكر تضمنه
رمس وأعمل سيرا ثم لم يؤب
قد كان بي منه ود طاب مشرعه
ما كان عن رغب كلاً ولا رهب
لكن ولا² على الرحمن محتسباً
في طاعة الله لم يمدق ولم يشب
فاليوم أصبح في الأجدات مرتها
ما ضرت الريح أملودا من الغضب
إنا إلى الله من فقد الأحبة ما
أشد لذعاً لقلب الثاكل الوصب

¹ البحر البسيط.

² جعلها د. طويل: ((ولا)).

من للفضائل يسديها ويلحمها
من للعلى بين موروث ومكتسب
قل فيه أما¹ تصف ركناً لمنتبذ
روض لمنتجع أنس لمغترب
باق على العهد لا تنثيه ثانية
عن المكارم في ورد ولا قرب
سهل الخليفة بادي البشر منبسط
يلقى الغريب بوجه الوالد الحدب
كم غير الدهر من حال فقلبها
و حال إخلاصه ممتدة الطنب
سامي المكانة معروف تقدمه
وقدره في ذوي الأقدار والرتب
أكرم به من سجايا كان يحملها
وكلها حسن تنبيك عن حسب
ما كان إلا من الناس إلى درجوا
عقلاً وحلماً وجوداً هامى السحب

¹ جعلها د. طويل: ((ما))؛ بعد حذف الألف.

أمسى ضجيع الثرى في جنب بقلعة
لكن محامده تبقى على الحقب
ليست صباية نفسي بعده عجباً
وإنما صبرها من أعجب العجب
أجاب دمعي إذ نادى النعي به
لو غير منعاه نادى الدمع لم يجب
ما أغفل المرء عما قد أريد به
في كل يوم تناديه الردى اقترب
يا ويح نفسي الأنفاس¹ مضت هدرأ
بين البطالة والتسويق واللعب
ظننت أني بالأيام ذو هزء
غلطت بل كانت الأيام تهزأ بي
أشكو إلى الله فقري من معاملة
لله أنجو بها في موقف العطب

¹ جعلها د. طويل: ((أنفاس)).

ما المال إلا من الله قوى فأفلح من¹
جاء القيامة ذا مال وذا نشب
أبا بكر الأرضي نداء أخ²
باك عليك مدى الأيام مكتتب
أهلاً بقدمتك الميمون ظاهرها
على محل الرضى والسهل والرحب
نم في الكرامة فالأسباب وافرة
وربما نيلت الحسنى بلا سبب
لله لله والأجال قاطعة
ما بيننا من خطابات ومن خطب
ومن فرايد آداب يجبرها
فيودع الشهب أفلاكاً من الكتب
أما الحياة فقد ملئت مدتها
فعوض الله منها خير منقلب

¹ هذا الصدر مختل.

² تصرف د. طويل؛ فجعل هذا الصدر هكذا: ((اسمع أبا بكر الأرضي نداء أخ)).

لولا قواطع لي أشراكها نصبت
لزرت قبرك لا أشكو من النصب
وقل ما تتشفيت نفس بزورة مَنْ
حل البقيع ولكن جهد ذي أرب
يا نخبة ضمها ترب ولا عجب
إن التراب قديماً مدفناً النخب
كيف السبيل إلى اللقيا وقد ضربوا
بيني وبينك ما بقي من الحجب
عليك مني سلام الله يتبعه
حسن الثناء¹ وما حييت من كذب

¹ أضاف د. طويل الهمزة؛ فأضحت: ((الثناء)).

محمربن محمر

(بن شعبة النساني¹؛ من أهل ألمرية؛ يثني أبا عبر الله.

حاله

قال شيخنا أبو البركات في الكتاب المؤتمن: من أهل ألمرية ووجوهها؛ لا حظ له في الأدب، وبضاعته في الطلب مزجاة. قطع عمره في الأشغال المخزنية، وهو على ذلك حتى الآن. قلت: هذا الرجل أحد فرسان الطريقة العملية، ماض على لين، متحرك في سكون، كاسد سوق المروءة، ضان بما يملك من جدة، منحط في هوة اللذة، غير معرج على ربع الهمة، لطيف التأنى، متنزل في المعاملة، دمث الأخلاق، مليح العمل، صحيح الحساب، منجب الولد.

¹ له ترجمة أيضاً في الكتيبة الكامنة.

مشيخته

قرأ على ابن عبد النور، والقدر الذي يحس
به عنه أخذه.

شعره

من شعره يخاطب أبا الحسن بن كماشة¹:
وافى البشير فوافى الأنس والجدل
وأقبل السعد والتوفيق والأمل
ورأقت الأرض حسناً زاهراً وسنى
واخضرت² منها الربى والسهل والجبل
ولاح وجه علي بعد ذا فغدا
له شعاع كضوء الشمس متصل
مذ غاب أظلمت الدنيا لنا وغدت
أحشاؤنا بلهيب الشوق تشتعل

¹ البحر البسيط.

² حذف د. طويل (التاء)؛ فغدت: ((واخضر)).

وحين أشرقَت الدنيا بغرته
عاد الظلام ضياء وانتفى الخبل
إيه أبا حسن أنت الرجاء لنا
مهمى اعترت شدة أو ضاقت الحيل
وأنت كهف منيع من نحاك فقد
نال المنى وبدا عيش له خضل
يا سيداً قد غدا في المجد ذا رتب
مشيدة قد بنتها السادة الأول
بنو كماشة أهل الفضل قد شهرُوا
باهت بهم في قديم الأعصر الدول
السالكون هدى السابقون مدى
والباذلون ندى والناس قد بخلوا
أنت الأخير زماناً والقديم علأ
والسيد المرتجى والفارس البطل

إن كنت جئت أخيراً فلقد¹
أضحى بجود يديك يضرب المثل
حزت المآثر لا تحصى لكثرتها
من رام إحصاءها سدت له السبل
جزت البذور سنى والفرقدين علا
وأنت تجر الندى والوابل الهطل
من جاء يطلب منك السلم قابله
وجه طليق ولفظ كله عسل
ومن يرد غير ذا تباً له وردى
لقد ترفع في برج له زحل
هناك ربك ما أولاك من نعم
وعشت في عزة تترى وتتصل
ولا عدمت مدى الأيام منزلة
من دونها رفعة في الأبرج الحمل

¹ تصرف د. طويل؛ فجعل هذا الصدر هكذا:
(إن كنت جئت فارساً أخيراً فلقد)).

وخذہ بعد سلاماً عاطراً أرجاً
یدوم ما دامت الأسحار والأصل
من خادم لعلاکم مخلص لکم
من حکم لا یری ما عاش ینتقل
تقبیل کفک أعلى ما یؤمله
فجد به فشفای الهايم القبل

وفاته

في أول عام أربعة وستين وسبعماية¹.

¹ الموافق لـ 1362م.

محمد بن محمد

ابن العرّاق¹؛ ولوي آشي؛ يثني أبا عبد الله.

حاله

فاضل الأبوة، معروف الصون والعفة، بادي الاستقامة، دمث الأخلاق، حسن الأدوات، ينظم وينثر، ويجيد الخط، تولى أعمالاً نبهة، ثم علفت به الحرفة؛ فلقني ضغطاً، وفقد نشباً، واضطر إلى التحول عن وطنه إلى بر العدو عام ستة وخمسين وسبعماية²، وتعرف لهذا العهد أنه تولى الأشغال بقسنطينة الهواة³ من عمل إفريقية.

¹ له ترجمة أيضاً في نفح الطيب؛ حيث سمي: محمد بن محمد العراقي.

² الموافق لـ 1355م.

³ هكذا كانت تسمى مدينة قسنطينة الجزائرية؛ بحكم موقعها، وتخطيط مبانيها المعلقة في قمة جبل شاهق؛ يحاذيه وإذ ذي مهاو سحيقة. وتعتبر قسنطينة من المدن الجزائرية العريقة التي بنيت في حقبة سبقت الحكم الروماني؛ وهي من المدن الزاهرة المنتورة في الجزائر.

شعره

كتب إليّ وقد أبى عملاً عرض عليه¹:
أصمت أنفاً ثم أنطق بالخلف
وأفقد إلفاً ثم آنس بالجلف
وأمسك دهري ثم أنطق² علقماً
ويمحق بدري ثم ألحق بالخسف
وعزكم لا كنت بالذل عاملاً
ولو أن ضعفي ينتمي إلى حتف³
فإن تعملوني في تصرف عزة
وعدل وإلا فاحسموا علة الصرف
بقيت وسحب العطف⁴ منكم تظلني
وعطف ثناتي دائماً ثاني العطف⁵

¹ البحر الطويل.

² في النفع: ((أفطر)).

³ كتب هذا العجز في النفع هكذا: ((ولو أن ضعفي ينتمي بي إلى الحتف)).

⁴ في النفع: ((العفو)).

⁵ ورد هذا الشطر في النفع هكذا: ((وحظّ ثناتي دائماً ثاني العطف)).

محمربن عبرالله

ابن محمربن علي بن عبرالله بن محمربن عبرالله بن فرتون
(الأنصاري؛ من أهل مالقة؛ يكنى أبا القاسم، ويعرف بالهنا).

أوليته

ينسب إلى القاضي ببطليوس، قاضي القضاة رحمه
الله. وبمالقة دور تنسب إلى سلفه تدل على نباهة، وقد
قيل غير ذلك. والنص الجلي أولى من القياس.

حاله

من عايد الصلة: الشيخ الحاج المحدث صاحب
الأشغال بالدار السلطانية. صدر نمطه، وفريد فنه، رجولة
وجزالة واضطلاعاً وإدراكاً وتجلداً وصبراً. نشأ بمالقة،
معدوداً في أهل الطلب والخصوصية، ورحل إلى الحجاز
الشريف في فتايه¹، فاستكثر من الرواية، وأخذ عن أكابر

¹ في الزيتونة: (شبابه)).

من أهل المشرق والمغرب؛ حسبما يشهد بذلك برنامجه. وكان على سنن من السرو¹ والحشمة، فذا في الكفاية، جرياً مقداماً مهيباً، ظريف الشارة، فاره المركب، مليح الشبية، حسن الحديث، وقاد الدهن، صابراً على الوظائف، يخلط الخوض في الأمور الدنيوية، بعبادة باهظة، وأوراد ثقيلة، ويجمع ضحك الفاتك، وبكاء الناسك، في حالة واحدة، هشاً، مفرط الحدة، يشرد عليه مجل² لسانه في المجالس السلطانية بما تعرفوه المندمة بسببه، قائماً على حفظ القرآن وتجويده وتلاوته، ذا خصال حميدة، صناع اليد، مقتدراً على العمليات من نسخ ومقابلة وحساب، معدوداً من صدور الوقت وأعلام القطر، ورجال الكمال.

¹ في الزيتونة: ((الصبر)).

² في الإسكوريال: ((مجد)).

مشيخته

أخذ عن الجلة من أهل بلده كالأستاذ أبي محمد بن أبي السداد الباهلي؛ لازمه وانتفع به والخطيب أبي عثمان بن عيسى؛ أخذ عنه¹، والولي أبي عبد الله الطنجالي، وغيرهم مما يطول ذكرهم من العدو والأندلس والمشاركة.

محتته

لقي نصباً في الخدمة السلطانية، وغضاً من الدهر لبأوه، بتعنته وعدم مبالاته مرات؛ ضيق لها سجنه، وعرض عليه النكال، ونيل منه بالإهانة كل منال، وأغرم مالا أجحف بمحتجته، وعرض للأيدي نفايس كتبه، وعلى ذلك فلم يذعر سربه، ولا أضعفت النكبة جأشه.

¹ جاء في الزيتونة بعد هذا الاسم ما يلي: ((ومن أهل الشرق جار الله تقي الدين، وأبو محمد عبد الله بن عبد المؤمن القرشي الدلاصي؛ قرأ عليه القرآن بالحرم الشريف)).

مولده

ولد عام ثلاثة وسبعين وستماية¹.

وفاته

ومات ميتة حسنة. صلى الجمعة ظهراً؛ وقد لزم
الفراش، ونفث دم الطاعون؛ وومات مستقبل القبلة؛ على
أتم وجوه التأهب؛ سابع شوال من عام خمسين
وسبعماية².

¹ الموافق لـ 1274م.
² الموافق لـ 1349م.

محمربن عبوالله

ابن محمربن مقاتل؛ من أهل مالقة؛ يكنى أبا القاسم؛
أزوي النسب، إشبيلي الأصل، من بيت نزاهة ونباهة.

حاله

كان فاضلاً وقوراً سمحاً، مليح الدعابة، عذب
الفكاهة، حلو النادرة، يكتب ويشعر، طرفاً في الانطباع
واللوزعية، آية في خلط الجد بالهزل. ولي الإشراف بمدينة
مالقة، وتقلب في الشهادة المخزنية عمره.

شعره

من شعره يخاطب ذا الوزارتين أبا عبد الله بن الحكيم
رحمه الله¹:

فؤادي من خطب الزمان سقيم
وفيه لسهم الحادثات كلوم

¹ البحر الطويل.

ولم أشك دايي في البرية لامرئ
أشكوبه وابن الحكيم حكيم

وفاته

توفي بمالقة يوم الخميس عاشر شهر رمضان من عام تسعة
وثلاثين وسبعماية¹.

¹ الموافق لـ 1338م.

محمد بن علي

(ابن عبر ربه التجيبي؛ من أهل مالقة؛ يكنى أبا عمرو).

حاله

كان راوية ثقة، بارع الأدب، بليغ الكتابة، طيب النفس، كامل المروءة، حسن الخلق، جميل العشرة، تلبس بالأعمال السلطانية دهرًا، وولي إشراف غرناطة وغيرها، إلى أن قعد لشكاية منعه من القيام والتصرف فعكف على النظر، فانتفع به.

مشيخته

كانت له رحلة سمع فيها بالأسكندرية على أبي عبد الله بن منصور وغيره، وروى عنه الأخوان: سالم وعبد الرحمن ابنا صالح بن سالم.

توآلفه

له اختصار حسن في أغاني الإصبهاني، ورد جيد على ابن غرسية في رسالته الشعوبية¹؛ لم يقصر فيها عن إجادة.

وفاته

وتوفي لسبع خلون من محرم من عام اثنين وستماية².

* * *

¹ هو أبو عامر أحمد بن غرسية؛ مولى مجاهد العامري صاحب دانية (436-400 هـ)؛ ينتمي إلى نصارى البشكنس؛ سبى في صغره؛ وأدبه مولاه. أما رسالته المسماة بالرسالة الشعوبية؛ فقد شحنها بكراهية العرب، ومأها بالتحامل عليهم. وبالمقابل يمد قومه الأول من العجم (الروم والنصارى). ثم وجهها إلى الشاعر ابن الحداد؛ المقيم ببلاط المعتصم بن صمادح أمير المرية. وقد تصدى لابن غرسية عدد من الأدباء والعلماء؛ حيث اتهموه بالشعوبية؛ ومن هؤلاء صاحب هذه الترجمة.

² الموافق لـ 1205م.

الزهاو والصلحاء والصوفية والفقراء وأولاد الأصيليون

محمد بن إبراهيم

ابن محمد بن محمد الأنصاري¹؛ من أهل غرناطة؛
يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالصناع.

حاله

من عايد الصلة: الشيخ الصوفي، الكثير الأتباع،
الفذ الطريقة المحبب إلى أهل الثغور من البادية. كان رحمه
الله شيخاً حسن السمات كثير الذكر والمداومة، يقود من
المخشوشين عدد ربيعة ومضر، يعمل الرحلة إلى
حصونهم، فيتألفون عليه، تألف النحل على أمرائها
ويعاسيها، معلنين بالذكر، مهولين، يغشون مثواه،
بأقواتهم على حالها، ويتناغون في التماس القرب منه،
ويباشرون العمل في فلاحه كانت له بما يعود عليه بوفر
وإعانة. وكان من الصالحين، وعلى سنن الخيار الفضلاء

¹ سمي في تاريخ قضاة الأندلس: ((محمد بن إبراهيم بن محمد بن غالب
الأنصاري)).

من المسلمين، وله حظ من الطلب ومشاركة، يقوم على ما يحتاج إليه من وظائف دينه، ويتكلم في طريق المتصوفة على مذهب أبي عبد الله الساحلي شيخه، كلاماً جهورياً، قريب الغمر¹ وكان له طمع في صناعة الكيمياء تهافت على دفاتيرها، وأهل منتحليها، ليستعين بها بزعم على آماله الخيرية؛ فلم يحل بطايل.

مشيخته

قرأ على أستاذ الجماعة أبي جعفر بن الزبير، وكانت له في حاله فراسة. حدثني بذلك شيخنا أبو عبد الله بن عبد الولي رحمه الله. وسلك على الشيخ الصالح أبي عبد الله الساحلي.

¹ في الإسكوريال: ((القصر)).

وفاته

وتوفي ليلة الاثنين السابع من شهر شوال عام تسعة وأربعين وسبعماية¹، وكانت جنازته آخذة في الاحتفال، قدم لها العهد، ونفر لها الناس من كل أوب، وجيء بسريره، تلوح عليه العناية، وتحفه الأتباع المقتاتون من حل أموالهم وأيديهم من شيوخ البادية، فتولوا مواراته، تعلقوا الأصوات حوله، ببعض أذكاره.

* * *

¹ الموافق لـ 1346م.

محمد بن أحمد

الأنصاري؛ من أهل غرناطة؛ يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالقرظي.

حاله

كان معلماً لكتاب الله¹ تعالى، خطيباً بمسجد ريبض الفخارين، طرفاً في الخير ولين العريكة، والسداجة المشفوعة بالاختصار، وإيثار الخمول، مستقيماً في طريقته، خافتاً في خطبته، عاكفاً على وظيفته، مقصوداً بالتماس الدعاء، مظنة الصلاح والبركة.

وفاته

توفي بغرناطة قبل سنة خمسين وسبعماية² بيسير، وكلف الناس بقبره بعد موته، فأولوا حجارتهم من التعظيم، وجلب أواني المياه للمداواة ما لم يولوه معشاره أيام حياته.

¹ هذه الإضافة من الزيتونة.

² الموافق لـ 1349م.

محمد بن حسنون

(الميري؛ من أهل غرناطة؛ يكنى أبا عبد الله)

حاله

كان فاضلاً صالحاً، مشهور الولاية والكرامة يقصده الناس في الشدايد، فيسألون بركة دعيه. ومن إملاء الشيخ أبي بكر بن عتيق بن مقدم؛ قال: أصله من بياضة¹، وكان عمه من المقرئين المحدثين بها، وسكن هو مرسية، ونشأ بها، وقرأ على أسيائها، وحفظ كتاب التحبير في علم أسماء الله الحسنى للإمام أبي القاسم القشيري، ثم انتقل إلى غرناطة، فسكن فيها بالقصبة القديمة، وأم الناس في المسجد المنسوب إليه الآن. وكان يعمل بيده في الحلفا، ويتقوت من ذلك.

¹ بياضة Baeza؛ بلدة صغيرة تابعة لجيان؛ وتبعد عنها بعشرين ميلاً تقريباً. وهي قريبة من نهر الوادي الكبير.

وفاته

توفي عام خمسة وسبعماية¹ بغرناطة؛ وهو من عدد الزهاد.

ومن مناقبه

ذكروا أنه سمع يوماً بعض الصبيان يقول لصبي آخر: مر للحبس؛ فقال أنا المخاطب بهذا؛ فانصرف إلى السجن، فدخله، وقعد مع أهله، وبلغ ذلك السلطان؛ فوجه وزيره، فأخرجه، وأخرج معه أهل السجن كلهم، وكانت من كراماته.

¹ الموافق لـ 1305م.

محمربن ممر

البكري؛ من أهل غرناطة؛ يكنى أبا عبر (الله، ويعرف بابن الحاج).

كان رحمه الله شيخاً صالحاً جاهورياً، بعيداً¹ عن المصانعة، متساوي الظاهر والباطن، مغلظاً لأهل الدنيا، شديداً عليهم، غير مبال في الله بغيره، يلبس خرقة الصوفية من غير التزام لاصطلاح، ولا منقاد لرقو، ولا مؤثر لسماع. مشاركاً للناس، ناصحاً لهم، ساعياً في حوايجهم. خدم الصالح الكبير أبا العباس بن مكنون، وسلك به، وكان من بيت القيادة والتجند، فرفض زيه، ولبس المسوح والأسمال. وكان ذا حظ من المعرفة، يتكلم للناس. قال شيخنا أبو الحسن بن الجياب، سمعته ينشد في بعض مجالسه²:

¹ في الأسكوريال: ((من)).
² بحر الرجز.

يا غادياً في غفلة ورايحاً
إلى متى تستحسن القبايح
وكم إلى كم لا تخاف موقفاً
يستتطق الله به الجوارح
يا عجباً منك وأنت مبصر
كيف تجتنب¹ الطريق الواضحا
كيف تكون حين تقرأ² في غد
صحيفة قد مليت فضائحا
أم كيف ترضى أن تكون خاسراً
يوم يفوز من يكون رابحاً

¹ جعلها د. طويل: ((تُجَنَّبُ)).

² حذف د. طويل الهمزة؛ فعدت: ((تقرأ)).

ولما حاصر الطاغية¹ مدينة ألمرية، وأشرفت على التلّف، تبرع بالخروج منها ولحاقه بباب السلطان، لبث حالها، واستنفر المسلمين إلى نصرها؛ فيسر له من ستر غرضه، وتسهيل قصده، ما يشهد بولايته.

وفاته

توفي بألمرية محل سكناه؛ في حدود عام خمسة عشر وسبعماية².

¹ المقصود هنا هو خايمي الثاني؛ ملك أرجون؛ حين حاول الإستيلاء على ألمرية؛ فقام بحصارها في سنة 709هـ/1309م؛ وذلك بتحريض من صنوه فرناندو الرابع ملك قشتالة؛ الذي سعى - في الوقت نفسه - بدوره إلى حصار جبل طارق.
² الموافق لـ 1315م.

محمد بن محمد

ابن (محمد الأنصاري؛ غرناطي، قيجاطي¹ (الأصل؛ يعرف بالسواس).

قال في المؤمن في حاله: رجل متطرب، سهل الخلق، حسن اللقاء. رحل من بلده، وحج، وفاوض بالمشرق الأطباء في طريقته، وعاد فتصدر للطب، ثم عاد إلى بلاد المشرق. قلت: وعظم صيته، وشهر فضله، وقدم أمينا على أحباس مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة الطاهرة وصدقائه، وذكر عنه أنه اضطره أمر إلى أن خصي نفسه، وسقطت لذلك لحيته.

قال شيخنا أبو البركات: أنشدنا بدكانه برحبة المسجد الأعظم، من حضرة غرناطة؛ قال: أنشدنا أبو عبد الله المراكشي بالإسكندرية؛ قال: أنشدنا مالك بن المرحل لنفسه²:

¹ نسبة إلى بلدة قيجاطة Quesada؛ هي بلدة تابعة لجيان؛ وتقع إلى الشمال الشرقي منها.
² البحر الطويل.

أرى الكلاب بشتم الناس قد ظلمت
والكلب أحفظ مخلوق لإحسان
فإن غضبت على شخص لتشتمه
فقل له أنت إنسان ابن إنسان

وفاته

كان حياً عام خمسين وسبعماية¹ فيما أظن.

¹ الموافق لـ 1349م.

ومن الطارئين عليها في هذا الاسم

محمد بن أحمد

(بن جعفر بن عبر الحق بن محمد بن جعفر بن محمد بن أحمد
بن سروان بن الحسن بن نصر بن نزار بن عمرو بن زير بن عامر
بن نصر بن حفاف السلمي؛ يكنى أبا عبد الله،
ويعرف بابن جعفر، ويشهر في الأخير بالقونجي؛
منسوبة إلى قرية بالإقليم؛ وكان من أهل غرناطة.

حاله

من خط شيخنا أبي البركات بن الحاج: كان هذا
الرجل، رجلاً صالحاً فاضلاً متخليقاً، سمحاً، جميل
اللقاء على قدم الإيثار على رقة حاله، ممن وضع الله له
القبول في قلوب عباده؛ فكانت الخاصة تبره ولا تنتقده،
والعامة توده وتعتقده، وتترادف على زيارته، فئة بعد
فئة، فلا تنقلب عنه إلا راضية، وكان جارياً على طريقة
الشيخ أبي الحسن الشاذلي [إذ كان قد لقي بالمشرق الشيخ
الإمام تاج الدين بن عطاء الله، ولازمه وانتفع به، كما

لقي ولازم تاج الدين أبا العباس المرسي، كما لازم أبو العباس أبا الحسن الشاذلي¹. قال: ولقيه بعد هذا الشيخ أبي عبد الله جماعات في أقطار شتى، ينسبون إليه، ويجرون من ملازمته الأذكار في أوقات معينة على طريقته، وله رسايل منه إليهم طوال وقصار، يوصيهم فيها بمكارم الأخلاق، وملازمة الوظائف، وخرج عنه إليهم على طريقة التدوين، كتاب سماه بـ((الأنوار في المخاطبات والأسرار))؛ مضمنه جملة من كلام شيخهم تاج الدين، وكلام أبي الحسن الشاذلي، ومخاطبات خوطب بها في سره، وكلام صاحبه أبي بكر الرندي، وحقايق الطريق، وبعض كرامات غير من ذكر من الأولياء، وذكر الموت، وبعض فضائل القرآن.

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي الحسن البلوطي وأجازه، وعلى أبي الحسن بن فضيلة وأجازه كذلك، وعلى أبي جعفر بن الزبير وأجازه، ثم رحل؛ فحج ودخل الشام، وعاش

¹ ما جاء بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة.

مدة من حراسة البساتين، واعتنى بلقاء المعروفين بالزهد والعبادة، وكان ملياً بأخبار من لقي منهم، فمنهم الشيخ أبو الفضل تاج الدين بن عطاء الله، وصاحبه أبو بكر بن محمد الرندي.

مناقبه

قال: دخلت معه إلى من خفَّ على قلبي الوصول إلى منزله لما قدم ألمرية، وهو رجل يعرف بالحاج رحيب، كان من أهل العافية، ورقت حاله، ولم يكن ذلك يظهر عليه، لمحافظته على ستر ذلك لعلو همته، ولم يكن أيضاً أثر ذلك يظهر على منزله، بل أثاث العافية باق فيه من فرش وماعون. فساعة وصول هذا الشيخ، قال: الله يجبر حالك، فحسبتها فراسة من هذا الشيخ. قال: وخاطبته عند لقائي إياه بهذه الأبيات:

أشكو إليك بقلب لست أملكه
ما لم يرد من سبيل فهو يسلكه
له تعاقب أهواء فيقلقه
هذا ويأخذه هذا ويتركه
طوراً يؤمنه طوراً يخوفه
طوراً ييقنه طوراً يشككه
حيناً يوحشه حيناً يونسه
حيناً يسكنه حيناً يحركه
عسى الذي يمسك السبع الطباق على
يديك يا مطلع الأنوار يمسكه
فيه سقام من الدنيا وزخرفها
مهما أبيضه بالذکر تشركه
عسى الذي شأنه الست¹ الجميل كما
غطى عليه زماناً ليس يهتكه

¹ سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.

فلما قرأ منها: ((فيه سقام من الدنيا وزخرفها))؛
قال: هذه علتني.

مولده

سأله عنه فقال لي عام ثمانية وستين¹ بقرية الجيط من
قرى الإقليم.

وفاته

بقرية قنجة² خطيباً بها، يوم الاثنين عشرين من شهر
شعبان المكرم عام خمسين وسبعماية³، في الوباء العام،
ودفن بقرية قنجة، رحمة الله عليه ورضوانه.

* * *

¹ يقصد: 668هـ/1269م.
² في الزيتونة: (قرتجة).
³ الموافق لـ 1349م.

محمربن أعمرب

أبن حسبن بن بعبى بن (الحسبن بن محمرب بن أعمرب بن صفولان
القفسى)¹؛ وبننه شهفر بمالقة؛ فكنى أبا (الطاهر،
ويعرف بابن صفولان).

حاله

كان مفتوحاً عليه فى طرىق القوم، ملهماً لرموزهم،
مصنوعاً له فى ذلك، مع المحافظة على السنة، والعمل
بها. آخر الرعبىل، وكوكب السحر، وفذلكة الحساب
بلده، اقتداء وتخلقاً وخشوعاً وصلاحاً وعبادة ونصحاً.
رحل فحج، وقفل إلى بلده، مؤثراً الاقتصار على ما
لديه، فإذا تكلم فى شىء من تلك النحلة، يأتي
بالعجاب، ويفك كل غامض من الإشارات. وعُنى بالجزء
المنسوب إلى شىخ الإسلام أبى إسمعبىل الروبى المسمى
بـ((منازل السارى إلى الله))؛ فقام على تدريسه،
واضطلع بأعبابه، وقيد عليه ما لا يدركه إلا أولوا العناية،
ولازمه الجملة من أولى الفضل والصلاح، فانتفعوا به،

¹ له ترجمة فى: الكتابة الكامنة، ونيل الابتهاج.

وكانوا في الناس قدوة. وولي الخطابة بالمسجد الجامع من الربض الشرقي، وبه كان يقعد، فيقصد به الناس، ويتبركون به، وكان له مشاركة في الفقه، وقيام على كتاب الله.

توآلفه

ألف بإشارة السلطان على عهده، أمير المسلمين أبي الحجاج رحمه الله¹، كتاباً في التصوف والكلام على اصطلاح القوم، كتب عليه شيخنا أبو الحسن بن الجياب بظهره؛ لما وقع عليه؛ هذه الأبيات²:

[أيام مولاي الخليفة يوسف

جاءت بهذا العالم المتصوف

فكفى بما أسدى من الحكم التي

أبدين من سر الطريقة ما خف³

¹ هو أبو الحجاج يوسف بن فرج بن إسماعيل؛ سابع سلاطين دولة بني نصر بغرناطة؛ حكم من سنة 733هـ/1332م إلى سنة 755هـ/1354م.

² البحر الكامل.

³ أضاف د. طويل الياء؛ فغدت: ((خفي)).

وحقايق رفع الحجاب بهن عن
نور الجمال فلاح غير مكيف¹
كالشمس لكن هذه أبدي سنأ
للحسن والمعنى لعين المنصف
فيه حياة قلوبنا ودواؤها
فمن استغاث بجرعة منها شف²
إن ابن صفوان إمام هداية
صافي فصوفي فهو صوفي صف³
وإن اختبرت فإنه صفو ابن صف
و ظاهر في طيه صفو خف⁴
علم توارثه وحال قد خلت
ذوقاً فنعم المقتدى والمقتف⁵

¹ الأبيات الواردة بين حاصرتين وردت في الزيتونة فقط.

² أضاف د. طويل الياء؛ فغدت: ((شفي)).

³ أضاف د. طويل الياء؛ فغدت: ((صفي)).

⁴ أضاف د. طويل الياء؛ فغدت: ((خفي)).

⁵ أضاف د. طويل الياء؛ فغدت: ((المقتفي)).

فليهنك المولى سعود إيالة
فيها سراج نوره لا ينطف¹
جلّى وجوه شريعة وحقيقة
صبحاً سنّاه باهر لا يختف²
لا زلت تسلك كل نهج واضح
منها وتحيي كل سعي مزلف

من تواليفه

((جَرُّ الحُرِّ))؛ في التوحيد، وعلق على الجزء
المنسوب لأبي إسماعيل الهروي.

من أخذ عنه

أخذ عنه ببلده، وتبرّك به جُلّة، وكان يحضر مجلسه
عالم، منهم: شيخ الشيوخ الأعلام أبو القاسم
الكسكلان، وأبو الحسين الكوّاب، والأستاذ الصالح أبو

¹ أضاف د. طويل الياء؛ فغدت: ((لا ينطفي)).
² أضاف د. طويل الياء؛ فغدت: ((لا يختفي)).

عبد الله القطان، وصهره الأستاذ أبو عبد الله بن قوال،
والعاقد الناسك أبو الحسين الأحمر، وغيرهم.

شعره

رأيت من الشعر المنسوب إليه، وقد رواه عنه جماعة
من أصحابنا، يُدَّيِّل قول أبي زيد رضي الله عنه¹:
رأيتك تدنيني إليك تباعدني²
فأبعدت نفسي [الابتغاء التقرب]³

فقال⁴:

هويت بدمني إليه فلم يكن⁵
بي البعد بعدي فصح به قرب⁶

¹ البحر الطويل.

² ورد هذا الصدر في الكتيبة الكامنة هكذا:

((رأيتك يدنيني إليك تباعدني)).

³ في الإسكوريال: ((الابتغاء في القرب)). وما ذكر أعلاه ورد في الزيتونة.

وصوبت في الكتيبة الكامنة حيث كتبت: ((وابتغاني من القرب)).

⁴ البحر الطويل.

⁵ ورد هذا الشطر في الكتيبة الكامنة هكذا:

((هربت به مني إليه فلم يكن)).

⁶ في الكتيبة: ((قربي)).

فكان به سمعي كما بصري به
وكان به لأى¹ لساني مع القلب
فقربي به قرب بغير تباعد
وقربي في بعدي فلا شيء من قرب²

وفاته

سافر من بلده إلى غرناطة في بعض وجهاته إليها،
وذهب سحراً يرتاد ماء لوضويه. فتردى في حفرة تردياً
أوهن قواه، وذلك بخارج بلش؛ فرد إلى مالقة؛ فكانت
بها وفاته قبل الفجر من ليلة يوم الجمعة الرابع عشر
لشعبان عام تسعة وأربعين وسبعماية³.

¹ في الكتيبة: ((لا بي)).

² نفسه: ((قربي)).

³ الموافق لـ 1348م.

محمد بن أحمد

ابن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري؛ يثني أبا عبد الله،
ويعرف بالساحلي¹.

حاله

من عايد الصلة: المثل السائر في عمران أوقاته كلها
بالعبادة، وصبره على المجاهدة. قطع عمره في التبتل
والتهجد لا يفتر لسانه عن ذكر الله، والصلاة على نبيه،
صلى الله عليه وسلم. خرج عن متروك والده، واقتصر
على التمعش من حرفة الخياطة. ثم تعدها إلى النسخ
والتعليم، وسلك على الشيخ أبي القاسم المرید، نفع الله
به، حتى ظهرت عليه سيما الصالحين، وأقام عمره
مستوعباً ضروب الخير، وأنواع القرب من صوم وأذان
وذكر، ونسخ وقراءة، وملازمة خلوة. ذا حظ من
الفصاحة. وجرأة على الوعظ، في صوت جهير، وعارضة
صلبية. اقتدى به طوائف من أصناف الناس على تباعد
الديار، وألزمهم الأذكار، وحولهم للسلوك، فأصبح كثير

¹ له ترجمة أيضاً في: الكتيبة الكامنة، ونيل الابتهاج.

الأتباع، بعيد الصيت. وولي الخطابة بالمسجد الجامع من بلده، ونقل إلى الخطابة، بجامع غرناطة في نبوة عرضت له بسبب ذنابي ذرية طرقوا الكدر إلى سربه¹، ثم عاد إلى بلده متين ظهر الخطوة، وثيق أساس المبرة.

مشيخته

قرأ ببلده مالقة على الخطيب أبي محمد بن عبد العظيم بن الشيخ، وأبي عبد الله بن لب، وأبي جعفر الحرار، وأبي عبد الله بن الحلو، الخطيب أبي عبد الله ابن الأعور.

محتته

ابتلي بعد السبعين من عمره بفقد بصره؛ فظهر منه من الصبر والشكر والرضا بقضاء الله، ما يظهر من مثله. وأخبرني بعض أصحابه أنه كان يقول: سألت الله أن

¹ في الزيتوننة: ((شرفه)).

يكف بصري خوفاً من الفتنة. وفي هذا الخبر نظر لمكان المعارضة في أمره صلى الله عليه وسلم بسؤال العافية، والإمتاع بالإسماع والإبصار.

شهرته

وجعل الله له في قلوب كثير من الخلق، الملوك فمن دونهم، من تعظيمه ما لا شيء فوقه، حتى أن الشيخ المعمر الحجة الرحلة أبا علي ناصر الدين المشدالي؛ كتب إليه من بجاية بما نصه: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بَبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾¹. وبعده: من العبد الأصغر والمحب الأكبر فلان، إلى سيد العارفين، وإمام المحققين، في ألفاظ تناسب هذا المعنى.

¹ الآية كاملة هكذا: (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بَبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ). سورة يوسف؛ الآية: 88.

حدثني شيخنا أبو الحسن بن الجياب؛ وكان من
أعلام تلاميذه، وصدور السالكين على يديه؛ قال:
قصدت منه خلوة، فقلت: يا سيدي، أصحابنا يزعمون
أنك ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فاخبرني
واشف صدري؛ هل هذه الرؤيا عينية أو قلبية؟ قال:
فأفكر ساعة، ثم قال: عندي شك في رؤية ابن الجياب
الساعة ومحادثته؛ فقلت: لا؛ فقال: كذلك الحال؛ قلت:
وهذا أمر غريب؛ ولا يصح إلا رؤية القلب، ولكن غلبت
عليه حتى تخيل في الحس الصورة الكريمة؛ إذ وجود
جوهر واحد في محلين اثنين محال.

شعره

نظم الكثير من شعر منحط؛ لا يصلح للكتب ولا
للرواية؛ ابتلي به رحمه الله، فمن لبابه قوله؛ وهو من
الوسط¹:

¹ البحر الكامل.

إن كنت تأمل¹ أن تتال وصالهم
فامح الهوى في القيل والأفعال
واصبر على مر الدواء فإنه
ياتيك بعد بخالص السلسال

توالمفه

ألف كتاباً سماه ((إعلان الحجفة في بيان رسوم الحجفة)).
توفي يوم الجمعة الرابع والعشرين لشوال عام خمسة
وثلاثين وسبعماية²، وكانت جنازته مشهودة، تزاحم
الناس على نعشه، وتناولوه تمزيقاً على عادتهم من
ارتكاب القحفة³ الباردة في مسلاخ حسن الظن.

* * *

¹ في الكتبية: ((تطلب)).

² الموافق لـ 1334م.

³ في الزيتونة: ((الحجفة الباردة)).

محمد بن أحمد

(ابن قاسم الأسي؛ من أهل مالقة؛ يكنى أبا عبد الله،
ويعرف بالقطان؛ الفقيه الأواب المتكلم المجتهد.

حاله

من العايد: كان هذا الرجل غريب المنزع عجيب
التصوف. قرأ وعقد الشروط، وتصدر للعدالة، ثم تجرد،
وصدق في معاملته لله، وعول عليه، واضطلع بشروط
التوبة، فتحلل من أهل بلده، واستفاد واسترحم،
واستغفر، ونفض يديه من الدنيا، والتزم عبادة كبيرة،
فأصبح يشار إليه في الزهد والورع، لا تراه إلا متبسماً،
ملازماً لذكر الله، متواضعاً لأصاغر عباده، محبا في
الضعفاء والمساكين، جميل التخلق، مغضياً عن الهنات،
صابراً على الإفادة. وجلس للجمهور بمجلس مالقة،
يتكلم في فنون من العلم، يعظ الناس، ويرشدهم،
ويزهدهم، ويحملهم على الإيثار، في أسلوب من
الاستنفار¹ والاسترسال، والدلالة، والفصاحة والحفظ

¹ في الإسكوريال: ((الاستحفار))؛ وفي الزيتونة: ((الاستعمار)).

كثير التأثير في القلوب، يخبر بإلهام وإعانة. فمال الخلق إليه، وتزاحموا على مجلسه، وأعلنوا بالتوبة، وبادر مترفوهم إلى الإقلاع عن إجابة الشهوات، والاستقالة من الزلات. ودهم الوباء، فبذلوا من الأموال في أبواب البر والصدقة، ما لا يأخذه الحصر ولا يدركه الإحصاء ولو لا أن الأجل طرقه، لعظم صيته، وانتشر نفعه.

وفاته

توفي شهيد الطاعون عصر يوم الأربعاء الرابع لصفر من عام خمسين وسبعماية¹، ودفن بجبانة جبل فاره²، ضحى يوم الخميس الثاني من يوم وفاته. وصلى عليه خارج باب قنتالة، وألحده في قبره الخطيب القاضي الصالح أبو عبد الله الطنجالي، رحم الله جميعهم. وممن رثاه الشيخ الأديب أبو الحسن الوراد فقال³:

¹ الموافق لـ 1349م.

² جبل فارة وبالإسبانية Gibralfaro؛ هو الجبل الذي يشرف على مالقة من الجهة الجنوبية.

³ البحر الطويل.

[أبعد ولي الله دمعي يسجم
وغمار قلبي من كلوم تترجم
فؤادي مكلوم بحزني لفقده
لذاك جفوني دمعا كله دم]¹
وماذا عسى يغني التفجع والبكا
وماذا عسى يجدي الأسى والتبرم
سأصبر للبلوى وإن جل خطبها
فصبر الفتى عند الشدايد يعلم
كذا العلم بالسيف الصقيل لدى الوغى
فويق الذي من حسنه يوسم²
على قدر صبر المرء تصغر عنده
خطوب من الدنيا على الناس تعظم
ألا إنها الدنيا تعلقة باطل
ومخمضة³ أحلام لمن بات يحلم

¹ هذان البيتان المحصوران بين حاصرتين؛ وردا في الزيتونة فقط.

² أضاف د. طويل: ((لا))؛ فأضحت: ((لا يوسم)).

³ جعلها د. طويل: ((محمض)).

تجنبها أهل العقول فأقصروا
وأغرق فيها الجاهلون وأشأم¹
أعد نظراً فيها تجبك براحة
وانس بما تقضي عليك وتحكم
أعد لها درياق صبرك إنها
من البؤس والتلوين والله أرقم
تلفت إلى تعذيبها لمحبتها
وماذا بها يلقي كئيب ومغرم
يظن بها ريحانة وهي سدرة
ولا منتهى إلا الردى والتقدم
عجبت لها تخفي علينا عيوبها
وذاك لأننا في الحقيقة نوم
أليس عجيباً أن يعول عاقل
على عاجل من وصلها يتصرم

¹ جعلها د. طويل: ((وأشأموا)).

وما وصلها معشار عشر صدورها
ولكنه صرف للدهر¹ أدوم
إذا ابتسمت يوماً ترقب عبوسها
فما إن لنا منها يدوم التبسم
ضحى كان وجه الدهر سبر بشره
فلم يمس حتى بان منه التجهم
ذرينا بعقد من ولي مكانه
مكين لدي العلياء سام معظم
هوى مثل هوى من الأفق كوكب
فجالنا ليل من الخطب مظلم
تساوى لديه صيدها وعبيدها
وعالمها النحرير والمتعلم
هو الموت لا ينفك للخلق طالباً
يروح ويغدو كل حين عليهم
وما هو إلا الداء عز دواؤه
فليس لشيء في البسيطة يحسم

¹ أضاف د. طويل: الواو؛ فأضحت: ((وللدهر)).

دها كل مخلوق فما منه سيد
له الجاه عند الله ينجو فسلم¹
ولو كان ذا كان النبي محمد
تجنبه صلوا عليه وسلم²
تعنى به موسى ويوسف قبله
ونوح وإدريس وشيث وآدم
به باد بهرام وتبر بهرم
وكسر من كسرى سوار ومعصم
وكم من عظيم الشأن حل بربعه
فإن تختبره فهو رب وأعظم
ولكننا ننسى ونأبى حديثه
وننجد في الإعراض عنه ونتهم
فحتى إذا حل ساحة ماجد
نطل بها من حسرة نتكلم

¹ جعلها د. طويل: ((ويسلم)).
² جعلها د. طويل: ((وسلموا)).

نسينا حديث الموت جهلاً بغدره
فألهمنا إذ هزنا منه ملهم
وفاة ورمي في التراب موسد
وآثاره فوق السماك تخيم
خبا ضوء نادي أفقر¹ ربعه
من العلم والتعليم ربع ومعلم
تردى فأردى فقداه أهل رية
فما منهم إلا كئيب ومغرم
غدا أهلها من فجعة بمصابه
وعيشهم صاب قطيع وعالم
وهل كان إلا والدم مات عنهم
فيا من لقوم يتموا حين أو يتم²
قضى نحبه الأستاذ واحد عصره
فكاد الأسي يقضي إلى الكل منهم

¹ جعلها د. طويل: ((فأفقر)).

² جعلها د. طويل: ((أيموا)).

قضى نحبه القطان فالحزن قاطن
مقيم بأحناء الضلوع محكم
وهل كان إلا روضة رف ظلها
أتيح له قيظ من الجون صيلم
وهل كان إلا رحمة عاد فقدها
علامة فقد العلم والله أعلم
سل التائبين العاكفين على الهدى
لكم منة أسدى وأهدى إليهم
أفادهم من كل علم لبابة
1 وفهمهم أسرارهم فتفهمهم
جزى الله رب الناس خير جزائه
2 دليلاً بهم نحو الهدى حيث يممهم
أبان لهم طرق الرشاد فأقدموا
3 وحذرهم عن كل غي فأحجمهم

¹ جعلها د. طويل: ((فتفهموا)).
² جعلها د. طويل: ((يمموا)).
³ جعلها د. طويل: ((فأحجموا)).

وجاء من التعليم للخير كله
بأبين من يأتي به من يعلم
فصاحة ألفاظ وحسن عبارة
مضي كما يمضي الحسام المصمم
يصيب فلا يخطي إذا مقصدا
ولمن¹ يجيب فلا يبطي ولا يتلعثم
يحدث في الآفاق شرقاً ومغرباً
فأخبره أضحت تخط وترسم
سرى في الورى ذكر له ومدايح
يكاد بها طير العلى يترنم
لعمرك ما يأتي الزمان بمثله
وما ضرني لو كنت بالله أقسم
فقيه نزيه زاهد متواضع
رؤوف عطوف مشفق مترحم
يود لو أن الناس أثنى جميعهم
فلم يبق مسكين ولم يبق معدم

¹ حذف د. طويل اللام؛ فغدت: ((ومن)).

يود لو أن الله تاب على الورى
فتابوا فما يبقى من الكل مجرم
عليه من الرحمن أوسع رحمة
فقد كان فينا الدهر يحنو ويرح
* * *

محمد بن أحمد

(ابن يوسف بن أحمد بن عمر بن يوسف بن علي بن خالد
(ابن عبر الرعمن بن عمير الهاشمي الطنجالي¹؛ لوشي² للأصل؛
مالقي النشأة والاستيطان).

أوليته

[بيتهم نبيه إلى هاشمية النبه³ وهم ببلدنا لوشة
أشراف، وكانت لهم فيها ثروة وثورة؛ اجتثها الدهر
ببعض طوارقه، في أبواب المغالبات. ويمت سلفنا إليهم
بصحبة ومصاهرة في حديث يستدعي طولاً؛ وانتقل
خلفهم إلى مالقة.

حاله

من عايد الصلوة: كان هذا الولي الفاضل - المجمع
على ولايته وفضله - سهل اللقاء، رقيقاً بالخلق، عطوفاً
على الضعفاء، سالكاً سنن الصالح من السلف، سمياً

¹ هو جد القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي؛ التذي ولي قضاء مالقة سنة 750هـ/1349م. له ترجمة في: تاريخ قضاة الأندلس، ونفح الطيب.
² أي من مدينة لوشة؛ بلد ابن الخطيب؛ وهي تابعة لغرناطة؛ وتقع إلى الغرب منها، وجنوبي نهر شنيل.
³ في الزيتون وردت العبارة ((بيتهم ينسب إلى الهاشمية أهل بيت نبيه)) .

وهدياً، بصره مغضوض، ولسانه صامت، [إلا من ذكر
الله، وعلمه نافع]¹ وثوبه خشن، وطعمته قد نفذها الورع
الشديد، حتى اصطفاه مختاره، إذا أبصرت بها العين،
سبقتها العبرة. بلغ من الخلق، الملوك فمن دونهم الغاية،
فكان يلجأ إليه المضطر، وتمد إلى عنايته الأيدي، وتحط
بفنايه الوسائل، فلا يرتفع عن كلف الناس ولا حوايجهم،
ولا ينقبض عن الشفاعة لهم، وإصلاح ذات بينهم. له في
ذلك كله أخبار طريفة. واستعمل في السفارة بين ملكي
العدوة والأندلس، في أحوال المسلمين؛ فما فارق هيئته،
وركوب حماره واستصحاب زاده، ولبس الخشن من ثوبه.
وكان له حظ رغيب من فقه وحديث، وتفسير، وفريضة.
ولي الخطابة ببلده مالقة، واستسقى في المحول، فسقى
الناس.

حدثني بعض أسياننا؛ قال: حضرت مقامه
مستسقىاً، وقد امتنع الغيث، وقحط الناس، فما زاد عند
قيامنا أن قال: أستغفر الله؛ فضج الخلق بالبكاء

¹ ما بين حاصرتين ساقط في الإسكوريال.

والعجيج، ولم يبرحوا حتى سقوا. وكراماته كثيرة، ذائعة من غير خلاف ولا نزاع.

حدث بعض أسياننا عن الخطيب الصالح أبي جعفر الزيات؛ قال: رأيت في النوم قايلاً يقول: فقد الليلة من يعمر بيت الإخلاص بالأندلس؛ فما انتصف النهار من تلك الليلة؛ حتى ورد الخبر بموته.

مشيخته

من شيوخه الذين قرأ عليهم، وأسند إليهم الرواية والده رحمه الله، وأبو عمرو بن حوط الله، والخطيب ابن أبي ربحانة المريلي، والقاضي أبو علي بن أبي الأحوص، والراوي أبو الوليد بن العطار، والراوي المحدث أبو بكر بن مشليون، والمقري أبو عبد الله بن مستقور الطائي، والأستاذ أبو جعفر الطباع، وأبو الحسين بن أبي الربيع، والمحدث أبو عبد الله بن عياش، والأستاذ أبو الحسن السفاج الرندي، والخطيب بالمرية أبو الحسن الغزال. وقرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير. وأجازه من أهل المشرق جماعة منهم: أبو عبد الله بن رزيق الشافعي،

والعباس أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري، وأبو اليمن
عبد الصمد بن أبي الحسن عبد الوهاب بن أبي البركات
المعروف بالنجم، والحسن بن هبة الله بن عساكر،
وإبراهيم بن محمد الطبري إمام الخليل، ومحمد بن محمد
ابن أحمد بن عبد ربه الطبري، ومحمد بن علي بن وهب
ابن مطيع القشيري، وأبو الفتح تقي الدين بن أبي الحسن
فخر الدين، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري المكي
الشافعي وغيرهم.

ميلاده

بمالقة في رجب سنة أربعين وستماية¹.

وفاته

بمالقة في يوم الخميس الثامن لجمادى الأولى من
عام أربعة وعشرين وسبعماية². وقد ناهز الثمانين سنة،
لم ينتقص شيء من أعماله المقربة إلى الله، من الصوم

¹ الموافق لـ 1242م.

² الموافق لـ 1323م.

والصلاة، وحضور الجماعات، وملازمة الإقراء والرواية،
والصبر على الإفادة.

حدث من يوثق به، أن ولده الفقيه أبا بكر دخل
عليه، وهو في حال النزع، والمنية تخرج في صدره؛
فقال يا والدي أوصني؛ فقال وعيناه تدمعان: يا ولدي
اتق الله حيث كنت، [واتبع السيئة بالحسنة تمحها]¹،
وخالق الناس بخلق حسن.

* * *

¹ وردت العبارة في الزيتون كالاتي: ((واتبع الحسنه بالسيئة تمحها)).
وهذا؛ قلب للمعنى المقصود، وخطأ من الناسخ.

محمد بن إبراهيم

(ابن محمد بن إبراهيم البلفيقي¹ ابن الحاج؛ والرشيدنا أبي البركات. وقد سرفي ذكر النسب المتصل بعباس بن مروان، والأولية النبوية ما يغني عن الإعاوة.

حاله

من خط ولده شيخنا على الاختصار؛ قال: يخاطبني في بعض ما كتب به إلي: ذكر أبي، وهو ممن طلبتم ذكره إلي في أخباره جزءاً من نحو سبعين ورقة في المقسوم، لخصت لك من مبيضته ما يذكر: نشأ رحمه الله بسبته على طهارة تامة، وعفة بالغة، وصون ظاهر، كان بذلك علماً لشبان مكتبه. قرأ القرآن بالقراءات السبع، وحفظ ما يذكر من المبادي، واتسم بالطلب. ثم تآقت نفسه إلى الاعتلاق بالعروة الوثقى، التي اعتلق بها سلفه، فنبد الدنيا، وأقبل على الآخرة، وجرى على سنن المتقين، أخذاً بالأشد من ذلك والأقوى، طامحاً بهمته إلى

¹ نسبة إلى بلفيق، Vellefique؛ بلدة صغيرة تقع بولاية ألمرية؛ قريبة من برشانة؛ وإلى الجنوب منها.

أقصى ما يؤمله السالكون. فرفض زي الطلبة، ولبس الحشنية¹، وترك ملابس الخلق بالجملة، وبالغ في الانقباض عنهم، وانقطع إلى الله برباطات سبته وجبالها، وخصوصاً بميناها، وعكف على ذلك سنين؛ ثم سافر إلى المغرب، سائحاً في الأرض، على زي الفقهاء للقاء العباد وأهل العلم، فأحرز من ذلك ما شاء. ثم أجاز البحر إلى جزيرة الأندلس، وورد ألمرية، مستقر سلفه، وأخذ في إيثار² بقايا أملاك بقيت لأسلافه بها، على ما كان عليه من التبتل والإخبات. وكان على ما تلقينا من أصحابه وخدانه، صواماً، قواماً، خاشعاً ذاكراً، تالياً³، قوالاً للحق، وإن كان مرأً كبيراً في إسقاط التصنع والمباهاة، لا يضاها في ذلك، ولا يشق غباره. وقدم على غرناطة، ودخل على أمير المسلمين، وقال له الوزير، يقول لك السلطان ما حاجتك، فقال: بهذا الرسم رحلت، ثم ظهر لي أن أنزل حاجتي بالله، فعار على من

¹ في الزيتونة: ((الحشينة)).

² في الإسكوريال: ((أثارة)).

³ نفسه: ((تلا)).

انتسب إليه، أن يقصد غيره. ثم أجاز البحر وقد اشتدت
أحوال أهل الأندلس؛ بسبب عدوهم، وقدم على ملكه،
ووعظه موعظة، أعنف عليه فيها؛ فانفعل لموعظته،
وأجاز البحر بسببه¹ إلى جزيرة الأندلس، وغزا بها،
وأقام بها ما شاء الله، [وتأدب الروم لو تم المراد]²؛ قال،
وأخبره السلطان أبو يوسف ملك المغرب؛ قال كل رجل
صالح دخل علي كانت يده ترعد في يدي؛ إلا هذا
الرجل، فإن يدي كانت ترعد في يده عند مصافحته.

كراماته

وجلب له كرامات عدة، فقال في بعضها، ومن
ذلك ما حدثني الشيخ المسلم الثقة أبو محمد قاسم
الحصار؛ وكان من الملازمين له، المنقطعين إلى خدمته،
والسفر معه إلى البادية؛ فقال: إني لأحفظ لأبيك أشياء
من الأحوال العظيمة، منها ما أذكره، ومنها ما لا أستطيع

¹ في الزيتونة: ((بسببه)).

² وردت هذه العبارة في الزيتونة هكذا: ((وتأدب لتوهم الراد)).

ذكره. ثم قال: حدثني أهل وادي الزرجون، وهو حش¹ من أعمال سبتة، قالوا: انصرف السيد أبو عبد الله من هنا؛ هذا لفظه؛ فلما استقر في رأس العقبة، المشرفة على الوادي؛ صاح عليه أهل القرى؛ إذ كانوا قد رأوا أسداً كبيراً جداً؛ قد تعرض في الطريق، ما نجا قط من صادفه مثله؛ فلما سمع الصياح؛ قال ما هذا، فقبل له أهل القرى يصيحون عليه خيفة من السبع؛ قال: فأعرض عنهم بيده، ورفع حاجبه كالتكبر على ذلك، وأسكتهم، وأخذ في الطريق حتى وصل إلى الأسد، فأشار عليه بالقضيب؛ وقال له: من ها هنا.. من ها هنا.. أخرج عن الطريق؛ فخرج بإذن الله عن الطريق، ولم يوجد هنالك بعد. وأمثال ذلك كثيرة.

¹ الحش هو البستان.

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع القرشي،
وأجازته والده أبو إسحق إجازة عامة. ومن شيوخه:
القاضي المسن أبو عبد الله الأزدي، والمحدث أبو بكر بن
مشليون، وأبو عبد الله بن جوهر، وأبو الحسين بن
السراج، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله الخزرجي، وأبو
عبد الله بن الأبار، وأبو الوليد بن العطار، وأبو العباس
ابن عبد الملك، وأبو إسحق بن عياش، وأبو محمد عبد
الله بن أحمد بن عطية، وأبو بكر القرطبي حميد، وأبو
إبراهيم الطرسي، والقاضي أبو عبد الله بن عياض،
والكاتب أبو الحسن الرعيني، وأبو الحسن الشاري، وأبو
يحيى بن الفرس، وأبو إسحق بن عبيد الله، وأبو الحسن
الغزال، وجماعة من الأندلس غير هؤلاء. ومن أهل
العدوة كأبي يعقوب المحاسبي¹ وابن فرتون، وغيرهم².

¹ في الإسكوريال: ((المحاسني)).

² صوبها د. طويل؛ فجعلها: ((وغيرهما)).

محتته

نمي عنه إلى السلطان بالأندلس، أنه أغرى به ملك المغرب، وتخلص بعد لأي في خبر طويل، وانتهب السلطان ماله، وألحق أملاكه بالمختص¹ واستمر. وذلك إلى دولة والده وامتحن الساعون به، فعجل الله عقوبتهم.

مولده

قال شيخنا: نقلت من خط أبيه ما نصه: ولد ابني أبو بكر محمد أسعده الله ووقفه، في النصف الأول من ليلة يوم الاثنين الحادي والعشرين لذي قعدة من سنة ست وأربعين وستماية².

¹ المختص والمستخلص: الأملاك السلطانية.

² الموافق لـ 1248م.

وفاته

قال ألفيت بخط القاضي الأديب الكاتب أبي بكر بن شبرين؛ وكان ممن حضر جنازته بسبته: وكانت وفاة الفقيه الناسك السالك الصالح أبي بكر محمد بن الشيخ الفقيه المحدث أبي إسحاق السلمي البلفيقي في العشر الأواخر من رمضان أربعة وتسعين وستماية¹ بمحروسة سبته، ودفن إثر صلاة العصر بمبانة الخروبة؛ من منارتها بمقربة من قبر ریحان الأسود؛ العبد الصالح؛ نفع الله به. وصلى عليه الإمام أبو عبد الله بن حريث.

* * *

¹ الموافق لـ 1294م.

محمد بن يحيى

ابن إبراهيم بن أحمد بن مالك بن إبراهيم بن يحيى بن عباو
النفزي¹؛ من أهل رندة، يكنى أبا عمرو، ويعرف بابن عباو،
الحاج الصوفي.

حاله

نشأ ببلده رندة، وهو من ذوي البيوتات الأصلية
بها، ثم رحل إلى المشرق، ولقي العلماء والصوفية،
وحضر عند المشيخة، ثم كثر إلى الأندلس، فتصوف،
وجال في النواحي، واطرح السموت، وفوت ما كان بيده
من متاع الدنيا، وكان له مال² له خطر، وألقى التصنع
لأهله رأساً. وكان فيه توله وحدة، وله ذهن ثاقب،
يتكلم في المعقولات والمنقولات، على طريقة الحكماء
والصوفية، ويأتي بكل عبارة غريبة، وآثاره هائلة من غير
تمكن علم ولا وثاقة إدراك، غير أنك لا تسمع منه إلا
حسناً، وهو مع ذلك طواف على البلاد، زوار للربط،

¹ له ترجمة أيضاً في: الكتيبة الكامنة، ونفح الطيب. ولم يذكر ابن
الخطيب في هذه الترجمة تاريخي: ميلاد ووفاة ابن عباو النفزي؛ علماً أن
مولده كان برندة سنة 733هـ/1332م ووفاته سنة 792هـ/1389م.
² سقطت هذه العبارة في الإسكوريال.

صبار على المجاهدة طوعاً وضرورة، ولا يسئل ثياباً البتة إلا
بذلة من ثوب أو غيره، صدقة واحد في وقته.

محتته وفضله وشعره

تُعي عنه كلام بين يدي صاحب المغرب، أسف به
مدبر الدولة يومئذ، فأشخص عند إيايه إلى رندة وسجن
بسجن أرباب الجرائم، فكتب إلى ولي الأمر¹:

تركتم لكم عز الغنى فأبيتم
وأن تتركوني للمذلة والفقير
ونازعتموني في الخمول وإنه
لذي مهجتي أطل من البنى والأمر

ثم قال: يا من رماني بسهمه، الغرب، قدر عليك
مخضوباً بالدم. قال فوالله ما مرت ثلاثة، حتى نفذ حكم
الله فيمن عدا عليه. وشعره حسن يدل على طبع معين،
فمن ذلك²:

¹ البحر الطويل.
² البحر الكامل.

سرى يسر إلي أنك تاركي
نفسى الفداء للطفك المتدارك
يا مالكي ولي الفخار بأنني
لك فى الهوى ملك¹ وأنك مالك¹
الترك هلك فاعفني منه وعد
بالوصل تحيى ذم² محب هالك
وأعد جميلاً فى الهوى عودتني
إن لم تعده إلي من للهالك
يا منية القلب الذى بجماله
فتن الورى من فاتك أو ناسك
أتية³ دونك أو أحر وفى سنى
ذاك الجمال جلا الظلام الحالك
ولكم سلكت إليك لكن حين لم
تكن الدليل اختل قصد السالك

¹ أضاف د. طويل الياء؛ فأضحت: ((مالكي)).

² جعلها د. طويل: ((ذا)).

³ جعلها د. طويل: ((أتية)).

ولقد عرفت بستر سري في الهوى
فهجرتني فكسيت ثوب الهاتك
ما الستر إلا ما يحوك رضاك لا
ما حاكه للبتير¹ كف الحايك
ما الفضل إلا ما حكمت به فصن
وأهتك وصل إن شيت أو كن تارك²
ما لي سوى حبيك يا حبي فدع
تركي فهلك الملك ترك المالك
وقال أيضاً³:

هذا العقيق فسل معاطف بأنه
هل نسمة عادته من نعمانه
وأسأله⁴ إن زارته ماذا أخبرت
عن أجرع العلمين أو سكانه

¹ سقطت هذه الكلمة في الإسكوريال.

² أضاف د. طويل الياء؛ فعدت: ((تاركي)).

³ البحر الكامل.

⁴ في الإسكوريال: ((وأرسله)).

وأصخ لحسن حديثها وأعدده للـ
مضني ففيه البرء من أشجانه
يا حبذا ذاك الحديث وحبذا
من قدر فاه¹ وحبذا² ببيانه
وسقى الآله زمانه ومكانه
ويعز قدر زمانه ومكانه
يا سعد ساعد مستهماً فيه لا
ذقت الهوى ونجوت من عدوانه
وأصخ لما يتلو³ الوجود عليك من
أنبائهم بلسان حال كيانه⁴
وأبنه لي واقبل ذمامي بشارة
ويقل بذل ذمائي في تبيانه

¹ في الكتيبة الكامنة: ((رواه)).
² في الإسكوريال: ((وحب أن)).
³ في الكتيبة الكامنة: ((يجلو)).
⁴ نفسه: ((بيانه)).

وسل النسيم يهب من واديهم
شذا¹ خزاماه وطيب لبانه²
ارحم بروح منه روعي تحيه
ويسقمه³ سقمي فديتك عانه
وينشره انشر نفسك مشتاق قضت
شوقا لنفحة نسمة⁴ من بانه
يا سعد حدثني فكل مخبر
عن خسر من أهواه أو إحسانه⁵
يا سعد حدثني فكل حديث عنهم⁶
ويجل قدر الحب عن نسيانه
يا سعد طارحنيه واملأ مسمعي
من سره إن شئت أو إعلانه

¹ في الكتيبة الكامنة: ((بشذا)).

² نفسه: ((ليانه))؛ بالياء المثناة.

³ نفسه: ((ويسقمه))؛ وهو أسلم.

⁴ نفسه: ((هبة)).

⁵ سقط هذا البيت في الكتيبة الكامنة.

⁶ جاء هذا الشطر في الكتيبة هكذا: ((يا سعد حدثني حديثا عنهم)).

أنا في الغرام أخوك حقا والفتى
لا يكتم الأسرار من¹ إخوانه
قل كيف وادي ودّ سكان الحمى²
ومنى أمانيه وروض لسانه³
هل قلصت أيدي النوى من ظله
أو ما جرى هل عاث في جريانه
وهل الربوع أو اهل بجمالهم⁴
فسقى للربوع⁵ الودق من هتانه
وهل التقى بان على العهد النوى⁶
وهل اللوى يلوي بعود زمانه
فبروض أنسهم غمدت⁷ نضارة
نزهدت منها الطرف⁸ في بستانه

¹ في الكتيبة: ((عن)).

² في الإسكوريال: ((الفضا)).

³ في الكتيبة: ((أمانه)).

⁴ نفسه: ((بحمى لهم)).

⁵ نفسه: ((الربوع)).

⁶ نفسه: ((الهوى)).

⁷ نفسه: ((عهدت)).

⁸ نفسه: ((القلب)).

وأرى هجير الهجر أذبل يانعا
منه وأذوى الغض من ريحانه
وأحال حال الأنس فيه وحشة
وطوى بساط الأنس في هجرانه
آها ووالهفى يويحي أن مضى
عهد عرفت الأنس في أزمانه
وبأجرع العلمين من شرقيه
حب غذاني حبه بلبانه
حاز المحاسن كلها فجمعن لي
كل الهوى فحملت¹ كل كوانه
وزها علي بعزة² فبواجب
أزهو³ بذلي في يد سلطانه
وقضى بأن أقضي وليت بما قضى
يرضي فطيب العيش في رضوانه

¹ في الكتيبة: ((وحملت)).

² نفسه: ((بعزه)).

³ نفسه: ((أزهى)).

واختار لي أن لا أميل لسلوة
عن حبه فسلوت عن سلوانه
يا عاذلي أو ناصحي أو لائمي
تبغي السلو ولات حين أو انه
غلب الغرام وعز السلطان الهوى
فالكل فيه علي من أعوانه
فعلام تعتب مستهما كتما
في الكون¹ عاذره على شيمانه²
دع عنك لومي إنني لك ناصح
أبدى الجمال العذر عن هيّمانه
وإذا الفتى قام الجمال بعذره
في الحب فاتركه وثني عنانه
من سام قلبي في هواه سلوة
قد سامه ما ليس في إمكانه

¹ في الإسكوريال محي نصف هذه الكلمة.

² ورد هذا البيت في الكتيبة الكامنة هكذا:

((فعلام تعتب مستهما كل ما * في الكون عاذره على هيّمانه)).

وقال في الغرض المذكور¹:

يا للرجال ألا حب يساعدي
في ذا الغرام فأبكيه ويبكين²
غلبت فيه وما أجدت مغالبتني
وهنت والصب أولى الناس بالهون
ركبت لجهته وجدي فأدهشني
ومت³ في يده فردا فدلون⁴
واضيعة العمر والبلوى مضاعفة
ما بين يأس وآمال تُرجين⁵
والهف نفسي إن أودت وما ظفرت
في ذا الهوى بتمن أو بتأمين

¹ البحر البسيط.

² في الكتابة: ((يبكيني)).

³ نفسه: ((وتهت)).

⁴ نفسه: ((فدلوني)).

⁵ نفسه: ((ترجيني)).

فأيت¹ شعري وعمرى ينفضى طمعاً
في [ذالهى]² بين مغلوب ومغبون
هل الأولى³ ملكوارقى وقد علموا
بذلى⁴ وافتقارى أن يواسون
فكم أكفكف دمعى بعدهم وأرى
مجدداً نار يأسى وهى تبلىن
وكم أمر على الأطلال⁵ أندبها
وبالمنازل من خيف ودارين
وفى الفؤاد لهم ما ليس يعلمه
إلا هم علمهم بالحال يكفين
أهمى المدامع كى أروى فتعطشنى
وألزم الذكر للسلى فى شجىن

¹ فى الكتبية: ((وليت)).

² نفسه: ((فى الحب ما بين)).

³ نفسه: ((هل الأولى)).

⁴ نفسه: ((بذلتى))؛ وهو أسلم.

⁵ فى الإسكوريال: ((الأطناب))؛ وصوت من الكتبية.

وكل من لمحت عيني أسأله
عنهم فيغري بهم قلبي ويغريني
يا أهل نجد وفخري¹ أن أحبكم
لا أطلب الوصل عز الحب يغنين
هل للهوى² من سبيل للمنى فلقد
عزت أمانيه في الدنيا وفي الدين³

* * *

¹ في الكتيبة: ((ومجدي)).

² نفسه: ((في الهوى)).

³ نبه عنان في الهامش؛ إلى أن ترجمة ابن عباد النفزي اختصرت في الإحاطة والكتيبة الكامنة؛ بحيث لم تستوف أعماله كلها، ولم تحط بمكانته العلمية. وأرجع السبب - كما يعتقد - إلى الناسخ. وعليه فقد أشار إلى مؤلفاته التي قال أنها كثيرة؛ ومنها شرحه على كتاب الحكم العطائية؛ الذي ألفه الصوفي المصري عطاء الله السكندري المتوفي سنة 779هـ؛ كما ذكر أن لابن عباد أيضاً مجموع في أجوبة العلوم؛ صنفه في مجلدين.

تذكير

هذا ختام القسم الثالث من كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للكاتب
المعجزة والشاعر المبدع ذي الوزارتين لسان الدين
ابن الخطيب. يلي هذا القسم الثالث:
القسم الرابع، الذي يبدأ بترجمة
محمد بن يوسف
ابن فلهون

((الناشر))

فهرس الموضوعات والتراجم

(القسم الثالث)

- محمد بن محمد بن الشَّدِيد؛ يكنى
أبا عبد الله:.....4
- محمد بن مسعود بن خالصة بن أبي
الخصال الغافقي؛ يكنى أبا عبد الله:.....10
- محمد بن مُفَضَّل بن مُهَيَّب اللّخمي؛
يكنى أبا بكر:.....77
- محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب
الغافقي:.....96
- محمد بن عبد الله بن لب الأمي؛ يكنى أبا عبد الله
ويعرف بابن الصايغ:.....112
- محمد بن عبد الله بن الحاج البضيعة؛
يكنى أبا عبد الله:.....137
- محمد بن عبد الله بن فطيس؛ يكنى
أبا عبد الله:.....140
- محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد
ابن الحكيم اللّخمي؛ يكنى أبا عبد الله:.....142
- محمد بن عبد الرحمن العقيلي الجراوي:.....214
- محمد بن عبد الرحمن المتأهل؛ يعرف بعمامتي:.....217
- محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد
ابن طُقَيْل القيسي؛ يكنى أبا بكر:.....219

- محمد بن عبد العزيز بن عياش التجيبي البرشاني
 229.....: يكنى أبا عبد الله:.....
- محمد بن علي بن محمد الهمداني؛
 241.....: يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن البراق:.....
- محمد بن علي بن خاتمة الأنصاري؛ يكنى أبا عبد الله:..... 251
 – محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان
 257.....: الزُّهري؛ يكنى أبا بكر:.....
- محمد ب غالب الرصافي؛ يكنى أبا عبد الله:..... 289
 – محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي:..... 318
 – محمد بن سليمان بن القصيرة؛ أبو بكر:..... 321
 – محمد بن يوسف بن إبراهيم التميمي المازني؛
 330.....: يكنى أبا الطاهر:.....
- محمد بن حسن العُمَراتي الشريف:..... 334
 – محمد بن محمد بن إبراهيم بن المرادي بن العشاب:..... 340
 – محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري ؛ يكنى
 345.....: أبا عبد الله؛ ويعرف بابن عبد الملك:.....
- محمد بن خميس بن عمر بن محمد الحَجْرِي التلمساني؛
 349.....: يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بابن خميس:.....
- محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم
 436.....: المليكَشي؛ يكنى أبا عبد الله:.....
- محمد بن علي بن الحسن بن راجح
 458.....: الحسني؛ يكنى أبا عبد الله:.....
- محمد بن علي بن عمر العبدي؛
 475.....: يكنى أبا عبد الله:.....

- محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد
ابن أحمد العزفي؛ أبو القاسم ابن أبي زكريا
ابن أبي طالب:.....483
- محمد المكودي؛ يكنى أبا عبد الله:.....500
- محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن
يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف يوسف بن
جزى الكلبي؛ يكنى أبا القاسم:.....506
- محمد بن أحمد بن فتوح بن شُقْرال اللخمي؛
يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بالطرسوني:.....514
- محمد بن جابر بن يحيى بن محمد بن ذي النون
التغلبى؛ ويعرف بابن الرمالية:.....518
- محمد بن محمد بن بيش العبدري؛ يكنى
أبا عبد الله؛ ويعرف بابن بيش:.....521
- محمد بن محمد النمري الضريبر؛
يكنى أبا عبد الله:.....532
- محمد بن عبد الولي الرعيني؛ يكنى أبا عبد الله؛
ويعرف بالعواد:.....537
- محمد بن علي بن أحمد الخولاني؛
يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بابن الفخار؛ وبالبيري:.....540
- محمد بن محمد البلنسي؛ يكنى أبا عبد الله:.....548
- محمد بن سعد بن محمد بن لب بن بقي؛
يكنى أبا عبد الله:.....550
- محمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصاري
يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بالطراز:.....555

- محمد بن يوسف بن حيان النفزي؛ يكنى أبا حيان،
ويلقب من الألقاب المشرقية بأثير الدين:.....558
- محمد بن أحمد بن داود مالك اللّخمي اليكّي
يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بابن الكمّاد:.....603
- محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني؛
يكنى أبا القاسم؛ ويعرف بابن حفيد الأمين:.....609
- محمد بن أحمد بن علي بن قاسم المذحجي؛
يكنى أبا عبد الله:.....612
- محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني؛
يكنى أبا الحكم؛ ويعرف بابن حفيد الأمين:.....614
- محمد بن أحمد الرقوتي المرسي؛ يكنى أبا بكر:.....616
- محمد بن ابراهيم بن المفرج الأوسي؛
المعروف بابن الدباغ الإشبيلي:.....618
- محمد بن ابراهيم بن محمد الأوسي؛
يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بابن الرقام:.....620
- محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حُميد
ابن مأمون الأنصاري؛ يكنى أبا عبد الله:.....622
- محمد بن حكّم بن محمد بن أحمد بن باق
الجزامي؛ يكنى أبا جعفر:.....626
- محمد بن حسن بن محمد بن خلف الأنصاري؛ يكنى
أبا عبد الله؛ ويعرف بابن الحاج، وبابن صاحب الصلاة:.....629
- محمد بن محمد بن أحمد بن علي الأنصاري؛
يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بابن قرال:.....631

- محمد بن محمد بن إدريس بن مالك بن عبد الله
القضاعي؛ يكنى أبا بكر، ويعرف بالقللوسى:.....632
- محمد بن محمد بن محارب الصَّرِيحي؛
يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بابن أبي الجيش:.....637
- محمد بن محمد بن لب الكناني؛ يكنى
أبا عبد الله، ويعرف بابن لب:.....640
- محمد بن محمد البدوي؛ يكنى أبا عبد الله:.....644
- محمد بن عبد الله بن مَيِّمون بن العبدري؛ يكنى أبا بكر:.....653
- محمد بن عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم النميري؛
يكنى أبا عامر:.....659
- محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرج بن الجَدِّ الفهري
يكنى أبا بكر:.....662
- محمد بن عبد الرحمن بن الفَخَّار الجذامي؛
يكنى أبا بكر:.....665
- محمد بن علي بن عمر بن يحيى بن العربي الغساني؛
يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن العربي:.....673
- محمد بن علي بن محمد العبدري؛ يكنى أبا عبد الله،
ويعرف باليتيم:.....677
- محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر
ابن مرزوق العجيسي؛ يكنى أبا عبد الله، ويلقب من الألقاب
المشرقية بشمس الدين:.....692
- محمد بن عبد الرحمن بن سعد التميمي التسلي
الكرسوطي؛ يكنى أبا عبد الله:.....746

- محمد بن عبد المنعم الصنهاجي؛ يكنى أبا عبد الله؛
753..... ويعرف بابن عبد المنعم:
- محمد بن عمر بن رشيد الفهرى؛ يكنى أبا عبد الله،
755..... ويعرف بابن رشيد:
- محمد بن علي بن هاني السبتي؛ يكنى أبا عبد الله،
774..... ويعرف باسم جدّه:
- محمد بن يحيى العبدري؛ يكنى أبا عبد الله؛
801..... ويعرف بالصدفي:
- محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير؛ يكنى أبا عمرو:.....
804.....
- محمد بن أحمد بن خلف الغساني؛
810..... يكنى أبا بكر؛ ويعرف بالقلبي:
- محمد بن أحمد بن محمد الدوسي؛ يكنى أبا عبد الله؛
811..... ويعرف بابن قطبة:
- محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن روبيل الأنصاري؛
813..... ويكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن السراج:
- محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي زمنين المري؛
817..... يكنى أبا عبد الله:
- محمد بن جابر بن إبراهيم بن حسان القيسي؛
819..... يكنى أبا عبد الله؛ ويعرف بابن جابر:
- محمد بن خلف بن موسى الأنصاري الأوسي؛
823..... يكنى أبا عبد الله:
- محمد بن محمد بن إبراهيم الخولاني؛ يكنى
827..... أبا عبد الله؛ ويعرف بالشريشي:

- محمد بن محمد بن علي بن سُودة المُرِّي؛
831..... يكنى أبا القاسم:
- محمد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف القيسي؛
838..... يكنى أبا عبد الله:
- محمد بن عبد الله بن أبي زمنين؛
840..... يكنى أبا عبد الله:
- محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن
841..... ابن أبي زمنين عدنان بن بشير بن كثير المري:
- محمد بن عبد الرحمن بن الحسن اللخمي
844..... القايصي؛ يكنى أبا الحسن:
- محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن أحمد بن
847..... يوسف الغساني؛ يكنى أبا عبد الله:
- محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مفرج بن أحمد بن
850..... حقل الغافقي؛ يكنى أبا القاسم؛ ويعرف بالملاح:
- محمد بن علي بن عبد الله اللخمي؛ يكنى أبا عبد الله؛
853..... ويعرف بالشقوري:
- محمد بن علي بن فرج القربلياني؛ يكنى أبا عبد الله؛
856..... ويعرف بالشفرة:
- محمد بن علي بن يوسف بن محمد السكوني؛ يكنى
858..... أبا عبد الله، ويعرف بابن اللؤلؤة:
- محمد بن سودة بن إبراهيم بن سودة المري؛
861..... يكنى أبا عبد الله:
- محمد بن يزيد بن رفاعة الأموي البيري:
863.....
- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن خميس الأنصاري:
866.....

- 869..... - محمد بن أحمد بن عبد الله العطار:
- محمد بن أحمد بن المراكشي؛ يكنى
- 872..... أبا عبد الله؛ ويعرف بالمراكشي:
- محمد بن بكر بن حزب الله؛ يكنى
- 876..... أبا عبد الله:
- محمد بن الحسن بن أحمد بن يحيى الأنصاري:
- محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري
- 881..... الساحلي؛ يكنى أبا عبد الله؛ بالمعمم:
- محمد بن محمد بن يوسف بن عمر الهاشمي؛
- 885..... يكنى أبا بكر؛ ويعرف بالطنجالي:
- محمد بن محمد بن ميمون الخزرجي؛ يكنى
- 887..... أبا عبد الله؛ ويعرف بلا أسلم:
- محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري؛
- 890..... يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالشديدي:
- محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني
- 897..... الأنصاري؛ يكنى أبا الحسين؛ ويعرف بالتلمساني:
- محمد بن علي بن يوسف بن قطرال الأنصاري؛
- 903..... يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن قطرال:
- محمد بن أحمد بن محمد بن الأكل؛ يكنى أبا يحيى:
- محمد بن الحسن بن زيد بن أيوب بن حامد الغافقي؛
- 914..... يكنى أبا الوليد:
- محمد بن محمد بن حسان الغافقي؛ يكنى
- 916..... أبا عبد الله، ويعرف بابن حسان:

- محمد بن عبد الله بن أسد بن قاسم النميمي؛
919..... المدعو بابن الحاج؛ يكنى أبا عمرو:
924..... محمد بن عبد الرحمن الكاتب؛ يكنى أبا عبد الله:
928..... محمد بن عبد الملك بن سعيد بن عمار بن ياسر:
– محمد بن سعيد بن خلف بن عبد الله بن عمار
934..... ابن ياسر العنسي؛ يكنى أبا بكر:
939..... محمد بن أحمد بن المتأهل العبدي؛ يكنى أبا عبد الله:
– محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوي؛
942..... يكنى أبا بكر:
954..... محمد بن محمد بن شعبة الغساني؛ يكنى أبا عبد الله:
959..... محمد بن محمد بن العراقي؛ يكنى أبا عبد الله:
– محمد بن عبد الله بن فرتون الأنصاري؛
961..... يكنى أبا القاسم، ويعرف بالهنا:
– محمد بن عبد الله بن محمد بن مقاتل؛
965..... يكنى أبا القاسم:
– محمد بن علي بن عبد ربه التجيبي؛
967..... يكنى أبا عمرو:
– محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد الأنصاري؛
969..... يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالصناع:
– محمد بن أحمد الأنصاري؛ يكنى أبا عبد الله،
972..... ويعرف بالمواق:
973..... محمد بن حسنون الحميري؛ يكنى أبا عبد الله:
– محمد بن محمد البكري؛ يكنى أبا عبد الله،
975..... ويعرف بابن الحاج:

- محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري؛ يعرف بالسواس:.....978
- محمد بن أحمد بن جعفر بن عبد الحق بن نصر بن
حقاف السلمي؛ يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن جعفر،
ويشهر في الأخير بالقونجي:.....980
- محمد بن أحمد بن حسين بن صفوان القيسي؛
يكنى أبا الطاهر، ويعرف بابن صفوان:.....985
- محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري؛
يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالساحلي:.....991
- محمد بن أحمد بن قاسم الأمي؛
يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالقطان:.....996
- محمد بن أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي:.....1006
- محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم
البلفيقي بن الحاج:.....1011
- محمد بن يحيى بن إبراهيم بن عباد النفزي؛
يكنى أبا عمرو، ويعرف بابن عباد، الحاج الصوفي:.....1018
- فهرس الموضوعات والتراجم (القسم الثالث):.....1031